AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 01166 4699

06-B2698

النهروانى ، محمد بن علاء
الدين احمد بن محمد بن قاضيخان
محمود قطب الدين النهروانى
(٩١٧ - ٩٩٠)

* النهروالى

الاعلام باعلام بيت الله
الحرام

فهرست الكتاب المسمى بالاعلام بأعلام بيت الله الحرام تاريخ مكة المشرفه

صحيفه	
٥	مقدمة الكتاب
٦	الباب الاول فى وضع مكة
٧	كانت مكة مسورة
٨	طول مكة وعرضها
٨	حكم بيع دورها واجارتها
٩	ذكر اسماء مكة المشرفة
٩	قطع الرعاف
٩	هل مكة افضل أم المدينة
١٠	حكم المجاورة بمكة
١٠	تضاعف الحسنات بها
١٢	الباب الثانى فى بناء الكعبة
١٢	بنيت الكعبة عشر مرات الاول بناء الملائكة الخ
١٤	اول من وضع الحجر الاسود
١٥	قصة سارة مع فرعون
١٦	حديث ماء زمزم لما شرب له
١٧	دفنت هاجر فى الحجر
١٧	بنى اسماعيل يقال لهم العرب العاربة والعرباء
١٧	الركن والمقام ياقوتتان من الجنة
١٧	قصة الذبح
١٩	دفن اسماعيل مع أمه فى الحجر
١٩	دفن غزالتين من ذهب فى بئر زمزم
٢١	مبدء امير قصى
٢٢	مناصب قصى ست
٢٣	بناء قريش الكعبة
٢٥	بناء ابن الزبير لها
٢٥	بناء الحجاج لها
٢٥	فصل فى تحلية الكعبة

صحيفه	
٢٨	مجدد سطح بيت الله
٢٨	فصل فى تعاليق الكعبة وكسوتها
٣١	فصل فى كسوة الكعبة قديما وحديثا
٣٣	تقسيم كسوة الكعبة بين الحجاج
٣٤	الباب الثالث فى ما كان عليه المسجد الحرام فى أيام الجاهلية
٣٥	قيل ان دار الندوة هى مقام الحنفى
٣٥	زيادة عمر بن الخطاب فى المسجد
٣٥	سيل أم نهشل
٣٦	ثنية كداء هى الحجون
٣٦	زيادة سيدنا عثمان فى المسجد
٣٧	تحويل الساحل الى جدة
٣٧	ذكر عبد الله بن الزبير
٤٠	عمارة الوليد بن عبد الملك للمسجد الحرام ومسجد دمشق
٤٠	الباب الرابع فيما زاده العباسيون فى المسجد الحرام
٤١	تولية السفاح
٤١	تولية ابى جعفر المنصور
٤٢	حج المنصور
٤٤	دعاء الفرج
٤٥	تولية المهدى للخلافة وزيادته فى المسجد الحرام
٤٧	اشكال يتعلق بعمل السقى
٤٨	فصل فى ذكر رباط قايتباى
٤٩	فصل فى ذكر حوادث سنة سبع وستين
٥٠	فصل فى ذكر ولاية الهادى
٥١	ولاية هرون الرشيد

صحيفه	
٥١	حج هرون الرشيد ماشيا
٥٢	فصل فى ذكر قدوم الخيزران أم الرشيد الى مكة
٥٣	تقسيم الرشيد الملك بين ولديه الامين والمأمون
٥٤	فصل فى تولية الخلافة للامين
٥٦	فصل فى تولية المأمون
٥٦	سمكة تسمى الرعادة
٥٦	فصل فى تولية المعتصم
٥٧	غزوة عمورية
٥٨	فصل فى تولية الواثق بالله
٥٩	تولية المتوكل على الله
٥٩	عجائب وقعت
٥٩	سار جبل باليمن
٦٠	تولية المنتصر بالله
٦٠	تولية المستعين بالله
٦١	تولية المعتز بالله
٦١	تولية المهتدى بالله
٦٢	الباب الخامس فى الزيادتين فى المسجد الحرام بعد تربيعه
٦٢	تولية المعتمد على الله
٦٢	ذكر بهلول ملك الزنج
٦٤	ولاية المعتضد بالله
٦٥	حكاية لطيفة
٦٥	حكاية لطيفة
٦٦	زيادة دار الندوة
٦٩	اعتل المعتضد من افراطه فى الجماع
٦٩	فصل ولى المعتضد ولده المكتفى بالله
٦٩	ظهور القرامطة
٧٠	ولاية المقتدر بالله

صحيفه	
٧٠	ترجمة عبد الله بن المعتز
٧٤	فصل فى جملة من محاسن المقتدر بالله انه زاد فى المسجد الحرام
٧٤	زيادة المسجد من جهة الغرب
٧٥	درة وزنها ثلاث مثاقيل
٧٥	موكب المقتدر
٧٥	فصل فى ذكر القرامطة
٧٦	قلع الحجر الاسود ونقله لهجر
٧٧	رد الحجر الاسود الى مكانه
٧٨	ولاية الطائع بالله
٧٩	ولاية القادر بالله
٧٩	ولاية المقتدى بامر الله
٧٩	ولاية المسترشد بالله
٨٠	ولاية الراشد بالله
٨٠	ولاية المقتفى بالله
٨٠	ولاية المستنجد بالله
٨٠	ولاية الناصر لدين الله
٨٠	ملوك الفاطميين
٨١	ولاية القاهر بالله
٨١	ولاية المستنصر بالله
٨١	أول مدرسة بنيت للعلم
٨١	حكاية عن نظام الملك
٨٣	ولاية المستعصم بالله
٨٣	زوال ملك العباسيين
٨٤	استيلاء هولاكو خان على بلاد الاسلام
٨٥	أسر المستعصم آخر ملوك بنى العباس
٨٥	فصل فى وفود بنى العباس على مصر
٨٦	ولاية المتوكل على الله

صحيفه	
٨٦	ولاية المستمسك بالله
٨٦	الباب السادس فى ذكر ملوك الجراكسة
٨٧	السلطان الظاهر برقوق
٨٧	شعار سلاطين الجراكسة
٨٨	السلطان فرج بن برقوق
٨٩	حريق المسجد الحرام
٨٩	امتلاء المسجد الحرام بالسيل
٩١	وصول عرلنك للشام
٩١	سلطنة الملك عبد العزيز بن برقوق
٩٣	سلطنة المستعين بالله
٩٤	دخل جمل المسجد وطاف بالبيت
٩٥	سلطنة الملك المظفر
٩٥	سلطنة الملك الظاهر
٩٥	اسقاط المكس بمكة
٩٥	تولية الملك الصالح
٩٥	سلطنة الملك الاشرف برسباى
٩٧	فتوى فى الصلاة على الميت فى المسجد
٩٧	اسم مؤلف هذا الكتاب
٩٨	افضل ابواب المسجد الحرام
٩٨	الحسين بن على بن الحسن
٩٩	سلطنة سيف الدين جقمق
١٠١	تعمير مسجد غرة
١٠١	اصلاح برك عرفات
١٠٢	سلطنة الملك الاشرف انبال
١٠٢	سلطنة الملك المؤيد شهاب الدين
١٠٢	سلطنة الملك الناصر سيف الدين
١٠٢	سلطنة الملك الظاهر الناصر بلباى

صحيفه	
١٠٢	سلطنة الملك الظاهر تمربغا
١٠٣	سلطنة الملك الاشرف قايتباى
١٠٣	تعمير مسجد الخيف
١٠٣	تعمير مسجد غرة
١٠٤	عمر قايتباى عين عرفة وعين خليص
١٠٥	فصل فى حرق المسجد الشريف النبوى
١٠٦	فصل فى حج السلطان قايتباى
١١٠	سلطنة الملك الناصر أبو السعادات
١١٠	سلطنة قانصوه الغورى
١١٢	ابطال الميراث فى أيام الغورى
١١٢	حرب الغورى مع السلطان سليم
١١٢	مدة ملك الجراكسة
١١٣	ترجمة الامير حسين الكردى
١١٤	الباب السابع فى ظهور آل عثمان
١١٤	الفصل الاول فى الفتح الخاقانى
١١٥	ابتداء الدولة العثمانية
١١٦	جلوس السلطان عثمان على تخت السلطنة
١١٦	تولية السلطان اورخان الغازى
١١٧	تولية السلطان مراد الغازى
١١٧	تولية السلطان يلدرم بايزيد
١١٧	السلطان محمد خان
١١٨	تولية السلطان مراد خان بن محمد
١١٨	تولية السلطان محمد بن مراد خان
١١٨	فتح القسطنطينية

صحيفه	
١١٩	تولية السلطان بايزيد خان الغازى
١٢٠	شاه اسماعيل ابن الشيخ حيدر
١٢٣	تولية السلطان سليم خان
١٢٤	الفصل الثانى فى قتل شاه اسماعيل
١٢٨	قتال السلطان سليم للغورى وفتحه مصر
١٢٩	تولية خير بك مصر
١٣٠	وفاة السلطان سليم
١٣٠	الفصل الثالث فى تعمير السلطان سليم فى الحرم الشريف
١٣٠	ما يأخذه مشايخ العرب من امير الحاج
١٣٣	الباب الثامن فى دولة السلطان سليم خان
١٣٤	فصل فى ذكر أولاد السلطان سليمان
١٣٦	فصل فى وزراء السلطان سليمان
١٤١	اجراء عين الزرقاء بالمدينة
١٤١	فصل فى غزوات السلطان سليمان
١٤٩	مرض السلطان سليمان فى الغزو
١٥٠	وفاة السلطان سليمان فى الغزو
١٥٢	فصل فى مآثر السلطان سليمان
١٥٤	ذكر اجراء العيون لمكة
١٦١	بناء المدارس الاربعة بمكة
١٦٣	الباب التاسع فى دولة السلطان سليم خان

صحيفه	
١٦٤	فتح قبرس
١٦٦	فتح اليمن
١٦٨	ترجمة سنان باشا
١٦٩	تعمير حاشية المطاف
١٧٠	أخذ تونس من المسلمين
١٧٢	محاربة سنان باشا تونس وفتحها
١٧٨	فصل فيما جدده السلطان سليم فى الحرمين
١٧٩	فصل فى عمارة الحرم المكى فى أيامه
١٨١	بناء قبب المسجد الحرام
١٨٢	فصل فى وفاة السلطان سليم
١٨٣	الباب العاشر فى سلطنة السلطان مراد خان
١٨٤	وزير السلطان مراد محمد باشا
١٨٧	فصل من مآثر السلطان مراد اتمام عمارة المسجد الحرام
١٨٩	سيل عظيم ملأ المسجد الحرام
١٩٠	جملة ما صرف فى عمارة المسجد الحرام
١٩٠	عمل أهلة قبب المسجد الحرام بمصر
١٩٠	فصل فى اساطين المسجد الحرام
١٩١	اساطين دار الندوة
١٩١	شرفات المسجد الحرام
١٩٢	ابواب المسجد الحرام
١٩٢	قبب المسجد الحرام
١٩٣	مناثر المسجد الحرام
١٩٥	خاتمة فى ذكر المواضع المباركة بمكة المشرفة
١٩٥	المواضع التى يستجاب فيها الدعاء

صحيفه		صحيفه	
١٩٦	دار خديجة رضى الله عنها	١٩٩	جبل حرا من الجبال المأثورة
١٩٧	مسجد البيعة	٢٠٠	جبل ثور من الجبال المأثورة
١٩٨	دفن آدم وحواء وشيث فى غار ابى قبيس	٢٠٠	غار ثور ودخوله
١٩٨	أفضل جبال مكة ابو قبيس	٢٠١	جبل ثبير من الجبال المباركة
١٩٨	مواضع فى المعلاة يستجاب فيها الدعاء	٢٠٢	غار المرسلات
١٩٨	قبر خديجة الكبرى ام المؤمنين	٢٠٢	المساجد المأثورة
١٩٨	قبر الفضيل بن عياض	٢٠٢	مسجد الاجابة
١٩٩	دكان سيدنا ابى بكر الصديق	٢٠٢	مسجد الجن
		٢٠٣	مسجد الراية
		٢٠٣	مسجد سيدنا ابى بكر
		٢٠٣	مساجد عائشة رضى الله عنها

﴿تم الفهرست﴾

قرئ

ص

٢٠

DS
248
M4
N3X
1885

الف ٩٨٥ من كتاب الاعلام بأعلام بيت الله الحرام تاريخ
مكة المشرفة تأليف الامام العالم العلامه
الرحلة الفهامه قطب الدين الحنفي
رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح
جنته بمنه وكرمه توفي ٩٨٨ هـ
آمين

٢

النهروالي هو محمد بن علاء الدين
احمد بن محمد بن ظهيرة جان محمد
قطب الدين النهروالي

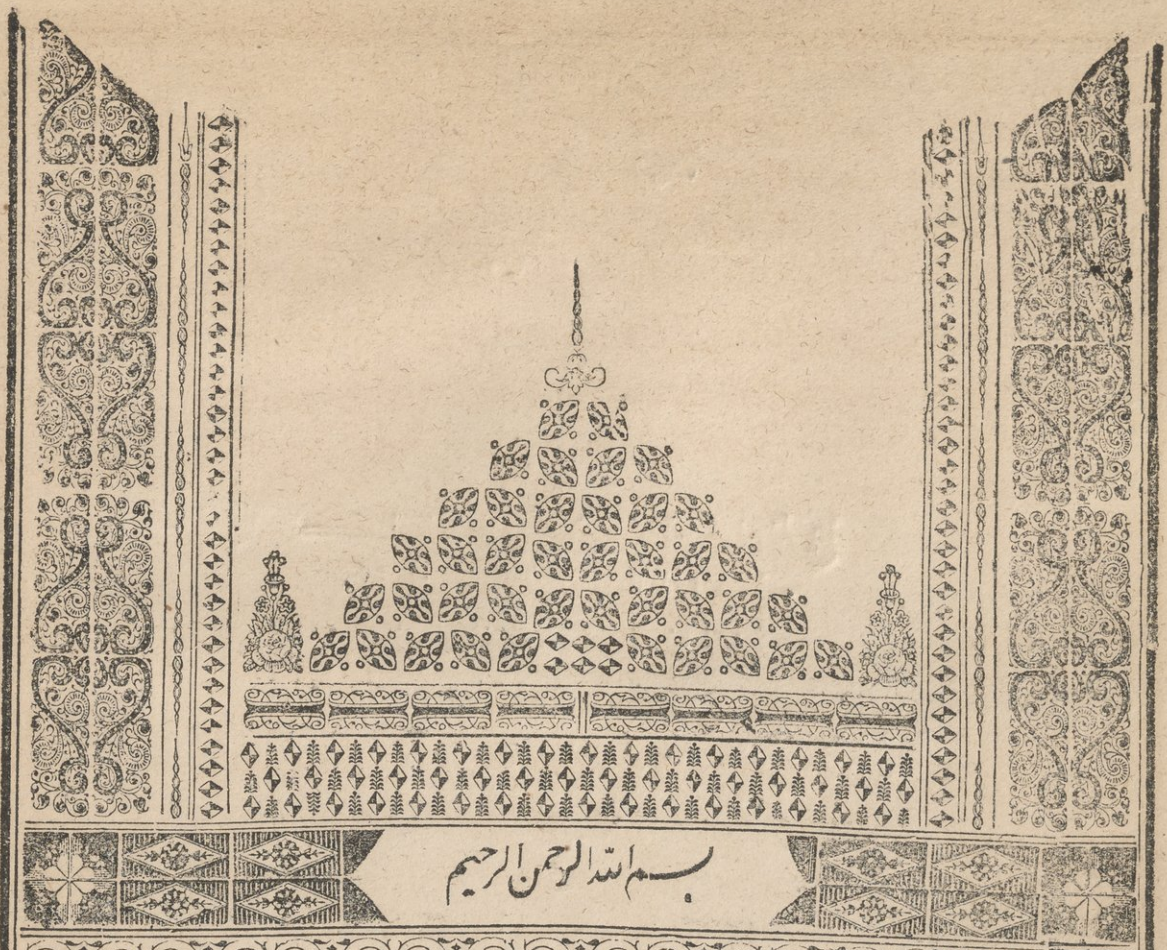

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل المسجد الحرام حرما آمنا ومثابة للناس وأمر بتطهير الكعبة البيت الحرام والعاكفين وأزال عنها الخوف واللباس وقيض لعمارة حرمه الأمين أعظم الخلفاء والسلاطين وأجلسهم على سرير السعادة أكرم جلاس نحمده على حصول المراد ونشكره على الكرامة والاسعاد بهذا الحرم الشريف الذى سواء العاكف فيه والباد ونشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له البر السلام ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المنزل عليه قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام القائل من بنى مسجدا لله ولو كمفحص قطاة أو أصغر بنى الله له بيتا فى الجنة دار السلام صلى الله عليه وعلى آله الكرام وصحبه العظام نجوم الهدى ومصابيح الظلام ماطاف بالبيت العتيق طائف واعتكف بالمسجد الحرام عاكف ووقف بعرفات والمشعر الحرام واقف

وبعد فلما وفقنى الله تعالى لخدمة العلم الشريف وجعلنى من جيران بيته المعظم المنيف تشوقت نفسى الى الاطلاع على علم الآثار وتشوقت الى فن التاريخ وعلم الأخبار لاشتماله على حوادث الزمان وما أبقاه الدهر من أخبار وقائع الدوران وأحوال السلف وما أبقوا من الآثار والاحداث بعد ما صاروا الى الاحداث فان فى ذلك عبرة لمن اعتبر وايقاظا لحال من مضى وغبر واعلاما بأن ساكن الدنيا على جناح سفر ومفاكهة للفضلاء وافادة لمن يأتى بعده من البشر فان من أرخ فقد حاسب على عمره ومن كتب وقائع أيامه فقد كتب كتابا من بعده بحوادث دهره ومن قيد ما شاهد فقد أشهر أحوال اهل عصره من لم يكن فى عصره ومن كتب التاريخ فقد أهدى الى من بعده أعمارا وبوأ

مسامعهم

٧٧٣٤٩

مسامعهم وأبصارهم ديارا ما كانت لهم ديارا واعلم أهل الآفاق ببلادما كانت لهم مستقرا ولا دارا

فاتني أن أرى الديار بعيني * فلعلي أرى الديار بسمعي

وقد أفادنا الامم الماضون بأخبارهم واطلعونا على مادثر وبقى من آثارهم فأبصرنا مالم نشاهده بابصارهم وأحطنا بما لم نحط به خبرا باخبارهم فرحمهم الله تعالى أجمعين وبوأهم جنات عدن فيها خالدين وقال

لقد غرسوا حتى أكلنا وانما * لنغرس حتى يأكل الناس بعدنا

فاردنا افادة من بعدنا ببعض مارأينا وشاهدنا واعلامهم ببعض ماشاهدنا وعهدنا استدعاء للدعاء منهم والاسترحام وطلبا للمثوبة من الله البر السلام وقد قلت فى هذا المقام

لم يبق منا غير آثارنا * وتنمحى من بعد اخلاق

وكلنا مرجعنا للفنا * وانما الله هو الباقى

﴿تنبيه﴾ لايخفى على ضمائر أولى البصائر وخواطر أهل الفضل الباهر ان المسجد الحرام الذى هو حرم أمن للانام زاده الله شرفا وتعظيما ومنحه عزا وعظمة واجلالا وتكريما اعظم مساجد الدنيا واشرف مكان خصه الله تعالى بالشرف والعليا يجب تعظيمه وتكريمه على كافة الانام سيما سلاطين الاسلام الذين هم ظل الله فى العالم وخلائف الله فى الارض على كافة بنى آدم وقد بنى هذا المسجد ووسعه عدة من الخلفاء امراء المؤمنين وغفره ورممه جملة من اكابر السلاطين وسنشرحه ان شاء الله تعالى وكان آخر ماشاهدنا من آخر ايام الصبا الى الكهولة ماعمره المهدى العباسى وزيادة دار الندوة للمعتضد العباسى وزيادة دار ابراهيم للمقتدر العباسى ثم مالت الأروقة الثلاثة من الجانب الشرقى من المسجد الحرام سنة تسعمائة خمسة وتسعين وفارق السطح المتصل برباط المرحوم السلطان قايتباى والمدرسة الافضلية لصاحب اليمن التى صارت الآن من وقف الخواجا ابن عباد الله وصاروا يرممون ذلك من كل جانب من السلطنة الشريفة فى أيام السلطان الاعظم الاكرم السلطان سليمان خان عليه الرحمة والرضوان الى أن مال هذا الجانب الشرقى ميلا عظيما ظاهرا محسوسا بحيث كان يخشى سقوطه ثم علق وأسند بالأخشاب فى أيام السلطان الاعظم والخاقان الاكرم ملك ملوك العصر والزمان الحليم السليم الكثير الاحسان السلطان سليم خان ابن سليمان خان أنزل الله عليه شآبيب الرحمة والرضوان فعرض ذلك عليه فبرز امره الشريف ببناء جميع المسجد من جوانبه الأربعة على أحسن وضع واجمل صورة فامر ان يجعل مكان السطح قبب محكمة راسخة الأساس لان خشب السقف يبلى بتقادم الزمان وتأكله الأرضة والقبب امكن وازين فى سنة تسعمائة سبع وتسعين فلما وصل اليه الحكم الشريف شرح فيه لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول سنة ثمانية وتسعين على وجه جميل بغاية الاحكام والاتقان واسس على تقوى من الله ورضوان الى ان نقل من سرير سلطنة الدنيا الى ملك لايبلى وعز لايفنى وسلطان لايزول ونعيم لاينفد ولايحول فى جنة عالية فيها عين جارية بها سرر مرفوعة واكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة ثم كمل اتمام عمارة المسجد الحرام فى ايام دولة السلطان الاعظم الهمام اجل عظماء ملوك الاسلام سلطان سلاطين الارض مالك بساط البسيطة بالعرض القائم بوظائف النفل والسنة والفرض خداوند كار العالم وسلطانه وامير المؤمنين الذى جلس على كرسى الخلافة فاقدر كسرى وايوانه الذى غزى بلبان العدل والاحسان ونشأ على طاعة

الله وعبادته منذ كان والى الآن واحب العلماء والصالحين وامدهم بالخيرات الحسان الى آن وعجز عن القيام بحق شكره لسان كل ملسان مجدد معالم المسجد الحرام هو وابوه وجده ومشيد مدارس العلوم الدينيه وقد شملها سعده وحده ناشر ألوية الأمن والامان فى جميع الممالك والبلاد ظل الله الممدود على كافة العباد السلطان الأعظم والليث الغشمشم والبحر الغطمطم السلطان مراد جعل الله السلطنة والخلافة كلمة باقية فيه وفى عقبه الى يوم التناد وأزال بنور عدله ظلم الظلم والعناد وشتت بسيف قهره شمل اهل الكفر والالحاد وهدم بمعاول بأسه وسطوته الكنائس والبيع وعمر بصيب معدلته وصيب عدله ورأفته المساجد والجمع كما قال الله القوى القادر فى محكم كتابه العظيم الباهر انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وفى ذلك أقول

ان سلطانا نام راد الظل الله * فى الارض باهر السلطان
ملك صار من مضى من ملوك الا * رض وجاء بين المعانى
ملك هو فى الحقيقة عندى * ملك صيغ صيغة الانسان
ملك عادل فكل ضعيف * وقوى فى حكمه سيان
سيفه والمنون طرفا رهان * على قتل العدو يبتدران
كل المسجد الحرام بناء * فاق فى العالمين كل المبانى
هكذا هكذا والا فلا لا * انما الملك فى بنى عثمان

ولما كان هذا البنيان العظيم الاركان أثرا باقيا على صفحات الزمان دالا على عظم شأن من أمر ببنائه من أعيان الانسان كما شار اليه القائل فى سالف الأزمان

ان البناء وان تعاظم أمره * أفحى يدل على عظيم الباني

جمعت فى هذه الأوراق من أخبار ذلك مارق وراق تسير به الركبان الى سائر الآفاق وتنير فى صفحات الدهر كالشمس فى الاشراق ويحفظ فى خزائن الملوك والسلاطين كأنفس الاعلاق فكان كتابا حسنا فى بابه ممتعا عين تعلق بأسبابه أنيسا تجمل مؤانسته وجليسا الاتمل مجالسته جمع بين لطائف تاريخيه وأحكام شرعيه ومواعظ نافعه وفوائد بارعه ﴿وسميته الاعلام بأعلام بيت الله الحرام﴾ وخدمت به خزائن كتب هذا السلطان الأعظم الشاب الاعدل الأكرم المطيع لله ولأوامر خير الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم أحد السبعة الذين يظلهم الله يوم القيامة تحت ظله يوم لا ظل الا ظله ويشملهم بفيض فضله العظيم فلا فضل الا فضله خلد الله تعالى على الاسلام والمسلمين ظلال سلطنته القوى المتين لتأييد هذا الدين المبين وأنام الأنام فى ظل أمانه وعدله المكين وأبقاه على سرير السلطنة العادلة دهرا طويلا وثبته على نهج الكتاب والسنة ولن تجد لسنة الله تحويلا * والله أسأل أن يكسو هذا المؤلف من حسن القبول جلبابا لا يخلقه كر الليالى والأيام ويجعلنا من المقبولين فى بابه العالى الفائزين بالنظر الى وجهه الكريم فى دار السلام وقد رأينا أن نقسم هذا الكتاب المستطاب الى مقدمة وعشرة أبواب وخاتمة والأبواب الى فصول بحسب الاحتياج والى الله المرجع والمآب

﴿الباب الأول﴾ فى وضع مكة المشرفة شرفها الله تعالى وحكم بيعها وشرائها وحكم المجاورة بها
﴿الباب الثانى﴾ فى بناء الكعبة المعظمة زادها الله تعالى شرفا وتعظيما
﴿الباب الثالث﴾ فى بيان ما كان عليه وضع المسجد الحرام فى الجاهلية وصدر الاسلام

﴿الباب الرابع﴾ فى ذكر ما زاد العباسيون فى المسجد الحرام
﴿الباب الخامس﴾ فى ذكر الزيادتين اللتين زيدتا فى المسجد الحرام بعد التربيع الذى أمر به المهدى العباسى
﴿الباب السادس﴾ فى ذكر ما عمره ملوك الجراكسة فى المسجد الحرام
﴿الباب السابع﴾ فى ذكر ملوك آل عثمان خلد الله تعالى سلطنتهم الى انقضاء الدوران وذكر نبذة من أخبار شاه اسماعيل القزلباش
﴿الباب الثامن﴾ فى دولة السلطان المخوف بالرحمة والرضوان السلطان الأعظم سليمان خان
﴿الباب التاسع﴾ فى ذكر دولة السلطان الأعظم الخاقانى حضرة سليم خان الثانى صاحب التكايا والمبانى
﴿الباب العاشر﴾ فى ذكر سلطان الزمان السلطان مراد الذى بأجله تأليف هذا الكتاب
﴿الخاتمة﴾ فى ذكر المواضع والأمكنة المشرفة التى يستجاب فيها الدعاء

﴿المقدمة﴾ فى ذكر سندنا فيما ننقله فى كتابنا هذا من أخبار البلد الحرام الى من ننقل عنه الوثوق والاعتماد ﴿اعلم﴾ ان من بركة العلم نسبته الى قائله ومالم يكن هناك سند بين الناقل الراوى ومن ينقل عنه فلا اعتماد على هذا النقل ولا بد أن يكون رجال السند موثوقا بهم والا فلا اعتبار لتلك الرواية وأقدم مؤرخى مكة هو الامام أبو الوليد محمد بن عبد الكريم الأزرقى ثم الامام أبو عبد الله محمد ابن اسحاق بن العباس الفاكهى المكى ثم قاضى القضاة السيد تقى الدين محمد بن أحمد بن على الحسينى الفاسى ثم المكى ثم الحافظ نجم الدين عمر بن محمد بن فهد وهذا الأخير ممن أدركناه ولنا عنه رواية فأما الأولون فنذكر سندنا اليهم ليعتمد على نقلنا عنهم وأما أبو الوليد الأزرقى فرويناه مؤلفاته عن جماعة أجلاء أخيار وعلماء كبار منهم والدى المرحوم ومولانا علاء الدين أحمد بن محمد بن قاضى خان بن بهاء الدين بن يعقوب الحنفى القادرى الخرقانى النهروانى ثم المكى رحمه الله تعالى وليس جدنا قاضى خان صاحب الفتاوى المشهورة من علماء مذهبنا بل هذا غير ذاك من علماء نهروان قال أخبرنا بها العز عبد العزيز بن فهد عن والده الحافظ نجم الدين عمر بن فهد عن شيخه قاضى القضاة السيد تقى الدين محمد بن أحمد بن على الفاسى المؤرخ وقال أخبرنا عبد الله بن عمر الصوفى عن أبى زكريا يحيى بن يوسف القرشى اجازة ان أبا الحسن على بن هبة الله الخطيب عبد الله بن ظافر الازدى انبأه عن أبى طاهر أحمد ابن محمد الحافظ قال أنبأنا بها المبارك بن عبد الجبار المعروف بالطيورى قال أنبأنا بها أبو طالب محمد ابن على بن الفتح العشارى قال أنبأنا بها أبو بكر بن أحمد بن محمد بن أبى موسى الهاشمى قال أنبأنا بها أبو اسحق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمى قال أنبأنا بها أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد الوليد الأزرقى رحمه الله وأما أبو عبد الله محمد بن اسحاق الفاكهى فانى أروى مؤلفه عن الحافظ المسند المعمر خطيب بلد الله الحرام أحمد محب الدين ابن أبى القاسم محمد العقيلى النويرى المالكى تغمده الله برحمته قال أنبأنى به المسند المعمر أبو العباس أحمد بن محمد الدمشقى الشهير بالحفار اجازة قال أنبأتنى به المسندة المعمرة زينب بنت أحمد بن عبد الرحيم اجازة قال أنبأنى به الحافظ المسند بهاء الدين أبو الحسن على بن هبة الله سبط الحميرى اجازة قال أنبأنا به الحافظ محمد بن أحمد بن محمد السلفى اجازة قال أنبأنا به الحافظ محمد بن أحمد التجيبى كتابة قال أنبأنا به الحافظ أبو على الحسينى

ابن محمد الغسانى أحد أركان الحديث بقرطبة قال أنبأنا به الحافظ الحكيم بن محمد الخزاعى عن أبى القاسم بن أبى غالب الهمدانى عن أبى الحسن الانصارى عن مؤلفه رحمه الله تعالى

﴿الباب الأول فى ذكر وضع مكة المشرفة شرفها الله تعالى﴾

﴿وحكم بيع دورها واجارتها وحكم المجاورة بها﴾

(اعلم) ان بلد الله الحرام مكة المشرفة زادها الله تعالى شرفا وتعظيما بلدة كبيرة مستطيلة ذات شعاب واسعة ولها مبدأ ونهايتان فمبدؤها المعلاة وهى المقبرة الشريفة ومنتهاها من جانب حدة موضع يقال له الشبيكة ومن جانب اليمن قرب مولد سيدنا حمزة رضى الله عنه لصق مجرى العين ينزل اليه من درج يقال له بازات وعرضها من وجه جبل يقال له الآن جبل جزل الى أكثر من نصف جبل أبى قبيس ويقال لهذين الجبلين الاخشبان وسماهما الازرقى جبل أبى قبيس والجبل الاحمر فانه قال أخشما مكة أبو قبيس وهو الجبل المشرف على الصفا والآخر الذى يقال له الاحمر وكان يسمى فى الجاهلية الاعرف وهو الجبل المشرف على قيقعان وعلى دور عبد الله بن الزبير انتهى فيكون قيقعان مما يشرف على الجبل المقابل لابى قبيس وقال ياقوت فى معجم البلدان قيقعان هو نفس الجبل وانما سمى الآن جبل جزل بكسر الجيم وفتح الزاى وتشديد اللام لان طائفة من الجيوش يقيمون بهذا الجبل يسمون بهذا الاسم يلعبون فيه بالطبل

(واما موضع الكعبة المعظمة) فهو وسط المسجد الحرام بين هذين الجبلين فى وسط مكة ولها شعاب كثيرة ومزورة اذا أشرف الانسان من جبل أبى قبيس لا يرى جميع مكة بل يرى اكثرها وهى تسع خلقا كثيرا خصوصا فى ايام الحج فانه يرد اليها قوافل عظيمة من مصر والشام وحلب وبغداد وبصرة والحساء ونجد واليمن ومن بحر الهند والحبشة والشجر وحضرموت وعربان جزيرة العرب طوائف لا يحصيهم الا الله تعالى فتسعهم جميعا وأفنيتها وحبالها ووهادها وهى تزيد عمارتها وتنقص بحسب الازمان وبحسب الولاية والامن والخوف والغلا والرخا وهى الآن بحمد الله تعالى فى دولة السلطان الأعظم الفياض الاكرم معمر هذا العالم بالبذل والفضل والكرم (السلطان مراد خان) خلد الله ملكه وجعل بساط البسيطة ملكه فى أعلا درجات العمارة والامن والرخا بحسب ما رأينا من أول العمر الى الآن هذه العمارة ولا قريبا منها وكنت اشاهد قبل الآن فى زمن الصبا خلو الحرم الشريف وخلو المطاف من الطائفين حتى انى ادركت الطواف وحدى من غير أن يكون معى أحد مرارا كثيرة أترصده خليا لكثرة ثوابه بان يكون الشخص الواحد يقوم بتلك العبادة وحده فى جميع الدنيا وهذا لا يكون الا بالنسبة الى الانسان فقط

﴿وأما الملائكة﴾ فلا يخلو عنهم المطاف الشريف بل يمكن ان لا يخلو عن أولياء الله تعالى ممن لا تظهر صورته ويطوف خافيا عن اعين الناس ولكن لما كان ذلك خلاف الظاهر صار يثابر على أداء هذه العبادة بالانفراد ظاهرا كثيرا من الصلحاء لانه ليس معنا عبادة يمكن ان ينفرد بها رجل واحد فى جميع الدنيا ولا يشاركه غيره فى تلك العبادة بغيرها الا الطواف فانه يمكن ان ينفرد به شخص واحد بحسب الظاهر والله تعالى أعلم بالسرائر * حتى حكى لى والدى رحمه الله ان وليا من أولياء الله تعالى رصد الطواف الشريف اربعين عاما ليلا ونهارا ليفوز بالطواف وحده فرأى بعد هذه المدة خلو الطواف الشريف فتقدم ليشرع واذا بجميعة تشاركه فى ذلك الطواف فقال لهما من أنت من خلق الله تعالى فقالت انا ارصد ما رصدت قبلك بعشرة أعوام فقال لها حيث كنت انت من غيرا لبشر فانى فزت بالانفراد بهذه العبادة وأنتم طوافه * وحكى الى شيخ معمر من اهل مكة انه شهد الظباء تنزل من جبل أبى قبيس الى الصفا

وتدخل من باب الصفا الى المسجد ثم تعود لحلو المسجد من الناس وهو صدوق عندى وكانرى سوق المسى وقت الضحى خاليا عن الباعة وكانرى القوافل تأتى بالحنطة من بجيلة فلا يجد اهلها من يشترى منهم بجميع ما جلبوه وكانوا يبيعون ما جاؤا به بالاجل اضطرارا ليعودوا بعد ذلك ويأخذوا أثمان ما باعوه وكانت الاسعار رخية جدا لقلة الناس وعزة الدراهم وأما الآن فالناس كثيرون والرزق واسع والخير كثير والخلق مطمئنون آمنون فى ظلال السلطنة الشريفة خائضون فى بحر انعامها واحسانها ونعمته الوريفة أدام الله تعالى سلطنته الزاهرة وأطال عمره وخلد دولته القاهرة وخلافته الباهرة (ومكة شرفها الله تعالى) يحيط بها جبل لا يسلك اليها الخيل والابل والاحمال الا من ثلاث مواضع أحدها من جهة المعلاة والثانية جهة الشبيكة والثالثة المسفلة وأما الجبال المحيطة فيسلك من بعض شعابها الرجال على اقدامهم لا الخيل والجمال والاحمال * وكانت مكة فى قديم الزمان مسورة فجهة المعلاة كان بها جدار عريض من طرف جبل عبد الله بن عمر الى الجبل المقابل وكان فيه باب من خشب مصفح بالحديد اهداه ملك الهند الى صاحب مكة وقد أدركنا منها قطعة جدار كان فيه نقوب للسيل قصير دون القامة وهو سمت قطعة جدار بنى الى جانبه سبيل على مجرى ذيل عين حنين بناه المرحوم مصطفى ناظر العين باسم المرحوم المقدس السلطان سليمان خان سقاه الله ماء الكوثر والسلسبيل فى يوم العطش الأكبر قدام الميزان وجعل على السبيل منظرة بها شبابيك من الجهات الاربع يتنزه الناس فيها وذلك باق الى هذا اليوم وهدم ما عداه وكان فى جهة الشبيكة أيضا سور ما بين جبلين متقاربين بينهما الطريق السالك الى خارج مكة وكان هذا السور فيه بابان بعقدين ادركنا أحد العقدين يدخل فيه الجمال والاحمال ثم هدم شيأ فشيأ الى ان لم يبق منه شئ الآن ولم يبق منه الا فج بين جبلين متقاربين فيه المدخل والمخرج وكان سور فى جهة المسفلة فى درب اليمن لم ندركه ولم ندرك آثاره وذكر التقى الفاسى رحمه الله نقلا عمن تقدم انه كان بمكة سور من اعلاها دون السور الذى ذكره قريبا من المسجد المعروف بمسجد الراية فانه كان من الجبل الذى الى جهة القرارة ويقال له لعلع الى الجبل المقابل الذى الى جهة سوق الليل قال وفى الجبلين آثار تدل على اتصال السور بها انتهى ولم يبق الآن شئ من آثار السور الثانى مطلقا ولعل دور مكة كانت تنتهى الى هذا الموضع حيث وضع عليه السور ثم اتصل العمران الى ان احتيج الى سور المعلاة قال الفاكهى رحمه الله تعالى ومن آثار النبى صلى الله عليه وسلم مسجد باعلا مكة يقال ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى فيه عند بئر جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل وكان الناس لا يتجاوزون فى السكنى فى قديم الدهر هذه البئر وما فوق ذلك خال من الناس وفى ذلك يقول عمر بن ربيعة

نزلت بمكة من قبائل نوفل * ونزلت خلف البئر أبعد منزل
حذرا عليها من مقالة كاشح * ذرب اللسان يقول ما لم يفعل

قلت المسجد هذا هو مسجد الراية موجود يزار الى الآن يقال ان النبى صلى الله عليه وسلم وضع رايته يوم فتح مكة فيه والبئر موجودة الآن خلف المسجد وقد تجاوز العمران عن حد هذه البئر كثيرا الى صوب المعلاة * وأما حدوث هذه الاسوار * فقد قال التقى الفاسى رحمه الله ما عرفت متى انشئت هذه الاسوار بمكة ولا من أنشاها ولا من عمرها غير انه بلغنى ان الشريف اباعزيز قتادة بن ادريس الحسنى جد سادتنا أشراف مكة ادام الله عزهم وسعادتهم هو الذى عمرها قال واظن ان فى دولته عمر السور الذى بأعلا مكة وفى دولته سهلت العقبة التى بنى عليها سور باب الشبيكة وذلك من جهة المظفر صاحب اربل فى سنة

ستمائة وسبعة ولعله الذى بنى السور الذى باعلا مكة والله اعلم قال ورأيت فى بعض التواريخ ما يقتضى انه كان بمكة سور فى زمن المقتدر العباسى وما عرفت الذى هل هو هذا السور الذى بأعلا مكة وأسفلها أو من أحد الجهتين قال وطول مكة من باب المعلاة والى باب الماجن يعنى درب اليمن بالمسفلة موضع السور الذى كان موجودا فى زمانه طريق المدعى والمسعى ومسيل وادى ابراهيم والسوق الذى يقال له الآن سوق الصغير مع ما فيه من دورات ولفتات ليست على الاستقامة أربعة آلاف ذراع واثنان وسبعون ذراعا بتقديم السين بذراع اليد وهو ينقص ثمن ذراع عن ذراع الحديد المستعمل الآن يعنى الذراع الشرعى وطول مكة من باب المعلاة الى باب الشبيكة من طريق المدعى ثم يعدل عنه الى سويقة ثم الى الشبيكة أربعة آلاف ذراع ومائة ذراع واثنان وسبعون ذراعا بتقديم السين بذراع اليد أيضا انتهى وقال أيضا ذكر الزبير بن بكار عن ابن سفيان بن ابى وداعة السهمى ان سعد بن عمرو السهمى أول من بنى بيتا بمكة وأنشد فى ذلك شعرا

وأول من بوأ بمكة بيته * وسور فيها سا كنا بأثافى

وينبغى لمن بنى بمكة بيتا ان لا يرفع بناءه على بناء الكعبة الشريفة فان بعض الصحابة رضى الله عنهم كان يأمر بهدمه قال الازرقى وانما سميت الكعبة كعبة لانه لا يبنى بمكة بناء مرتفع عنها ثم قال حدثنى جدى عن ابن عيينة عن ابن مثينة الحجبى عن شيبة بن عثمان انه كان يشرف فلا يرى بيتا مشرفا على الكعبة الا أمر بهدمه ثم قال قال جدى لما بنى العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهم داره التى بمكة حيال المسجد الحرام أمر قومه ان لا يرفعوها على الكعبة وان يجعلوا اعلاها دون الكعبة لتكون دونها اعظاما للكعبة ثم قال الأزرقى قال جدى فلم يبق بمكة دار لكبير أو غيره تشرف على الكعبة الا هدمت أو خربت الا هذه الدار فانها باقية الى الآن انتهى * وأما حكم بيع دور مكة وأجارتها * فقد ذكر الامام قاضى خان انه لا يجوز بيع دورها عند ابى حنيفة رضى الله عنه فى ظاهر الرواية وقيل يجوز مع الكراهة وهو قول محمد وأبى يوسف قال صاحب الواقعات وعليه الفتوى وروى الحسن عن ابى حنيفة ان بيع دور مكة جائز وفيها الشفعة وهو قول ابى يوسف وعليه الفتوى ذكره فى عيون المسائل قال قوام الدين فى شرح الهداية بيع بناء مكة جائز اتفاقا لان بناءها ملك الذى بناه الا ترى ان من بنى فى أرض الوقف جاز ان يبيع بناءه فكذا هذا * وأما بيع أرض مكة * فلا يجوز عند أبى حنيفة وهو ظاهر الرواية عنه وهو قول محمد وعند أبى يوسف يجوز ورجح الطحاوى قول ابى يوسف وقال رأينا المسجد الذى كان للناس سواء العاكف فيه والباد لا ملك لاحد فيه ورأينا مكة على غير ذلك فقد أجيز لينا فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم دخلها من دخل دار ابن سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن فلما كانت مما يغلق عليه الابواب ويبنى فيها المنازل كان صفتها صفة المواضع التى يجرى فيها الاملاك ويقع فيها التوارث ولا يجوز احتجاج المخالف بقوله تعالى ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد لان المراد المسجد الحرام لا جميع أرض مكة انتهى ملخصا * وأما اجارة دور مكة * فقد ذكر صاحب التقريب قال روى هشام عن أبى حنيفة انه كره اجارة بيوت مكة وقال لهم ان ينزلوا عليهم فى دورهم اذا كان فيها فضل وان لم يكن فلا وهو قول محمد رحمه الله تعالى انتهى * وروى محمد فى الآثار عن أبى حنيفة عن عبد الله بن زياد عن أبى نجيح عن عبد الله بن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم

انه قال من أكل من أجور بيوت مكة شيأ فانما أكل نارا أخرجه الدارقطني باسناد ضعيف وقال الصحيح انه موقوف وروى انه كره اجارتها لاهل الموسم ولم يكره للمقيم لان اهل الموسم لهم ضرورة الى النزول والمقيم لا ضرورة له * وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه نهى أن يغلق بمكة باب دون الحاج فانهم ينزلون كل موضع رأوه فارغا وكتب عمر بن عبد العزيز في خلافته الى أمير مكة ان لا يدع أهل مكة يأخذون على بيوت مكة أجرا فانه لا يحل لهم وكانوا يأخذون ذلك خفية ومسامرة وهذا مبني على أصل وهو ان فتح مكة هل كان عنوة فتكون مقسومة مغنومة ولم يقسمها النبي صلى الله عليه وسلم وأقرها على ذلك فتبقى على ذلك لا تباع ولا تكرى ومن سبق الى موضع فهو أولى به وبهذا قال أبو حنيفة ومالك والاوزاعي رضي الله عنهم أو كان فتحها صلحا فتبقى ديارهم بأيديهم يتصرفون في أموالهم كيف شاؤا سكنا واسكانا وبيعا واجارة وغير ذلك وبه قال الامام الشافعي وأحمد رضي الله عنهما وطائفة من المجتهدين رحمهم الله تعالى وعلى ذلك عمد الناس قديما وحديثا * واما اسماء مكة المشرفة * فانها سميت بها لقلة مائها من قولهم امسك الفصيل ما في ضرع أمه اذا لم يبق فيه شيأ ولذلك تسمى المعطشة أو لانها تنقص الذنوب أو تنفيها ومن اسمائها بكة لانها تبك اعناق الجبابرة أي تكسرها ومنها العروض بفتح المهملة ولذلك سمي علم الشعر عروضا لان الخليل بن احمد اخترعه بمكة فسماه عروضا باسمها والبلد الامين والبلد والقرية وأم القرى قال المحب الطبري سمي الله تعالى مكة بخمسة اسماء مكة وبكة والبلد والقرية وأم القرى قال ابن عباس سميت أم القرى لانها اعظم القرى شأنا وقيل لان الارض دحيت من تحتها ومن اسمائها كوثى وأم كوثى لان كوثى اسم لجبل من قيقعان وفاران والمقدسة وقرية النمل لكثرة غلها والحاطمة لحطمها الجبابرة والوادي والحرام والعرش وبره وصلاح مبنيا على الكسر كحذام وقطام ومن اسمائها طيبة أيضا ومنها معاد بفتح الميم لقوله تعالى ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد قال مكة ومن اسمائها الباسة بالباء الموحدة والسين المهملة المشددة قاله مجاهد لانها تبس من ألحد فيها أي تهلكه لقوله تعالى وبست الجبال بسا وتسمى الناسة أيضا بالنون والشين المعجمة أي تنش بتشديد آخرها أي تطرد من ألحد فيها وتنفيه ولها اسامي غير ما ذكرنا وللمجد الفيروزابادي رسالة في اسمائها قال الامام النووي رضي الله عنه ولا يعرف في البلاد بلدة أكثر اسمائها من مكة والمدينة لكونهما أشرف الارض وقال عبد الله المرجاني رحمه الله تعالى في تاريخه للمدينة بعد ذكره لاسماء مكة ومن الخواص اذا كتبت بدم الرعاف مكة وسط الدنيا والله رؤف بالعباد انقطع الرعاف * واما فضل مكة شرفها الله تعالى * فاعلم ان مكة والمدينة زادهما الله شرفا وتعظيما افضل بقاع الارض بالاجماع وذكر القاضي عياض ان موضع قبر نبينا صلى الله عليه وسلم أي ما ضم اعضاءه الشريفة افضل بقاع الارض بالاجماع لحلول سيد الانبياء والمرسلين عليه وعليهم افضل الصلاة والسلام فيه قال البشكري رحمه الله تعالى

جزم الجميع بأن خير الارض ما * قد حاط ذات المصطفى وحواها
ونعم لقد صدقوا بما كنها علت * كالنفس حين زكت زكى مأواها

ثم اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في ان مكة شرفها الله تعالى افضل ام المدينة الشريفة عظمها الله تعالى فذهب الامام الاعظم أبو حنيفة وأصحابه والامام أحمد واصحابه والامام الشافعي وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين ان مكة أفضل من المدينة زادها الله تعالى شرفا وتعظيما لحديث عبد الله بن الزبير

رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة الف صلاة فى مسجدى رواه أحمد وابن حبان فى صحيحه ولا يرتاب فى الفضائل التى أثبتها الله تعالى لبلده الحرام فجعل فيها بيته المعظم الذى اذا قصده عباده حط عنهم أقذارهم ورفع درجاتهم وجعلها قبلة للمسلمين أحياء وأمواتا وفرض الحج اليه على من استطاع اليه سبيلا مرة فى عمره وفى كل عام على الناس أجمعين فرض كفاية وحرمها يوم خلق السموات والارض ولا تدخل الا باحرام وهى مثوى ابراهيم واسماعيل عليهما الصلاة والسلام ومسقط رأس خير الانام صلى الله عليه وسلم ومحل اقامته قبل النبوة وبعدها ثلاثة عشر عاما ومحل نزول أكثر القرآن ومهبط الوحى ومظهر الايمان والاسلام ومنشأ الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين وبها الحجر الاسود وزمزم والمقام وغير ذلك من المزايا العظام ولقد قال القائل

ارض بها البيت الحرام قبلة * للعالمين له المساجد تعدل
حرم حرام أرضها وصيودها * والصيد فى كل البلاد محلل
وبها المشاعر والمناسك كلها * والى فضيلتها البرية ترحل
وبها المقام وحوض زمزم مشرعا * والحجر والركن الذى لا يرحل
والمسجد العالى المحرم والصفا * والمشعران لمن يطوف ويرمل
وبمكة الحسنات ضوعف أجرها * وبها المسىء عنه الخطايا تغسل

وقال الامام مالك رضى الله عنه المدينة أفضل من مكة لما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال حين خروجه من مكة الى المدينة اللهم انك تعلم أنهم أخرجونى من أحب البلاد الى فأسكنى أحب البلاد اليك رواه الحاكم فى المستدرك وما هو أحب البقاع الى الله يكون أفضل والظاهر استجابة دعائه صلى الله عليه وسلم وقد أسكنه الله تعالى المدينة الشريفة فتكون أفضل البقاع وأدلة أخرى من الاحاديث الشريفة وبين الطائفتين نزاع ومباحث والله أعلم ﴿ وأما حكم المجاورة بمكة شرفها الله تعالى ﴾ فذهب امامنا الاعظم أبو حنيفة رضى الله عنه وبعض أصحاب الشافعى وجماعة من المحتاطين فى دين الله تعالى رضوان الله عليهم أجمعين كراهة المقام بمكة وذلك لخوف سقوط حرمة البيت الشريف فى نظره وقلة الاحترام بالانس والثبط الى أن يذهب من قلبه الهيبة بالكلية فيصير بيت الله تعالى فى نظره القاصر كسائر البيوت والعياذ بالله أو تنقص الهيبة والحرمة الاولى فى نظره كما هو شأن سائر الناس فى الاكثر الا من عصمه الله تعالى وحيث كان هو الاكثر من حكم الناس انيط به حكم الكراهة فاقامة المسلم فى وطنه وهو مشتاق الى مكة باق حرمتها فى نظره خير له وأسلم من مقامه بمكة من غير احترام لها أو مع نقصان احترامه وهذا ملخص ما قاله امامنا رضى الله عنه ولهذا كان عمر رضى الله عنه يدور على الحاج بعد قضاء النسك بالدرة ويقول يا أهل اليمن عنكم ويا أهل الشام شامكم ويا أهل العراق عراقكم فانه أبقى لحرمة بيت ربكم فى قلوبكم وقال أبو عمر الزجاجى من جاور بالحرم وقلبه متعلق بشىء سوى الله تعالى فقد ظهر خسرانه وقال بعض السلف كم من رجل بخراسان وهو أقرب الى هذا البيت ممن يطوف به كما قيل

وكم من بعيد الدار نال مراده * وكم من قريب الدار مات كئيبا

وقال ابن مسعود ما من بلد يؤاخذ فيه بالهم قبل الهم الا مكة وتلا قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم

نذقه من عذاب أليم ولهذا اختار حبر الامة سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما المقام بالطائف وحوالیه علی مکة وقال لأن اذنب سبعین ذنبا بركية احب الي من ان اذنب ذنبا واحدا بمكة وذهب بعض العلماء الى القول بتضاعف السيآت بأرض الحرم كما تتضاعف الحسنات وجاور أبو محمد الحريري سنة بمكة فلم يستند الى حائط ولم ينم فقيل له بم قدرت على هذا فقال علم الله صدق باطني فأعانني على ظاهري وبقي أبو عمر الزجاجي الصوفي أربعين سنة لم يقض حاجته البشرية في الحرم بل كان يخرج الى الحل عند قضاء الحاجة وهكذا يروى عن الامام أبي حنيفة رضي الله عنه في مدة اقامته بمكة وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحجون ثم يرجعون ويعتمرون ثم يرجعون ولا يجاورون ذكره عبد الرزاق في مصنفه * وروى عن وهب بن الورد المكي رحمه الله قال كنت ذات ليلة أصلي في الحجر فسمعت كلاما بين الكعبة والأستار خفيا فاصغيت فاذا هي تناجي وتقول الى الله اشكو ثم اليك يا جبريل ما ألقى ممن حولي من سمرهم وتفكههم باللغو وذكر أحوال الدنيا والاغتياب والخوض فيما لا ينبغي لهم واللهو والعبث أن ينتهوا عن ذلك لأنتفضن انتفاضة يرجع كل حجر مني الى الجبل الذي قطع منه * وسئل الامام مالك رضي الله عنه الحج والجوار أحب اليك أو الحج والرجوع فقال ما كان الناس الا على الحج والرجوع وفهم ابن رشد من هذا اقتضاء كراهة المجاورة عنده والظاهر انه لا يقتضيه والله تعالى أعلم * وذهب الامام أبو يوسف ومحمد والامام الشافعي والامام احمد بن حنبل رضي الله عنهم الى استحباب المجاورة بمكة في قولهما وانه الافضل قال وعليه عمل الناس * وحكى الفاسي في منسكه عن المبسوط ان الفتوى على قولهما * وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صبر على مكة ساعة تباعدت النار عنه مسيرة مائة عام * وعن سعيد بن جبير من مرض يوما بمكة كتب الله له من العمل الصالح الذي يعمله في سبع سنين فان كان غريبا ضوعف ذلك رواهما الامام الفاكهي رحمه الله تعالى ومحصل ما ذهب اليه أبو حنيفة رضي الله عنه من كراهة المجاورة مبني على ضيق الخلق عن مراعاة حرمة الحرم الشريف وقصورهم عن الوفاء بقيام حق البيت الشريف فمن أمكنه الاحتراز عن ذلك وعرف من نفسه القدرة على الوفاء بحرمة بيت الله تعالى وتعظيمه وتوقيره على وجه تبقى معه حرمة البيت الشريف وجلالته وهيبته وعظمته في عينه وقلبه كما كان عند دخوله في الحرم الشريف ومشاهدته بيت الله تعالى فالاقامة بها هو الفضل العظيم والفوز الكبير ولا شك في تضاعف الحسنات بها * وأما تضاعف السيآت فأكثر العلماء على عدم تضاعفها ولا شك في تردد الأولياء اليها في الاوقات الفاضلة فمن لمح أحدهم أو لمحه هو نال السعادة العظمى وورد أنهم يحضرون الجمعة والاوقات الشريفة ويحجون كل عام * وكان دأب والدي رحمه الله تعالى قبل أن يكف نظره أن يبادر يوم النحر بعد رمي جمرة العقبة الى مكة ويجلس تجاه بيت الله تعالى ويلحظ بنظره ويستمر جالسا هناك الى صلاة المغرب فيطوف بعد صلاة المغرب ويسعى ويعود الى منى وكان يقول ان أولياء الله لا بد ان يحجوا في كل سنة ويفعلوا الافضل وهو الاتيان بطواف الزيارة في أول يوم النحر فأبادر الى النزول من منى في ذلك اليوم وأجلس في الحطيم يوما أشاهد الطائفين لعل أن يقع نظري الى أحدهم أو يقع نظره علي فيحصل لي بذلك بركتهم واستمر على ذلك الى أن كف نظره رحمه الله تعالى فكنا نذهب به ونجلسه في الحطيم ويقول ان كنت لا أنظرهم فلعل أن يقع نظرهم علي فيحصل لي بركتهم واستمر على ذلك الى أن توفي رحمه الله وان أولياء الله يخفون انفسهم عن أعين الناس

فلا يراهم الا من أسعده الله تعالى والله تعالى المسؤل أن يجعلنا من سعداء الدنيا والآخرة بمنه وكرمه ان شاء الله تعالى

﴿الباب الثانى فى بناء الكعبة المشرفة زادها الله تعالى شرفا وتعظيما ومهابة وتكريما﴾

قال قاضى القضاة السيد تقى الدين محمد بن أحمد بن على الحسينى الفاسى المكى فى كتابه شفاء الغرام لا شك ان الكعبة المعظمة بنيت مرات وقد اختلف فى عدد بنائها ويتحصل من مجموع ما قيل فى ذلك انها بنيت عشر مرات وهى بناء الملائكة عليهم السلام وبناء آدم عليه السلام وبناء أولاده وبناء الخليل ابراهيم عليه السلام وبناء العمالقة وبناء جرهم وبناء قصى بن كلاب جد النبى صلى الله عليه وسلم وبناء قريش قبل بعث النبى صلى الله عليه وسلم وعمره الشريف يومئذ خمس وعشرون سنة وبناء عبد الله بن الزبير بن العوام الاسدى وآخرها بناء الحجاج بن يوسف الثقفى وفى اطلاق العبارات فى بناء الكعبة تجوز فان بعضها لم يستوعبها البناء كالبناء الاخير وهو بناء الحجاج فانه انما هدم جانب الميزاب فقط وأعاده وأبقى الجوانب الثلاث وهى جهة الباب وجهة المستجار الذى هو مقابل الباب وجهة الصفا المقابل لجهة الميزاب فانها باقية على بناء عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما ﴿أما بناء الملائكة الكعبة المشرفة وهو اول بنائها﴾ فذكره الامام ابو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن الوليد الازرقى فى تاريخه فقال حدثنا على بن مسلم العجلى عن أبيه حدثنا القاسم ابن عبد الرحمن الانصارى حدثنا الامام محمد الباقر ابن الامام على زين العابدين بن الحسين ابن أمير المؤمنين على بن أبى طالب قال كنت مع أبى على بن الحسين عليهما السلام بمكة فبيناهو يطوف واناوراءه اذا جاء رجل طويل فوضع يده على ظهر أبى فالتفت ابى اليه فقال السلام عليك يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أريد ان اسألك فرد عليه السلام وسكت أبى وأنا والرجل خلفه حتى فرغ من اسبوعه فدخل الحجر فقام تحت الميزاب فصلى ركعتى اسبوعه ثم استوى قاعدا فالتفت الىّ فجلست الى جانبه فقال يا محمد اين السائل فأومأت الى الرجل فجاء فجلس بين يدى أبى فقال له عم تسأل قال انى أسألك عن بدء هذا الطواف بهذا البيت فقال له ابى من اين انت قال من اهل الشام قال اين مسكنك قال بيت المقدس قال قرأت الكتابين يعنى التوراة والانجيل قال نعم فقال له ابى يا اخا الشام احفظ عنى ولا تروعنى امابدء هذا الطواف فان الله تعالى قال انى جاعل فى الارض خليفة فقالت الملائكة اى رب أتخلق غيرنا ممن يفسد فيها ويسفك الدماء ويتحاسدون ويتباغضون ويتباغضون اجعل ذلك الخليفة منا فنحن لا نفسد فيها ولا نسفك الدماء ولا نتباغض ولا نتحاسد ولا نتباغى ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ونعظمك ولا نعصيك فقال الله تعالى انى أعلم مالا تعلمون قال فظنت الملائكة ان ما قالوه رد على الله وانه قد غضب عليهم من قولهم فلاذوا بالعرش ورفعوا رؤسهم يتضرعون ويبكون اشفاقا من غضبه وطافوا بالعرش ثلاث ساعات فنظر الله اليهم ونزلت الرحمة عليهم ووضع الله سبحانه وتعالى تحت العرش بيتا وهو البيت المعمور على أربع أساطين من زبرجد فغشاهن ياقوتة حمراء وقال للملائكة طوفوا بهذا البيت فطافت الملائكة بهذا البيت وصار أهون عليهم من العرش ثم ان الله تعالى بعث ملائكة وقال لهم ابنوا لى فى الأرض بيتا بمثاله وقدره وأمر الله تعالى من فى الأرض من خلقه أن يطوفوا بهذا البيت كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور فقال الرجل صدقت يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا كان انتهى قلت هذا الحديث الشريف يدل على ان بناء

الملائكة عليهم السلام الكعبة الشريفة كان بعد خلق الارض ولنا أحاديث دالة أن الكعبة خلقت قبل الارض بأربعين سنة فى رواية وبألفى عام فى رواية قال الامام أبو عبد الله محمد بن اسحق بن العباس الفاكهى المكى فى أوائل تاريخ مكة حدثنى عبد الله بن أبى سلمة قال حدثنا الواقدى قال حدثنا اسحق بن يحيى بن طلحة انه سمع مجاهدا يقول ان قواعد البيت خلقت قبل الارض بألفى سنة ثم بسطت الارض من تحته أقول وظهر مما رويناه ان موضع البيت الشريف خلق قبل الارض لا نفس بناء البيت فانه أول ما بنته الملائكة بأمر الله تعالى كما سقناه والله تعالى أعلم * الثانى بناء آدم عليه السلام الكعبة المشرفة * وقد ذكره الامام أبو الوليد الأزرقى فقال حدثنى جدى عن سعيد بن سالم عن طلحة بن عمرو الحضرمى عن عطاء بن أبى رباح بفتح الراء والباء الموحدة بعدها ألف ثم حاء مهملة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما أهبط الله آدم الى الارض من الجنة قال يارب مالى أسمع أصوات الملائكة قال بخطيئتك يا آدم ولكن ابن لى بيتا فطف به واذكرنى حوله كما رأيت الملائكة تصنع حول عرشى قال فأقبل آدم يتخطى الارض فطويت له ولم يقع قدمه على شئ من الارض الا صار عمرانا وبركة حتى انتهى الى مكة فبنى البيت الحرام وان جبريل عليه السلام ضرب بجناحه الارض فكشف عن أس ثابت فى الارض السابعة فقذفت فيه الملائكة من الصخر ما لا يطيق الصخرة ثلاثون رجلا وانه بناه من خمسة أجبل من لبنان وطور سيناء وطور زيتاء والجودى وحراء حتى استوى على وجه الأرض وهذا يدل على أن آدم عليه السلام انما بنى أساس الكعبة حتى ساوى وجه الارض ولعل ذلك بعد دثور ما بنته الملائكة بأمر الله تعالى ثم أنزل الله تعالى البيت المعمور لآدم عليه السلام ليستأنس به فوضعه على أساس الكعبة ويدل على ذلك ما رواه أبو الوليد الأزرقى فى تاريخه قال حدثنى أبى عن جدى قال حدثنا سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج قال بلغنى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لكعب يا كعب أخبرنى عن البيت الحرام قال كعب أنزل الله من السماء ياقوتة مجوفة مع آدم فقال له يا آدم ان هذا بيتى أنزلته معك يطاف حوله كما يطاف حول عرشى ويصلى حوله كما يصلى حول عرشى ونزلت معه الملائكة فرفعوا قواعده من حجارة ثم وضع البيت عليه فكان آدم عليه السلام يطوف حوله كما يطاف حول العرش ويصلى عنده كما يصلى عند العرش فلما أغرق الله قوم نوح رفعه الى السماء وبقيت قواعده * وقال الأزرقى أيضا حدثنى أبى قال محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن عمران عن عمر ابن أبى معروف عن عبيد الله بن أبى زياد قال لما أهبط الله آدم عليه السلام من الجنة قال يا آدم ابن لى بيتا بحذاء بيتى الذى فى السماء تتعبد فيه أنت وولدك كما تتعبد ملائكتى حول عرشى فهبطت عليه الملائكة فحفر حتى بلغ الارض السابعة فقذفت فيه الملائكة الصخر حتى أشرف على وجه الارض وهبط آدم بياقوتة حمراء مجوفة لها أربعة أركان بيض فوضعها على الأساس فلم تزل الياقوتة كذلك حتى كان زمن الغرق فرفعها الله تعالى * وقال الأزرقى أيضا حدثنى محمد بن يحيى عن ابراهيم بن محمد ابن أبى يحيى عن ابى المليح أنه قال كان أبو هريرة يقول حج آدم فقضى المناسك فلما جاء قال رب لكل عامل أجر قال الله تعالى أما أنت يا آدم فقد غفرت لك ولما ذريتك فمن جاء منهم هذا البيت فبكى بذنبه غفرت له فاستقبلته الملائكة بالردم فقالوا بر حجك يا آدم قد حججنا هذا البيت قبلك بألفى عام قال وما كنتم تقولون حوله قالوا كنا نقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وكان آدم عليه السلام اذا طاف يقول هذه الكلمات وكان طواف آدم سبعة أسابيع بالليل وخمسة بالنهار قال نافع وكان

ابن عمر رضى الله عنهما يفعل ذلك * وقال الأزرقى أيضا حدثنى محمد بن يحيى عن ابن عمر قال حدثنى هشام بن سليمان المخزومى عن عبد الله بن أبى سليمان مولى بنى مخزوم انه قال طاف آدم عليه السلام سبعا بالبيت ثم صلى تجاه باب الكعبة ركعتين ثم أتى الملتزم فقال اللهم انك تعلم سرى وعلانيتى فاقبل معذرتى وتعلم ما فى نفسى وما عندى فاغفر لى ذنبى وتعلم حاجتى فاعطنى سؤلى اللهم انى أسألك ايمانا يباشر قلبى ويقينا صادقا حتى أعلم انه لا يصيبنى الا ما كتبت لى والرضا بما قضيت على فأوحى الله تعالى اليه يا آدم قد دعوتنى بدعوات فاستجبت لك ولمن يدعونى بها أحد من ولدك الا كشفت همومه وغمومه ونزعت الفقر من قلبه وجعلت الغنى بين عينيه واتجرت له من وراء كل تاجر وأتته الدنيا وهى راغمة وان كان لا يريدها قال فنذ طاف آدم عليه الصلاة والسلام كانت سنة الطواف * الثالث بناء أولاد آدم عليه السلام الكعبة المعظمة * روى الأزرقى بسنده الى وهب بن منبه قال لما رفعت الخيمة التى منح الله بها آدم عليه السلام من خيمة الجنة حين وضعت له بمكة فى موضع البيت ومات آدم عليه السلام فبنى بنو آدم من بعده مكانها بيتا بالطين والحجارة فلم يزل معمورا يعمرونه هم ومن بعدهم حتى كان زمن نوح عليه السلام فنسفه الغرق وغير مكانه حتى بوأ لابراهيم انتهى * قال الحافظ أبو القاسم السهيلى فى الفصل الذى عقده لبنيان الكعبة وكان بناؤها الأول حين بنى شيث بن آدم عليه السلام انتهى ولعل مراد السهيلى بالاولية بالنسبة الى بناء البشر لا الملائكة وان بناء آدم عليه السلام انما هو الأساس الى أن ساوى وجه الارض وأنزل الله عليه من الجنة البيت المعمور فوضعه على ذلك الأساس والمراد بالخيمة المشار اليها فى خبر وهب بن منبه رضى الله عنه هو البيت المعمور ولعلها خيمة غير البيت المرفوع ولعلها رفعت بعد وفاة آدم عليه السلام وابقى البيت المعمور الى أن رفع زمن الطوفان وفى ذلك ارتكاب المجاز مما يصح به هذه الروايات المتباينة ظواهرها * الرابع بناء الخليل عليه الصلاة والسلام الكعبة المشرفة * قال السيد الامام التقى الفاسى رحمه الله تعالى أما بناء الخليل عليه السلام فهو ثابت بالكتاب والسنة الشريفة وهو أول من بنى البيت على ما ذكره الفاكهى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه وجزم الشيخ عماد الدين بن كثير فى تفسيره وقال لم يرد عن معصوم ان البيت كان مبنيا قبل الخليل عليه السلام انتهى فهو ينكر ما قدمناه من الآثار فبناء ابراهيم عليه السلام أول بناء بالنسبة الى من بناه بعده لا أول حقيقى والله تعالى أعلم وأحكم * وروى الازرقى رحمه الله فى تاريخه عن ابن اسحق ان الخليل عليه السلام لما بنى البيت جعل طوله فى السماء تسعة أذرع وجعل طوله فى الارض من قبيل وجه البيت الشريف من الحجر الأسود الى الركن الشامى اثنين وثلاثين ذراعا وجعل عرضه فى الارض من قبل الميزاب من الركن الشامى الى الركن الغربى الذى يسمى الآن الركن العراقى اثنين وعشرين ذراعا وجعل طوله فى الارض من جانب ظهر البيت الشريف من الركن الغربى المذكور الى الركن اليمانى احدى وثلاثين ذراعا وطول عرضه فى الارض من الركن اليمانى الى الحجر الاسود عشرين ذراعا وجعل الباب لاصقا بالارض غير مرتفع عنها ولا مبوب حتى جعل لها تبع الحميرى بابا وغلقا بعد ذلك وحفر ابراهيم عليه السلام فى بطن البيت على يمين من دخله حفرة لتكون خزانة للبيت يوضع فيها ما يهدى الى البيت وكان ابراهيم عليه الصلاة والسلام يبنى واسماعيل عليه السلام ينقل له الاحجار على عاتقه فلما ارتفع البنيان قرب له المقام فكان يقوم عليه ويبنى ويحوله اسماعيل عليه السلام فى نواحى البيت حتى انتهى على موضع الحجر الاسود

فقال ابراهيم لاسماعيل عليهما الصلاة والسلام يا اسماعيل ائتني بحجر أضعه هنا يكون علما للناس يبتدؤن منه الطواف فذهب اسماعيل في طلبه فجاء جبريل عليه السلام الى سيدنا ابراهيم عليه السلام بالحجر الاسود وكان الله عز وجل استودعه جبل ابي قبيس حين طوفان نوح فوضعه جبريل عليه السلام في مكانه وبنى عليه ابراهيم وهو حينئذ يتلألأ نورا فاضاء بنوره شرقا وغربا وشاما ويمنا الى منتهى انصباب الحرم من كل ناحية واغما سودته انجاس الجاهلية وأرجاسها قال ولم يكن ابراهيم عليه السلام سقف البيت ولا بناه بمدر واغما رصه رصا قال وذكر سنده الى عبد الله بن عمران جبريل عليه السلام نزل بالحجر على ابراهيم عليه السلام من الجنة وانه وضعه حيث رأيتم وانكم لا تزالون بخير مادام بين ظهرانيكم فتمسكوا به ما استطعتم فانه يوشك أن يجيء جبريل عليه السلام فيرجع به من حيث جاء به انتهى قال السيد الامام تقي الدين الفاسي رحمه الله تعالى روينا عن قتادة قال ذكر لنا ان الخليل عليه السلام بنى البيت من خمسة اجبل من طور سيناء وطور زيتاء ولبنان والجودي وحراء قال وذكر لنا ان قواعده من حراء قال ويروى ان الخليل عليه السلام أسس البيت من ستة اجبل من ابي قبيس ومن الطور ومن القدس ومن ورقان ومن رضوى ومن احد وقال الازرقي رحمه الله قال ابي وحدثني جدي عن سعيد بن سالم عن ابن جريج عن مجاهد انه قال كان موضع الكعبة قد خفي ودرس زمن الطوفان فيما بين نوح وابراهيم عليهما السلام قال وكان موضعه أكمة حمراء لا تعلوها السيول غير ان الناس كانوا يعلمون ان البيت فيما هنالك من غير تعيين محله وكان يأتيه المظلوم والمتعوذ من أقطار الارض ويدعو عنده المكروب ومادعا عنده احد الا استجيب له وكان الناس يحجون الى موضع البيت حتى بوأ الله مكانه لابراهيم عليه السلام لما اراد عمارة بيته واظهار دينه وشرائعه فلم يزل منذ اهبط الله آدم الى الارض معظما محترما عند الامم والملل * قال الامام ابو اسحق احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي في كتابه العرائس في قصص الانبياء عليهم السلام لما انجى الله خليله ابراهيم عليه السلام من نار النمرود آمن به من آمن خرج مهاجرا الى ربه يتزوج ابنة عمه سارة وخرج بها يلتمس الفرار بدينه والامان على نفسه ومن معه فقدم الى مصر وبها فرعون من الفراعنة الاولى وكانت سارة من أحسن النساء وكانت لا تعصى ابراهيم وبذلك اكرمها الله تعالى فاتى ابليس الى فرعون وقال ان هاهنا رجلا معه امرأة من أحسن النساء فارسل الجبار الى ابراهيم وقال له ما هذه المرأة منك فقال هي اختي وخاف ان قال هي امرأتي ان يقتله فقال له زينها وارسلها الي فرجع ابراهيم الى سارة فقال ان هذا الجبار سألني عنك فاخبرته انك أختي فلا تكذبني عنده فانك أختي في كتاب الله فانه ليس مسلم في هذه الارض غيري وغيرك ثم أقبلت سارة الى الجبار وقام ابراهيم يصلي وقد رفع الله الحجاب بين ابراهيم وسارة ينظر اليها منذ فارقته الى أن عادت اليه اكراما له وتطييبا لقلب ابراهيم عليه السلام فلما دخلت سارة على الجبار ورآها فدهش في حسنها ولم يملك نفسه ان مد يده اليها فيبست يده على صدره فلما رأى ذلك أعظم أمرها وقال لها سلي ربك أن يطلق يدي علي فوالله اني لا أوذيك فقالت سارة اللهم ان كان صادقا فاطلق يده فوهب لها هاجر وهي جارية قبطية جميلة وردها الى ابراهيم فأقبلت اليه فلما احس بها فانفتل من صلاته وقال مهيم فقالت كفى الله كيد الفاجر ووهبني هاجر وقد وهبتها لك فلعل الله ان يرزقك منها ولدا وكانت سارة قد منعت الولد حتى ايست فوقع ابراهيم على هاجر فحملت وولدت له اسماعيل وأقام ابراهيم بناحية من أرض فلسطين بين الرملة وايلياء وهو يضيف من يأتيه وقد أوسع الله عليه وبسط له في الرزق والمال والخدم

فلما أراد الله هلاك قوم لوط بعث الله رسله يأمرونه بالخروج من بين ظهرانيهم وأمرهم أن يبدوا فيبشروه باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فلما نزلوا عليهم سر بهم وقال لا يخدم هؤلاء القوم الا انا فجاء بعجل سمين مشوى بالحجارة فقربه اليهم فأمسكوا ايديهم فنكرهم وأوجس منهم خيفة حيث لم يأكلوا من طعامه ثم قالوا لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط وامرأته قائمة تخدمهم فبشروه باسحق ومن وراء اسحاق يعقوب فضحكت * قال ابن عباس ضحكت تعجبا من أن يكون لها ولد على كبر سنها وكانت بلغت تسعين سنة وبلغ ابراهيم مائة وعشرين وقال مجاهد وعكرمة ضحكت أى حاضت فى الوقت تقول العرب ضحكت الارنب اذا حاضت * قال السدى فحملت سارة باسحق وكانت قد حملت هاجر باسمعيل فوضعتا وشب الغلامان فتسابقا فسبق اسمعيل فأخذه ابراهيم وأجلسه فى حجره واخذ اسحق الى جانبه فغضبت سارة وقالت عمدت الى ابن الامة فأجلسته فى حجرك وعمدت الى ابنى فأجلسته الى جنبك واخذها ما يأخذ النساء من الغيرة فحلفت لتقطعن منها بضعة ولتغيرن خلقها ثم ناب اليها عقلها فتحيرت فى يمينها قال لها ابراهيم اخفضيها واتقي الله فيها ففعلت ذلك فصارت سنة فى النساء والخفاض بالمعجمات للنساء كالختان للرجال ثم تضارب اسماعيل واسحق كما تتهاوش الاطفال فغضبت سارة على هاجر وحلفت ان لا تساكنها فى بلد واحد وامرت ابراهيم أن يعزلها عنها فامر الله تعالى ابراهيم ان يأتى بهاجر وابنها الى مكة فذهب بهما حتى قدم مكة وهى اذ ذاك عضاه وسلم وموضع البيت ربوة حمراء فجعد بهما الى موضع الحجر بسكون الجيم فيه وامرها ان تتخذ عريشا ثم انصرف فتبعته هاجر فقالت الله أمرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا فرجعت عنه وكان معها شن ماء فنفد فعطشت وعطش ولدها فنظرت الى الجبل فلم تر داعيا ولا مجيبا وصعدت على الصفا فلم تر احدا ثم هبطت وعيناها من ولدها حتى نزلت فغابت عنه فهرولت حتى صعدت من الجانب الآخر واستمرت الى ان صعدت المروة فما رأت أحدا فترددت لذلك سبعا وعادت الى ولدها وقد نزل جبريل عليه السلام فضرب موضع زمزم بجناحه فنبع الماء فبادرت هاجر اليه وحبسته عن السيلان كى لا يضيع الماء * وفى لفظ النبوة لولا انها عجلت لكانت عينا معينا فشربت وأرضعت ولدها وقال لها جبريل لا تخافى الضيعة فان ههنا بيت الله عز وجل يبنيه هذا الغلام وابوه وان الله لا يضيع اهله * قال الامام ابو عبد الله محمد بن احمد بن ابى بكر القرطبى فى تفسيره لا يجوز لاحد ان يتعلق بهذا فى جواز طرح ولده وعياله بأرض مضيعة اتكالا على العزيز الرحيم واقتداء بفعل ابراهيم الخليل عليه السلام فانه فعل ذلك بامر الله تعالى * وقد روى ان سارة لما غارت من هاجر لما ولدت اسماعيل خرج بها ابراهيم عليه السلام الى مكة وأنزل ابنه وامه هناك وركب منصرفا من يومه وكان ذلك كله بوحى من الله تعالى * ولما زمزم من الشرف والخواص والمزايا ما لا يوجد لغيره * ففى المستدرك من حديث ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا ماء زمزم لما شرب له ورجاله موثقون الا انه اختلف فى ارساله ووصله وارساله أصح كذا فى فتح البارى بشرح البخارى * وروى الدارقطنى عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماء زمزم لما شرب له وان شربته اشبعك الله به وان شربته لقطع ظمئك قطعه وهى ضربة جبريل وسقيا الله اسماعيل * وعن عكرمة قال كان ابن عباس اذا شرب من زمزم قال اللهم انى اسألك علما نافعا ورزقا واسعا وشفاء من كل داء * وفى صحيح البخارى قاله ابو ذر رضى الله عنه ما كان لى طعام الا ماء زمزم اجتزى به ثلاثين ما بين يوم وليلة فسمنت حتى تكسرت على بطنى وما اجد على كبدى سخفة جوع * وفى صحيح مسلم من حديث ابى ذر انه طعام طعم زاد الطيالسى من الوجه الذى

اخرجه

اخرجه مسلم وشفاء سقم * قال القاضى ابو بكر بن العربى رحمه الله وهذا موجود فيه الى يوم القيامة لمن صحت نيته وسلمت طويته ولم يكن مكذبا ولا لشر به مجربا (قلت) ومن عجيب ما اطلعت عليه من كتاب وفاء الوفا فى اخبار دار المصطفى للسيد نور الدين السمهودى الشافعى عالم المدينة فى عصره ومؤرخها ومحدثها وقد اخذنا عمن اخذ عنه فروى عنه بواسطة قال ان بالمدينة بئر زمزم ولم تزل اهل المدينة قديما وحديثا يتبركون بها ويشربون من مائها وينقلون منه الى الآفاق كما ينقل ماء زمزم لبركتها انتهى * رجعنا الى القصة قال ومرت رفقة من جرهم يريدون الشام فرأوا طيرا يحوم على جبل ابى قبيس فقالوا ان هذا الطير يحوم على ماء فتبعوه فأشرفوا على بئر زمزم فقالوا لهاجر ان شئت نزلنا معك وآنسناك والماء ماؤك نشرب منه فاذنت لهم فنزلوا معها وهم اول سكان مكة وتوفيت هاجر وقبرها فى الحجر بسكون الجيم وشب اسماعيل فتزوج اسماعيل من جرهم وتكلم بلسانهم فتعرب فيقال لبنى اسماعيل العرب العاربة والعرب العرباء وكان لسان ابراهيم عبرانيا ولسان اسماعيل * ثم ان ابراهيم عليه السلام استأذن سارة ان يزورها جر وابنها فاذنت له واشترطت ان لا ينزل عندها فقدم ابراهيم مكة وقد ماتت هاجر فاتى الى بيت اسماعيل فوجد امراته فسالها اين صاحبك فقالت ذهب يتصيد وكان اسماعيل عليه السلام يخرج من الحرم الى الحل يتصيد ما يتعيش به فقال لها عندك ضيافة من طعام أو شراب قالت ليس عندى شئ فقال لها اذا جاء زوجك فاقرئيه منى السلام وقولى له غير عتبة بابك فذهب ابراهيم عليه السلام فلما جاء اسماعيل قالت جاءنى شيخ صفته كذا وكذا أقرأك السلام وقال غير عتبة بابك فقال الحقى باهلك وتزوج غيرها فمكث ابراهيم مدة ثم استأذن سارة ان يزور اسماعيل فاذنت له واشترطت عليه ان لا ينزل فجاء ابراهيم الى مكة وقدم على منزل اسماعيل فوجده غائبا فى الصيد فقال لامراته اين صاحبك قالت ذهب يتصيد ورجعت به وقالت اجلس يرحمك الله وجاءت بلحم ولبن فأكل وشرب فقالت له يا عم هلم حتى اغسل راسك وازيل شعثك وجاءته بحجر وهو حجر المقام الذى بنى عليه الكعبة فجلس عليه فغاصت رجلاه فى الحجر فغسلت شقه الايمن ثم الايسر ثم افاضت الماء على رأسه وبدنه الى ان فرغت من تنظيفه فقام من عندها وتوجه من حيث جاء وقال لها اذا جاء صاحبك فاقرئى عليه السلام وقولى له قد استقام عتبة بابك فالزمها * فلما جاء اسماعيل وجد رائحة ابيه فقال هل جاءك احد قالت جاءنى شيخ من احسن الناس وجها واطيبهم ريحا فأضفته وسقيته وغسلته وهذا موضع قدميه وحين توجه أقرأك السلام وقال لك كذا وكذا فقال نعم امرنى ان اثبت معك وقبل موضع قدم ابيه من الحجر وحفظه يتبرك به الى ان بنى عليه فيما بعد ابراهيم عليه الصلاة والسلام الكعبة لما بناها هكذا فى قصص الانبياء * وروى فيها ايضا عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما انه قال اشهد ثلاث مرات انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس نورهما ولولا أن طمس نورهما لأضاءا ما بين المشرق والمغرب ثم لما امر الله تعالى خليله ابراهيم عليه السلام ببناء بيته الشريف قدم الى مكة وبناها كما قدمناه فلما فرغ من بناء بيت الله الحرام امره ان يؤذن الناس بالحج فقال يا رب وما عسى ان يبلغ صوتى فقال عليك الآذان وعلينا البلاغ فطلع على جبل ثبير ونادى يا عباد الله ان ربكم قد بنى بيتا وأمركم أن تحجوه فحجوه واجيبوا داعى الله فأسمع الله صوته جميع من فى الدنيا ومن سيولد من هو فى أصلاب الرجال الآباء وارحام الامهات * وأما أمر الله تعالى ابراهيم بذبح ولده اسماعيل عليهما السلام * فقد اختلف العلماء فى ان المأمور

يذبحه اسماعيل أو اسحاق فقال قوم هو اسحق وذهب اليه عمر بن الخطاب وعلى بن أبي طالب رضى
الله عنهما وذهب عبد الله بن عمر وابن المسيب والشعبي ومجاهد والحسن البصري رضى الله عنهم انه
اسماعيل قال الامام أبو زكريا النووي رحمه الله تعالى في كتابه تهذيب الاسماء واللغات اختلف
العلماء رحمهم الله تعالى في الذبيح هل هو اسماعيل أو اسحق عليهما السلام والأكثرون على انه
اسماعيل عليه السلام انتهى وممن رجح كون الذبيح اسماعيل عليه الصلاة والسلام الحافظ عماد
الدين بن كثير رحمه الله تعالى قال في ترجمته وهو الصحيح وروى عن كعب الاحبار عن رجال قالوا لما
أرى ابراهيم في المنام انه يذبح ابنه وتحقق انه أمر ربه قال لابنه يا بني خذ الحبل والمدية وانطلق بنا الى
هذا الشعب لنحتطب لاهلنا فاخذ المدية والحبل وتبع والده فقال الشيطان ان لم أفتن عند هذا آل
ابراهيم لا أفتن احدا منهم أبدا فتمثل الشيطان رجلا فاتى أم الغلام فقال لها أتدرى أين ذهب ابراهيم
بابنك قالت ذهب به ليحتطب لنا من هذا الشعب فقال الشيطان لا والله ما ذهب به الا ليذبحه قالت
كلا هو أشفق به وأشد حبا له فقال لها انه يزعم ان الله أمره بذلك قالت ان كان الله تعالى قد أمره بذلك
فليطع أمره فخرج الشيطان من عندها حتى ادرك الابن وهو يمشى على اثر أبيه فقال يا غلام هل تدرى
أين يذهب بك أبوك قال يحتطب لاهلنا من هذا الشعب فقال لا والله ما يريد الا ذبحك فقال لأى شئ
فقال يزعم ان الله أمره بذلك قال فليفعل ما أمره الله تعالى به وسمعا وطاعة لامر الله تعالى فأقبل
الشيطان الى ابراهيم عليه السلام فقال أين تريد أيها الشيخ قال أريد هذا الشعب لحاجة لى فيه فقال انى
أرى أن الشيطان خدعك بهذا المنام الذى رأيت انك تريد ذبح ابنك وفلذة كبدك فتندم بعد ذلك حيث
لا ينفعك الندم فعرفه ابراهيم عليه السلام فقال عنى يا ملعون فوالله لأمضين لامر ربي فنكص ابليس
على عقبيه ورجع بخزيه وغيظه فلما خلا ابراهيم فى الشعب ويقال ذلك فى ثبير قال يا بنى انى أرى فى المنام
أنى أذبحك قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين فقال فحدثت ان اسماعيل قال
له عند ذلك يا أبتاه اذا أردت ذبحى فاشدد رباطى لا يصيبنك من دمى فينقص اجرى وان الموت شديد
ولا آمن أن أضطرب عنده اذا وجدت مسه واسحد شفرتك حتى تجهز على فتذبحنى فاذا أنت أضجعتنى
لتذبحنى فاكبنى على وجهى ولا تضجعنى لشقى فانى أخشى ان انت نظرت الى وجهى ان تدركك الرأفة
فتحول بينك وبين أمر ربك فى وان رأيت ان ترد قميصى الى أمى فافعل فانى أرجو ان يكون أسلى لها فافعل
فقال ابراهيم نعم العون انت يا بنى على أمر الله ويقال انه ربطه كما أمر بالحبل فأوثقه ثم شحذ شفرته
ثم تله للجبين واتقى النظر الى وجهه ثم أدخل الشفرة حلقه فقلبها جبريل عليه السلام لقفاها فى يده ثم
اجتذبها اليه ونودى ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا فهذه ذبيحة فداء لابنك فاذبحها دونه واتاه بكبش من
الجنة قال ابن اسحق حدثنى الحكم بن عيينة عن مجاهد عن مقسم عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال
أخرج الله هذا الكبش من الجنة فجعل يرعى قبل ذلك أربعين عاما قال الفاكهى ذكر أهل الكتاب
وكثير من العلماء ان الكبش الذى فدى به اسماعيل كبش أملح اقرن أعين ثم روى بسنده عن ابن
عباس رضى الله عنهما انه هو القربان المتقبل من أحد ابنى آدم * فانظر رحمك الله الى طاعة هذا الوالد
أمر الله تعالى من ذبح ابنه قرة عينه وقطعة كبده والى طاعة هذا الولد أمر الله تعالى وأمر والده وانقياده
الى ذلك راضيا مستسلما باذلا روحه لله تعالى وانظر الى هذه الوالدة الشفيقة الرحيمة واطاعتها لامر الله
تعالى واطاعة زوجها * اللهم صل وسلم عليهما أفضل صلاتك وسلامك وعلى سائر الانبياء والمرسلين ومن

تبعهم باحسان الى يوم الدين وانفعنا ببركاتهم أجمعين وارزقنا التوفيق وحسن اليقين آمين * قال الازرقى ثم ولد لاسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام من زوجته السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمى اثنا عشر رجلا منهم ثابت بن اسماعيل وقيدار بن اسماعيل وقطور بن اسماعيل وكان عمر اسماعيل مائة وثلاثين عاما ومات ودفن فى الحجر مع أمه فولى البيت بعده ثابت بن اسماعيل ونشر الله العرب من ثابت وقيدار فكثروا وعزوا ثم توفى ثابت فولى البيت بعده جده لامه مضاض بن عمرو الجرهمى وضم بنى ثابت بن اسماعيل وصار ملكا عليهم وعلى جرهم ونزلوا بقيقعان بأعالى مكة وكانوا أصحاب سلاح كثير وتفقه فيهم وصارت وكانوا نازلين باسفل ونزلوا باجياد وكانوا أصحاب خيل وغيره وكان الأمر بمكة لمضاض بن عمرو دون السميدع الى ان حدث بينهما البغى واقتتلوا فقتل السميدع وتم الأمر لمضاض بن عمرو وفى ذلك يقول

ونحن قتلنا سيد الحى عنوة * فاصبح فيها وهو حيران موجع
وما كان يبقى ان يكون خلافنا * بها ملك حتى أتانا السميدع
فذاق وبالا حين حاول ملكنا * وعالج منا غصة تتجرع
فنحن عمرنا البيت كابرا بعد كابر * ندافع عنه من أتانا وندفع
وما كان ينبغى ان يلى ذاك غيرنا * ولم يك حى قبلنا ثم يمنع
وكنا ملوكا فى الدهور التى مضت * وكنا ملوكا لا ترام فنتضع

ثم نشر الله بنى اسماعيل وخؤلتهم جرهم وكانت جرهم ولاة البيت لا ينازعهم بنو اسماعيل لخؤلتهم وقرابتهم فلما ضاقت عليهم مكة انتشروا فى الأرض فلا يأتون قرما ولا ينزلون بلدا الا أظهرهم الله عليهم بدينهم وهو يومئذ دين ابراهيم حتى ملكوا البلاد ونفوا عنهم العماليق وكانوا ولاة مكة وكانوا اضيعوا حرمة الحرم واستحلوها واستخفوا بها فأخرجهم الله من أرض الحرم قال ثم ان جرهما استخفت بامر البيت الحرام وارتكبوا الأمور العظام وأحدثوا فيها ما لم يكن قبل ذلك فقام فيهم مضاض بن عمرو بن الحارث ابن عمرو خطيبا فقال ياقوم احذروا البغى فقد رأيتم من كان قبلكم من العماليق كيف استخفوا بالبيت فلم يعظموه فسلطكم الله عليهم وأخرجتموهم فتفرقوا فى البلاد وتمزقوا كل ممزق فلا تستخفوا بحق بيت الله تعالى فيخرجكم منه فلم يطيعوه ودلاهم الشيطان بالغرور وقالوا من يخرجنا ونحن أعز العرب وأكثرها رجالا وسلاحا فقال لهم اذا جاء أمر الله بطل ما تقولونه فلما رأى مضاض بن عمرو ذلك عمد الى غزالتين من ذهب كانتا فى الكعبة وما وجد فيها من الاموال التى كانت تهدى الى الكعبة ودفنها فى بئر زمزم وقد نضب ماؤها فحفرها بالليل وأعمق الحفر ودفن فيها تلك الغزالتين والأموال وطم البئر واعتزل جرهما وأخذ معه بنى اسماعيل وخرج من مكة فجاءت خزاعة فاخرجت جرهما من البلاد وليت أمر مكة وصاروا أهلها فجاءهم بنو اسماعيل وكانوا قد اعتزلوا حرب جرهم وخزاعة فسألوا خزاعة السكن معهم فاذنوا لهم وسألهم فى ذلك مضاض بن عمرو الجرهمى وكان قد اعتزل أيضا حرب جرهم وخزاعة ولم يدخل بينهما واستأذنهم ان يساكنهم فابت خزاعة وقالت من قارب الحرم من جرهم فدمه هدر فنزعت ابل لمضاض بن عمرو فدخلت مكة فاخذتها خزاعة وصارت تنحرها وتأكلها فتبع مضاض أثرها فوجدها فى بطن وادى مكة فابصر الابل تنحر وتؤكل ولا سبيل اليها ورأى أنه ان هبط الوادى قتل فولى منصرفا الى أهله وانشأ يقول

بياض بالأصل

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر
ولم يتربع واسطا فجنوبه * الى المنحنى من ذى الأراكة حاضر
بلى نحن كنا أهلها فأبادنا * صروف الليالى والجدود العوابر
وأبدلنا عنها الاسى دار غربة * بها الذيب يعوى والعدو محاصر
وكنا ولاة البيت من بعد نابت * نطوف بهذا البيت والخير ظاهر
وكنا لاسمعيل صهرا وجيرة * فابناؤه منا ونحن الأصاهر
فأخرجنا منها المليك بقدرة * كذلك يا للناس تجرى المقادر
وصرنا أحاديثا وكنا بغبطة * كذلك عضتنا السنون الغوابر
وسحت دموع العين تبكى لبلدة * بها حرم أمن وفيها المشاعر
بها أنيس لا يطار حمامه * ولا ينفرن يوما لديها العصافر
وفيها وحوش لا تراب أنيسه * اذا خرجت منها فانك تقادر
فيا ليت شعرى هل يعمر بعدنا * جياد ومقضى سيله والظواهر
وهل فرج يأتى بشئ يزيده * وهل جزع ينجيك مما تحاذر

وانطلق قضاض بن عمرو ومن معه الى اليمن وهم يحزنون على مفارقة مكة وحازت خزاعة حجابة بيت الله الحرام وولاية أمر مكة وفيهم بنو اسمعيل لا ينازعونهم فى شئ ولا يطلبونه الى ان كبر شأن قصى بن كلاب بن مرة فاستولى على حجابة البيت وأمر مكة وكان قصى أول رجل من بنى كنانة أصاب بمكة فكانت اليه الحجابة والرفادة والسقاية والقيادة وهو الذى جمع أمر قيس فسمى مجمعا بكسر الميم المشددة وفى ذلك يقول القائل

أبوهم قصى كان يدعى مجمعا * به جمع الله القبائل من فهر
هم ملكوا البطحاء مجدا وسوددا * وهم طردوا عنها عراة بنى عمرو

وقيل سميت قريش قريشا لتجمعهم على قصى والتقرش هو الاجتماع وما كان يسمى قريش قبل ذلك قريشا وقيل ان النضر بن كنانة كان يسمى قريشا واستمر بنو قصى كذلك الى ظهور النبى صلى الله عليه وسلم وقد أطلنا الكلام فى هذا المقال وهو مع ذلك قطرة من بحر فانتخبنا منه هذا المقدار لاشتماله على فنون من الاعتبار * الخامس والسادس بناء العمالقة للكعبة المعظمة * ذكر الازرقى فى ذلك وذكر سنده الى سيدنا أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه انه قال فى خبر بناء ابراهيم عليه السلام للكعبة ثم انهدم فبنته العمالقة ثم انهدم فبنته قبيلة من جرهم وذكر الفاكهى بسنده الى سيدنا على ابن أبى طالب أيضا رضى الله عنه انه قال أول من بنى البيت ابراهيم عليه السلام ثم انهدم فبنته جرهم ثم انهدم فبنته العمالقة قال السيد التقى قلت هذا يقتضى ان جرهما بنت البيت الشريف قبل العمالقة والخبر الاول يقتضى ان العمالقة بنته قبل جرهم وبه جزم المحب الطبرى فى القرى وذكر المسعودى فى مروج الذهب ان الذى بنى الكعبة من جرهم هو الحارث بن مضاض الاصغر وانه زاد فى بناء البيت ورفعه كما كان عليه بناء ابراهيم عليه السلام والله أعلم بحقيقة ذلك * ذكر الازرقى شيأ من خبر العمالقة يقتضى سبقهم على جرهم فانه روى بسنده الى سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما انه قال كان بمكة حى يقال لهم العماليق كانوا فى عز وثروة وكانت له خيل وابل وماشية ترعى حول مكة وما حولها

وكانت

وكانت العضاه ملتفة مبقلة وكانوا في عيش رخي فبغوا في الارض واسرفوا على أنفسهم واظهروا المظالم والالحاد ولم يشكروا الله فسلبوا نعمتهم وكانوا يكرون بمكة الظل ويبيعون الماء فاخرجهم الله بأن سلط عليهم السيل حتى خرجوا من الحرم حتى ألحقهم بمسقط رؤس آبائهم ببلاد اليمن فتفرقوا وهلكوا وابدل الله بعدهم الحرم بجرهم فكانوا سكانه الى ان بغوا فيه أيضا فأهلكهم جميعا ﴿ السابع بناء قصي للكعبة المعظمة ﴾ ذكر الزبير بن بكار قاضي مكة في كتاب النسب ان قصي بن كلاب لما ولي أمر البيت جمع نفقته ثم هدم الكعبة فبناها بنيانا لم يبنه أحد ممن بناها قبله مثله وذكر أبو عبد الله محمد بن عائذ الدمشقي في مغازيه ان قصي بن كلاب بنى البيت الشريف وجزم به الامام الماوردي في الاحكام السلطانية فانه قال فيها أول من جدد بناء الكعبة من قريش بعد ابراهيم قصي بن كلاب وسقفها بخشب الدوم وجريد النخل انتهى قال السيد التقي الفاسي في شفاء الغرام ومار واه القاضي الزبير بن بكار ان قصيا بنى الكعبة على خمسة وعشرين ذراعا ففيه نظر لما اشتهر في الاحكام ان ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام بنى طول الكعبة تسعة اذرع وان قصيا أراد أن يجعل عرضها خمسة وعشرين ذراعا فالمعروف انه من الجهة الشرقية والغربية لا ينقص عن ثلاثين ذراعا في بناء الخليل بل يزيد على ثلاثين ألفا مقدارا زيادة وان أراد عرضها من الجهة الشامية واليمانية فعرضها في هاتين الجهتين ينقص عن خمسة وعشرين ذراعا ثلاثة أذرع أو أزيد وكل من بنى الكعبة بعد ابراهيم عليه السلام لم يبنها الا على قواعد ابراهيم غير ان قريشا اقتصرت من عرضها في جهة الحجر الشريف لامر اقتضاه الحال وصنع ذلك الحجاج بعد عبد الله بن الزبير عناد الله والله تعالى أعلم * وكان مبدأ امر قصي ان أباه كلاب بن مرة تزوج فاطمة بنت سعد بن سيل فولدت له زهرة وقصي فهلك كلاب وقصي صغير وهو بضم القاف وكسر الصاد بمعنى بعيد واسمه زيد وانما لقب قصيا لأنه أبعد عن أهله ووطنه مع أمه لما توفي أبوه فانها تزوجت ربيعة بن حزام فرحل بها الى الشام فولدت له رزاحا فلما كبر قصي وقع بينه وبين آل ربيعة شر فعيروه بالغربة وقالوا ألا تلحق بقومك وكان لا يعرف له أبا غير ربيعة بن حزام زوج أمه فشكى اليها ما عيروه به فقالت له يا ولدي أنت أكرم أبا منهم أنت ابن كلاب بن مرة وقومك بمكة عند البيت الحرام فقدم لمكة فعرف له قومه فضله فقدموه وأكرموه وكانت خزاعة مستولية على البيت وعلى مكة وكان كبيرهم خليل بن حبشية الخزاعي بيده مفتاح البيت الشريف وسدانته فخطب الى خليل ابنته فعرف خليل نسبه فزوجه ابنته عيسى فتزوجها قصي وكثرت أولاده وأمواله وعظم شأنه وهلك خليل وأوصى بمفتاح البيت الشريف لابنته عيسى فقالت لا أقدر على السدانة فجعلت ذلك لابي غبشان وكان سكيرا يحب الخمر فأعوزه في بعض الاوقات ما يشربه من الخمر فباع مفتاح البيت بزق خمر فاشتراه منه قصي وسار في الامثال أخسر صفقة من أبي غبشان فلما صار المفتاح الى قصي تنامت خزاعة وكثر كلامها عليه فأجمع على حربهم فحاربهم وأخرجهم من مكة وولي قصي أمر الكعبة ومكة وجمع قومه فملكوه على أنفسهم وكانوا يحترمون أن يسكنوا مكة ويعظمونها على أن يبنوا بها بيتا مع بيت الله فكانوا يكنون بمكة نهارا فاذا امسوا خرجوا الى الحل ولا يستحلون الجناية بمكة فلما جمع قصي قومه اليه أذن لهم أن يبنوا بمكة بيوتا وان يسكنوها وقال لهم انكم ان سكنتم الحرم حول البيت هابتكم العرب ولم تستحل قتالكم ولا يستطيع أحد اخراجكم فقالوا له أنت سيدنا ورأينا تبع لرأيك فجمعهم حول البيت وفي ذلك يقول القائل

أبوكم قصى كان يدعى مجمعا * به جمع الله القبائل من فهر
وأنتم بنوزيد وزيد أبوكم * به زيدت البطحا فخرا على فخر

وابتدأ هو فبنى دار الندوة وهى فى اللغة الاجتماع وكانوا يجتمعون فيها للمشورة وغيرها من المهمات فلا تنكح امرأة ولا يتزوج رجل من قريش الا فيها * قال الازرقى ولم يدخل من قريش ولا غيرهم الا ابن أربعين سنة وكان ولد قصى كلهم أجمعون يدخلونها وقسم جهات البيت الشريف بين طوائف قريش فبنوا دورهم حول الكعبة الشريفة من جهاتها الاربع وتركوا الطواف لبيت الله تعالى مقدارا يقال انه المفروش الآن حول البيت الشريف بالحجر المنحوت المسمى بالمطاف الشريف وشرعوا أبواب بيوتهم الى نحو البيت وتركوا ما بين كل بيتين طريقا ينفذ منه الى المطاف الى أن زاد عمر رضى الله عنه فى المسجد الحرام وتبعه عثمان رضى الله عنه وتبعهما غيرهما على ما سيأتى تفصيله ان شاء الله تعالى وكان قصى أول ملك من بنى كعب أصاب ملكا أطاعه به قومه وله كلمات حكم تؤثر عنه منها من أكرم لئيما شركه فى لؤمه ومن استحسن قبيحا تنزل الى قبحه ومن لم تصلحه الكرامة أصلحه الهوان ومن طلب فوق قدره استحق الحرمان * وكان اجتمع لقصى ما لم يجتمع لغيره من المناصب فكان بيده الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء والقيادة فالحجابة وهى سدانة البيت الشريف أى توليته مفتاح بيت الله والسقاية اسقاء الحجيج كلهم الماء العذب وكان عزيزا بمكة يجلب اليها من الخارج فيستقى الحجاج منه وينبذ لهم التمر والزبيب فيسقونه الحجاج وكانت وظيفة فيهم والرفادة اطعام الطعام لسائر الحجاج تمد لهم الاسمطة فى أيام الحج وكانت السقاية والرفادة مستمرة أيام الخلفاء ومن بعدهم من الملوك والسلاطين قال السيد التقى رحمه الله ان الرفادة كانت أيام الجاهلية وصدر الاسلام واستمر الى أيامنا وقال وهو الطعام يصنع بأمر السلطان كل عام حتى ينقضى الحج * قلت وأما فى زماننا فلا يفعل شىء من ذلك ولا أدرى متى انقطع وأما الندوة فقد تقدم بيانها وأما اللواء فراية يلوونها على رمح وينصبونها علامة للعسكر اذا توجهوا الى محاربة عدو فيجتمعون تحتها ويقاتلون عندها والقيادة أمارة الجيش اذا خرجوا الى حرب وهذه كلها اجتمعت فى قصى فلما كبر سنه وضعف بدنه قسمها بين أولاده وكان عبد الدار أكبر أولاده وكان عبد مناف أشرف زمان أبيه فقال قصى لعبد الدار لأحقنك يا بنى بالقوم وان شرفوا عليك فأعطاه الحجابة وسلم اليه مفتاح البيت وقال لا يدخل رجل منهم الكعبة حتى تكون أنت تفتحها له وأعطاه السقاية واللواء وقال لا يشرب أحد الا من سقايتك ولا يعقد لواء لقريش لحرب الا أنت بيدك وجعل له الرفادة وقال لا يأكل من هذا الموسم طعاما الا من طعامك وكانت الرفادة خرجا تخرجه قريش من أموالها فى كل موسم فتدفعه الى قصى فيصنع به طعاما للحاج فيأكله من لم يكن له سعة ولا زاد وكان قصى فرض ذلك على قريش حين جمعهم وقال لهم يا معشر قريش انكم جيران الله وأهل بيته وأهل حرمه وان الحاج ضيف الله وزوار بيته وهم أحق الاضياف بالكرامة فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام الحج حتى يصدروا عنكم فجعل قصى كلما كان بيده من أمر قومه الى عبد الدار وكان قصى لا يخالف ولا يرد عليه شىء صنعه لعظم شأنه ونفاذ سلطانه قال ابن اسحق ثم ان قصيا هلك فقام على امره بنوه من بعده ثم ان بنى عبد مناف هاشما وعبد شمس والمطلب ونوفلا اجمعوا على ان يأخذوا ما بأيدى بنى عبد الدار من الحجابة واللواء والسقاية والرفادة ورأوا انهم أولى بذلك منهم لشرفهم عليهم وفضلهم وتفرقت قريش فكانت طائفة منهم يرون ان بنى عبد مناف أحق من

بنى عبد الدار وطائفة يرون ابقاء بنى عبد الدار على ما جعله قصى لأبيهم فأجمعوا على الحرب ثم اصطلحوا على ان تكون السقاية والرفادة لبنى عبد مناف والحجابة واللواء والندوة لبنى عبد الدار وتحالفوا على ذلك فولى الرفادة والسقاية هاشم وكان عبد شمس سفارا مقلا ذا ولد وكان هاشم موسرا وهو اول من سن الرحلتين لقريش رحلة الشتاء والصيف وهو أول من أطعم الثريد بمكة واسمه عمرو وانما سمى هاشما لهشمه الخبز وثرده لقومه كما قال القائل

عمرو الذى هشم الثريد لقومه * ورجال مكة مسنتون عجاف

سنت اليه الرحلتان كلاهما * سفر الشتاء ورحلة الاصياف

ثم هلك هاشم بغزة من أرض الشام تاجرا فولى الرفادة والسقاية أخوه المطلب بن عبد مناف وكان ذا شرف وكرم وكان يسمى الفيض لسماحته وكرمه وفضله وكان أصغر من عبد شمس فتوفى المطلب بردمان من ارض اليمن وتوفى عبد شمس بمكة وتوفى نوفل بالعراق ثم ولى عبد المطلب بن هاشم السقاية والرفادة بعد عمه المطلب فأقام لقومه ما كانت تقيمه أباؤه من قبله وشرف فى قومه شرفا لم يبلغه أحد من آبائه وأحبه قومه وعلم خطره فيهم * وكان أكبر أولاده الحارث لم يكن له أول امره غيره وبه كان يكنى فقال عدى بن نوفل بن عبد مناف يا عبد المطلب أتستطيل علينا وأنت فذ لا ولد لك فقال عبد المطلب أو بالمقلة تعيرنى فوالله لئن أتانى الله عشرة من الولد لأنحرن احدهم عند الكعبة فلما كمل له عشرة جمعهم ثم أخبرهم بنذره ودعاهم الى الوفاء بذلك فأطاعوه وقالوا له أوف بنذرك وافعل ما شئت قال ليأخذ كل واحد منكم قدحا فيكتب فيه اسمه ثم ائتونى ففعلوا ودخل بهم على هبل وهو صنم كان يعبد فى جوف الكعبة فقال عبد المطلب اصاحب القداح اضرب على هؤلاء بقداحهم وأعطاه كل واحد قدحه وكان عبد الله بن عبد المطلب أصغرهم سنا واحبهم الى والده ثم ضرب صاحب القداح فخرج السهم على عبد الله فأخذ عبد المطلب بيده واخذ الشفرة ثم أقبل به على اساف وهو صنم كان على الصفا ليذبحه عنده فجذب العباس عبد الله من تحت رجل ابيه حتى اثر فى وجهه شجة لم تزل فى وجه عبد الله الى ان مات فقامت قريش من أنديتها وقالوا لئن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتى بابنه فيذبحه فما بقى الناس على هذا ولكن اعذر فيه فنفديه بأموالنا وكان بالحجاز عرافة كاهنة لها تابع من الجن فانطلقوا حتى قدموا عليها وقص عليها عبد المطلب خبر نذره فقالت لهم ارجعوا عنى اليوم حتى يأتينى تابعى فأسأله فرجعوا من عندها ثم غدوا عليها فقالت كم الدية فيكم فقالوا عشرة من الابل فقالت قربوا عن ولدكم عشرة من الابل ثم اضربوا عليها وعلى ولدكم واستمروا كذلك الى ان يخرج السهم على الابل فانحروها عنه فقد رضى ربكم ونجا ولدكم فخرجوا حتى قدموا مكة فقربوا عشرة من الابل وضربوا القداح فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرة فخرج على عبد الله واستمروا يزيدون عشرة عشرة حتى بلغت الابل مائة فخرج القدح على الابل فأعادوه ثانية ثم ثالثة فخرج القدح على الابل فأتى بها فنحرت ثم تركت لا يمنع عن لحومها آدمى ولا وحش ولا طير قال الزهرى وكان عبد المطلب اول من سن دية النفس مائة من الابل فجرت فى قريش ثم فى العرب واقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم * الثمامن بناء قريش الكعبة المشرفة * قال خاتمة الحفاظ والمحدثين مولانا الشيخ محمد الصالحى قدس الله تعالى روحه فى كتاب سبيل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد وهو احسن كتاب للمتأخرين وابسطه فى السيرة النبوية ولنا منه اجازة عامة رحمه الله تعالى ان امرأة جمرت

الكعبة بالبخور فطارت شرارة من مجمرتها فى ثياب الكعبة فاحترق اكثر اخشابها وجاء سيل عظيم فصدع جدرانها بعد توهينها فأرادوا أن يشدوا بنيانها ويرفعوا بابها حتى لا يدخل الا من شاؤا وكان البحر قد رمى بسفينة الى ساحل جدة لتاجر رومى اسمه باقوم بموحدة وقاف مضمومة وكان نجارا بناء فخرج الوليد بن المغيرة فى نفر من قريش الى جدة فابتاعوا خشب السفينة وكلموا باقوم الرومى ان يقدم معهم الى مكة فقدم اليها واخذوا أخشاب السفينة اعدوها لسقف الكعبة * قال الاموى كانت هذه السفينة لقيصر ملك الروم ويحمل فيها الرخام والخشب والحديد الى الكنيسة مع باقوم الى الكنيسة التى أحرقها الفرس بالحبشة فلما بلغت قريب مرسى جدة بعث عليها ريحا فحطمتها انتهى قلت لا يعرف طريق بين بحر الروم والحبشة يمر فيها على جدة الا أن يكون ملك الروم طلب ذلك من ملك مصر فجهز هاله من بندر السويس أو الطور ونحو ذلك * قال ابن اسحق وكان بمكة قبطى يعرف بنجر الخشب وتسويته فوافقهم أن يعمل لهم سقف الكعبة ويساعده باقوم * قال وكانت حية عظيمة تخرج من بئر الكعبة التى يطرح فيها ما يهدى الى الكعبة تشرف على جدار الكعبة لا يدنو منها أحد الا نشت وفتحت فاها وكانوا يهابونها ويزعمون انها تحفظ الكعبة وهداياها وان رأسها كرأس الجدى وظهرها وبطنها أسود وانها أقامت فيها خمسمائة سنة قال ابن عتبة فبعث الله تعالى طائرا فاختطفها وذهب بها فقالت قريش نرجو أن يكون الله تعالى رضى لنا بما أردنا فعله فأجمع رأيهم على هدمها وبنائها قال ابن هشام فتقدم عائذ بن عمران بن مخزوم وهو خال النبى صلى الله عليه وسلم فتناول حجرا من الكعبة فوثب من يده حتى رجع الى مكانه فقال يا معشر قريش لا تدخلوا فى بنيانها من مالكم الا حلالا ليس فيه مهر بغى ولا ربا ولا مظلمة * ثم ان قريشا اقتسمت جوانب البيت فكان شق الباب لبنى زهرة وبنى عبد مناف وما بين الركن الأسود والركن اليمانى لبنى مخزوم ومن انضم اليهم من قريش وكان ظهر الكعبة لبنى جمح وبنى سهم وكان شق الحجر لبنى عبد الدار وبنى أسد بن عبد العزى وبنى عدى بن كعب وجمعوا الحجارة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل معهم حتى اذا انتهى الهدم الى الأساس فأفضوا الى حجارة خضر كالأسنمة فضربوا عليها بالمعول فخرج برق يكاد أن يخطف البصر فانتهوا عند ذلك الأساس ثم بنوا حتى بلغ البنيان موضع الركن الحجر فاختصم فيه القبائل وكل قبيلة تريد أن ترفعه الى موضعه وكادوا أن يقتتلوا على ذلك فقال لهم أبو أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكان شريفا مطاعا اجعلوا الحكم بينكم فيما اختلفتم فيه أول من يدخل من باب الصفا فقبلوا منه ذلك فكان أول داخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا هذا محمد الأمين وكان يسمى قبل أن يوحى اليه أمينا لأمانته وصدقه فقالوا جميعا رضينا بحكمه ثم قصوا عليه قصتهم فقال صلى الله عليه وسلم هلم الى ثوبا فأتى به فأخذ الركن فوضعه بيده فيه ثم قال ليأخذ كل قبيلة بطرف من هذا الثوب فحملوه جميعا وأتوا به ورفعوه الى ما يحاذى موضعه فتناوله رسول الله صلى الله عليه وسلم من الثوب ووضعه بيده الشريفة فى محله وفى ذلك يقول هبيرة بن أبى وهب المخزومى

تشاجرت الأحياء فى فصل خطه * جرت طيرهم بالنحس من بعد أسعد
تلاقوا بها بالبغض بعد مودة * وأوقد نار بينهم شر موقد
فلما رأينا الأمر قد حد حده * ولم يبق شئ غير سل المهند
رضينا وقلنا العدل أول طالع * يجىء من البطحاء من غير موعد

ففاجأنا هذا الأمين محمد * فقلنا رضينا بالأمين محمد
بخير قريش كلها أمس شيمته * وفي اليوم مع مايحدث الله في غد
فجاء بأمر لم ير الناس مثله * أعم وأرضى في العواقب والبد
أخذنا بأطراف الرداء وكلنا * له حصة من رفعها قبضة اليد
فقال ارفعوا حتى اذا ما علت به * أكفهم وافا به خير مسند
وكل رضينا فعله وصنيعه * فأعظم به من رأى هاد ومهتد
وتلك يد منه دليا عظيمة * يروح بها هذا الزمان ويغتدي

(ولما بنت قريش الكعبة) جعلت ارتفاعها من خارجها ثمانية عشر ذراعا منها تسعة أذرع زائدة على ما عمره الخليل عليه السلام ونقصوا من عرضها أذرعا من جهة الحجر لقصر النفقة الحلال التي أعدوها لعمارة الكعبة ورفعوا بابها عن الارض ليدخلوا من شاؤا ويمنعوا من شاؤا وجعلوا في داخلها ست دعائم في صفين ثلاث في كل صف من شق الحجر الى الشق اليماني وجعلوا في ركنها الشامي من داخلها درجة يصعد منها الى سطح الكعبة ﴿تنبيه﴾ اختلف في سن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بنت قريش الكعبة فقيل كان ابن خمس وثلاثين سنة وهو أشهر الأقوال وروى عن مجاهد ان ذلك كان قبل المبعث بخمس سنين والله تعالى أعلم ﴿التاسع بناء عبد الله بن الزبير الكعبة الشريفة في زمن الاسلام﴾ وسيأتي تفصيل ذكره وما وقع له في الباب الثالث في بيان ما كان عليه وضع المسجد الحرام في أيام الجاهلية وصدر الاسلام ان شاء الله تعالى ﴿العاشر بناء الحجاج بن يوسف الثقفي﴾ بعد بناء سيدنا عبد الله بن الزبير وسيأتي بيانه عقب ذكر بناء عبد الله بن الزبير للكعبة ان شاء الله تعالى وبناء الحجاج هو جهة الميزاب والحجر بسكون الجيم وتعلية جوف الكعبة ورفع الباب الشريف الذي في لصق الملتزم وسد الباب الغربي الذي بلصق المستجار لا غير وما عدا ذلك في الجهات الثلاث وهو وجه الكعبة الشريفة وجهة ظهرها وما بين الركن اليماني والحجر الأسود فهو بناء سيدنا عبد الله ابن الزبير باق الى الآن كما سنذكره في زيادة عبد الله بن الزبير في المسجد الحرام وهدمه الكعبة وبنائها على قواعد ابراهيم عليه السلام

﴿فصل في تحلية الكعبة الشريفة وبابها الشريف بالذهب والفضة وقناديلها الشريفة﴾ قال أبو الوليد الأزرقي رحمه الله أول من حلى الكعبة الشريفة في الجاهلية عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم بالغزالين الذين وجدهما في بئر زمزم حين حفرها ثم قال أول من ذهب البيت في الاسلام عبد الملك بن مروان وقال المسيحي ما يقتضي خلاف ذلك فقال أول من حلى البيت عبد الله بن الزبير وجعل على الكعبة وأساطينها صفائح الذهب وجعل مفاتيحها من الذهب * وذكر الفاكهي ان عبد الملك بعث الى واليه على مكة خالد بن عبد الله القسري بستة وثلاثين ألف دينار يضرب بها على باب الكعبة صفائح الذهب وعلى ميزاب الكعبة وعلى الاساطين التي في جوف الكعبة وعلى أركانها من داخل * وذكر الأزرقي ان الأمين بن هارون الرشيد أرسل الى عامله على مكة سالم بن الجحاج بثمانية عشر ألف دينار فضرب بها صفائح مموهة على الباب وجعل مساميرها وحلقتي الباب وأعتابه من الذهب وذكر أيضا ان حجبة الكعبة أرسلوا الى المتوكل العباسي يذكرون له ان زاويتين من زوايا الكعبة من داخلها كلها ذهبا فأرسل المتوكل الى اسحق بن سلمة الصائغ يذهب وأمره بعمل ذلك فكسرا اسحق

تلك الزوايا وأعادها من الذهب وعمل منطقة من فضة ركبها فوق ازار الكعبة من داخلها عرضها ثلثا ذراع وجعل لها طوقا من الذهب متصلا بهذه المنطقة قال وكان أسفل الباب عتبة من خشب ساج قد رثت وتآكلت فأبدلها بخشب آخر وألبسه صفائح من فضة قال اسحق الصائغ فكان مجموع الزوايا والطوق الذهب ثمانية آلاف مثقال ومنطقة الفضة وما على الباب من الفضة وما حلى به المقام من الفضة سبعين ألف درهم * وذكر السيد القاضي تقي الدين الفاسي رحمه الله تعالى ما وقع بعد الأزرقي من تحلية البيت الشريف فقال من ذلك ان الحجبة كتبوا الى المعتضد العباسي ان بعض ولاة مكة قطع أيام الفتنة عضادتي باب الكعبة وغيرهما وسبكهما دنانير وأصرفهما على الفتنة فأمر المعتضد باعادة ذلك جميعه وأعيدت كما أشار به قال ومن ذلك ان أم المقتدر الخليفة العباسي أمرت غلامها الوثوأن يلبس جميع اسطوانات البيت الشريف ذهبا ففعل ذلك في سنة عشر وثلثمائة قال ومن ذلك ان الوزير جمال الدين بن محمد بن علي بن منصور المعروف بالجواد وزير صاحب مصر أنفذ في سنة تسع وأربعين وخمسمائة حاجبه الى مكة ومعه خمسة آلاف دينار ليعمل بها صفائح الذهب والفضة في أركان الكعبة من داخلها * قال ومن حلاها الملك المظفر الغساني صاحب اليمن وحلاها حفيده الملك المجاهد صاحب اليمن أيضا ثم ان الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحي صاحب مصر حلى باب الكعبة الذي عمله لها بخمسة وثلاثين الف درهم وان حفيده الملك الاشرف شعبان حلى باب الكعبة في سنة ست وسبعين وسبعمائة انتهى ما ذكره التقي الفاسي رحمه الله * قلت وقد أدركنا الباب الشريف مصفحا بالفضة وكان يختلس من فضته اوقات الغفلة من قل دينه وخفت يده الى ان انكشف اسفل الباب الشريف عن خشب الباب ومسك مرارا من يفعل ذلك وحبسوا وبهدلوا فعرض ذلك على الابواب الشريفة السلطانية في ايام المرحوم المقدس السلطان سليمان خان أسكنه الله تعالى فراديس الجنان في سنة احدى وستين وتسعمائة فبرز الامر الشريف السلطاني بتصفيح الباب الشريف بالفضة الى ناظر الحرم الشريف المقيم بمكة في منصب نظارة الحرم الشريف يومئذ وهو من فضلاء كتبة مصر احمد چلبي المقاطعجي صهر المرحوم محمد بن سليمان دفتردار مصر اذ ذاك رحمه الله تعالى وكان له شعر لطيف بالتركي وتخلصه تبركا ويتمنا چامي وترجم باللسان التركي كتاب روضة الشهداء لمولانا چامي وضمنه من لطائف النظم والنثر ما يستحسنه ومن محاسن السجع ما يخف على السمع وهو كتاب مقبول متداول بين الناس اللطفاء * وكان وصوله الى مكة في افتتاح سنة ثمان وخمسين وتسعمائة وكان في البيت الشريف خشبة من أخشاب خشبه المنيف انكسرت وصار الماء ينزله من موضع الكسر الى جوف البيت المعظم وكان قاضي مصر يومئذ قدوة علماء الموالي العظام مولانا احمد افندي وهو اليوم مفتي ممالك الاسلام بالباب العالي أطال الله عمره المديد وادام بقاءه السعيد قد حج الى بلد الله الحرام وقاضي مكة يومئذ الافندي مولانا محمد بن محمود المعروف بخواجه قيني اسكنهما الله فسيح الجنان وحف تربتهما بالروح والريحان فاطلعا على هذا الاخلال وعرضاه على الابواب الشريفة السليمانية فلما وصل العرض الى المرحوم المقدس المغفور الاقدس السلطان سليمان خان حاز أعلى غرف الجنان ارسل الى مفتي الاسلام سلطان العلماء الاعلام مولانا ابي السعود افندي المفتي الاعظم قدس الله روحه يستفتيه عن حكم الله في هذه المسئلة جوازا وعدم جواز فكتب اليه بجواز ذلك ان دعت الضرورة اليه فارسل بجواب المفتي الاعظم الى صاحب مصر يومئذ الوزير المعظم المرحوم علي باشا فارسله الوزير المذكور الى ناظر الحرم المشار اليه

وقاضي

وقاضى مكة يومئذ محمد بن محمود رحمهما الله تعالى مع امر شريف سلطانى مضمونه العمل بمقتضى الفتوى
فجمع احمد چلبى مؤن العمارة والاخشاب اللائقة لهذا العمل وكان كاتبه صواق مصطفى چلبى ومعماره
مصطفى المعمار وقبل الشروع فى العمل اقتضى رأيهم مشاورة العلماء فى ذلك فجلس مولانا الافندى
محمد بن محمود بن كمال بعد صلاة الجمعة لاربع عشرة ليلة خلت من ربيع الاول سنة تسع وخمسين وتسعمائة
فى الحرم الشريف واستحضر مفتى العلماء الشافعية المرحوم مولانا الشيخ شهاب الدين احمد بن حجر
الهيتمى ومولانا الشيخ نور الدين على بن ابراهيم العسيلى ومولانا القاضى يحيى بن فايز بن ظهيرة
ومؤلف هذا الكتاب وتقاضوا فى هذه المسئلة فذكر مصطفى المعمار انه شاهد عودين من اعواد سقف
الكعبة مكسورين نزلا عن محاذات بقية اخشاب السقف الشريف من وسطها مقدار اثنى عشر قيراطا
وذكر ان عودا ثالثا الى جانبهما نحو الباب الشريف نزل ايضا تسعة اصابع عن محاذاة اعواد السقف
الصحيحة هبوطا الى اسفل وانه يحتمل ان يكون مكسورا ايضا ويحتمل ان يكون صحيحا لكنه احوج
باحوجاج ثالث الى جانبه من العود المكسور وشهد معه احمد الحيماتى المصرى وغيره وذكروا بانه ان لم
يتدارك تغيير الخشب المكسور بخشب صحيح فالغالب فى امثال ذلك ان يسقط الى اسفل وتنزعزع
الجدران بسقوطه ويغلب فى الظن اختلال فى جوانب السطح يؤدى الى سقوط السقف جميعه وتسقف
الجدران وسقوطها فاتفقت آراء الحاضرين على الاقدام على تعمير السطح وتبديل تلك الاعواد
وعينوا ان يشرعوا صبح يوم السبت منتصف شهر ربيع الاول سنة تسع وخمسين وتسعمائة فتعصب
طائفة حركهم الهوى والغرض لمخالفة ما رأيناوحركوا طائفة من العلماء الى الخلاف وزعموا ان من تعظيم
البيت الشريف ان لا يتعرض له بترميم ولا اصلاح وان قيام الكعبة الشريفة هذه المدة المديدة والرياح
تنسفها من الجوانب الاربع ولا تؤثر فيها دليل على أن قيامها ليس بقوة البناء بل هى قائمة بقدرة الله
تعالى وانه لا يجوز تغيير اخشابها الا اذا سقطت بنفسها وغير ذلك من التمويهات والتهويلات التى تنبو
عن مسامع العقلاء وهوّلوا الأمر على عوام الناس وغوغاءهم وكادت أن تقوم لذلك فتنة على العوام
وكتب مولانا شهاب الدين احمد بن حجر تأليفا واسعا فى الرد على أولئك المعاندين واستند الى نقول كثيرة
وصمم على الجواز وجاءنى رحمه الله تعالى يحرضنى على الثبات على ما صدر منى من القول بالجواز ونقل لى
عن المحب الطبرى فى كتابه استقصاء البيان فى مسئلة الشاذروان بعد ذكره حديث عائشة رضى الله
عنها فى هدم الكعبة ما نصه ومدلول هذا الحديث تصريحا وتلويحا انه يجوز التغيير فى الكعبة لمصلحة
ضرورية أو حاجية أو مستحسنة انتهى * ولما بلغ سيدنا ومولانا المقام الشريف العالى السيد الشريف
شهاب الدين أحمد بن غى صاحب مكة اذ ذاك تغمده الله تعالى برضوانه وأسكنه فسيح جنانه حضر
بنفسه من البر الى مكة المشرفة وطلب سيدنا ومولانا سلطان العلماء الاعلام شيخ الاسلام شمس الملة
والدين الشيخ محمد بن مولانا الشيخ أبى الحسن البكرى نفع الله به وبأسلافه الكرام وشيد به أزر
شريعة سيد الانام عليه أفضل الصلاة والسلام ومولانا الافندى الأعظم قاضى مكة المشرفة وسيدنا
ومولانا قاضى القضاة ومرجع أهل بلد الله الحرام القاضى تاج الدين بن عبد الوهاب بن يعقوب المالكى
طيب الله مثواه وجعل الفردوس الأعلى مأواه وناظر الحرم الشريف المكى يومئذ أحمد چلبى المذكور
فحضروا جميعا تجاه البيت الشريف عند مقام سيدنا ابراهيم عليه السلام واشير الى سيدنا ومولانا الشيخ
الاعظم محمد البكرى ان يلقى درسا يتكلم فيه على قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل

ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم فتكلم على جارى عادته بلسان طلق فصيح ولفظ منتظم مليح أبهر به الحاضرين وأدهش الناظرين وأفاد وأجاد وقلد نفائس الدرّ الاجياد * فلما انقضى الدرس أخرج الناظر فتوى المفتى للناس فرآها مولانا الشيخ الاعظم الشيخ محمد البكرى فقال ومن يخالف هذا من الناس هذا هو عين الحق ومحض الصواب وأمر مولانا السيد أحمد العمال بالشروع فى العمل فشرعوا وسكنت الفتنة ولله الحمد وكل ذلك بتدبير المرحوم القاضى تاج الدين المالكى رحمه الله وكان عاقلا محتشما ذا رأى صواب محضا وله فضل تام وفكر صائب عام وتوفى الى رحمة الله تعالى فى سنة احدى وستين وتسعمائة * ثم لما كشف عن تلك الاعواد فى السقف وجدوها كما ظنوا وأبدلوها بأعواد جيدة فى غاية الاحكام والاستقامة واعادوا السقف والسطح كما كان بغاية الاتقان وسطر ثواب ذلك فى صحائف المرحوم السلطان سليمان عليه الرحمة والرضوان ثم بعد الفراغ طلبوا منا شيأ يمكن كتابته فكتبت لهم كلاما يتضمن التاريخ * وهو الحمد لله الذى عمر الكعبة الشريفة بالشرائع المحمدية وسقفها بتشييد واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا وأصلح الوجود بوجود من وحد فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه وخصه بكنز اغا يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر فكان له أعظم كرامة وأناله الحظ الأوفر من ملك سميه نبى الله سيدنا سليمان ابن السلطان سليم خان الحادى عشر من ملوك بنى عثمان خادم الحرمين الشريفين الخافقة ألوية نصره ورايات ظفره فى الخافقين فلقد جدد سقف الكعبة المعظمة حفظ الله دولته حفظ البيت المعمور والسقف المرفوع وأصلح أرضها المقدسة وجدرانها المتخذة قبلة للسجود والركوع وغرد طير تاريخ تجديد عمارته على غصون حساب ابجد (فكان مجدد سطح بيت الله مالك الدولة سليمان) ملكه الله الارض ومن عليها وجعل باب سعادته قبلة تسجد جباه المطالب اليها ثم لما فرغ من تجديد سطح البيت الشريف وما يتعلق به شرع فى تسوية فرش المطاف الشريف فان احجاره انفصلت وصار بين كل حجرين حفر وكان تلك الحفر تسد تارة بالنورة وتدلك وتارة بالرصاص ويسمر بمسامير الحديد فأزال ما بين الاحجار من الحفر ونحت طرف الحجر الى أن ألصقه بطرف الحجر الآخر من جوانبه الاربعة واستمر فى فرش المطاف الشريف على هذا الاسلوب الى ان فرغ من ذلك واصلح ابواب المسجد الشريف وفرش المسجد جميعه بالحصى ثم ورد الحكم السلطانى بتصفيح الباب الشريف واصلاح الميزاب الشريف وصفح بالفضة المموهة بالذهب الى ان غير بعد ذلك وعمل الميزاب فى الباب الخاقانى فوصل ووضع فى الخزانة العامرة * وأما عمارة المطاف الشريف * فوقع فى سنة احدى وستين وتسعمائة وكنت قد أمرت بتاريخ يكتب على بعض مواضع المضاف فكتبت بسم الله الرحمن الرحيم ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا تقرب الى الله تعالى بتجديد فرش احجار المطاف وتسويتها تحت اقدام الطائفين فى الطواف وتحلية الباب الشريف والميزاب المعظم المنيف خليفة الله تعالى الاعظم سلطان الروم والعرب والعجم من اصطفاه الله تعالى واجتباه لترميم بيته الحرام واختاره وارتضاه بخدمة الركن والمقام السلطان ابن السلطان الملك المظفر أبو الفتوحات السلطان سليمان خان تقبل الله منه صالح الاعمال وبلغه ما يؤمله من السعادة والاقبال ولما تم ذلك غرد بالتاريخ طير الهنا عمر الله قبلتنا

* (فصل فى ذكر تعاليق الكعبة المعظمة وكسوتها) * اما التعاليق فقال المسعودى فى مروج الذهب

كانت الفرس تهدى الى الكعبة أموالا وجواهر فى الزمان الاول وكان ابن ساسان بن بابك اهدى غزالين من ذهب وجواهر وسيوفا وذهبا كثيرا الى الكعبة * وقال الشريف التقى الفاسى فى شفاء الغرام يقال ان كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشى أول من علق فى الكعبة السيوف المحلاة بالذهب والفضة ذخيرة للكعبة ثم نقل عن الازرقى فى أشياء اهديت للكعبة منها ان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما فتح مدائن كسرى كان مما بعث اليه هلالان فبعث بهما فعلقهما فى الكعبة وبعث السفاح بالصفحة الخضراء فعلقت فى الكعبة والمأمون بالياقوتة التى تعلق فى كل موسم بسلسلة من الذهب فعلقت فى وجه الكعبة وبعث المتوكل على الله بشمسية من ذهب مكللة بالدر الفاخر والياقوت الرفيع والزبرجد تعلق بسلسلة من الذهب فى وجه البيت فى كل موسم واهدى المعتصم العباسى قفلا لباب الكعبة فيه ألف مثقال ذهبا فى سنة تسع عشرة ومائتين وكان والى مكة يومئذ من قبل صالح بن العباس فأرسل الى الحجبة ليقبضهم القفل فأبوا ان يأخذوه منه وأراد ان يأخذ القفل الاول ويرسل به الى الخليفة فأبوا ان يعطوه ذلك وتوجهوا الى بغداد وتكلموا مع المعتصم فترك قفل الكعبة عليها واعطاهم القفل الذى كان بعثه اليها فاقتسموه بينهم وذكر الفاكهى أن مما اهدى الى الكعبة طوق من ذهب مكلل بالزمرد والياقوت مع ياقوتة كبيرة خضراء أرسله ملك الهند لما أسلم فى سنة تسع وخمسين ومائتين فعرض أمره على المعتمد على الله فأمر بتعليقها فى البيت الشريف فعلقت قال التقى الفاسى رحمه الله تعالى ومما علق بعد الازرقى قصبة من فضة فيها كتاب بيعة جعفر ابن أمير المؤمنين المعتمد على الله وبيعة أبى أحمد الموفق بالله ابن اخى المعتمد على الله وقدم بها الفضل بن عباس فى موسم سنة احدى وستين ومائتين وكان وزن الفضة ثلثمائة وستين درهما فضة وعليها خارجا عن ذلك ثلاث أزرار بثلاثة سلاسل من فضة ودخل الكعبة يوم الاثنين لاربع خلون من صفر فعلق هذه القصبة مع تعاليق الكعبة (قلت) وسيأتى ان هارون الرشيد كتب أن يكون ولى عهده بعد محمد الأمين ثم عبد الله المأمون وبايع لهما على ذلك أعيان مملكته وكتب مبايعتهم وأرسل نسخة ذلك العهد الى الكعبة وعلقها فى الكعبة ثم لما وقع بعده الاختلاف بينهما وأرسل الأمين عسكرا لقتال أخيه المأمون أرسل الى مكة وأخرج كتاب العهد من الكعبة ومزقه فرق الله ملكه وانكسر عسكره وانتصر المأمون وجاء الى بغداد وحاصر الأمين الى أن أمسكه عبد الله بن طاهر وقتله وأتى برأسه الى المأمون وسيأتى تفصيل ذلك جميعه ان شاء الله تعالى * ثم لما وقعت الفتن بمكة أخذت تلك التعاليق من الكعبة وصرفت فى ذلك وقد كانت الملوك ترسل بقناديل الذهب وتعلق فى الكعبة وكانت شيوخ سدنة البيت الشريف اذا احتاجت اختلست منها ما تسد به خللها وتدفع به فقرها واحتياجها وقد أدركنا فى أيام الصبا وقد خفت القناديل من شيوخ الكعبة من كان يتهم بذلك بل أخبرنى تجارانه عمل لأحدهم محطا مركبا من الخشب مؤلفا من عدة أعواد طول كل واحد منها نحو ذراع تركب فيطول ثم ينكل ويحمل فى الكم فاذا دخل الشيخ يوم فتح الكعبة ابتداء فدخل وحده كما هو عادة مشايخ الكعبة وركب ذلك المحط ونزل قنديلا وفك تلك الاعواد وعفس ذلك القنديل ووضع فى كمه الواسع ثم أذن للناس بالدخول الى البيت الشريف وما كان يحمله على ذلك غير فقره واحتياجه تجاوز الله عنه وافتقد مرة أمير من أمراء جدة قنديلا كان علقه قريبا فى البيت الشريف فتكلم على ذلك الشيخ وأراد اهانته فلم يقدر على ذلك وتكلم

الناس عليه وكان يقول المحافظة على بنية الانسان أوجب من المحافظة على قناديل معلقة فى الكعبة لا ينفعها تعليقه ولا يضرها فقده وقد وصلنا الى حد المخمصة فتعذر فى ذلك ان وقع فعله منا * والبيت الشريف الآن ولله الحمد والشكر فى غاية الصون فى أيام هذا الشيخ الموجود الآن لعفته وأمانته وعلقت فى أيامه قناديل كثيرة أهداها الملوك الى الكعبة الشريفة وهى محفوظة معلومة عند الناس باقية يرونها فى سقف البيت الشريف فى أوقات فتح الكعبة لسائر الناس * وقد وصل فى وسط سنة أربع وثمانين وتسعمائة من الباب العالى الشريف السلطانى چاويش اسمه محمد چاويش كان قبل ذلك كاتبا للحرم الشريف على عمارة المسجد الحرام وكان توجه ببشارة اتمام المسجد الشريف الى الباب العالى السلطانى وهو رجل فى غاية الامانة والاستقامة وحسن الخدمة وفضيلة الكتابة وحسن الخط والمروءة وعلو الهمة سلمه الله تعالى فأقبلت عليه السلطنة الشريفة نصرها الله تعالى وأنعمت بأنواع الانعام والترقى وغير ذلك من الاكرام وأدخل فى عداد خواص چاوشية الباب العالى وأرسل الى الحرمين الشريفين بالخلع الشريفة السلطانية لمن باشر خدمة الحرم الشريف فى هذه العمارة أجلهم سيدنا ومولانا المقام الشريف العالى سيد السادات الاشراف صفوة الصفوة من شرفاء بنى عبد مناف السيد الشريف الحسيب النسيب المستغنى بشرف ذاته عن التوصيف والتلقيب بدر الدنيا والدين حسن بن أبى غى خلد الله دولتهما وسعادتهما وأدام عزهما وسيادتهما وكذلك شيخ مشايخ الاسلام سيد العلماء الاعلام ونسل الفضلاء الكرام ناظر المسجد الحرام ومدرس أعظم سلاطين الانام صفوة آل سيد المرسلين عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام وقاضى المدينة المنورة سابقا بدر الملة والدين مولانا السيد حسين الحسينى المكى المكين لازال حرم الله الامين مشمولا فى أيام نظارته بالعز والتمكين وأهل الحرمين الشريفين غارقين فى بحر احسانه كل وقت وحين وكذلك لقاضى مكة المشرفة يومئذ أقضى قضاة المسلمين أولى ولاة الموحدين معدن الفضل واليقين وارث علوم الانبياء والمرسلين مولانا مصلح الدين لطفى بك زاده ذكره الله بالصالحات وأفاض عليه سوابغ الخيرات وكذلك أمير العمارة الشريفة افتخار الامراء العظام معمر المسجد الحرام الامير احمد وفقه الله وسدد وأكرمه وأسعد وجهزت السلطنة الشريفة نصر الله تعالى بها الاسلام وأيد تأييد هادين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام مع الچاويش المشار اليه ثلاثة قناديل من الذهب مرصعة بالجواهر ليعلق اثنان منها فى سقف بيت الله تعالى زاده الله تعالى تشريفا وتعظيما والثالث فى الحجرة الشريفة تجاه الوجه الشريف النبوى تعظيما لسيد الأنام وقال

على ذلك الوجه المليح تحية * مباركة من ربنا وسلام

فلما وصل محمد چاويش الى مكة المشرفة شرفها الله تعالى عافى يده من الخلع والتشاريف والقناديل المعظمة قوبل بغاية التعظيم والاجلال وعومل بنهاية الاحترام والاقبال وألبس الخلع الشريفة الفاخرة وأنعم عليها بالضيافات والانعامات الوافرة وحضر الى المسجد الحرام بنفسه النفيسة سيدنا ومولانا المقام الشريف العالى السيد حسن المشار اليه حضرته العالية أدام الله عزه واقباله ومعه أكابر السادة الاشراف وجلس فى الحطيم الكريم تجاه بيت الله المنيف ومعه سيدنا ومولانا ناظر حرم الله تعالى شيخ مشايخ الاسلام السيد القاضى حسين الحسنى الموسى اليه خلد الله عظمته واجلاله عليه وباقى من ذكر وسائر الاعيان والاهالى وكافة العلماء والفقهاء والموالى واجتمعت الناس حول الكعبة الشريفة

وامتلأ الحرم الشريف بذلك الموكب المنيف وفتح باب بيت الله تعالى وأحضرت الخلع الشريفة السلطانيه والقناديل السنية الخاقانيه وقرئت المراسيم الشريفة المطاعة فى الاقطار والجهات فوق منبر لطيف بصوت جهورى يسمعه الخاص والعام وألبس سيدنا ومولانا السيد حسن نصره الله تعالى خلعتين فاخرتين ثم مولانا ناظر الحرم الشريف ثم من كان له خلعة من السلطنة ثم طاف مولانا وسيدنا السيد حسن بالبيت بخلعته على المعتاد والرئيس المؤذن يدعو للسلطنة الشريفة وله بعلو زمزم على العادة والناس كلهم رافعون اصواتهم بالدعاء والتأمين الى أن فرغ سيدنا ومولانا من الطواف ودعا بالملتزم الشريف ثم صلى ركعتى الطواف فى مقام ابراهيم عليه السلام ثم طلع هو ومولانا ناظر الحرم الشريف وبقية الاعيان الى باب بيت الله تعالى ودخلوا الكعبة وأحضرت القناديل الشريفة واختاروا لها مكانا عاليا يقع نظر الداخل الى البيت الشريف فى أول دخوله الى الكعبة المعظمة عليها وأحضر سلما يصعد عليه فعلقها سيدنا ومولانا السيد حسن بيده الشريفة تعظيما لامر السلطنة العلية المنيفة وقرئت الفواتح فى الكعبة الشريفة وحولها ودعت الناس أجمعون ورفعت أصواتهم وهم الى الله تعالى يتضرعون بدوام دولة هذا السلطان الاعظم سلطان سلاطين العالم خلد الله تعالى خلافته الزاهره وأيد أيام سلطنته القاهره وجمع له بين سعادتى الدنيا والآخرة ثم انفض ذلك المجلس العظيم وانقضى ذلك الموكب الشريف الوسيم وكان يوما شريفا مشهودا ووقتا مباركا ميمنا مسعودا رقمته الليالى والايام فى صفحات أوراقها وأثبتته فى جرائد دفاترها واطباقها

واغا المرء حديث بعده * فكن حديثا حسنا لمن روى

ثم توجه محمد چاويش بالقنديل الذى بقى معه الى المدينة المنورة ووصل الى تلك الروضة الشريفة المطهرة واجتمعت له أكابر المدينة الشريفة وأعيانها وعلماؤها وصلحاؤها وأركانها وشيخ حرمها ونوابها ومن له شأن وقدر من مجاوريها وسكانها وعمل موكب شريف فى الحرم الشريف النبوى وفتحت الحجرة الشريفة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وعلق ذلك القنديل تجاه وجه النبى صلى الله عليه وسلم وقرئت الفواتح وحصل الدعاء من جيران سيد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام بدوام دولة هذا السلطان الاعظم سلطان سلاطين العالم خلد الله تعالى ملكه السعيد وأبد معدلته وفضله واحسانه المزيد فالله يطيل عمره ويسعده ويوفقه للخيرات ويرشده ويسوقه الى الباقيات الصالحات من أعمال الخير ويسدده وهو أول من علق قناديل الذهب فى الحرمين الشريفين من سلاطين آل عثمان خلد الله تعالى سلطنتهم وأبد دولتهم الى انتهاء الزمان وقد سبق بهذه المنقبة الشريفة آباءه السلاطين العظام وفاق بهذه المزية آباءه وأجداده الكرام لازال فائقا سلاطين العالم وخلفائها وراقيا باقدام اقدام عزمه ملوك الدنيا وعظمائها

هو العادل الظلام للمال والعدا * خزائنه قد أقفرت وديارها
عليهم بنور الله ينظر قلبه * فلم يغن اسرار القلوب استتارها
به دمر الله الصليب وأهله * به مملة الاسلام عال منارها
فلازالت الأفلاك تجرى بنصره * ولازال عنه قطبها ومدارها

﴿فصل فى ذكر كسوة الكعبة الشريفة قديما وحديثا وحكم بيعها وشرائها والتبرك بها﴾ ذكر الأزرقى وابن جريج رحمهما الله تعالى ان أول من كسى الكعبة تبع الحميرى من ملوك اليمن فى الجاهلية تعظيما

لها واسم هذا التبع أسعد وانه رأى فى منامه أن يكسو الكعبة فكساها الانطاع * ثم رأى انه يكسوها فكساها من حبر اليمن وجعل لها بابا يغلق وقال أسعد فى ذلك

وكسونا البيت الذى حرم الله مالا معصبا وبرودا
وأقمنا منه الى حيث كنا * ورفعنا لواءنا المعقودا

قال الازرقى أيضا حدثنى سعيد بن سالم عن ابن جريج عن ابن مليكة قال كان يهدى للكعبة هدايا شتى فاذا بلى شئ منها جعل فوقه ثوب آخر ولا ينزع مما عليها شئ * وكانت قريش فى الجاهلية ترافد فى كسوة البيت فيضربون على القبائل بقدر احتمالهم من عهد قصى بن كلاب حتى نشأ أبو ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم وكان مثريا يتجر فى المال فقال لقريش أنا اكسو الكعبة وحدى سنة وجميع قريش سنة وكان يفعل ذلك الى أن مات فسمته قريش العدل لانه عدل قريشا وحده فى كسوة البيت الشريف ويقال لبنيه بنو العدل وقال أيضا أخبرنى محمد بن يحيى عن الواقدى عن اسماعيل بن ابراهيم بن أبى حبيشة عن أبيه قال كسى النبى صلى الله عليه وسلم البيت الثياب اليمانية ثم كساه عمر وعثمان رضى الله عنهما القباطى وكان يكسى كل سنة كسوتين فيكسو أولا الديباج قميصا يدلى عليها يوم التروية ولا يخاط ويترك الازار حتى يذهب الحاج لئلا يخرقونه فاذا كان الى عاشوراء علقوا عليها الازار وأوصلوه بالقميص الديباج فلا يزال عليها الى يوم السابع والعشرين من شهر رمضان فيكسوها الكسوة الثانية وهى من القباطى * فلما كان أيام خلافة المأمون أمر أن تكسى الكعبة ثلاث مرات فتكسى الديباج الاحمر يوم التروية وتكسى القباطى أول رجب وتكسى الديباج الابيض فى عيد رمضان واستمر على ذلك ثم أنهى اليه أن الازار الذى تكسى به الكعبة فى العاشوراء ويلصق بالقميص الديباج الاحمر الذى يكسى به يوم التروية لا يصبر الى تمام السنة وانه يحتاج أن يجدد لها ازارا على عيد رمضان مع قميص الديباج الابيض الذى تكسى به على العيد فأمر أن تكسى ازارا آخر فى عيد رمضان ثم بلغ المتوكل على الله ان الازار يبلى قبل شهر رجب من كثرة مس أيادى الناس فزادها ازارا وأمر باسبال قميص الديباج الاحمر الى الارض ثم جعل فوقه فى كل شهرين ازارا وذلك فى سنة أربعين ومائتين * ثم بعد الخلفاء العباسيين وأيام وهنهم وضعفهم كانت كسوة الكعبة الشريفة تارة من قبل سلاطين مصر وتارة من قبل سلاطين اليمن بحسب قوتهم وضعفهم الى ان استقرت الكسوة الشريفة من سلاطين مصر الى ان اشترى السلطان الملك الصالح ابن السلطان الملك الناصر قلاوون قريتين بمصر ووقفهما على عمل كسوة الكعبة الشريفة اسمهما بيسوس وسندبيس * ثم استقرت سلاطين مصر من بعده ترسل كسوة الكعبة فى كل عام وكانوا يرسلون عند تجدد كل سلطان مع الكسوة السوداء التى تكسى من ظاهر البيت الشريف كسوة حمراء لداخل البيت الشريف وكسوة خضراء للحجرة الشريفة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام مكتوب على كل من الكسوة السوداء والحمراء والخضراء لا اله الا الله محمد رسول الله دالات فى قلب دالات وقد تزاد فى حواشى تلك الدالات آيات أخر مناسبة أو اسماء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو تترك ساذجة بحسب ما يؤمر النساج به فلما آلت سلطنة ممالك العرب الى سلاطين آل عثمان خلد الله تعالى أيام سلطنتهم القاهرة ما دام الدوران وأقام الزمان وأخذ المرحوم المقدس السلطان سليم خان ابن السلطان بايزيد خان عليه الرحمة والرضوان مملكة العرب من الجراكسة بالسيف والسنان جهزت كسوة المدينة الشريفة على ما جرت به العادة

وامر

وأمر باستمرار الكسوة السوداء للكعبة الشريفة على الوجه المعتاد * ولما آلت السلطنة الى المرحوم المغفور له السلطان سليمان خان أمر باستمرار الكسوة الشريفة على عوائدها السابقة ثم ان قريتي بيسوس وسندبيس الموقوفتين على كسوة الكعبة الشريفة خربتا وضعف ريعهما عن الوفاء بمصروف الكسوة فأمر أن تكمل من الخزائن السلطانية بمصر ثم اضاف الى تلك القريتين الموقوفتين قرى أخر وقفها على كسوة الكعبة الشريفة فصار وقفا عامرا فائضا مستمرا وذلك من أعظم مزايا السلاطين العظام التي يفتخرون بها على ملوك الانام ولا يصل الى ذلك الا أعظم السلاطين الفخام وهي الآن من مخصوصات سلاطين آل عثمان الكرام زين الله بمزاياهم اجياد الليالي والايام وخلد ذكر محاسنهم في صفحات دفاتر الدهر الى يوم القيامة ان شاء الله الملك العلام * وأما نزع كسوة الكعبة الشريفة وتقسيمها بين الناس * فقد ذكر الازرقي رحمه الله تعالى قال حدثني جدي عن مسلم بن خالد عن أبي نجيح عن أبيه ان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان ينزع كسوة البيت في كل سنة فيقسمها على الحاج وقال ايضا حدثني جدي حدثنا عبد الجبار بن الورد المكي قال سمعت ابن أبي مليكة يقول كان على الكعبة الشريفة من كسوة الجاهلية ما بعضها فوق بعض فكلما كسيت في الاسلام من بيت المال خففت عنها تلك الكساوى شيأ فشيأ * وكان أول من ظاهر لها بكسوتين عثمان بن عفان رضي الله عنه فلما كان أيام معاوية بن أبي سفيان كساها الديباج مع القباطي ثم انه بعث اليها بكسوة ديباج وقباطي وحبر وأمر شيبة بن عثمان أن يجرد الكعبة عن الكساوى ويخلقها بالطيب ويلبسها ما جهزه اليها فجردها وطيبها وطيب جدرانها بالخلوق وكساها تلك الكسوة التي بعث بها معاوية وقسم الثياب التي كانت عليها بين أهل مكة وكان سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما حاضرا في المسجد الحرام فما أنكر ذلك ولا كرهه قال وكان شيبة يكسوها منها حتى رأى على امرأة حائض من كسوتها فأنكر ذلك عليها وقال أيضا حدثني محمد بن يحيى عن الواقدي عن عبد الحكيم بن أبي فروة عن هلال بن اسامة عن عطاء بن يسار قال قدمت مكة معتمرا فجلست الى عبد الله في منعة زمزم وشيبة بن عثمان يجرد الكعبة ورأيته يخلق جدورها ويطيبها ورأيت ثيابها التي جردها عنها قد وضعت بالارض ورأيت شيبة بن عثمان يومئذ يقسمها فلم أر ابن عباس أنكر شيأ من ذلك مما صنع شيبة بن عثمان وقال أيضا حدثني جدي حدثنا ابراهيم بن محمد بن أبي يحيى حدثنا علقمة عن أمه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ان شيبة بن عثمان دخل عليها وقال لها يا أم المؤمنين تكثر ثياب الكعبة عليها فنجردها عن خلقانها ونحفر لها حفرة تدفن فيها ما بلي منها كيلا يلبسها الحائض والجنب فقالت له عائشة رضي الله عنها ما أصبت فيما فعلت فلا تعد الى ذلك فان ثياب الكعبة اذا نزعت عنها لا يضرها من لبسها من حائض ولكن بعها واجعل ثمنها في سبيل الله تعالى وابن السبيل ومذهب علمائنا رضي الله عنهم في ذلك رجوع أمره الى السلطان * قال الامام فخر الدين قاضي خان رحمه الله تعالى في كتاب الوقف من فتاواه ديباج الكعبة اذا صار خلقا يبيعه السلطان ويستعين به في أمر الكعبة لأن الولاية فيه للسلطان لا لغيره * وفي تتمة الفتاوى عن الامام محمد رحمه الله تعالى في ستر الكعبة يعطى منه انسان فان كان شيء له ثمن لا يأخذه وان لم يكن له ثمن فلا بأس قال الامام نجم الدين الطرسوسي في منظومته

وما على الكعبة من لباس * ان رث جاز بيعه للناس

ولا يجوز أخذه بلا شرا * للاغنيا لا ولا للفقرا

وقال الامام الفقيه أبو بكر الحدادى فى السراج الوهاج لايجوز قطع شئ من كسوة الكعبة ولا نقله ولا بيعه ولا شراؤه ولا وضعه بين أوراق المصحف ومن حمل شيأ من ذلك فعليه رده ولا عبرة بما يتوهمه انهم يشترون ذلك من بنى شيبة فانهم لا يملكونه * فقد روى عن ابن عباس وعائشة انهما قالا لا يبيع ذلك ويجعل ثمنه فى سبيل الله تعالى انتهى * وقد ورد فى الحديث لولا حداثة قومك بكفر لأنفقت كنز الكعبة فى سبيل الله قال القرطبى من علماء المالكية رحمه الله تعالى كنز الكعبة المال المجتمع مما يحلى به من الذهب والفضة لان حليتها حبس عليها لحصرها وقناديلها لا يجوز صرفها فى غيرها انتهى فعلى قول القرطبى يكون كسوتها أيضا حبسا عليها لحصرها وقناديلها فلا يملكها انتهى وقال الزركشى من علماء الشافعية رحمهم الله تعالى فى قواعده قال ابن عبدان امتنع من بيع كسوة الكعبة وأوجب رد من حمل منها شيأ وقال ابن الصلاح مفوض الى رأى الامام والذى يقتضيه القياس ان العادة استمرت قديما بأنها تبدل كل سنة وتأخذ بنو شيبة تلك العتيقة فيتصرفون فيها بالبيع وغيره والذى يظهر لى أن كسوة الكعبة الشريفة ان كانت من قبل السلطان من بيت مال المسلمين فأمرها راجع له يعطيها لمن شاء من الشيبيين أو غيرهم وان كانت من أوقاف السلاطين وغيرهم فأمرها راجع الى شرط الواقف فيها فهى لمن عينها له وان جهل شرط فيها عمل فيها بما جرت العوائد السابقة فيها كما هو الحكم فى سائر الاوقاف وكسوة الكعبة الآن من اوقاف السلاطين ولم يعلم شرط الواقف فيها وقد جرت عادة بنى شيبة انهم يأخذون لانفسهم الكسوة العتيقة بعد وصول الكسوة الجديدة فيبقون على عادتهم فيها والله تعالى أعلم * وللعلماء المتأخرين رسائل فى حكم كسوة الكعبة لم يتيسر لى الآن الوقوف على شئ منها

﴿الباب الثالث فى بيان ما كان عليه وضع المسجد الحرام فى ايام الجاهلية وصدر الاسلام وبيان ما احدث فيه من التوسع والزيادة فى زمان خلافة سيدنا امير المؤمنين عمر بن الخطاب ومن خلافة سيدنا عثمان بن عفان وزمن سيدنا عبد الله بن الزبير رضى الله عنهم وهدم عبد الله بن الزبير بناء قريش للكعبة واعادتها على قواعد ابراهيم عليه السلام ثم هدم الحجاج جانب الحجر والميزاب من الكعبة واعادتها على ما بنته قريش فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه الشريف﴾

اعلم ان الكعبة الشريفة لما بناها سيدنا ابراهيم عليه السلام لم يكن حولها دار ولا جدار احتراما للكعبة الشريفة فلما آل امر البيت الى قصى بن كلاب واستولى على مفتاح الكعبة كما تقدم بيانه جمع قصى قومه وامرهم ان يبنوا بمكة حول الكعبة الشريفة بيوتا من جهاتها الاربع وكانوا يعظمون الكعبة ان يبنوا حولها بيوتا أو يدخلوا مكة على جنابة وكانوا يقيمون بها نهارا فاذا أمسوا خرجوا الى الحل فقال لهم قصى ان سكنتم حول البيت هابتكم الناس ولم تستحل قتالكم والهجوم عليكم وبدأ هو وبنى دار الندوة فى الجانب الشامى كما تقدم بيانه ويقال انها مقام الحنفية الذى يصلى فيه الآن الامام الحنفى الصلوات الخمس وقسم قصى باقى الجهات بين قبائل قريش فبنوا دورهم وشرعوا أبوابها الى نحو الكعبة الشريفة وتركوا للطائفين مقدار المطاف الشريف بحيث يقال ان القدر المفروش الآن بالحجر المنحوت الى حاشية المطاف الشريف وجعلوا بين كل دارين من دورهم مسلكا شارعا فيه باب يسلك منه الى بيت الله تعالى ثم كبرت البيوت واتصلت الى زمن النبى صلى الله عليه وسلم فولد صلى الله عليه وسلم على اشهر الاقوال بشعب بنى هاشم بقرب المحل المسمى الآن بشعب على

وكان صلى الله عليه وسلم يسكن دار سيدة النساء ام المؤمنين خديجة الكبرى رضوان الله عليها ثم لما ظهر الاسلام وكثر المسلمون استمر الحال على ذلك الوضع فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وزمان خليفته أبى بكر الصديق رضى الله عنه ثم زاد ظهور الاسلام وتكاثرت المسلمون فى زمن امير المؤمنين عمر الفاروق رضى الله عنه فرأى انه يزيد فى المسجد الحرام فاول زيادة زيدت فى المسجد الحرام زيادته رضى الله عنه * فنبدأ بذكرها فنقول * روينا بالسند المتصل المذكور سابقا فى المقدمة عن الامام ابى الوليد الازرقى قال اخبرنى جدى قال اخبرنا مسلم بن خالد عن ابن جريج قال كان المسجد الحرام ليس عليه جدران تحيط به وانما كانت دور قريش محدقة به من كل جانب غير ان بين الدور ابوابا يدخل منها الناس الى المسجد الحرام * ولما كان زمان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وضاق المسجد بالناس ولزم توسيعه اشترى دورا حول المسجد وهدمها وأدخلها فى المسجد وبقيت دور احتيج الى ادخالها فى المسجد وأبى أصحابها من بيعها فقال لهم عمر رضى الله عنه أنتم نزلتم فى فناء الكعبة وبنيتم به دورا ولا تملكون فناء الكعبة وما نزلت الكعبة فى سوحكم وفنائكم فقومت الدور وجعل ثمنها فى جوف الكعبة ثم هدمت وأدخلت فى المسجد ثم طلب أصحابها الثمن فسلم اليهم ذلك وامر ببناء جدار قصير أحاط بالمسجد وجعل فيه أبوابا كما كانت بين الدور قبل ان تهدم جعلها فى محاذات الابواب السابقة * ثم كثر الناس فى زمان أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه فأمر بتوسعة المسجد واشترى دورا حول المسجد هدمها وادخلها فى المسجد وأبى جماعة عن بيع دورهم ففعل كما فعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهدم دورهم وأدخلها فى المسجد فضج أصحاب الدور وصاحوا فدعاهم وقال اغاجرأكم على حلمى عليكم الم يفعل ذلك بكم عمر رضى الله عنه فما جنح به أحد ولا صاح عليه وقد احتذيت حذوه فضجرتم منى وصحتم على ثم أمر بهم الى الحبس فشفع فيهم عبد الله بن خالد بن أسيد فتركهم ولم يذكر الازرقى رحمه الله متى كانت زيادة امير المؤمنين عمر بن الخطاب ولا زيادة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنهما * وذكر ابن جرير الطبرى وابن الاثير الجوزى فى تاريخهما ان زيادة امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه كانت فى سنة سبع عشرة من الهجرة بتقديم السين وان زيادة امير المؤمنين عثمان بن عفان فى سنة ست وعشرين من الهجرة * اقول زيادة امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعمارته للمسجد كانت عقب السيل العظيم سنة سبع عشرة من الهجرة وتخريبه معالم الحرم الشريف ويقال لذلك السيل سيل ام نهشل * قال شيخ شيوخنا حافظ عصره الشيخ عمر بن الحافظ التقى محمد بن فهد الهاشمى العلوى رحمهم الله تعالى فى كتاب اتحاف الورى باخبار ام القرى فى حوادث سنة سبع عشرة فيها جاء سيل عظيم يعرف بسيل ام نهشل من أعلى مكة من طريق الردم فدخل المسجد الحرام واقتلع مقام ابراهيم من موضعه وذهب به حتى وجد بأسفل مكة وعين مكانه الذى كان فيه لما عفاه السيل فأتى به وربط بلصق الكعبة فى وجهها وذهب السيل بام نهشل بنت عبيدة ابن سعد بن العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب فماتت فيه واستخرجت بأسفل مكة وكان سيلا هائلا فكتب بذلك الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو بالمدينة الشريفة فأهاله ذلك وركب فزعا الى مكة فدخلها بعمرة فى شهر رمضان فلما وصل الى مكة وقف على حجر المقام وهو ملصق بالبيت الشريف ثم قال انشد الله عبدا عنده علم فى هذا المقام فقال المطلب بن ابى وداعة السهمى رضى الله عنه انا يا امير المؤمنين عندى علم ذلك فقد كنت اخشى عليه مثل هذا الامر

فأخذت قدره من موضعه الى باب الحجر ومن موضعه الى زمزم بعقاط وهي عندي في البيت فقال له عمر رضي الله عنه اجلس عندي وارسل اليها من يأتي بها فجلس عنده وارسل اليها فأتى بها فقيس ووضع حجر المقام في هذا المحل الذي هو فيه الآن واحكم ذلك واستمر الى الآن قال وفيها وسع امير المؤمنين رضي الله عنه الردم الذي بأعلى مكة صونا للمسجد وبناه بالصفائر والصخر العظام وكبسه بالتراب فلم يعلم سيل بعد ذلك غير انه جاء سيل عظيم في سنة اثنتين ومائتين فكشف عن بعض أحجاره وشوهدت فيه صخار عظيمة كبيرة لم ير مثلها والاقدمون يسمون هذا الردم ردم بني جمح بضم الجيم وفتح الميم وبعدها حاء مهملة وهم بطن من قريش نسبوا الى جمح بن عمرو بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك * اقول المراد بهذا الردم الموضع الذي يقال له الآن المدعا وهو ما كان يرى منه البيت الشريف اول ما يرى وكان الناس يرونه خصوصا من يريد الحج من ثنية كداء وهي الحجون اذا وصلوا هذا المحل شاهدوا منه البيت الشريف والدعاء مستجاب عند رؤية بيت الله تعالى وكانوا يقفون هناك للدعاء واما الآن فقد حالت أبنية عن رؤية البيت الشريف ومع ذلك يقف الناس للدعاء فيه على العادة القديمة وعن يمينه ويساره ميلان للاشارة الى انه المدعا * قال مولانا القاضي جمال الدين محمد ابو البقاء بن الضياء الحنفي في كتاب البحر العميق في مناسك الحج الى بيت الله العتيق انه كان يرى في زمانه رأس الكعبة لا كلها من رأس الردم يعني المدعا فاذا ظهر له يقف ويدعو ويسأل الله حوائجه فان الدعاء مستجاب عند رؤية البيت * ونقل حافظ الدين النسفي في المنافع عن صاحب الهداية رحمهما الله تعالى انه استوصى عن شيخ سماه له فقال له اذا وصلت المدعا من كداء ورأيت الكعبة فادع الله تعالى ان يجعلك مستجاب الدعاء لمن قال ان من زارها ودعا كانت دعوته مستجابة انتهى * وكان القاضي ابو البقاء بن الضياء المذكور في أواسط المائة التاسعة ووفاته في سنة اربع وخمسين وثمانمائة ولا شك ان من عهد الصحابة رضي الله عنهم الى زمانه كان الناس يقفون ويدعون عنده لمشاهدتهم الكعبة ولا اعلم هل وقف النبي صلى الله عليه وسلم ام لا وكان ذلك المحل غير مرتفع في عهده صلى الله عليه وسلم ومارفعه الا سيدنا عمر رضي الله عنه بالردم الذي بناه فارتفع عن الارض فصار البيت الشريف يشاهد منه حينئذ فوقف الناس عنده بعد ذلك لمشاهدة البيت الشريف منه ولكني انظر في جميع عمري في المدعا يوقف فيه تبركا فالائق استمرار وقوف الناس بهذا المحل الشريف والدعاء فيه تبركا بوقوف من سلف للدعاء فيه والله تعالى اعلم * ولما ردم هذا المكان صار السيل اذا وصل من أعلى مكة لا يعلو هذا المكان بل كان ينحرف عنه الى جهة الشمال للبناء الذي بناه عمر رضي الله عنه فلا يصل هذا السيل الى المسعى ولا الى باب السلام الى الآن وصارت هذه الجهة من يومئذ الى اثناء هذا مرتفعة عن عمر السيل وصار السيل الكبير كله ينحدر الى جهة سوق الليل ويمر بالجانب الجنوبي من المسجد الى ان يخرج من اسفل مكة وهذا السيل وادي ابراهيم ويكاد يمنع جريان هذا السيل الى مكة سيل آخر يعترضه يسمى سيل جياد ويمر عرضا الى ان يصدم الركن اليماني من المسجد وينحرف الى أسفل مكة وقوة جريان هذا السيل يمنع من جريان سيل وادي ابراهيم فيقف ويتراكم ويدخل المسجد الحرام ويقع مثل هذه السيول بمكة في كل عشرة اعوام تقريبا مرة فيدخل المسجد الحرام ويحتاج الناس الى التنظيف وتبديل الحصا ونحو ذلك وقد عمل المتقدمون والمتأخرون لذلك طرقا واهتموا لذلك غاية الاهتمام فاندثرت اعمالهم لطول الزمان ولم يتفطن الملوك بعدهم لذلك فاستمرت السيول العظيمة بعد كل مرة تدخل المسجد ولسنا الآن بصدد شرح ذلك * واما زيادة امير المؤمنين عثمان رضي

الله عنه في المسجد الحرام * فقد ذكرها الامام أقضى القضاة الماوردي في كتابه الاحكام السلطانية وغيره من الائمة المعتمدين رحمهم الله تعالى وفي كلام بعضهم زيادة على بعض فقالوا اما المسجد الحرام فكان فناء حول الكعبة وفضاء للطائفين ولم يكن له على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر رضي الله عنه جدار يحيط به وكانت الدور محيطة به وبين الدور وابواب تدخل الناس من كل ناحية فلما استخلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكثر الناس وسع المسجد واشترى دورا وهدمها وزادها فيه واتخذ للمسجد جدارا قصيرا وكانت المصابيح توضع عليه * وكان عمر رضي الله عنه اول من اتخذ الجدار للمسجد الحرام فلما استخلف عثمان رضي الله عنه ابتاع منازل ووسعه بها ايضا وبنى المسجد الحرام والأروقة فكان عثمان أول من اتخذ للمسجد الاروقة انتهى * قال الحافظ النجم عمر بن فهد في تاريخه في حوادث سنة ست وعشرين فيها اعتمر أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه من المدينة فأتى ليلا فدخل فطاف وسعى وامر بتوسيع المسجد الحرام فذكر ما قدمناه قال وجدد أنصاب الحرم وكلم اهل مكة عثمان رضي الله عنه ان يحول الساحل من الشعيبة وهي ساحل مكة قديما في الجاهلية الى ساحلها اليوم وهي جدة لقربها من مكة فخرج عثمان رضي الله عنه الى جدة ورأى موضعها وأمر بتحويل الساحل اليها ودخل البحر واغتسل فيه وقال انه مبارك وقال لمن معه ادخلوا البحر للاغتسال ولا يدخله احد الا بمئزر ثم خرج من جدة على طريق عسفان الى المدينة وترك الناس ساحل الشعيبة من ذلك الزمان واستمرت جدة بندر الى الآن لمكة شرفها الله تعالى وهي على مرحلتين طويلتين من مكة بسير الاثقال تستوعب احداهما الليل كله في أيام اعتدال الليل والنهار وتزيد المرحلة الثانية على جميع الليل بشيء قليل واما الراكب المجد والساعي على قدميه يقطعهما في ليلة واحدة وما رأيت من علمائنا من صرح بجواز القصر فيها بل رأيت من أدركت من مشايخي الحنفية كانوا يكملون الصلاة فيها وأما أنا فأرى القصر فيها الآن مدة القصر عندنا ثلاث مراحل يقطع كل مرحلة في أكثر من نصف النهار من أقصر الايام بسير الاثقال وهاتان المرحلتان تكونان على هذا الحساب ثلاث مراحل فأزيد * ثم رأيت في موطأ الامام مالك رضي الله عنه حديثا صحيحا يدل على صحة ما جنحت اليه صورته عن مالك أنه بلغه أن ابن عباس كان يقصر الصلاة في مثل ما بين مكة والطائف وفي مثل ما بين مكة وعسفان وفي مثل ما بين مكة وجدة والله اعلم ﴿ثم وقعت زيادة عبد الله بن الزبير رضي الله عنه﴾ وهو صحابي بن صحابي ابوه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وامه اسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ذات النطاقين وخالته عائشة الصديقة أم المؤمنين رضي الله عنها * ولد بالمدينة بعد عشرين شهرا من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وهو أول مولود للمهاجرين بعد الهجرة وفرح المسلمون بولادته فرحا شديدا الا ان اليهود زعموا انهم سحروا المسلمين فلا يولد لهم ولد وحنكه رسول الله صلى الله عليه وسلم بتمرة لاكها وسماه عبد الله وكناه ابا بكر باسم جده الصديق رضي الله عنه وكان صواما قواما طويل الصلاة وصولا للرحم عظيم الشجاعة قويا قسم الليالي الى ثلاث فليلة يصلي قائما الى الصبح وليلة يصلي ويستمر راكعا الى الصبح وليلة يصلي ويستمر ساجدا الى الصبح وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثين حديثا * وكان من ابى البيعة ليزيد وفر الى مكة وأطاعه أهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان ولم يخرج عن طاعته الا أهل مصر والشام فانهم بايعوا يزيد فلما هلك أطاع أهلها عبد الله بن الزبير ثم خرج مروان بن الحكم فتغلب على مصر والشام الى أن ولى عبد الملك فجهز جيشا كثيفا على ابن الزبير وامر الحجاج عليهم ابن يوسف الثقفي فحاصره ورمى عليه بالمنجنيق وخذل ابن الزبير اصحابه فخرج

ابن الزبير وحده وقاتل قتالا عظيما الى أن استشهد رضى الله عنه فى سنة ثلاث وسبعين من الهجرة وانشد فيه النابغة الجعدى

حكيت لنا الصديق لما وليتنا * وعثمان والفاروق فارتاح معدم
وسويت بين الناس فى الحق فاستوى * وعاد صباحا حالك الليل أسحم

وكان لما حاصره الحصين بن نمير فى عسكر جهزه يزيد عليه التجأ الى المسجد الحرام فنصب عليه المجانيق وأصاب بعض حجارة الكعبة فتهدم بعض جدرانها واحترق بعض أخشابها وكسوتها وانهزم الحصين بعسكره لهلاك يزيد وبلوغ خبر نعيه فرأى عبد الله بن الزبير أن يهدم الكعبة ويحكم بناءها ويبنيها على قواعد ابراهيم عليه السلام لما سمعه من حديث عائشة لولا أن قومك حديثو عهد بشرك لهدمت الكعبة فألزقتها بالأرض ولجعلت لها بابا شرقيا وبابا غربيا وزدت فيها ستة أذرع من الحجر فان قريشا استقصرتها حين بنت الكعبة فان بدا لقومك من بعدى أن يبنوه فهلمى لأريك ما تركوا منه فأراها نحوا من سبعة أذرع أخرجه الشيخان فى صحيحيهما * وفى رواية مسلم عن عطاء قال قال ابن الزبير انى سمعت عائشة رضى الله عنها تقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لولا أن الناس حديثو عهد بكفر وليس عندى من النفقة ما يقوى على بنائه لكنت أدخلت فيه من الحجر خمسة اذرع فاستشار عبد الله بن الزبير من بقى من الصحابة رضى الله عنهم فى ذلك فمنهم من أبى ومنهم من وافقه على ذلك فصمم وأقدم على ذلك ﴿ولما أراد هدم البيت الشريف ليجدد بناءه﴾ خرج أهل مكة خوفا فتأخر العمال عن ذلك فأرقى عبد الله بن الزبير عبدا دقيق الساقين وعبيد الله من الجيوش يهدمونها رجاء ان يكون فيهم الحبشى الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة * قال الامام عبد الله بن أسعد اليافعى رحمه الله فى تاريخه مرآة الجنان أراد عبد الله بن الزبير ان يجعل الطين الذى يبنى به الكعبة من الورس فقيل له انه لا يستمسك به البنيان كما يستمسك بالجص فارسل الى صنعاء اليمن طلب منها جصا نظيفا محكما فأتوا به فبنى به الكعبة اه ﴿فلما أكملوا هدمها﴾ كشف منها عن أساس ابراهيم عليه السلام فوجد الحجر داخلا فى البيت فبنى البيت على ذلك الاساس وكان أدار سترا على فناء البيت وكان البناءون يبنون من وراء ذلك الستر والناس يطوفون من خارج فادخل الحجر فى البيت وألصق باب الكعبة بالارض ليدخل الناس منه وفتح لها بابا غربيا فى مقابلة هذا الباب ليخرج الناس منه كما كان عليه لما جددت قريش الكعبة قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم وعمره الشريف خمسة وعشرون سنة وكانت النفقة قصرت بقريش لما بنوا الكعبة يومئذ فأخرجوا الحجر من البيت وجعلوا عليه حائطا قصيرا على انه من الكعبة فأزال عبد الله بن الزبير ذلك الوضع وأعادها على ما كانت عليه زمن الجاهلية وهى على قواعد ابراهيم عليه السلام وكان طول الكعبة قبل قريش تسعة أذرع فلما أكمل عبد الله بن الزبير طولها ثمانية عشر ذراعا عرضية لا طول لها فزاد فى طولها تسعة أذرع فصار طولها فى السماء سبعة وعشرين ذراعا * ولما فرغ من بنائها * طيبها بالمسك والعنبر داخلا وخارجا من أعلاها الى أسفلها وكساها بالديباج وبقيت من الحجارة بقية فرشها حول البيت الشريف نحوا من عشرة أذرع * وكان فراغه من عمارة البيت الشريف فى سابع عشر رجب سنة اربع وستين من الهجرة فخرج الى التنعيم هو وأهل مكة معتمرين شكرا لله تعالى ونحر مائة بدنة وذبح كل أحد على قدر وسعه وجعلوا ذلك اليوم عيدا مشهودا وبقيت هذه العمرة سنة عند

أهل مكة الى اليوم يجتمعون الى الاعتمار فيه ولا يكادون يتخلفون عن الاعتمار فى هذا اليوم فى كل عام ويأتون من البر بقصد هذه العمرة وكان اعتناء الناس بهذه العمرة قبل الآن أكثر وأعظم من الآن بحيث يقال ان صاحب الينبع يومئذ السيد قتادة بن ادريس بن الحسنى جد سادات نقا الاشراف ولاة مكة الآن أدام الله تعالى عزهم وسعادتهم لما علم من أمر امكة يومئذ وهم طائفة أخرى من بنى حسن يقال لهم الهواتم لانهم ملك على اللهو واللذات وكثر الظلم من عبيدهم على الناس واستيلاء الغرور عليهم ونفرت القلوب عنهم وعدم توجههم الى أحوال البلد ارتقب الشريف قتادة اليوم السابع والعشرين من رجب واغتنم الفرصة لاشتغال أهل مكة بهذه العمرة وخروجهم بتجملاتهم الى التنعيم فهجم بعبيده وذويه ودخل مكة وهى يومئذ مسورة وولاتها من حسن الهواشم آخرهم الشريف محمد بن عيسى بن فليتة ففر بمن معه الى جهات اليمن وتمكن السيد قتادة من البلاد وذلك فى سنة تسع وتسعين وخمسمائة واستمرت الولاية فى ولده الى الآن والى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين وفى سنة أربع وسبعين من الهجرة كتب الحجاج الى عبد الملك بن مروان يذكر له ان عبد الله بن الزبير زاد فى الكعبة ما ليس منها وأحدث فيها بابا آخر فكتب اليه عبد الملك ان يعيدها على ما كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فهدم الحجاج من جانبها الشامى قدر ستة أذرع وشبرا وبنى ذلك الجدار على أساس قريش وكبس أرضها بالحجارة التى فضلت ورفع الباب الشرقى وسد الباب الغربى وترك سائرها ولم يغير منها شيأ فهى الآن جوانبها الثلاثة من بناء عبد الله بن الزبير والجانب الرابع الشامى بناء الحجاج وهو ظاهر الانفصال من بناء عبد الله بن الزبير * فلما فرغ الحجاج من ذلك وفد عبد الملك ابن مروان وحج فى ذلك العام ومعه الحارث بن عبد الله بن ربيعة المخزومى وهو من ثقات الرواة فتحادثا فى أمر الكعبة فقال عبد الملك ما أظن ابن الزبير سمع من عائشة ما كان يزعم انه سمع منها فى أمر الكعبة فقال الحارث أنا سمعت ذلك من عائشة رضى الله عنها انها تقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قومك استقصروا فى بناء البيت ولولا حدثان عهد قومك بالكفر أعدت فيه ما تركوا منه وأعدته على ما كان عليه فى زمن ابراهيم فان بدا لقومك ان يبنوه فهلمى لأريك ما تركوا منه فأراها قريبا من سبعة أذرع قال صلى الله عليه وسلم وجعلت لها بابين موضوعين على الأرض بالشرقى يدخل الناس منه وبالغربى يخرج الناس منه فقال عبد الملك انت سمعتها تقول ذلك قال نعم سمعت هذا منها قال فجعل ينكت بقضيب فى يده منكسا ساعة طويلة ثم قال وددت والله انى تركت ابن الزبير وما تحمل من ذلك ذكره النجم بن فهد رحمه الله تعالى وقد ذكرنا ذلك جميعه بالاستطراد لاشتماله على الفوائد المهمة والحديث مشهور رجعنا الى ما نحن بصدده فى ذكر زيادة سيدنا عبد الله بن الزبير فى المسجد الحرام * وبسندنا المتقدم ذكره متصلا مرفوعا الى الامام أبى الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد الازرقى قال حدثنى جدى قال كان المسجد الحرام محاطا بجدار قصير غير مسقف وكان الناس يجلسون حول الكعبة بالغداة والعشى يتتبعون الافياء فاذا قلص قامت المجالس * قال وحدثنا جدى حدثنا عبد الرحمن بن الحسن ابن القاسم بن عقبة عن أبيه قال زاد عبد الله بن الزبير فى المسجد الحرام واشترى دورا وأدخلها الى المسجد وكان مما اشترى بعض دار جدنا الازرقى وكانت لاصقة بالمسجد الحرام وبابها شارع على باب بنى شيبة على يسار الداخل الى المسجد وكانت دارا كبيرة اشترى بعضها ببضعة عشر ألف دينار وأدخلها المسجد الحرام وكتب لنا الى أخيه مصعب بن الزبير بالعراق يدفع الينا قال فركب رجال منا الى العراق

فوجدوا مصعبا يقاتل عبد الملك بن مروان فلم يلبث الا يسيرا حتى قتل مصعب فرجعوا الى مكة فصار ابن الزبير يعدنا ويدافعنا حتى جاء الحجاج بن يوسف وحاصره وقتل ولم نأخذ منه شيأ * قال وذكر جدى انه سمع مشيخة أهل مكة يذكرون ان عبد الله بن الزبير سقف المسجد غير انهم لا يدرون أكله سقف أم بعضه قال ثم عمره عبد الملك بن مروان ولم يزد فيه لكنه رفع جدرانه وسقفه بالساج وعمره عمارة حسنة * قال وحدثنى جدى حدثنا سفيان بن عيينة عن سعيد بن فروة عن أبيه قال كنت على عمل المسجد فى زمان عبد الملك بن مروان فأمر أن يجعل فى رأس كل اسطوانة خمسين مثقالا من الذهب قال وروى جدى عن سفيان عن عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة عن زاذان بن فروح قال مسجد الكوفة تسعة أجربة ومسجد مكة سبعة أجربة وذلك فى زمان عبد الله بن الزبير ﴿ذكر عمارة الوليد ابن عبد الملك للمسجد الحرام﴾ قال شيخ شيوخنا الحافظ السيوطى رحمه الله تعالى كان الوليد جبارا ظالما أخرج أبو نعيم فى الحلية قال عمر بن عبد العزيز الوليد بالشام والحجاج بالعراق وعثمان بن حنارة بالحجاز وقرة بن يزيد بمصر امتلأت الارض والله جورا قال الحافظ السيوطى لكنه أقام الجهاد فى أيامه وفتحت فى دولته الفتوحات العظيمة كأيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه * وقال ابن أبى عبيدة وأين مثل الوليد افتتح الهند والأندلس وبنى مسجد دمشق وكتب بتوسيع المسجد النبوى وبنائه قال أبو الوليد الازرقى قال جدى عمر الوليد المسجد الحرام ونقض عمل عبد الملك وعمل عملا محكما وكان اذا عمل المساجد زخرفها وهو أول من نقل الأساطين الرخام وسقفه بالساج المزخرف وجعل على رؤس الأساطين صفائح الذهب وأزر المسجد بالرخام وجعل للمسجد سرادقات قال النجم عمر بن فهد رحمه الله تعالى بعث الوليد بن عبد الملك الى واليه على مكة خالد بن عبد الله القسرى بستة وثلاثين ألف دينار فضرب منها على باب الكعبة صفائح الذهب وعلى ميزاب الكعبة وعلى الأساطين التى فى باطنها وعلى الاركان التى فى جوفها ويقال ان الحلية التى حلاها الوليد بن عبد الملك للكعبة هى ما كانت فى مائدة سليمان ابن داود من ذهب وفضة وكانت قد احتملت من طليطلة من جزيرة الأندلس على بغل قوى تفسخ تحتها وكان لها أطواق من ياقوت وزبرجد

﴿الباب الرابع فى ذكر مازاده العباسيون فى المسجد الحرام﴾

لما انطوى بساط ملك بنى مروان وآل الى آل عباس الامر وآل السلطان مزقت بنو أمية كل ممزق وشقق الدهر حلل اينا سهم ومزق وحرق بنار البأس لباسهم وخرق وكان رقص لهم وصفق وكانت ثغور آمالهم بواسم وغرر أيامهم بصنوف اللهو مواسم ورياح عزتهم فى رياض غرتهم نواسم وكانت تضيق بجيوشهم الفضا ويجرى على حسب مطويهم خيول القدر والقضا ثم انحرفت عنهم الأيام فأظلمت اشراقهم وأذرى بلهيب العكس يانع ابراقهم ورمتهم بصواعق ارعادهم وابراقهم فلم يدفع عنهم الرمح ولا الحسام ولم ينفع ماسبق لهم من المنن الجسام وأذيق الموت الاحمر مروان الحمار ونزع من تخت الملك الى تحت حافر الحمار فما بكت عليهم الارض ومابقى لهم الا ماقدموه من نفل وفرض ونزعوا من بين الأتراب الى باطن التراب وسبقوا للحساب الى يوم الحساب فسحقا لدنيا لا وفاء فيها لبنيها ولا بقاء لحالتى تحليها وتجنيها ولا بقاء منها على جنتيها ومجتنيها ذلت عزة عاد وهدمت قصر شداد وأخربت ارم ذات العماد فأف على الدنيا وزخرفها والحذر الحذر من هجوم صرفها وتصرفها كم نادت عليهم حذار حذار من بطشى وفتكى وكم صاحت عليهم لا تغتروا بضحكى ولا

يغرركم مني ابتسام فقولي مضحك والفعل مبكي وكانت مدة ملكهم ألف شهر وكان ما تحملوه من الوزر والقهر لتلك المدة كلها وجعل الله تعالى لبيت النبوة عوض ذلك ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر * قال الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى في الدر المنثور أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت ولد الحكم بن العاص على المنابر كأنهم القردة وأنزل الله في ذلك وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة يعني الحكم وولده * وأخرج ابن مردوية عن الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبح يوما وهو مهموم فقيل له مالك يا رسول الله قال اني رأيت في المنام كأن بني أمية يتعاورون منبري هذا فقيل يا رسول الله لا تهتم فانها دنيا تنالهم فأنزل الله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس قال ابن عطية في تفسيره ولا يدخل في هذه الرؤيا عثمان رضي الله عنه ولا معاوية ولا عمر بن عبد العزيز وما كانت في الحقيقة ولاية بني أمية الا فتنة للناس وآل الملك من بعدهم الى آل العباس وأضحكهم الدهر بعد العبوس والباس وألبسهم الدهر حلل الأمر والنهي وأفرحهم بذلك الالباس وآنسهم بعد الوحشة ومادام لهم ذلك الايناس وهكذا الدنيا دول تدول وتدال ومازال لكل زمان دولة ورجال ﴿ فأول من ولي منهم السفاح ﴾ أبو العباس عبد الله ابن محمد بن علي بن العباس رضي الله عنهم وكان أصغر من أخيه أبي جعفر المنصور * قال جرير الطبري كان بدء أمر العباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم العباس عمه ان الخلافة تؤول الى ولده فلم يزل ولده يتوقعون ذلك الى أن بويع لولده محمد سرا فلما مات محمد عهد لولده ابراهيم فسجنه مروان وقتله في الحبس فعهد ابراهيم لأخيه عبد الله هذا وبويع له في الكوفة في ثالث ربيع الأول سنة اثنين وثلاثين ومائة وكان مولده سنة ثمان ومائة وتوفي بالجدري في ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة وكان نقش خاتمه الله ثقة عبد الله وبه يؤمن وكان بذولا سفاكا قتل في مبايعته من بني أمية واتباعهم ما لا يحصى كثرة وتوطأت الممالك من الشرق الى أقصى الغرب وكان عمره ثمانية وعشرين عاما ومدة امارته أربعة أعوام وجرت عادة الله في الملوك والسلاطين قصر أعمار من سفك الدماء منهم ﴿ وولي بعده اخوه أبو جعفر المنصور عبد الله ﴾ هو اسن من اخيه السفاح وبويع له بعهد من اخيه في اول سنة سبع وثلاثين ومائة وكان ظلوما غشوما وهو اول من أوقع الفتنة بين العباسيين والعلويين وقتل الاخوين محمد وابراهيم ابني محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي رضي الله عنهم وكانا خرجا عليه وآذى بسببهما خلقا كثيرا من العلماء قتلا وضربا ممن أفتى بجواز الخروج عليه منهم الامام ابو حنيفة رضي الله عنه أكرهه على القضاء فسجنه فمات في السجن لكونه افتى بالخروج عليه وسمي لبخله ابا الدوانيق لمحاسبته الصناع والعمال على الدانق والحبة وقتل ابا مسلم الخراساني وهو الذي قام بدعوة الناس الى بني العباس وشرح ذلك يطول ووطئت له الممالك ودانت له الامصار ولم يخرج عنه غير جزيرة الاندلس ملكها عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الاموي فانفرد بالأندلس وطالت مدته وملكها بنوه واستمرت في يدهم مدة * وفي المحرم سنة ثلاثين ومائة امر ابو جعفر المنصور بالزيادة في المسجد الحرام فزيد في شقه الشامي الذي يلي دار الندوة وزاد في أسفله الى ان انتهى الى المنارة التي في ركن باب بني سهم لم يزد في الجانب الجنوبي لاتصاله بسيل الوادي ولصعوبة البناء فيه وعدم ثباته اذا قوي السيل عليه ولذلك لم يزد في اعلى المسجد واشترى من الناس دورهم وادخلها في المسجد الحرام

وكان الذى ولى عمارة المسجد لابى جعفر امير مكة يومئذ من جانبه زياد بن عبيد الله الحارثى * وكان من شرطته عبد العزيز بن عبد الله بن مشافع جد مشافع بن عبد الرحمن الشيبى وكان زياد أجحف بدار شيبة ابن عثمان وادخل أكثرها فى الجانب الأعلى من المسجد فتكلم مع زياد فى أن يميل عنه قليلا ففعل فكان فى هذا المحل ازورار فى المسجد وأمر أبو جعفر المنصور بعمل منارة هناك فعملت واتصل عمله فى اعلى المسجد بعمل الوليد بن عبد الملك وكان عمل أبى جعفر طاقا واحدا باساطين الرخام دائرا على صخر المسجد وكان الذى زاد فيه مقدار الضعف عما كان قبله وزخرف المسجد بالفسيفساء والذهب وزينه بانواع النقوش ورخم الحجر بالحاء المهملة المكسورة ثم الجيم وهو أول من رخمه وكان كل ذلك على يد زياد بن عبد الله الحارثى والى الحرمين والطائف من قبل المنصور وفرغ من عمل ذلك فى عامين وقيل فى ثلاثة أعوام * وكتب على باب بنى جمح احد أبواب المسجد الحرام من جهة الصفا بسم الله الرحمن الرحيم محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين أمر عبد الله أمير المؤمنين المنصور بتوسعة المسجد الحرام وعمارته والزيارة فيه نظرا منه للمسلمين واهتماما بأمورهم والذى زاد فيه الضعف مما كان عليه قبل وفرغ منه ورفعت الأيدى منه فى ذى الحجة سنة أربعين ومائة وذلك بتيسير الله على أمير المؤمنين وحسن معونته وكفايته واكرامه له بأعظم كرامته فاعظم الله اجر امير المؤمنين فيما نوى من توسعة المسجد الحرام وأحسن ثوابه وجمع الله له خيرى الدنيا والآخرة واعز نصره وايده * وحج المنصور فى ذلك العام وأحرم من الحيرة وبذل على بخله الأموال العظيمة وأعطى أهل المدينة عطايا لم يعطها أحد كان قبله ولما قضى الحج والزيارة توجه الى زيارة بيت المقدس ثم سلك الى الشام ثم أتى الى الرقة فنزلها كذا ذكره الحافظ عمر بن فهد رحمه الله تعالى * وذكر حكاية مفيدة أذكرها استطرادا وان كانت خارجة عن مقصودنا العظم فائدتها وهى لما حج كان يخرج من دار الندوة الى الطواف آخر الليل فيطوف ويصلى ولم يعلم به أحد فاذا طلع الفجر رجع الى دار الندوة فيجىء المؤذنون ويسلمون عليه ويؤذنون للفجر ويقيمون الصلاة فيخرج يصلى بالناس فخرج ذات ليلة فى السحر وشرع يطوف اذ سمع رجلا عند الملتزم يقول اللهم انى اشكو اليك ظهور البغى والفساد فى الارض وما يحول بين الحق واهله من الظلم والطمع فأسرع المنصور فى مشيته حتى ملأ مسامعه من كلامه ثم خرج من الطواف الى ناحية من المسجد ثم أرسل الى ذلك الرجل يطلبه فصلى ركعتين وقبل الحجر وأقبل مع الرسول وسلم على المنصور فقال له المنصور فما هذا الذى سمعتك تقول من ظهور البغى والفساد فى الارض وما يحول بين الحق واهله من الظلم والطمع فوالله لقد حشوت مسامعى ما أقلقنى وامرضنى واشغل خاطرى فقال يا أمير المؤمنين ان أمنتنى على نفسى وصغيت الى باذن واعية انبأتك بالامور من اصلها والا احتجبت عنك بقدرة الله واقتصرت على نفسى ففيها الى شغل شاغل عن غيرى فقال انت آمن على نفسك وقل فانى ألقى اليك السمع وانا شهيد بالقلب فقال ان الذى داخله الطمع حتى حال بينه وبين الحق ومنع عن اصلاح ما ظهر من البغى والفساد فى الارض هو أنت فقال ايها الرجل كيف يدا خلنى الطمع والصفراء والبيضاء بيدى والحلو والحامض فى قبضتى ومن يحول بينى وبين ما أريد من ذلك فقال هل اذا دخل الطمع أحدا من الناس ما داخلك يا امير المؤمنين ان الله عز وجل استرعاك امور المؤمنين وأنفسهم وأموالهم

فأغفلت أمورهم واهتممت بجمع أموالهم وجعلت بينك وبينهم حجابا من الحجر والطين وأبوابا من الخشب والحديد وحجابا معهم السلاح واتخذت وزراء فجرة وأعوانا ظلمة ان نسيت لا يذكرونك وان أحسنت لا يعينونك رفقويتهم على ظلم الناس بالاموال والسلاح والرجال وامرت أن لا يدخل عليك غيرهم من الناس ولم تأمر بايصال المظلوم اليك ومنعت عن ادخال الملهوف عليك وحجبت الجائع والعارى والمحتاج وما أحد منهم الا وله حق فى هذا المال فما زال هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك وأمرتهم أن لا يحجبوا عنك يقولون فى أنفسهم هذا قد خان الله مال الناس فليخونه فاتفقوا على أن لا يصل اليك من أخبار الناس الا ما أرادوه ولا يخالف أمرهم عامل الا أقصوه عنك وأبعدوه فلما انتشر ذلك عنك وعنهم عظمهم الناس وهابوهم وأكرموهم وهادوهم وكان أول من صانعهم وداراهم عمالك بالأموال والهدايا والرشا فتقووا بها على ظلم رعيتك ليظلموا من دونهم فامتلأت بلاد الله تعالى بالظلم والغشم وزاد بغيهم وطمعهم وكثر فسادهم وافسادهم وصاروا هؤلاء شركاؤك فى سلطانك وأنت غافل فان جاءك متظلم حيل بينه وبين الوصول اليك وان أراد رفع قصته اليك وصرخ بين يديك ضرب ضربا مبرحا ليكون نكالا لغيره وأنت تنظر بعينك ولا ترحم بقلبك فان سألت عنه قالوا أساء الأدب فأدبناه وجهل مقامك فضربناه فما بقاء الاسلام على هذه المظالم والآثام وانى سافرت الى أرض الصين فقدمتها وقد أصاب ملكها آفة أذهبت سمعه فجعل يبكى فقال له وزراؤه لم تبكى لا بكت عيناك فقال انى لا أبكى على فقد سمعى ولكنى أبكى على المظلوم يصرخ ببابى يطلب رفع ظلامته فلا أسمع صوته وحيث ذهب سمعى فان بصرى لم يذهب فنادوا فى الناس ان لا يلبس الأحمر الا مظلوم لأميزه بالنظر فأعينه وكان يركب الفيل كل يوم ليرى المظلوم ويستدنيهم ويرفع عنهم ظلامتهم انظر يا مسكين هذا مشرك بالله غلبت رأفته المشركين على رأفتك بالمسلمين وأنت مؤمن بالله وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الاموال لا تجمع الا لواحد من ثلاثة أمور ان قلت أجمعها الولدى فقد أراك الله عبرا فى الطفل يخرج من بطن أمه عريانا ما له على وجه الأرض مال وما من مال الا ودونه يد شحيحة به تحويه وتصونه عن كل أحد فما يزال الله تعالى يلطف بذلك الطفل حتى يسوق اليه ما قدره له من المال فيملكه ويحويه كما حواه غيره ولست بالذى يعطى من يشاء ويمنع من يشاء لا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع وان قلت اجمع المال ليشتد به سلطانى فقد أراك الله عبرا فيمن كان قبلك ما أغنى عنهم ما جمعوا من الذهب والفضة وما أعدوا من السلاح والكراع وما ضرك ما كنت أنت وولدك أبيك عليه من الضعف والقلة حين أراد الله بكم ما أراد وان قلت أجمع المال لطلب غاية هى أعلى مما أنت فيه فوالله ما فوق ما أنت فيه منزلة تدرك الا بالصالح واعلم بانك لا تعاقب أحدا من رعيتك اذا عصاك بأعظم من القتل وان الله تعالى يعاقب من عصاه بالعذاب الاليم وانه يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور فكيف يكون وقوفك غدا بين يديه وقد نزل ملك الدنيا من يدك ودعاك الى الحساب هل يغنى عنك ما كنت فيه شيأ * قال فبكى المنصور بكاء شديدا حتى ارتفع صوته ثم قال كيف احتيالى فيما خولت ولم أر من الناس الا خاليا قال يا أمير المؤمنين عليك بالائمة الاعلام الراشدين قال ومن هم قال العلماء العاملون قال فانهم قد فرّوا منى قال نعم فروا منك مخافة أن تحملهم على ما ظهر لهم من طريقتك فاذا فتحت الابواب وسهلت الحجاب ونصرت المظلوم ومنعت الظالم وظهرت بالعدل ونشرت الفضل فانى ضامن لمن هرب منك أن يعود اليك * وجاء حينئذ المؤذنون وسلموا عليه وأذنوا للفجر وأقاموا فقام المنصور للصلاة وصلى بالناس واذا بالرجل قد غاب من

بين أيديهم فلما فرغ المنصور من الصلاة سأل عنه فقالوا ذهب فقال ان لم تأتوني به عاقبتكم عقابا شديدا فذهبوا يلتمسونه فوجدوه في الطواف فتقدم اليه الحرس وقال انطلق معي والا هلكت وهلك من معي فقال كلا لا يقدر عليك وأخرج من جيبه ورقة وقال ضعها في جيبك فلا ينالك منه سوء فانه دعاء الفرج قال وما دعاء الفرج قال دعاء لا يرزقه الا السعداء من دعا به صباحا ومساء هدمت ذنوبه واستجيب دعاؤه وبسط الله تعالى رزقه عليه وأعطاه أمله وأعانه على عدوه وكتب عند الله تعالى صديقا فقال اقرأه لي لآخذه عنك وأتلقه منك * فقال قل اللهم كما لطفت في عظمتك دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء وعلمت ما تحت أرضك كما علمت ما فوق عرشك وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر في علمك وانقاد كل شيء لعظمتك وخضع كل ذي سلطان لسلطانك وصار امر الدنيا والآخرة كله بيدك اجعل لي من كل هم أمسيت فيه فرجا ومخرجا اللهم ان عفوك عن ذنوبي وتجاوزك من خطيئتي وسترك على قبيح عملي أطمعني أن أسألك مالا أستوجبه منك فصرت أدعوك آمنا وأسألك مستأنسا وانك المحسن الي وأنا المسيء الى نفسي فيما بيني وبينك تتودد الي بالنعم وأتبغض اليك بالمعاصي ولكن الثقة بك حملتني على الجراءة عليك فعد بفضلك واحسانك الى انك أنت التواب الرحيم قال فقرأته وأخذت الورقة في جيبي واذا بالرسل تسعى الى تستعجلني فأتيته واذا هو جمر يتلظى فلما وقع نظره علي سكن غضبه وغيظه وتبسم وقال لي ويلك أتحسن السحر فقلت لا والله يا أمير المؤمنين ثم قصصت عليه أمري ثم قال هات الورقة فأخذها وصار يبكي الى ان بل لحيته وأمر لي بعشرة دنانير ثم قال أتعرف الرجل فقلت لا قال ذلك الخضر عليه السلام * قلت وأنا أروي هذه الحكاية عن والدي الشيخ علاء الدين أحمد القادري الحرقاني النهرواني الحنفي نزيل مكة المشرفة رحمه الله تعالى قال أنبأني بهذه الحكاية العزيز بن عبد العزيز بن النجم عمر بن فهد عن القاضي زين الدين أبو بكر بن الحسين العثماني المراغي عن الحافظ يوسف بن عبد الرحمن المزي * قال أنبأنا الامام أبو الحسن علي بن أحمد بن البخاري عن الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي قال له أنبأنا محمد بن ناصر أنبأنا المبارك بن عبد الجبار أنبأنا محمد بن علي بن الفتح حدثنا أبو نصر محمد بن محمد النيسابوري عن ابراهيم بن أحمد الخشاب حدثنا أبو علي الحسن بن عبد الله الرازي حدثنا المثنى حدثنا سلمة القرشي قاضي اليمن قال سمعت أبا المهاجر المكي يقول قدم المنصور مكة وكان يخرج من دار الندوة الى الطواف آخر الليل وساق الحكاية بطولها قال النجم عمر بن فهد رحمه الله * وفي سنة ثمان وخمسين ومائة عزم على الحج أبو جعفر المنصور وكان يريد قتل سفيان الثوري فلما وصل الى بئر ميمون بعث الى الخشابين فقال لهم ان رأيتم سفيان الثوري فاصلبوه فجاؤا ونصبوا له الخشب وكان جالسا بفناء الكعبة ورأسه في حجر فضيل بن عياض ورجلاه في حجر سفيان بن عيينة فقيل له يا أبا عبد الله قم واختف ولا تشمت بنا الاعداء فتقدم الى أستار الكعبة وأخذها ثم قال برئت منه ان دخلها أبو جعفر وعاد الى مكانه فركب أبو جعفر وعاد الى مكانه فركب أبو جعفر المنصور من بئر ميمون فلما كان بين الحجون سقط عن فرسه فاندقت عنقه فمات لوقته في سابع الحجة وقت السحر فحفروا له مائة قبر ودفنوه في أحدها ليعموا قبره على الناس وبر الله قسم عبده سفيان فانظر الى عباد الله المخلصين وادلالهم على جناب قدس رب العالمين وكيف حال أهل الدنيا المغرورين وكيف تضمحل عظمتهم في عظمة سلطان السلاطين وما أحقر سلطان البشر المخلوق من ماء مهين وما أسرع زوال ملكه وصيرورته عبرة للمعتبرين ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار ويعلم ان الملك لله الواحد

القهار لا شريك له فى الملك ولا ولى له من الذل على الدوام والاستمرار والمنصور هو الذى بنى مدينة بغداد ومولده سنة خمس وتسعين ومدة ملكه اثنان وعشرون سنة وثلاثة أشهر وعاش أربعا وستين سنة وكان رأى منا ما يدل على قرب أجله فعهد الى ولده محمد وسار الى الحج وتوفى كما ذكرنا * (وولى بعده الملك والخلافة ولده أبو عبد الله محمد ولقبه المهدى) * ثالث من ولى من العباسيين وقام بالبيعة له بمكة لما مات أبوه أبو الربيع بن يونس الحاجب وأسرع بارسال الخبر اليه فوصل اليه الخبر فى بغداد فكتم الامر ثم جمع الناس فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان المنصور أمير المؤمنين عبد دعى فاجاب وأمر فاطاع ثم ذرفت عيناه ثم قال بلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بفراق الاحبة وقد فارقت عظيما وقلدت جسيما فعند الله احتسب أمير المؤمنين وبه أستعين على تقلد أمور المسلمين ونزل فبايعه الناس وأول من جمع بين تعزيته وتهنئته أبو دلامة الشاعر حيث قال

عيناى واحدة ترى مسرورة * بامير هاجدلى وأخرى تذرف
تبكى وتضحك تارة ويسوءها * ما أنكرت ويسرها ما تعرف
فيسوءها موت الخليفة محرما * ويسرها ان قام هذا يخلف
ما ان رأيت كما رأيت ولا أرى * شعرا أسر حبه وآخر انتف
هذا احياء الله فضل خلافة * ولذاك جنات النعيم تزخرف

وكان المهدى لما شب ولاه أبوه طبرستان والرى وما يليها فتأدب وتميز وجالس العلماء وكان كريما مليح الشكل شجاعا محبا للعلماء وكان يقول ادخلوا على العلماء والقضاة واحضروهم عندى فلو لم يكن من حضورهم الا رد المظالم حياء منهم لكان خيرا وقدم عليه مروان بن أبى حفصة الشاعر فانشده قصيدة فلما وصل الى قوله

اليك قصرنا النصف من صلواتنا * مسيرة شهر بعد شهر نواصله
وما نحن نخشى أن يخيب مسيرنا * اليك ولكن أهنأ البر عاجله

فضحك المهدى وقال كم بيتا فصيدتك قال سبعون بيتا فامر له بسبعين ألف درهم قبل أن يتم انشادها وله شعر رقيق لطيف احسن من شعر ابيه واولاده بكثير ومنه ما ذكره الصولى وهو

ما يكف الناس عنا * ما يريد الناس منا
انما هممتهم * أن ينبشوا ما قد دفنا
لو سكنا باطن الارض لكانوا حيث كنا
ان أرادوا كشف أمر * قد سترناه كشفنا

ومن نظمه هذا البيت من عدة أبيات نظمها فى جارية كان يحبها حبا شديدا

أما يكفيك انك تملكينى * وان الناس كلهم عبيدى

وكان المهدى يحب الحمام فدخل عليه غياث وكان يروى الحديث فقال يروى عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا لا سبق الا فى حافر أو نصل وزاد فيه أو جناح ففهم المهدى انه وضع له هذه الزيادة فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يحبه بل زدت تأدبا وامر له بعشرة آلاف درهم فلما قام قال المهدى اشهد ان قفاك قفا كذاب ثم امر بذبح ما عنده من الحمام فذبحت وكان نقش خاتمه الله ثقة محمد وبه يؤمن وحكى الربيع قال عرض على المنصور يوما خزائن مروان بن محمد وكان من جملتها اثنا عشر الف عدل ثياب

خزفا فخرج منها ثوبا واحدا ودعا الخياط وقال فصل من هذا جبة لى وجبة لولدى محمد المهدى فقال لا يجىء منه جبتان فقال فصل جبة وقلنسوة وبخل ان يخرج ثوبا اخر منها فلما أفضت الخلافة الى ولده محمد المهدى أمر بتلك الثياب كلها بعينها ففرقها كلها فى عبيده وخدمه فى ساعة واحدة وكان جوادا شجاعا كثير اللهو والصيد الا انه يكره الزنادقة وقتل منهم خلقا كثيرا ووصى ابنه الهادى بقتلهم حيث وجدهم * قال النجم عمر بن فهد فى حوادث سنة ستين ومائة وفيها حج أمير المؤمنين المهدى العباسى وحمل له الأمير محمد بن سليمان الثلج حتى وافى به مكة وهذا شىء لم يتم لأحد قبله ونزل المهدى دار الندوة وجاءه عبيد الله بن عثمان بن ابراهيم الحجبى فى ساعة خالية نصف النهار فأدخل عليه فقال له ان معى شيأ لم يحمل لأحد قبلك فكشف له من الحجر الذى فيه صورة قدمى ابراهيم خليل الله عليه السلام وهو الذى يزار الآن بمقام ابراهيم عليه السلام فسر المهدى بذلك وقبله وتمسح به وصب فيه ماء وشربه وأرسله الى أهله وأولاده فتمسحوا به وشربوا منه ثم احتمله وأعاده الى مقام ابراهيم واعطاه المهدى جوائز كثيرة وأقطعه خيفا بوادى نخلة يقال له ذات الفريع فباعه بعد ذلك بسبعة آلاف دينار * وذكر حجبة الكعبة للمهدى انه تراكمت على الكعبة كسوة كثيرة أثقلتها ويخاف على جدرانها من ثقلها فأمر بنزعها فنزعت حتى بقيت مجردة ووجدوا كسوة هشام من الديباج الثخين وكسوة من قبله عامها من ثياب اليمن فجردت الكعبة منها وطلى جدرانها من داخلها وخارجها بالغالية والمسك والعنبر وصعد الخدام على سطح الكعبة وصاروا يسكبون قوارير الغالية الممسكة المطيبة على جدارات الكعبة الى ان استوعبوها ثم كسيت ثلاث كساوى من القباطى والخز والديباج وقسم المهدى فى الحرمين الشريفين أموالا عظيمة وهى ثلاثون ألف ألف درهم ووصل بها معه من العراق وثلثمائة ألف دينار وصلت اليه من مصر ومائتا ألف دينار وصلت اليه من اليمن ومائة ألف ثوب وخمسون ألف ثوب فرق جميع ذلك على أهل الحرمين واستدعى قاضى مكة يومئذ وهو محمد الاوقص بن محمد بن عبد الرحمن المخزومى وأمره ان يشترى دورا فى أعلا المسجد ويهدمها ويدخلها فى المسجد الحرام واعد لذلك أموالا عظيمة فاشترى القاضى جميع ما كان بين المسجد الحرام والمسعى من الدور فما كانت من الصدقات والاوقاف اشترى للمستحقين بدلها دورا فى فجاج مكة واشترى كل ذراع يكسر فى مثله مما دخل فى المسجد بخمسة عشر دينارا فكان مما دخل فى ذلك الهدم دار الازرقى وهى يومئذ لاصقة بالمسجد الحرام من أعلاه على عين الخارج من باب بنى شيبة وكان ثمن ناحية منها ثمانية عشر ألف دينار وكان أكثرها داخلا فى المسجد الحرام فى زيادة عبد الله بن الزبير ودخلت أيضا دار خيرة بنت سباع الخزاعية وكان ثمنها ثمانية وأربعين ألف دينار دفعت اليها وكانت شارعة على المسعى يومئذ قبل ان يؤخر المسعى ودخلت أيضا دار لآل جبير بن مطعم ودار شيبة بن عثمان اشترى جميع ذلك وهدم وادخل فى المسجد وجعل دار القوارير رحبة بين المسجد الحرام والمسعى حتى استقطعها جعفر البرمكى من الرشيد لما آلت الخلافة اليه فبناها دارا ثم صارت الى حماد البربرى فعمرها وزينها بأطنانها بالقوارير وظاهرها بالرخام والفسيفساء * قلت وتداولت الايدى عليها بعد ذلك الى ان صارت رباطين متلاصقين أحدهما كان يعرف برباط المراغى والثانى كان يعرف برباط السدرة فاستبدلهما السلطان قايتباى وبناهما مدرسة ورباطا فى سنة ثمان وثمانين وثمانمائة ووقف عليها سقفات بمكة وأقطاعا بمصر وهو باق الى الآن صدقة جارية على سكانه غير انه شرع فى أوقافه الخراب لاستيلاء الايدى الجارية عليها عمر الله من عمرها وأحسن الى من أحسن نظرها وهذه الزيادة الاولى

للمهدى فى اعلى المسجد وكذلك فى أسفل الى ان انتهى به الى باب بنى شيبة ويقال له الآن باب العمرة والى باب الخياطين ويقال له الآن باب الخياطين وكذلك زاد من الباب الشامى الى منتهاه الآن وكذلك زاد فى الجانب اليمانى أيضا الى قبة الشراب وتسمى الآن قبة العباس والى حاصل الزيت وكان بين جدار الكعبة اليمانى وجدار المسجد الحرام الذى يلى الصفا تسعة وأربعون ذراعا ونصف ذراع وكان ماوراءه مسيل الوادى فهذه كلها الزيادة الأولى للمهدى وأمر بالاساطين فنقلت من مصر ومن الشام وحملت بحرا الى قرب جدة فى موضع كان فى أيام الجاهلية ساحلا للملكة يقال لها الشعيبة فجمعت هناك لان مرساه قريب بخلاف بندر جدة لان مرساه التى تقف فيه السفينة بعيدة من البر وصارت أساطين الرخام تحمل منها على العجل وتجاها كالعربان ان بها الآن بقايا أساطين رخام دفنها الريح بالرمل والله أعلم بحقيقة ذلك * وعمل الأساس لتلك الاساطين بحيث حفر لها فى الأرض جدارات على شكل الصليب أقاموا كل اسطوانة على موضع القاطع كشف منه السيل العظيم الواقع فى سنة ثلاثين وتسعمائة فشاهدنا أساس الأساطين على هذا الوجه واستمر عليهم الى سنة أربع وستين ومائة فحج المهدى فى ذلك العام وشاهد الكعبة المعظمة ليست فى وسط المسجد بل فى جانب من وراء المسجد قد اتسع من اعلاه واسفله ومن جانبه الشامى وضاق من الجانب اليمانى الذى يلى مسيل الوادى وكان فى محل السيل الآن بيوت الناس وكانوا يسلكون من المسجد فى بطن الوادى ثم يسلكون زقاقا ضيقا ثم يصعدون الى الصفا وكان المسعى فى موضع المسجد الحرام اليوم وكان بابه دار محمد بن عباد بن جعفر العبادى عند حدرك المسجد اليوم عند موضع المنارة الشارعة فى نحر الوادى يردونها فى بعض المسجد الحرام اليوم فهدموا أكثر دار محمد بن عباد بن جعفر العبادى وجعلوا المسعى والوادى فيها وكان عرض الوادى من الميل الأخضر اللاصق للمأذنة التى فى الركن الشرقى وكان هذا الوادى مستطيلا الى أسفل المسجد الآن يجرى فيه السيل ملاصقا لجدر المسجد اذ ذاك وهو الآن بطن المسجد من الجانب اليمانى * فلما رأى المهدى تربيع المسجد الحرام ليس على الاستواء ورأى الكعبة الشريفة فى الجانب اليمانى من المسجد أراد لتكون الكعبة فى وسط المسجد فقال له لا يمكن ذلك الا بأن تهدم البيوت التى على حافة المسيل فى مقابلة الجدار اليمانى من المسجد وينقل المسيل الى تلك البيوت ويدخل المسيل فى المسجد كما قدمنا ومع ذلك فان وادى ابراهيم له سيول عارمة وهو وادحدور يخاف ان حولناه عن مكانه ان لا يثبت أساس البناء فيه على ما نريد من الاستحكام فتذهب به السيول وتعلو السيول فيه فتنصب فى المسجد ويلزم هدم دور كثيرة وتكثر المؤنة وتكبر واعل ذلك لا يتم فقال المهدى لا بد ان أزيد هذه الزيادة ولو أنفقت جميع بيوت الاموال وصمم على ذلك وعظمت نيته واشتدت رغبته وصار يلهج به فهندس المهندسون ذلك بحضوره وربطوا الرماح ونصبوها على أسطحة الدور من أول الوادى الى آخره ووسعوا الوادى من فوق الأسطحة وطلع المهدى الى جبل أبى قبيس وشاهد تربيع المسجد ورأى الكعبة فى وسط المسجد ورأى ما يهدم من البيوت ويجعل مسيلا محلا للسعى وشخص وله ذلك بالرماح المربوطة من الاسطحة ووزنوا له ذلك مرة بعد أخرى حتى رضى به * ثم توجه الى العراق وخلف الأموال الكثيرة لشراء هذه البيوت والصرف على هذه العمارة العظمى وهذه هى الزيادة الثانية للمهدى فى المسجد الحرام هذا ملخص ما ذكره الازرقى والفاكهى والحافظ نجم الدين عمر بن فهد فى تواريخهم رحمهم الله تعالى * وههنا اشكال * ما رأيت من تعرض له وهو ان السعى بين الصفا والمروة من الأمور التعبدية التى أوجبها الله

تعالى علينا فى ذلك المحل المخصوص ولا يجوز لنا العدول عنه ولا تعتبر هذه العبادة الا فى ذلك المكان المخصوص الذى سعى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وعلى ماذكره هؤلاء الثقات ادخل ذلك المسعى فى الحرم الشريف وحول المسعى الى دار ابن عباد كما تقدم * وأما المكان الذى يسعى فيه الآن فلا يتحقق انه بعض من المسعى الذى سعى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم أو غيره فكيف يصح السعى فيه وقد حول عن محله كما ذكر هؤلاء الثقات ولعل الجواب عن ذلك ان المسعى فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عريضا وبنيت تلك الدور بعد ذلك فى عرض المسعى القديم فهدمها المهدى وأدخل بعضها فى المسجد الحرام وترك بعضها للسعى فيه ولم يحوّل تحويلا كليا والا لانكره علماء الدين من الأئمة المجتهدين رضوان الله عليهم أجمعين مع توفرهم اذذاك فكان الامامان أبو يوسف ومحمد بن الحسن رضى الله عنهما والامام مالك بن أنس رضى الله عنه موجودين يومئذ وقد أقروا ذلك وسكتوا وكذلك من صار بعد ذلك الوقت فى مرتبة الاجتهاد كالامام الشافعى وأحمد بن حنبل وبقية المجتهدين رضوان الله عليهم أجمعين فكان اجماعا منهم رضى الله عنهم على صحة السعى من غير نكير نقل عنهم * وبقى الاشكال فى جواز ادخال شئ من المسعى فى المسجد وكيف يصير ذلك مسجدا وكيف حال الاعتكاف فيه وحله بأن يجعل حكم المسعى حكم الطريق فيصير مسجدا ويصح الاعتكاف فيه حيث لم يضر عن يسعى فاعلم ذلك وهذا مما انفردت ببيانه ولله الحمد على التوفيق لتبيانه

﴿فصل﴾ ومما يلائم ما نحن فيه ما نقل فى التعدى على السعى الشريف واغتصاب ما وقع قبل عصرنا بنحو مائة عام فى أيام دولة الجراكسة فى سلطنة الملك الاشرف قايتباى المحمودى سامحه الله تعالى ومحصله انه كان تاجر يتخدمه قبل سلطنته ويتعاطى له متاجره مع دينه وخيريته ومآثره الجميلة واعتقاده فى العلماء والصلحاء واتصافه بطلب العلم أيضا وكان السلطان قايتباى أرسله الى مكة ليتعاطى له متاجره وليعمر له مدرسة ويعمر جانبا من الحرم الشريف ومن المسجد الشريف النبوى بعد الحريق المشهور الواقع فى سنة ست وثمانين وثمانمائة وبنى له المدرسة التى فى المدينة الشريفة وأجرى عين الزرقاء بالمدينة وعين خليص من طريق المدينة وعين عرفات وغير ذلك من الخيرات الجارية الى الآن غير ان حب الجاه ونفاذ الامر أوقعه فيما نذكره * وهو انه كان بين الميلين ميضأة أمر بعملها الملك الاشرف شعبان بن الناصر حسن بن قلاوون وكانت فى مقابلة باب على حدها من الشرق بيوت للناس ومن الغرب المسعى الشريف ومن الجنوب سيل وادى ابراهيم الذى يقال له الآن سوق الليل ومن الشمال دار سيدنا العباس رضى الله عنه الذى هو الآن رباط يسكنه الفقراء فاستأجر الخواجا شمس الدين بن الزمن هذه الميضأة وهدمها وتقدم من جانب المسعى نحو ثلاثة أذرع وحفر أساسه ليبنى بها رباطا لسكن الفقراء فمنعه من ذلك قاضى القضاة بمكة عالم المسلمين وقاضى الشرع المبين القاضى برهان الدين ابراهيم بن على بن ظهيرة الشافعى فلم يمتنع من ذلك فجمع القاضى ابراهيم محضرا فلا حضره علماء المذاهب الاربعة ومن أجلهم مولانا الشيخ زين الدين قاسم بن قطلوبغا الحنفى رئيس العلماء الحنفية يومئذ والشيخ شرف الدين موسى بن عيد المالكى والقاضى علاء الدين الردادى الحنبلى وبقية العلماء المكيين والقضاة والفقهاء وطلب الخواجا شمس الدين بن الزمن وأنكر عليه جميع الحاضرين وقالوا له فى وجهه ان عرض المسعى كان خمسة وثلاثين ذراعا وأحضر النقل من تاريخ الفاكهى ودرعوا من ركن المسجد الى المحل الذى وضع فيه ابن الزمن أساسه فكان سبعة وعشرين ذراعا فقال ابن الزمن

المنع خاص بي أو بجميع الناس فقال له القاضي أمنعك الآن لانك مباشر في هذا الحال لهذا الفعل الحرام وأمر المغيرة أيضا بازالة تعديه وتوجه القاضي بنفسه الى محل الأساس ومنع البناءين والعمال من العمل وأرسل عرضا ومحضرا فيه خطوط العلماء الى السلطان قايتباى وكتب ابن الزمن أيضا اليه وكانت الجراكسة لهم تعصب وقيام ومساعدة من يلوذ بهم ولو على الباطل * فلما وقف على تلك الاحوال السلطان قايتباى نصر ابن الزمن وعزل القاضي ابراهيم وولى خصمه المنصب وأمر أمير الحاج أن يضع الاساس على مراد ابن الزمن ويقف عليه بنفسه وكان أمير الحاج شيبك الجمالي فوصل في موسم سنة خمس وسبعين وثمانمائة ووقف بنفسه بالليل وأوقد المشاعل وأمر البناءين والعمال بالبناء خوفا من انكار العملة عليهم فبنوه الى أن صعد به وجه الارض وجعل ابن الزمن ذلك رباطا وسبيلا وبنى في جانبه دارا وصغر الميضأة جدا وجعل لها بابا من جهة سوق الليل وجعل في جانب الميضأة مطبخا يطبخ فيه الدشيشة ويقسم على الفقراء ووقف على ذلك دورا بمكة ومزارع بمصر واستمرت الى أن انقطع ذلك الطبخ وبيعت القدور بل والدور ويالله العجب من ابن الزمن وما ذكرناه في فضله وخيريته كيف ارتكب هذا المحرم باجماع المسلمين طالبا به الثواب وكيف تعصب له سلطان عصره السلطان قايتباى مع انه أحسن ملوك الجراكسة عقلا ودينا وخيرية وهو يأمر بفعل هذا الأمر المجمع على حرمته في مشعر من مشاعر الله تعالى. وكيف يعزل قاضي الشرع الشريف لكونه نهى عن منكر ظاهر الانكار فرحم الله الجميع وسامحهم وغفر لهم * وأين هذا مما يحكى عن أنوشروان العادل وهو من أهل الكفر لما أراد المهندسون تسوية ايوانه بادخال قطعة أرض لعجوز بعد أن بذلوا لها أضعاف ثمن أرضها فأبت فأمر بعدم التعرض لأرضها فبقي في ايوانه ازورار بسبب ذلك فقيل هذا الازورار خير من الاستقامة وصار ذلك مثلا يذكر بعد الوف من السنين وقال

واغا المرء حديث بعده * فكن حديثا حسنا لمن روى

* فصل * قال الحافظ نجم الدين عمر بن فهد في حوادث سنة سبع وستين وثمانمائة ما ملخصه فيها هدمت الدور التي اشتريت لتوسعة المسجد والزيادة فيه الزيادة الثانية للمهدي فهدموا أكثر دار محمد ابن عباد وجعلوا المسعى والوادي فيها وهدموا ما بين الصفا والوادي من الدور وخرقوا الوادي في موضع الدور حتى أوصلوه الى مجرى الوادي القديم في الاجياد الكبير وهو الآن الطريق الذي يمر منه الى دور السادة الأشراف أمراء مكة المشرفة عمر الله بهم البلاد وأزال بوجودهم مواد الفتنة والفساد وابتدؤا من باب بني هاشم من أعلى المسجد ويقال له الآن باب علي رضي الله عنه ووسع المسجد منه الى أسفل المسجد وجعل في مقابلة هذا الباب باب في المسجد يعرف الآن بباب حزورة ويحرفونه العوام فيسمونه باب عزورة لان السيل اذا زاد على مجرى الوادي ودخل المسجد خرج من هذا الباب الى أسفل مكة فاذا طفح عن ذلك خرج من باب الخياطين أيضا ويسمى الآن باب ابراهيم فيمر السيل ولا يصل الى جدار الكعبة الشريفة من الجانب اليماني وكان من جدار الكعبة الى الجدار اليماني من المسجد المتصل بالوادي تسعة وأربعون ذراعا ونصف ذراع فلما زيدت هذه الزيادة الثانية فيه صار من المسجد أولا الى الجدار الذي عمل آخرا وهو باق الى اليوم تسعون ذراعا فاتسع المسجد غاية الاتساع وأدخل في قرب الركن اليماني من المسجد في أسفله دار أم هانئ لان دارها رضي الله عنها كانت بقرب هذا الباب داخل المسجد الحرام الآن ومن هذا الباب يدخل الى المسجد أمراء مكة سادتنا الأشراف آل الحسن بن علي

ابن أبي طالب رضي الله عنه وكانت عند دار أم هانئ رضي الله عنها بئر جاهلية حفرها قصي بن كلاب أحد أجداد النبي صلى الله عليه وسلم فأدخلت أيضا تلك البئر في المسجد الحرام وحفر المهدى عوضها بئرا خارج الحزورة يغسلون عندها الموتى من الفقراء ومن أبواب المسجد من أسفله باب بني سهم يعرف الآن بباب العمرة لان المعتمرين من التنعيم يدخلون منه الى المسجد من أعلى مكة كما هو السنة الشريفة وسيأتي ذكر بقية أبواب المسجد الحرام عند ذكر العمارة الشريفة السلطانية العثمانية خلد الله ملك سلطنتها الى قيام الساعة ان شاء الله تعالى واستمر البناة والمهندسون في بناء الزيادة ووضع الأعمدة الرخام وتسقيف المسجد بالخشب الساج المنقش بالألوان نقرا في نفس الخشب كما أدركناه وكان في غاية الزخرفة والاحكام باقيا فيه لون اللازورد في غاية الصفاء والرونق بالنسبة الى لازورد هذا الزمان واستمر عملهم الى ان توفي المهدى رحمه الله لثمان بقين من المحرم سنة تسع وستين ومائة قبل أن تتم عمارة المسجد على الوجه الذي أراده وكان مولده في جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين ومائة ومدة ملكه احدى عشرة سنة وشهرا وعاش ثلاثا وأربعين سنة وعقد الامر لولده موسى الهادى

﴿فصل في ولاية أبي محمد موسى الهادى بن المهدى بن المنصور العباسي﴾ ولد بالرى في سنة سبع وأربعين ومائة وأمه أم ولد تسمى الخيزران والدة هرون الرشيد وكان حين موت والده بجرجان وقد عهد له أبوه بالخلافة فاخذ له البيعة أخوه هرون الرشيد لما مات أبوه لثمان بقين من شهر المحرم سنة تسع وستين ومائة ولم يل الخلافة قبله أحد في مقدار سنه * وركب خيل البريد من جرجان الى بغداد لما بويع له بالخلافة ومات بها خليفة غيره وكان طويلا جسيما أبيض بشفته العليا تقلص فيكثر لذلك فتح فمه ويغفل عن ذلك فيستمر فمه مفتوحا فوكل به أبوه في صباه خادما كلما رآه مفتوحا الفم قال له موسى أطبق فيستفيق على نفسه ويضم شفته فلقبه الناس موسى أطبق فعرف بهذا اللقب وكان وصاه أبوه بقتل الزنادقة فقتل منهم خلقا كثيرا وكان شجاعا كريما يعجبه المدح دخل عليه مروان بن أبي حفصة فانشده قصيدة في مدحه فلما بلغ الى قوله

تشابه يوما بؤسه ونواله * فما أحد يدري لأيهما الفضل

فقال له الهادى قبل أن يتمها أيما أحب اليك ثلاثون ألفا معجلة أو سبعون ألفا مؤجلة فقال بل ثلاثون ألفا معجلة فقال له جعلنا لك المعجل والمؤجل ثم قال بل عجلنا لك بهما وأمر له بمائة ألف ومدحه ابراهيم الموصلي بقصيدة أولها

سليمى أزمعت بين * فاين لقاها أين

فاعطاه سبعمائة ألف درهم وكان اكمال المسجد الحرام اول شيء امر به الهادى وبادر الموكلون بذلك الى اتمامه الى ان اتصل بعمارة المهدى وبنوا بعض أساطين الحرم الشريف من جانب باب ام هانئ بالحجارة ثم طليت بالجص وكان العمل في خلافة الهادى دون العمل في خلافة المهدى في الاستحكام والزينة والاهتمام لكن كملت عمارة المسجد الحرام على هذا الوجه الذي كان باقيا الى هذه الايام وما زيد بعد ذلك الا الزيادتان كما نشرحهما ان شاء الله تعالى * وهذه الاساطين الرخام جلبها المهدى من بلاد مصر والشام وأكثرها مجلوب من بلاد اخميم من أعمال مصر وهي بلدة خراب الآن من بلاد مصر القديمة كثيرة الرخام يجلب منه الى مصر والى غيرها من البلدان الرخام العظيم والاعمدة اللطيفة المنحوتة المخروطة من الرخام الابيض يقال ان اكثر رخام المسجد الحرام مجلوب منه والله اعلم * ولم تطل مدة

موسى الهادى وكان مدة ملكه سنة وشهرا وتوفى شابا وعمره اربع وعشرون سنة فى منتصف ربيع الآخر سنة سبعين ومائة * واختلف فى سبب موته فقيل انه دفع نديما فتعلق به فوق مافى مقصبته فدخل القصب فى مخارجهما فماتا جميعا وقيل بل قتلته امه الخيزران لما اراد قتل اخيه هرون الرشيد ليولى العهد ولدا صغيرا من اولاده عمره عشر سنين وكانت امه الخيزران قد استبدت بالامور العظام وكانت المواكب تقف على بابها فزجرها الهادى عن ذلك وقال لها ان وقف امير على بابك ضربت عنقه أمالك مغزل يشغلك أو مصحف أو سبحة تذكرك فقامت من عنده غضبى فبعثت اليه طعاما مسموما فأطعمه فعملت على قتله فلما وعلمت امرت جواريها ان يغممن وجهه ببساط جلس على جوانبه فانسد نفسه الى ان مات * وولى الخلافة بعده بعهد من ابيه اخوه هرون الرشيد العباسى الخامس من العباسيين * ليلة السبت لاربع عشرة بقيت من ربيع الاول سنة سبعين ومائة ومولده فى الرى لما كان ابوه المهدى اميرا عليها وعلى خراسان فى سنة ثمان واربعين ومائة وامه الخيزران ام الهادى وفيها قال مروان بن حفصة الشاعر

ياخيزران هناك ثم هناك * امسى يسوس العالمين ابناك

وكان فصيحا بليغا كثير العبادة كثير الحج والغزو وفى ذلك يقول بعض شعرائه

فمن يطلب لقاك أو يرده * فبالحرمين أو أقصى الثغور

وكان يحج عاما ويغزو عاما وقد يجمع بينهما فى عام واحد وكان يصلى فى خلافته كل يوم الف ركعة لا يتركها الا لعلة ويتصدق كل يوم بألف درهم ويحب العلم واهله ويعظم حرمات الاسلام * وبلغه عن بشر المريسى انه كان يقول بخلق القرآن فقال لئن ظفرت به لأضربن عنقه وكان يأتى بنفسه الى بيت الفضيل بن عياض رضى الله عنه ويعظمه وكان يبكى على نفسه وعلى اسرافه وذنوبه وكان قاضيه الامام ابو يوسف رضى الله عنه وكان يعظمه كثيرا ويمتثل أوامره * ويروى عن ابى معاوية الضرير قال اكلت مع الرشيد يوما ثم صب على يدى من لا أعرفه ثم قال لى الرشيد أتدرى من يصب عليك قلت لا قال انا اجلالا للعلم * واراد الرشيد أن يوصل بحر الروم ببحر القلزم ليتهيأ له ان يغزو الروم ببلادهم فقال له يحيى بن خالد البرمكى لو فعلت ذلك دخلت سفائن الروم واختطفوا المسلمين من المسجد الحرام فتركه وكانت ايام الرشيد ايام خير كانها اعراس وله أخبار فى الهوو اللذات سامحه الله تعالى وله مناقب لا تحصى ومحاسن لا تستقصى * وأسند الصولى عن يعقوب بن جعفر قال خرج الرشيد فى السنة التى ولى فيها الخلافة الى طرق الروم فغزا أهلها وظفر وعاد فحج بالناس آخر السنة وفرق بالحرمين مالا * وكان رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال ان هذا الامر قد صار اليك فى هذا الشهر فاغز وحج ووسع على أهل الحرمين ففعل هذا كله فى عام واحد أول خلافته ذكر ذلك الحافظ السيوطى وغيره * قال الحافظ النجم عمر بن فهد رحمه الله فى حوادث سنة سبعين ومائة فيها حج هرون الرشيد بالناس وفرق مالا كثيرا وكان حجه ماشيا على اللبود تفرش له من منزل الى منزل وقيل ان الحجة التى حج فيها ماشيا هى حجته فى سنة سبع وسبعين ومائة * قال وفى بعض حجات هرون اخلى له المسعى ليسعى فيه فتعلق ببغلته وهو يسعى أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهم فوقف له هرون الرشيد وأقبل عليه فصاح به ياهرون فقال لبيك ياعم قال ارق الى الصفا فلما رقاه قال ارم بطرفك الى البيت قال قد فعلت فقال كم هى يعنى الحجيج فقال ومن يحصيهم الا الله تعالى قال فاعلم أيها الرجل ان كل واحد من هذه الخلائق يحاسب عن خاصة نفسه ويسئل عنها وحدها يوم القيامة وأما أنت

وحدك فتسئل عنهم أجمعين فانظر كيف جوابك حين تسئل يوم القيامة فبكى هرون بكاء شديدا وخدمته يعطونه منديلا بعد منديل وهو يبلها بدموعه فقال له وأخرى أقولها لك قال قل يا عم فقال ان الرجل اذا أساء التصرف فى ماله حجر عليه فكيف أنت تسرف فى مال المسلمين وتسئ التصرف فيه وأنت محاسب عليه بين يدى الله عز وجل فازداد بكاؤه وكثر نحيبه وارادجنده ان يطردوا الرجل عنه فكفهم عنه الى ان فرغ من نصائحه كلها وقام عنه بنفسه وهرون يبكى ويتضرع ويستغفر

﴿فصل﴾ وفى اثناء دولة الرشيد قدمت الخيزران ام الرشيد والهادى الى مكة قبل الحج فى سنة احدى وسبعين ومائة فأقامت الى ان حجت وعملت الخيرات واشترت دورا بالصفا الى جنب دار الارقم المخزومى التى تشتمل على مسجد مأثور يقال له المختبى لان النبى صلى الله عليه وسلم كان يدعو فيه الى الاسلام خيفة من صولة على المسلمين فى أول البعث وأسلم فيه جماعة رضى الله عنهم ولما أسلم فيه عمر رضى الله عنه أظهر الاسلام وفيه قبة وعزارتسمى قبة الوحى وهذه الدور التى اشتراها صاحبنا المغفور له المرحوم المبرور المشكور الامير المأمور باجراء عين عرفة الى بيت الله المعمور الباذل نفسه وماله وأولاده فى سبيل الله طلبا لنيل المثوبات والاجور دفتردار مصر سابقا صاحب اللواء السلطانى المنشور المذكور باحسان الى يوم النشور ابراهيم بك بن تغرى بردى المهمندار أسكنه الله تعالى فى دار القرار جنات تجرى من تحتها الأنهار ثم ملكها من المرحوم بطريق الهدية على يد المرحوم رجب جلبى افندى ناظر الصدقات السليمية حضرة السلطان الاعظم سلطان ملوك العالم ذوى الخلق الحليم والطبع الكريم المرحوم المغفور له السلطان سليم نقله الله الى جنات النعيم وملكه ملكا أعظم من ملكه العظيم فملكها وهو شاهزاده يومئذ قبل ان يلى تخت السلطنة العظمى ففرح بها كثيرا واستبشر بحصولها ونوى ان ينشئ فيها عمائر وخيرات وجهات تصرف الى فقراء هذه الجهات فلم يقدر له ذلك وزاحمته أمور الملك والسلطنة ومجاهدة الكفار وافتتاح بلاد قبرس وغيرها ولم يمهله الزمان الجائر ولا ساعده الدهر الغابر ولكن حصل له ثواب ما نواه من الخيرات فالاعمال بالنيات وان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وصارت هذه الدار الآن من أملاك ملك العصر والزمان سلطان سلاطين الدهر فى هذا الاوان صاحب تخت السعادة والاسعاد وارث سرير الملك عن الآباء والأجداد السلطان الاعظم الاكرم السلطان مراد خلد الله تعالى أيام سلطنته القاهرة الى يوم التناد وألهمه العدل فى الرعية لاحياء رسوم المعدلة بين العباد * قلت ولم أطلع للرشيد مع كثرة خيره على أنه عمر فى أيامه شيأ من المسجد الحرام غير أن عامله بمصر موسى بن عيسى اهدى الى مكة المشرفة منبرا منقوشا مكفا له تسع درجات فجعل فى المسجد الحرام وأخذ المنبر القديم الذى كان يخطب عليه بمكة ووضع فى عرفة وذلك فى أول حجات الرشيد فى سنة سبعين ومائة وقيل غير ذلك * وفى سنة أربع وأربعين من الهجرة الشريفة نصب وخطب عليه معاوية بن أبى سفيان وهو أول من خطب بمكة على منبر وكانت الخلفاء والولاة قبل ذلك يخطبون بها قياما على أقدامهم فى وجه الكعبة وفى الحجر * قال أبو الوليد الأزرقى حدثنى جدى عن عبد الرحمن بن حسن عن أبيه قال أول من خطب بمكة على منبر معاوية بن أبى سفيان وساق ما قدمناه فى ذلك ثم قال وذلك المنبر الذى جاء به معاوية رعاخرب فكان يعمر ولا يزاد فيه حتى حج الرشيد فأتى بمنبر له تسع درجات وخطب عليه فكان منبر مكة لمن بعده الى أيام الواثق بالله العباسى فاراد ان يحج فامر ان يعمل ثلاث منابر منبر لمكة ومنبر لمنى ومنبر لعرفات وحج وخطب عليها وفرق بالحرمين على اهلها مالا كثيرا * وفى ايامنا التى أدركناها من

الشباب الى المشيب شاهدنا منابر عملها سلاطين عصرنا وسنذكرها في محلها ان شاء الله تعالى

﴿ فصل ﴾ اعلم ان ما يتحفه العاقل ويدخر عنه الا الابله ان الدنيا دار الاكدار ومحل الهموم والغموم والحسرات وان اخف الخلق بلاء وألما الفقراء واعظم الناس تعبا وهما وغما الملوك والامراء والكبراء ويقال لكل بشر شغى قامة من الهم وقيل

لقد قنعت همتي بالخمول * وصدت عن الرتب العالية
وما جهلت والله طيب العلى * ولكنها تؤثر العافية

وقيل ايضا

بقدر الصعود يكون الهبوط * فاياك والرتب العالية
وكن في مقام اذا ما وقفت * تقوم ورجلاك في عافية

وطالما رضيت الملوك والسلاطين بحال الضعفاء والفقراء والمساكين

في كل بيت كربة ومصيبة * ولعل بيتك ان رأيت أقلها

فارض بحال فقرك واشكر الله على خفة ظهرك ولا تتعد طورك تجد ذلك نعمة خفية ساقها اليك ورحمة أفاضها الله تعالى من خزائن لطفه عليك واعتبر بهذه الكلمات وخذ لنفسك حظا وافرا من هذه العظات * ومن ذلك ان هرون الرشيد من اعقل الخلفاء العباسيين واكملهم رأيا وتدبيرا وفطنة وقوة واتساع مملكة وكثرة خزائن بحيث كان يقول للسحابة امطري حيث شئت فان خراج الارض التي تمطرين فيها يجيء الي ومع ذلك كان أتعبهم خاطرا وأسنهم فكرا وأشغلهم قلبا وكان من اولاده محمد الامين من زبيدة بنت جعفر المنصور ﴿ تقسيم الرشيد الملك بين ولديه الأمين والمأمون ﴾ وكانت زبيدة قد استولت على عقل الرشيد تتصرف فيه كيف أرادت وكان ولده منها محمد الأمين شديد الترفه والدلال كثير اللهو واللعب مغلوبا على عقله لا يصلح للملك ولا يستحق الخلافة وولده الثاني من جارية سوداء اسمها مراجل من جوار المطبخ ماتت في نفاسها عن عبد الله المأمون وكان أتم عقلا ورأيا وأصح تدبيرا واكثر فضلا ومعرفة فيه صلاحية لتدبير الملك واهلا لأن يكون خلفا عن ابيه في خلافته وما قدر ابوه ان يجعله ولي عهده بعده مخافة على خاطر زبيدة على ذلك فجعل ولي عهده محمد الأمين في سنة خمس وسبعين ومائة ولقبه بالأمين وعمره يومئذ خمس سنين لحرص امه زبيدة على ذلك وجعل عبد الله المأمون ولي العهد بعد محمد الأمين في سنة ست وثمانين وولاه الجزيرة والثغور وهو صبي ولقبه المؤتمن وقسم ملكه بين هذه الثلاثة فقالت العقلاء لقد ألقى بينهم وأضر الرعية بهم قال عبد الملك بن صالح

الله قد هرونا خلافته * لما اصطفاه فأحيا الدين والسننا
وقدم الامر هرون لرأفته * بنا امينا ومأمونا ومؤتمنا

وطوى الرشيد الملك عن ولده الرابع وهو محمد المعتصم لكونه اميا فاراد الله تعالى خلاف ما اراده الرشيد وقتل محمد الأمين على يد عبد الله المأمون وصارت الخلافة بعد المأمون الى محمد المعتصم ساقها الله تعالى اليه وجعل الخلق كلهم من نسله ولم يجعلها من غير نسله من اولاد الرشيد وان الملك بيد الله يؤتيه من يشاء وكان الرشيد لما كمل عهده لاولاده الثلاثة جمع الجموع وامرهم ببيعة اولاده المذكورين فبايعوهم وعاهدوهم وكتب بذلك عهدا محكما وكتابا مبرما ووضع ووضع الاعيان والاركان والامراء والكبراء خطوطهم عليه وجهز الى بيت الله تعالى وامر بتعليقه في وسط الكعبة الشريفة ليشتد الوثوق به ولا

يقع خلافه فى ذلك قال ابراهيم الموصلى

خير الامور تعبه * وأحق امر بالتمام
امر قضى احكامه * مولاى فى البيت الحرام

ولم يغن ذلك التدبير عما رقم القلم التقدير فى لوح المقادير والله على كل شئ قدير وقال

ولو كانت الدنيا تنال بغبطة * وتدبير رأى نيل أعلى المراتب
ولكنما الاقدار تجرى بقدرة * من الله لا تجدى تدابير طالب

قال شيخ شيوخنا الحافظ السيوطى رحمه الله تعالى وذكر محمد بن الصباح الطبرى ان أباه مشى مع الرشيد من خراسان الى النهر وان فجعل الرشيد يحادثه فى الطريق ويشكو همومه ويتنفس عنده نفثات الصدور الى ان قال يا صباح اظنك لا ترانى بعد هذا فقلت بل يطيل الله عمر امير المؤمنين ويفديه بارواحنا ويعيش سالما من الآفات فقال انك لا تدرى ما احد فقلت لا والله فقال تعال حتى أريك ما اخفيه عن غيرك وتنحى عن الطريق واومأ الى من معه بالتنحى عنه فأبعد عنهم وهم يرمقونه بطرف خفى ثم قال أمانة الله يا صباح اكتم امرى فقلت نعم فكشف عن بطنه فاذا عصابة حرير معصوبة على بطنه فقال هذه علة اكتمها عن كل احد وحولى رقباء لكل واحد من اولادى يعدون أنفاسى على فسرور رقيب المأمون وجبريل بن بختيشوع رقيب الأمين وفلان وعد ثالثا أنسيته رقيب المؤتمن وكل منهم يحصى ايامى وساعاتى ويستطيل عمرى وحياتى ويظهر ذلك الآن منهم ان أطلب منهم برذونا لركوبى فيأتونى به أعجف ضعيفا ان يدنى على ويضاعف على مرضى ثم طلب منهم برذونا لركوبه فأتوه ببرذون عاجز منقطع يتعب راكبه كما ذكروهو يداريهم ويصبر على ما يكابده منهم فنظر الى نظرة حزين مكروب وركب ذلك البرذون فقبلت رجله وودعته وهم ينظرون الى نظرة خفت عاقبتها وكفانى الله تعالى شرهم واستمر الرشيد عليلا الى ان بلغنى وفاته بطوس رحمه الله تعالى فانظر الى هذا الملك الجليل والخليفة النبيه النبيل والسلطان الذى قل ان يوجد له مثيل وهو عاجز فى يد غلمانه مغلوب عليه فى ملكه وسلطانه متحسر على عظيم شأنه متأسف على علو مكانه بيده خزائن الارض ولا يملك منها نقيرا ولا قطميرا ولا يقدر على كل شئ وكان ربك قديرا * ولما جردت المنية موسى الحمام على هرون ومزقت ثياب رشد الرشيد مخالب المنون وخلعت عنه خلع الخلافة والسلطان وغسلته بماء الدموع الممزوج بدماء الاجفان وحنطته بحنوط اعماله وأدرجته فى اكفان خصاله وخلاله ونقلته من سرير السعود الى اخدود اللحود فمضى كأنه لم يكن شيأ مذكورا وكان امر الله قدرا مقدورا * وقد حكى الرشيد أنه كان رأى مناما انه يموت بطوس فلما وصل الى طوس وقد غلب عليه الوعك عرف انه ميت فبكى واختار لنفسه مدفنا وقال احفروا لى قبرا فى هذا المحل فحفروا له فقال قربونى الى شفيره فحملوه فى قبة الى ان نظر الى القبر فسالت عبرته وزادت غبرته وقال يا ابن آدم الى هذا تصير ولا بد من هذا المصير وامر ان ينزل الى لحده من يقرأ ختمة فيه ففعلوا ذلك فمات وصلى عليه ابنه صالح والحد فى القبر بطوس لثلاث مضين من جمادى الآخرة سنة احدى وتسعين ومائة وتقدم أن مولده بالرى سنة ثمان واربعين ومائة وكانت مدة ملكه ثلاثا وعشرين سنة وشهرين ونصف رحمه الله تعالى

* فصل * ولما توفى الرشيد ولى الخلافة ولده محمد الأمين وكان مليح الصورة أبيض جميلا فصيحا بليغا سيئ التدبير كثير التبذير ضعيف الرأى أرعن لا يصغى الى قول المشير * ولما ولى الخلافة اتخذ اللهو شعارا وشرب

الخمر خمارا وخلع العذار فى العذارى واشترى عريب المغنية بمائة ألف دينار وجارية بن عمه ابراهيم بن المهدى بعشرين الف الف دينار وعزل اخاه المؤتمن وخلع اخاه المأمون وارسل الى الكعبة المعظمة من جاءه بصحيفة عهد والده له ولأخويه فمزقها وعهد الى ولده رضيع سماه الناطق بالحق ودعى له على المنابر وتمن نصح الأمين ومنعه عن هذا الغدر والنكث حازم بن خزيمة فقال له يا أمير المؤمنين لن ينصحك من كذبك ولن يغشك من صدقك وانى أنصحك وأصدقك ولا أكذب فى نصحك لا تجرى القواد على الخلع فيخلعوك ولا تحملهم على نكث العهد فينكثون عهدك وان الغدر شؤم والناكث منكوب مغلوب وصاحب الحق مظلوم وجرت العادة بنصر المظلوم وتوجه القلوب اليه ورقت النفوس عليه ولذلك تأثير فى الظاهر والباطن فأبى الامين منه ونبذ كلامه وعمل برأيه السقيم وصمم أشد تصميم وأرسل جيشا مع على بن عيسى على أخيه المأمون عدتهم أربعون الفا وأرسل المأمون لقتاله طاهر بن الحسين ومعه أربعة آلاف مقاتل فانهزم على بن عيسى وقتل وذبح وتشتت عساكره وجاء طاهر بن الحسين برأسه الى المأمون وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله فقوى قلب المأمون بذلك وكثر أتباعه ومال الناس اليه فجمع الجموع وسار الى بغداد لقتال اخيه الأمين ولا زال امر المأمون يحسن بحسن تدبيره وامتثال الناس اليه ويضعف الأمين فى لهوه وغفلته ولعبه مع نسائه بحضرته واحتجابه عن اهل دولته الى ان هجم طاهر بن الحسين ودخل الى بغداد فجاء مسرور الخادم الى الأمين وهو فى جنب حوض مع جواريه يصيد معهن السمك من ذلك الحوض وكان وضع فى أنف كل سمكة درة نفيسة شبكها بقضيب الذهب فكل من صادت من جواريه سمكة كانت الدرة التى فى انفها الصائدتها فرفع الأمين رأسه الى مسرور فقال له ان طاهر بن الحسين دخل بعسكره الى بغداد فقال له دعنى فان الجارية فلانة صادت مشنفتين وانا ما صدت شيأ فرجع مسرور باهتا واذا بالجند قد أحاطوا بدار الخلافة ونهبوها وامسك طاهر بن الحسين الأمين بيده وحبسه فلما شاهد الأمين هذا الحال قال لطاهر بن الحسين يا طاهر اعلم انه ما قام لنا قائم قط فكان جزاؤه عندنا الا السيف فانظر لنفسك أودع يلوح بأبى موسى الخراسانى الذين بذلوا أموالهم فى قيام الدولة العباسية فكان مآلهم الى القتل وهذه عادة الله تعالى فيمن ذكر من مقيمى الدول كعمرو بن سعيد أقام دولة عبد الملك بن مروان فقتله وأبى مسلم الخراسانى أقام دولة السفاح فقتله المنصور وكعبد الله القائم بدولة العبيديين قتله عبيد الله المهدى وأمثال ذلك كثير فأثرت هذه الكلمات فى قلب طاهر وصار يحذر منها الى أن كان آخر قتله بيد المأمون * ولما رأى طاهر بن الحسين بعد الاستيلاء على الأمين وحبسه عدم سكون الفتنة أدخل أعاجم لا يعرفون اللسان على الأمين وأمرهم بقتله فقتلوه فأخذ برأسه وطيف به فى مدينة بغداد ونودى عليه هذا رأس المخلوع الى أن سكنت الفتنة وكان ذلك فى المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة * قال محمد بن راشد أخبرنى ابراهيم بن المهدى انه كان مع الامين لما حوصر قال فطلبنى فى ليلة مقمرة فجئته فقال ما ترى فى حسن هذه الليلة وضوء هذا القمر فاشرب معى نبيذا فسقانى ثم طلب جارية تغنيه فجاءت جارية اسمها ضعف فتطيرت منها وغنت بشعر النابغة الجعدى

كليب لعمرى كان أكثر ناصرا * وأيسر ذنبا منك ضرج بالدم

فتطير من ذلك وقال غنى غير هذا فغنت تقول

أبكى فراقهم عينى فأرقها * ان التفرق للاحباب بكاء

قوله أودع يلوح الخ هكذا بالاصل وحرر اه

مازال يعدو عليهم ريب دهرهم * حتى تفانوا وريب الدهر عداء

فقال لها العتبي الله أما تعرفين غير هذا فقالت

اما ورب السكون والحرك * ان المنايا كثيرة الشرك

ما اختلف الليل والنهار ولا * دارت نجوم السماء في الفلك

الا لنقل السلطان عن ملك * قد زال سلطانه الى ملك

وملك ذي العرش دائم أبدا * ليس بفان ولا بمشترك

فقال لها قومي لعنك الله فقامت فعثرت في كأس بلور فكسرته فازدادت تطيره فقال يا ابراهيم ما أظن أمري الا قد قرب واذا بصوت سمعناه من الشارع قضى الأمر الذي فيه تستفتيان فقام مغتما وقت عنه فأخذ بعد ليلتين وقتل تجاوز الله تعالى عنه وعظم قتل الأمين على المأمون وكان يريد أن يرسل به طاهر ابن الحسين الى أخيه حيا ليرى رأيه فيه فحقد ذلك على طاهر حتى عاش طريدا بعيدا وآل أمره الى ما آل

﴿فصل﴾ لما تم على الأمين ما تم وكان ذلك على أمة زبيدة أعظم ما تم آل الملك الى عبد الله المأمون بعد قتل أخيه في سنة ثمان وتسعين ومائة * وكان من أتم رجال بني العباس حزما وعزما وعلما وحلما وفراسة وفهما سمع الحديث على جماعة وتأدب وتفقه وبرع في فنون التاريخ والأدب ولما كبر اعتنى بالفلسفة وعلوم الأدب فضل وأضل ومحن الناس بالقول بخلق القرآن ولولا ذلك لكان يعد من أكمل الخلفاء وكان يضرب المثل بحلمه * ومن انصافه انه رأى آل النبي صلى الله عليه وسلم أحق بالخلافة من غيرهم وهم بخلع نفسه وتفويض الامر الى علي بن موسى الكاظم وهو الذي لقبه بالرضى وضرب الدنانير والدراهم باسمه وزوجه ابنته وأمر بترك السواد ولبس الخضرة وجعله ولي عهده في الخلافة فاشتد ذلك على بني العباس وخرجوا عليه وبايعوا ابراهيم بن المهدي ولقبوه المبارك فثار المأمون عليه فهرب منه واختفى ثمان سنين ثم جاء الى المأمون في صفر سنة أربع ومائتين * وتوفي الامام علي بن موسى الرضى في سنة ثلاث ومائتين وأسف عليه المأمون وأراد اقامة غيره فذكر الصولي ان بعض نصحائه قال له انك في برك بأولاد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه والامر فيك أقدر على برهم والامر فيهم وكلم العباسيون في اعادة لبس السواد فأبى فكرروا ذلك عليه الى أن أجابهم الى ذلك وأعاد شعارا السواد وكان كثير الجهاد وهو الذي افتتح قرة حصار وكان كثير العبادة قيل انه ختم في شهر رمضان ثلاثة وثلاثين ختمة وكان العلماء محونين في أيامه يجبرهم على القول بخلق القرآن فدعوا عليه فأهلكه الله تعالى * ويقال ان سبب موته انه أشتهى أكل سمكة تسمى الرعادة ان لمسه أحد أخذته النفاضة من ساعته لبردها فأكل منها فمات لوقته وما أمن المأمون من اظفار ريب المنون ونقل من الملك الى المهلك جسمه المصون ووراه التراب عن الاحباب وسالت العيون ورجع الى ربه الكريم وانا الى الله راجعون وكان وفاته لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ثمان عشرة ومائتين بأرض الروم ودفن في طرسوس وفيه قال أبو سعيد المخزومي

هل رأيت النجوم أغنت عن الما * مون أو عن ملكه المأسوس

خلفوه بعرصتي طرسوس * مثل ما خلفوا أباه بطوس

﴿فصل لما مات المأمون ولي بعده الخلافة أبو اسحق محمد المعتصم بن هرون الرشيد﴾ مولده سنة ثمانين ومائة * وكان يقال له المثمن لانه ثامن الخلفاء وثامن أولاد الرشيد والثامن من ولد العباس

واستخلف سنة ثمان عشرة ومائتين وملك ثمانية أعوام وثمانية أشهر وثمانية أيام وعاش ثمانية وأربعين سنة * وذكر الصولى قال كان مع المعتصم غلام فى الكتاب يتعلم معه القرآن فمات الغلام فقال له الرشيد يا محمد مات غلامك قال نعم يا سيدى واستراح من الكتاب فقال يا ولدى وان الكتاب يبلغ منك هذا المبلغ وقال لمعلمه اتركه لا تعلمه شيأ فانتشأ عاميا يكتب كتابة مغشوشة ويقرأ قراءة ضعيفة وقال نفطويه كان المعتصم من أشد الناس قوة وبطشا كان يجعل زند الرجل بين أصبعيه فيكسره نقل ذلك الحافظ السيوطى وتلك قوة عظيمة ما وصل اليها أحد * قال وهو أول من أدخل الاتراك الدواوين وكان يتشبه بملوك الأعاجم وبلغ غلمانه الاتراك ثمانية عشر ألفا * وبعث الى سمرقند وفرغانة أموالا لشراء الاتراك وألبسهم أطواق الذهب والديباج وكانوا يطردون الخيل فى بغداد ويؤذون الناس فضاقت بهم البلد فشكاهم أهل بغداد الى المعتصم واجتمعوا على بابه وقالوا ان لم تخرج جندك الاتراك عنا حاربناك قال كيف تحاربونى وأنتم عاجزون عن حربى قالوا نحاربك بسهام الاسحار ونسل عليك سيوف الدعاء فقال والله لا أطيق ذلك ولكن أنظروني لأنظر لى بلدا أستقل بهم فيها ولا تتضررون بى وكفوا عنى سهام دعائكم فبنى مدينة سر من رأى بقرب بغداد وانتقل اليها فى سنة عشرين ومائتين وللمعتصم عدة غزوات مع الكفار أشهرها غزوة عمورية ظهرت له فيها اليد البيضاء ونصر فيها الملة المحمدية الغراء وخذل فيها الكفرة أعداء الدين وأعز فيها الاسلام والمسلمين * وملخصها ان ملك الروم كان اذذاك من أكبر ملوك النصارى أرسل كتابا للمعتصم يهدده فاستشاط غضبا فكتب له الجواب فلم يرضه شئ منها ومزق الكتاب الذى ورد عليه وأمر أن يكتب فى ظهر قطعة منها * بسم الله الرحمن الرحيم الجواب ما تراه لا ما تقرأه وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار وتجهز من ساعته فمنعه المنجمون وقالوا ان الطالع نحس فقال هو نحس عليهم لا علينا وسافر من يومه ولاحقت العساكر ووقع حرب عظيم قتل فيه ستون ألفا من النصارى وأسر منهم ستون ألفا وهرب ملكهم وتحصن بحصن عمورية فحاصره المعتصم ونزل به الى أن فتحه وأسر ذلك الملك الكافر وقتله وكان ذلك فتحا عظيما من أعظم فتوح الاسلام ومدحه الشعراء بقصائد طنانة وأحسن ما قيل فيها قصيدة أبى تمام التى سارت بها الركبان وطنت حصاتها فى الاسماع والآذان وهى

السيف أصدق أنباء من الكتب * فى حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف فى * متونهن جلاء الشك والريب
والعلم فى شهب الأرماح لامعة * بين الخميسين لا فى السبعة الشهب
أين الرواية بل أين النجوم وما * صاغوه من زخرف فيها ومن كذب
ولو تبين أمر قبل موقعه * ما يخفى ما حل بالاوثان والصلب
فتح تفتح أبواب السماء له * وتبرز الارض فى أثوابها القشب
فتح الفتوح المعلى أن يحيط به * نظم من الشعر أو نثر من الخطب
تدبير معتصم بالله منتقم * لله مرتقب فى الله مرتقب
لم يرم قوما ولم ينهض الى بلد * الا تقدمه جيش من الرعب
لو لم يقد جحفلا يوم الوغا لغدا * من نفسه وحدها فى عسكر لجب
عداك حر الثغور المستضاة عن * برد الثغور على سلسالها الخضب

حتى تركت عمود الشرك منعفرا * ولم تفرج على الاوتاد والطنب
ان الاسود أسود الغاب همتها * يوم الكريهة فى المسلوب لا السلب
خليفة الله جازى الله سعيك عن * جرثومة الدين والاسلام والحسب
ان كان بين صروف الدهر من رحم * موصولة أو ذمام غير منقضب
فبين أيامك اللاتى نصرت بها * وبين أيام بدر أقرب النسب

انظر الى هذا الدر المنضود والجوهر الذى يزرى بجوهر العقود وتنزه فى رياض ألفاظه ومعانيه واجتنى ثمار البلاغة من مقاطف أزهاره ومجانيه وخذ بالحظ الوافر من ذوق تراكيبه ومبانيه * وكان المعتصم من أغلظ الخلفاء الذين ألزموا الناس بخلق القرآن وجبر علماء الاسلام على ذلك وأذاقهم الهوان وهذه من أعظم خلاله الرديه مع انه كان عاميا لاحظ له من الكمالات العليه بل حمله على ذلك مجرد الجهل والعصبيه وما كان أغناه هو وأخوه عن الزام العلماء بهذه الجهليات عدوانا وبغيا ومالهم والدخول فى هذه المسالك الضيقة ضلالا وغيا وما حملهم على ذلك غير الجهل والغرور بهذه الدنيا فما أسرع ما ذهبوا وذهب غرورهم وعزهم بددا ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا * ولما جرد عليه الاجل سيف المنون ما عصم المعتصم ظهور الحصن ولا بطون الحصون ولا منعه عن حسام الحمام مال ولا بنون

كل حى لاقى الحمام فردى * ما الحى مؤمل من خلود
لا تهاب المنون شيأ ولا تر * عى على والد ولا مولود
يقدح الدهر فى شمار يخ رضوى * ويحط الصخور من هبود
ولقد تنزل الحوادث والايا * م وهنا فى الصخرة الجلمود
وأرانا كالزرع يحصدنا الد * هر فمن بين قائم وحصيد
يحكم الله ما يشاء ويمضى * ليس حكم الله بالمردود
ليس ينجى من المنون حصون * عالیات ولا حصار حديد

ومن أرجى دعائه لما احتضر اللهم انك تعلم انى أخافك من قبلى لا من قبلك وأرجوك من قبلك لا من قبلى فيا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه * وتوفى الى رحمة الله يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة بقيت من ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومائتين

﴿ فصل وولى الخلافة بعد المعتصم أبو جعفر ولقب الواثق بالله ﴾ فى تاسع ربيع الأول سنة ثمان وعشرين ومائتين * ومولده لعشر بقين سنة ست وتسعين ومائة وامه أم ولد رومية اسمها قراطيس واستخلف تركيا اسمه اشناس ولقبه بالسلطان وهو أول خليفة استخلف سلطانا وألبسه وشاحين وتاجا مجوهرا وتبع اباه فى القول بخلق القرآن ثم رجع عن ذلك آخر عمره * قال الخطيب كان أحمد بن داود حاضرا فقال الرجل وهو مكبل بالحديد اخبرونى عن هذا الرأى الذى دعوتم الناس اليه هل هو علم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يدع الناس اليه أو لم يعلمه فقال ابن داود بل علمه فقال فكان يسعه ان لا يدع الناس اليه وأنتم لا يسعكم فبهتوا وضحك الواثق وقام قابضا على فمه ودخل بيته ومد رجليه وهو يقول وسع النبى صلى الله عليه وسلم ان يسكت عنه ونحن لا يسعنا وأمر ان يعطى الرجل ثلثمائة دينار وان يرد الى بلده ولم يمتحن أحد بعدها ومقت ابن داود من يومئذ ولم يرتفع له شأن والرجل هو أبو عبد الله بن محمد

الازدى شيخ الكسائى * وكان الواثق عالما شاعرا حاذقا كثيرا لا كل أكثر بنى العباس رواية للشعر ومن شعره فى واقعة حال له

حيالك بالنرجس والورد * معتدل القامة والقد
فألهبت عيناه نار الجوى * وزاد فى اللوعة والوجد
أملت بالملك وصالابه * فصار ملكى سبب البعد
مولى تشكى الظلم من عبده * فانصفوا المولى من العبد

قال الصولى اجمعوا على انه ليس لاحد من الخلفاء مثل هذه الأبيات فى الرقة واللطف * مات بسر من رأى يوم الأربعاء لست بقين من ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين * وحكى انه لما مات ترك وحده واشتغل الناس بالبيعة للمتوكل فجاء جردون واستل عينيه وأكلها فسبحان العزيز المتعال وتبارك القوى القادر ذو الجلال بيده الملك لا يزول ولا يزال ﴿ ثم ولى بعده أخوه أبو الفضل جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن الرشيد العباسى ﴾ مولده سنة خمس ومائتين وبويع له بالخلافة فى اليوم الذى مات أخوه فيه وأمه أم ولد تركية اسمها شجاع وكان كريما ما أعطى خليفة شاعرا ما أعطاه المتوكل وكان سنيا سنيا أظهر السنة وأكرم علماء الحديث وأمات البدع ومنع القول بخلق القرآن وألبس النصارى بلبس الغل وشنع على الجهمية والمعتزلة وأمر نائبه بمصر ان يحلق لحية قاضى مصر ابن أبى الليث ويطوف به الاسواق على حمار لانه كان جهميا معتزليا يقول بالجهة وخلق القرآن * ومن أفعاله الشنيعة انه هدم قبر الحسين بن على رضى الله عنهما فى سنة ست وثلاثين ومائتين وهدم ما حوله من الدور وجعل مزرعة ومنع من زيارته فتألم الناس لذلك وكتبوا شتمه على الحيطان وقيل فيه

تالله ان كانت أمية قد أتت * قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد أتاه بنو أبيه بمثله * هذا لعمرى قبره مهدوما
اسفوا على أن لا يكونوا شاركوا * فى قتله فتتبعوه رميما

وهذا الفعل السئ مع جميع محاسنه وصار ما عذب من زلال احسانه مغلوبا باجاجه وآسنه وعدت عليه هذه الزلة افضح فضيحة وهذه الخلة الشنيعة أقبح من كل قبيحة * ووقعت فى أيامه عجائب منها ان النجوم ماجت فى السماء وتناثرت كالجراد ولم يعهد قط مثل ذلك ورجمت قرية السويداء بناحية مصر بأحجار من السماء فوزن حجر منها فكان عشرة أرطال وسار جبل باليمن عليه مزارع الى جبل آخر ووقع فى قرية طائر دون الرخمة فصاح يا معشر الناس اتقوا الله أربعين مرة وجاء من الغد ففعل ذلك فكتبوا خبر ذلك على البريد الى بغداد وكتبوا فيها شهادة خمسمائة انسان سمعوا ذلك باذانهم وذلك فى رمضان سنة احدى وأربعين ومائتين وحصلت الزلازل وغارت عيون مكة فأرسل المتوكل الى مكة مائة ألف دينار اذهبا لاجراء ما عين عرفات اليها فصرف فيها الى ان جرت ذكر ذلك السيوطى رحمه الله * وذكر الحافظ نجم الدين عمر بن فهد فى كتابه اتحاف الورى بأخبار ام القرى فى حوادث سنة خمس وأربعين ومائتين فيها غارت عين مشاش وهى عين مكة فبلغ ثمن القربة درهما فبعث المتوكل على الله جعفر بن المعتصم مالا فأنفق عليها حتى جرت كذا ذكره ابن الاثير فى تاريخه وهذه العين من عمل زبيدة وهى عين بازان ظنا انتهى * قلت عين مشاش موجودة الى الآن وهى من جملة العيون التى تنصب فى دبل عين حنين وهى تجرى وتضعف احيانا بقلة المطر ومحلها معروف * ولما

كثرت المماليك فى بغداد ودخلوا فى أمر الملك استولوا على المملكة وصار بيدهم الحل والعقد والولاية والعزل الى أن حملهم الطغيان على العدوان وسطوا على الخليفة المتوكل لما أراد ان يصادر مملوك ابيه وصيف التركى لكثرة أمواله وخزائنه فتعصب له باغر التركى وانحرف الاتراك عنه فدخل باغر عليه ومعه عشرة أتراك وهو فى مجلس انسه وعنده وزيره الفتح بن خاقان بعد ان مضى من الليل ثلاث ساعات فقال الفتح ويلكم هذا سيدكم وابن سيدكم وهرب من كان حوله من الغلمان والندماء على وجوههم وبقى الفتح وحده والمتوكل غائب عن نفسه من السكر فضربه باغر بالسيف على عاتقه فقده الى خصره فطرح الفتح نفسه عليه فضربهما باغر ثانية فماتا جميعا فلفهما معا فى بساط ومضى هو ومن معه ولم ينقطع فى ذلك شاتان * وكان قتله فى ليلة الاربعاء لليلتين مضتا من شوال سنة سبع واربعين ومائتين فى القصر الجعفرى وكان بناه المتوكل ولما قتل دفن فيه رحمه الله تعالى هو ووزيره الفتح بن خاقان رحمهما الله تعالى * وكانت خلافته اربعة عشر عاما وعمره احدى وأربعون سنة ﴿ وولى بعده ولده محمد أبو جعفر المنتصر بالله بن المتوكل على الله بن المعتصم بالله بن هرون الرشيد العباسى ﴾ بويع له بالخلافة بعد قتل أبيه ولم يتهن بالملك لاستيلاء المماليك الاتراك على المملكة ويقال انه واطأ الاتراك على قتل أبيه ليلى الخلافة بعده والله أعلم بذلك * وكان على حذر من الاتراك ويسبهم ويقول هؤلاء قتلة الخلفاء فلم يأمنوه وارادوا قتله فما أمكنهم الاقدام على ذلك لشدة محاذرته منهم فدسوا الى طبيبه ابن طيفور ثلاثين ألف دينار عند توعكه ليسمه فقصده ببعض مسموم فأحس بذلك وأراد قتل الطبيب فقال له انك تصبح طبيبا وتندم على قتلى فأمهلنى الى الصبح فأمهله فأصبح ميتا * ويحكى انه بات ليلة فى وعكه فانتبه فزعا وهو يبكى فسألته أمه ما يبكيك فقال أفسدت دينى ودنياى رأيت والدى الساعة وهو يقول قتلتنى يا محمد لأجل الخلافة والله لا تتمتع بها الا أياما قلائل ثم مصيرك الى النار فاستمروا هو وما من هذا المنام فما عاش بعد ذلك الا أياما قليلة وذكر ابن يحيى المنجم ان المنتصر جلس يوما للهو وأمر بفرش بساط من ذخائر الخزينة تداولته الملوك ففرش فرأى فيه صورة رأس عليه تاج وعليه كتابة بالفارسية فطلب من يستخرج تلك الكتابة فأحضر لذلك رجل من الاعاجم فقرأه بلسانه وعبس عند قراءتها فسأله المنتصر عنها فقال لا معنى لها فألح عليه فقال هى أنا الملك شيرويه بن كسرى بن هرمز قتلت أبى فلم أتمتع بالملك الا ستة أشهر وهى مشهورة فتغير وجه المنتصر لذلك وأقام من ذلك الجلس وترك اللهو الذى أراده وصار مغتما مهتما به * وكان على خلاف رأى أبيه فى آل أبى طالب وأعاد قبر الامام الحسين بعد ما كان هدمه أبوه وأمر بزيارته وردد على آل الحسين حائط فدك * وقصته مشهورة وهى مما تنقمه الشيعة على سيدنا أبى بكر رضى الله عنه وانما فعل ذلك لحديث سمعه من النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة ووافقه على ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه ولم ينقض ذلك الحكم لما آلت الخلافة اليه لعلمه أن ذلك هو الحق وماذا بعد الحق الا الضلال وكانت خلافة المنتصر ستة أشهر كما توهمه * قال أبو منصور الثعالبى رحمه الله فى العجائب ان اعرق الاكاسرة فى الملك شيرويه قتل أباه فلم يعش بعده الا ستة أشهر * قلت وكل منهما مات مسموما وكانت وفاة المنتصر بالفصد ببعض مسموم كما قدمناه لخمس مضين من ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين وكان عمره ستا وعشرين سنة * ثم ولى بعده أبو العباس أحمد المستعين بالله بن المعتصم بالله عم المقتدر بالله اخو المتوكل على الله * وانما قدمه الترك واختاروه وعدلوا عن اولاد

المتوكل لانهم كانوا قتلوه فخافوا أن يلى الخلافة أحد من أولاده فيأخذ بثار أبيه فاختاروا من أولاد المعتصم المستعين بالله * ومولده سنة احدى وعشرين ومائتين وامه أم ولد تسمى مخارق وما كان له من الخلافة الا الاسم وكانت الممالك الأتراك مستولين على الملك وكان الأمر جميعه لوصيف التركى وباغر التركى حتى قيل فى ذلك

خليفة فى قفص * بين وصيف وبغا
يقول ماقالا له * كما يقول الببغا

فاستمر كذلك وهو يترصدهما الى ان ظفر بوصيف التركى فقتله ونفى باغر التركى الذى كان سطا فى المتوكل وقتل به فتنكرت له الاتراك فخرج عنهم من سامرا الى بغداد فأرسلوا اليه يعتذرون منه ويسألونه فى العود الى سامرا وهو محل الاتراك فامتنع منهم وكان المستعين فاضلا ديناً أخبارياً مطلعاً على التواريخ متجملا فى ملبسه وهو أول من أحدث الاكمام العراض فجعل عرض الكم ثلاثة أشبار وهو الآن من شعار سادتنا اشراف مكة بنى حسن اعزهم الله تعالى ولما أبى المستعين عن العود الى الاتراك فى سامرا قصد الاتراك خلعه فأتوا الى الحبس واستخرجوا منه محمداً أبا عبد الله بن المتوكل على الله ولقبوه المعتز بالله وبايعوه وعمره تسعة عشر عاماً ولم يل الخلافة اصغر سناً منه وخلعوا المستعين بالله فى أول سنة اثنتين وخمسين ومائتين وجيشوا الى بغداد جيشاً كثيفاً على المستعين بالله وقاتلوه وقاتلهم ودام القتال اشهراً وكثر القتال وغلت الأسعار وعظم البلاء وتلاشا أمر المستعين بالله الى ان خلع نفسه واشهد القضاة والعدول على نفسه بذلك فأخذوه وانحدروا الى واسط وحبسوه بها تسعة أشهر ثم ندب له سعيد الحاجب فذبحه فى الحبس فى ثالث شوال سنة اثنتين وخمسين ومائتين وله احدى وثلاثون سنة رحمه الله واستمر المعتز بالله خليفة وكان بديع الحسن مليح الصورة وليس فى الخلفاء أجمل حسناً منه وكان مستضعفاً مع الاتراك وكان صالح بن وصيف مستولياً على المعتز خائفاً منه فاجتمع الجند عليه وطلبوا منه أرزاقهم فركبوا معه على صالح بن وصيف وقتلوه فيصفوله الملك ولم يكن فى خزائنه مال ليصرفه عليهم وطلب من أمه وكانت تركية اسمها قبيحة الفرط جمالها فأبت عليه وشحت بالمال وسمحت بولدها وهو خليفة وكان معها مال عظيم فاتفق الاتراك على خلعه وركب عليه صالح بن وصيف ومحمد بن بغا وأتوا الى دار الخلافة وهجموا على المعتز وجروا برجله فأوقفوه فى الشمس وعذبوه حتى خلع نفسه وأدخلوه الحمام ومنعوه من شرب الماء الى ان مات عطشاً * وأحضروا أبا عبد الله محمد ابن الواثق بالله ولقبوه المهتدى بالله بن الواثق بن المعتصم بن الرشيد وبايعوه بالخلافة ليلة بقيت من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين وله بضع وثلاثون سنة وصادر صالح بن وصيف ام المعتز وعذبها حتى أخذ منها ألف ألف دينار ذهباً ونصف أردب لؤلؤ ومثله زمرد وثلث أردب ياقوت أحمر ثم أخرجت الى مكة وأقامت بها الى ان ماتت وأقل الناس الترحم عليها حيث ظهر عندها هذا المال وشحت به على ولدها * وكان المهتدى كثير العبادة ليس له من الامر شئ وكان قد أطرح الملاهى ومنع الظلمة عن الظلم فاتفق الاتراك على خلعه وركبوا عليه فخرج اليهم وقاتلهم بنفسه الى ان مسكوه باليد وعصروا على بطنه الى ان مات رحمه الله تعالى فى رجب سنة ست وخمسين ومائتين وكانت خلافته سنة الا خمسة عشر يوماً * وولى الخلافة بعده ابن عمه أبو جعفر احمد ﴿ وتلقب المعتمد على الله وستأتى ترجمته قريبا ان شاء الله تعالى

﴿الباب الخامس فى ذكر الزيادتين﴾

اللتين زيدتا فى المسجد الحرام بعد تربيعه الذى أمر به المهدى بن المنصور العباسى وشرع فيه فأدركته الوفاة قبل اتمامه وأتم فى ولاية الهادى بن المهدى المذكور كما سبق شرح ذلك فيما تقدم ووقع ترميم فى الجانب الغربى من المسجد الحرام قبل الزيادتين فى أيام المعتمد على الله العباسى ثم بنيت الزيادة الكبرى فى الجانب الشمالى من المسجد الحرام فى أيام المعتضد بالله ثم زيدت الزيادة الصغرى فى الجانب الغربى من المسجد الحرام فى أيام المقتدر بالله فلنذكر تراجم هذه الخلفاء ولنذكر ما أحدثوه فى المسجد الحرام من تجديد وزيادة وترميم على الترتيب ان شاء الله تعالى مع ما نذكر فى ضمن ذلك من الفوائد الاستطرادية ترويحا للنفس وتسببا لحصول الفوائد والانسن توقيفا على أحوال الدهر وتعريفا بما يحدث من الحوادث فى كل عصر لئلا يعتمد العاقل على هذه الدنيا ويعتبر بمن قبله فى غدر هذه العجوز العمياء وهذه الفوائد فى الحقيقة هى نتائج علم الاخبار ليعتبر المعتبر حال نفسه بحال غيره فى هذه الدار فان من قواعد الحكمة ان أفعال الفاعل متشابهة الآثار والله تعالى هو الفاعل المختار وأن دار الآخرة هى دار القرار

وقد وجدت محل القول ذا سعة * فان وجدت لسانا قائلا فقل

لما قتل متغلبة العبيد الاتراك الخليفة المهدى بالله صبرا عمدوا الى الحبس وأخرجوا منه ابن عمه جعفر

﴿أحمد بن المتوكل على الله بن المعتصم بالله بن الرشيد العباسى﴾ ولقبوه المعتمد على الله بايعوه على الخلافة فى رجب سنة ست وخمسين ومائتين مولده سنة تسع وعشرين ومائتين وأمه ام ولد رومية اسمها فتيان وكان له انهماك على اللهو واللذات فقدم أخاه طلحة بن المتوكل على الله ولقبه الموفق بالله وجعله ولى عهده وولاه المشرق والحجاز واليمن وفارس وطبرستان وسجستان والسند وكان له ولد صغير اسمه جعفر لقبه المفوض الى الله وولاه المغرب والشام والجزيرة وعقد لهما لوائين أبيض وأسود وعقد لهما البيعة وشرط على أخيه الموفق انه ان حدث به الموت وولده صغيرا كان الموفق ولى عهده وان كان حينئذ ولده كبيرا كان ولده ولى عهده وكتب بذلك معاقدة كتب كل منهما خطه عليها وكتب عليها القضاة والعدول خطوطهم وأرسلها الى مكة فعلقت فيها وما أفاد من هذه التدابير حذر من قدر وما وقع الا ما قدره الله تعالى وكان الموفق عاقلا مدبرا شجاعا مشتغلا بأمور المملكة مدبرا ملتفتا لأحوال الرعية وكان أخوه المعتمد مكبا على لهوه ولذاته مهملا لأحوال الرعية غير ملتفت لأمور المملكة فكرههم الناس وأحبوا أخاه طلحة الموفق بالله وظهرت منه نجابات كثيرة * وكان ميمون النقيب مظفرا فى الحروب وكان ظهر فى أيام المعتمد على الله طائفة الزنج وتغلبوا على المسلمين وكان لهم رئيس اسمه بهبود يدعى انه أرسله الله الى الخلق وادعى علم المغيبات وقتل فى المسلمين حيث ذكر الصولى انه قتل ألف ألف وخمسمائة ألف مسلم وكان يسبى أسر نساء المسلمين ويبيعهن بأبخس الاثمان وكان ينادى على العلوية والشريفة بدرهمين وكان عند الزنج نساء شريفات يطؤهن ويمتهنهن فى الخدمة الشاقة وكان ذلك من أعظم المصائب فى الاسلام وتملك هذا الكافر مدنا كثيرة أخذها من المسلمين واستأصل أهلها وجعلها دار مملكته كواسط ورامهرمز وماوالاهما فانتدب لقتاله الموفق بالله وجمع الجموع والعساكر من حنكته وقائع الحروب ووسمته قوارع الخطوب فاتخذهم جنانا ويدا ورضى بهم ساعدا وعضدا وتعصب لعمود الاسلام وأعد السيوف والرماح والسهام وركض بجحفله الى الاعداء الكفرة اللئام الى

أن التقت الفئتان على حومة الحرب وتساقيا كؤس الطعن والضرب فجفلت السودان من لمعان الصارم الابيض وولوا الادبار للفرار كما يفر الليل الاسود من النهار المبيض وانهزموا ما بين مقتول ومأسور ومجروح ومكسور غير مجبور الى أن قتل كبيرهم بهبول ووجوه عسكره المخذول ونصر الله تعالى ملة الاسلام ومحى بنوره ذلك الظلام واستردت المدن التى أخذها بالكفر والعناد كواسط ورامهرمز وغيرهما من البلاد واطمأنت المسلمون وكافة العباد (ولقبوه الناصر لدين الله) وصار له حينئذ لقبان ودخل الى بغداد فى عظمة وعلو شان ورأس ذلك الكافر على رمح ورؤس كبار عسكره على الارماح ودعا له المسلمون وقصده الشعراء بالقصائد والامداح فأحبه الناس وبعد صيته وكثر فى بابه المداح واستفحل أمره ولاحت له السعادة والفلاح واستمر أخوه المعتمد على حاله منهمكا فى لهوه ولذاته وله اسم الخلافة وجميع الامور يتلقاها الموفق بصدر منشرح ويسد غاية السداد * وفى أيامه سنة احدى وسبعين ومائتين وقع وهن فى بعض جدران المسجد الحرام من الجانب الغربى قبل زيادة باب ابراهيم وكان فى نفس الجدار الغربى من المسجد الشريف باب كان يقال له باب الخياطين وكان بقربه دار تسمى دار زبيدة بنت أبى جعفر المنصور فسقطت تلك الدار على سطح المسجد الحرام فانكسرت أخشابه وانهدمت أسطوانتان من أساطين المسجد الشريف ومات تحت ذلك عشرة أنفس من خيار الناس وكان عامله بمكة يومئذ هرون بن محمد بن اسحق وقاضيها يوسف بن يعقوب القاضى * فلما رفع أمر هذا الهدم الى بغداد أمر أبو أحمد الموفق بالله عامله على مكة هرون المذكور بعمارة ما تهدم من المسجد الشريف وجهز اليه مالا بسبب ذلك فشرع فى عمارته وجدد له سقفا من خشب الساج ونقشه بالألوان المزخرفة وأقام الاسطوانتين الساقطتين وبنى عقودهما وركب السقف ونصب فى أيام عمارته سرادقا بين العمال والبنائين وبين الناس يسترهم عن أعين من بالمسجد الى أن أكمل ذلك فى سنة اثنين وسبعين ومائتين وركب من الحجر لوحين فى جدار المسجد الشريف فى ذلك الجانب نقش على أحدهما بالنقش فى لوح الحجر ما صورته * بسم الله الرحمن الرحيم أمر أبو أحمد الموفق بالله الناصر لدين الله ولى عهد المسلمين أطال الله بقاه بعمارة المسجد الحرام رجاء ثواب الله تعالى والزلفى اليه وتم ذلك على يد عامله على مكة ومخالفيها هرون بن محمد بن اسحق بن موسى فى سنة اثنتين وسبعين ومائتين وعلى اللوح الثانى نقش كتابة صورتها * بسم الله الرحمن الرحيم أمر الناصر لدين الله ولى عهد المسلمين أبو أحمد الموفق بالله أخو أمير المؤمنين أطال الله بقاءهما القاضى يوسف بن يعقوب بعمارة المسجد الحرام لما فى ذلك من رجاء ثواب الله تعالى أجزل الله ثوابه وأجره وتم ذلك على يد محمد بن العلاء بن عبد الجبار فى سنة اثنين وسبعين ومائتين والحجران المذكوران لا وجود لهما الآن بل محاهما الدهر والأزمان وعفا أثرهما القديم الجديدان كما عفا أثر غيرهما من العمائر والبنيان ودار عليهما الدوران ولا يبقى الا أثر أيضا بعد زمان

الدهر تجمع بعد العين بالاثر * فما البكاء على الاشباح والصور

وقد نقلت صورة تلك الكتابات من تاريخ مكة للامام أبى عبد الله محمد بن اسحق الفاكهى رحمه الله تعالى * وكان للموفق بالله ولد نجيب هو أحمد أبو العباس جعله الموفق ولى عهده واستعان به فى حروبه وأحواله وظهرت به نجابة وقوة فخشى الموفق منه على نفسه وعلى أخيه المعتمد لما رأى من شجاعته وبسالته فأودعه بطن الحبس ووكل به من يثق به فى أمره واستمر محبوسا الى الزمان الذى قدره الله تعالى

له * ثم وقعت الوحشة بين المعتمد على الله وأخيه الموفق بالله المذكور وتباغضت قلوبهما وتشاحنت الصدور فان الرياسة الدنيوية لا تقبل الاشتراك والغيرة على الملك والسلطنة أسرع شئ يوغر صدور الاملاك والانفراد والاستقلال مما يتفانى عليه أبناء الدنيا من أصحاب الاملاك

وما هي الا جيفة مستحيلة * عليها كلاب همهن اجتذابها
فان تجتنبها كنت سلما لأهلها * وان تجتذبها نازعتك كلابها

ولما كان المعتمد على الله مع كونه عاجزا عن أخيه الموفق كان يحسده ويريد هضمه لاستيلائه على المملكة ورضى الناس عنه واشتغاله بالفحص عن أحوال الرعية عن الملاهي والملاذ فاستعان المعتمد على الله في هضم جانب أخيه بصاحب مصر يومئذ أحمد بن طولون وكان ملكا شجاعا فاتكا صاحب جيوش وجنود كثيرة الاموال والخزائن مستقلا بمملكة مصر يأخذ خراجها وكانت يومئذ عامرة آهلة كثيرة المحصول لرفقه برعيته وتقويته لهم وعدم ظلمه وجوره عليهم فكان يحصل منها أموالا كثيرة جدا بسبب عمارتها وكانت كالروض البهيج في زهرتها ونضارتها وما كانت خرابيبا بأكثرها مأوى البوم والصدا ولا تفرق رعيتها من جور ولاتها بدد اعمرها الله تعالى بعدلة سلطاننا الاعظم وخليفة عصرنا الاكرم الافخم الذي عمر بعدلته البلاد سلطان السلاطين (السلطان مراد) ألهمه الله تعالى العدل والرفق بالعباد ومحق بسيفه الصارم أهل الظلم والفساد وأطال عمره ودولته حتى تلحق الاحفاد بالاجداد فكاتب المعتمد على الله أحمد بن طولون وأمره أن يقاتل أخاه الموفق ليخف أمره عليه بذلك ويهون وجرت بينهما من ذلك شؤن واشتغل الموفق بذلك عن أخيه وصار يواليه تارة ويداريه ويباعده تارة ويدانيه ومضى على ذلك أيام وانتضى عليه أعوام الى أن مالت قناة حياة الموفق كل الميل ولزم بطون الفراش بعد متون سوابق الخيل ووهى جسده ووهنت قواه ولاصانه حصانه ولا وقاه

وخانه يده على حمله قلما * من بعد حطم القنا في لبة الأسد

فلما اشتد حاله وتحقق عند غلمانه ماله بادروا الى الحبس وكسروه واخرجوا منه ولده المعتضد وآووه ونصروه وجاؤا به الى والده الموفق فلما رآه أيقن بالموت وتحقق وقال له يا ولدي لهذا اليوم خبأتك وفوض اليه واوصاه بعمه المعتمد خيرا وكان ذلك قبل موت الموفق بثلاثة ايام فعطف الموت على الموفق فركب طبقا عن طبق الى اطباق الثرى بالعنق ومضى عن الدار الفانية الى الدار الباقية والتحق وكانت وفاته رحمه الله في سنة ثمان وسبعين ومائتين وشمت في موته اخوه المعتمد وظن انه استراح من الموفق وما علم انه عن قليل باخيه يلحق وحسب انه صفا له دهره وما علم ان الصفا يعقبه الكدر وان الدهر ما صفا لأحد من البشر وان صروف الدهر تأتي باليمن والعسر وانها لا تبقي ولا تذر فما حال عليه الحول حتى استلب ذلك الطول والحول ولم يكن له بعد خذلان لناصر من قوة ولا ناصر ولا طال عمره القصير ولا استطال حوله القاصر ولم يبق للمعتمد عمال ولا اعتماد على الدهر الخؤون الغادر وانتقل من سرير الملك الى ظهر الهلك ومضى كأن لم يكن شيأ مذكورا وكان امر الله قدرا مقدورا * وكانت وفاته ليلة الاثنين لاحدى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين رحمه الله تعالى * وولي الخلافة بعده في تاريخه ابن اخيه ابو العباس احمد المعتضد بالله بن طلحة الموفق بن المتوكل بن المعتصم بن هرون الرشيد العباسي * مولده سنة ثلاث واربعين ومائتين وبويع له

بالخلافة بعد عمه المعتمد فى تاريخ وفاته المذكور آنفا وامه ام ولد اسمها صواب وكان ملكا مهيبا ظاهر الجبروت وافر العقل شجاعا يقدم على الاسد وحده شديد السياسة اذا غضب على أحد ألقاه فى حفيرة وطم عليه التراب وكان اسقط المكوس فى ايامه ورفع الظلم عن الرعية وجدد ملك بنى العباس بعد ما وهى ووهن وأظهر عزة الملك بعد ما تذلل وامتهن وكان يسمى السفاح الثانى حيث جدد كل منهما ملك بنى العباس وفى ذلك يقول ابن الرومى

هنيئا بنى العباس ان امامكم * امام الهدى والجود والباس احمد
كما بأبى العباس انشأ ملككم * كذا بأبى العباس ايضا يجدد
امام يظل الامس يشكو فراقه * تأسف ملهوف ويشتاقه غد

وفى ذلك يقول عبد الله بن المعتز ايضا

أما ترى ملك بنى هاشم * عاد عزيزا بعد ما ذلا
يا طالبا للملك كن مثله * تستوجب الملك والافلا

وكان مع سطوته وبأسه يتوخى المعدلة ويبرز أمورا فى صورة الجبروت والعسف وهو فى الباطن يحق فيها فيما يفعله وهذا هو الرأى السديد للحاكم الرشيد لجمعه بين سياسة الدنيا والحق عند الله تعالى * وقد نقل الحافظ السيوطى رحمه الله تعالى فى تاريخ الخلفاء عن عبد الله بن حمدون قال خرج المعتضد للصيد وأنا معه فرعقتأة فعاث بعض جنوده فيها فصاح صاحبها واستغاث بالمعتضد فاحضره وسأله عن سبب صياحه فقال ثلاثة من غلمانك نزلوا المقتأة فأخربوها فأمر عبيده باحضارهم فضرب أعناقهم ومضى وهو يحادثنى فقال أصدقنى يا عبد الله ما الذى تنكره الناس على من أحوالى فقلت له تسفك الدماء كثيرا فقال ما سفكت دما حراما فقلت له بأى ذنب قتلت أحمد بن الطيب فقال انه دعانى الى الالحاد وظهر لى الحاده فقتلته لنصرة الدين قلت فالثلاثة الذين نزلوا المقتأة الآن بم استحللت دماءهم ولأى شئ قتلتهم فقال والله ما قتلتهم وانما أحضرت ثلاثة من قطاع الطريق وأوهمت الناس انهم هم الذين نزلوا المقتأة فأمرت بضرب اعناقهم ثم امر صاحب الشرطة باحضار الثلاثة الذين نزلوا المقتأة وأحضرهم بانفسهم وشاهدتهم ثم امر باعادتهم الى الحبس وهكذا ينبغى لتدبير السياسة واظهار النصفة وتخويف الجند وارعابهم * ومن معدلته انه كتب الى الآفاق بابطال ديوان المواريث والامر بتوريث ذوى الارحام وكانوا يحرمونهم الميراث وكانوا يستولون على مخلفات الناس بالظلم ولا يتصل الوارث بجميع حقه من الارث بل يؤخذ كثير من عين حقه بانواع التعللات وكان يحصل على الرعية ظلم كثير بسبب ذلك وبعض الظلم باق الى الآن يسر الله ازالته على يد سلطاننا ووفقه الله تعالى لاحياء المكارم واسداء المحارم وأعانه على ابطال المظالم * ولما أمر المعتضد بابطال ديوان المواريث فى سائر مملكته فرح الناس بذلك وأحبوه ودعوا له بدوام دولته وصار له بذلك صيت عظيم وامر جميل عند الله الكريم ولعله هو الذى نفعه فى يوم آخرته وأدخله الله جنات النعيم * وكان من قضاته القاضى ابو خازم بالخاء المعجمة والزاى وهو من اكابر العلماء اهل الدين والتقوى فكان من بعض تصلباته فى الدين أن شخصا انكسر عليه مال كثير للناس وثبت ذلك عليه عند القاضى المذكور فأمر ببيع ماله على غرمائه بالمحاصة وقد انكسر على ذلك المديون مال للخليفة المعتضد أيضا فارسل المعتضد الى القاضى أبو خازم يقول اشركنى مع غرماء هذا المديون بالمحاصة فان لى أيضا مالا فى ذمته فاجعلنى كأحد غرمائه فقال أبو خازم انى لا أحكم لمدع

بدون بينة عادلة فأرسل وكيلا وبينة أرضاها لتكون بأسوة غرماء هذا المديون فأحكم لكن بعد سماع الدعوى والبينة والتزكية سرا وجهرا فأمر المعتضد شهوده ليشهدوا عند القاضي وكانوا من أكابر أمرائه فاحضر أحدهم الى القاضي خوفا من رد شهادتهم ولم يحكم القاضي للمعتضد أن يكون من غرماء ذلك المديون فأعجب المعتضد ديانة القاضي وثباته على الحق وتصميمه على ذلك وعدم ميله اليه وما أحوج زماننا هذا الى قاض مثل هذا خصوصا في أطراف البلاد يقول الحق ويثبت ولا يميل الى خواطر العباد وكان المعتضد ينظم شعرا حسنا ومن نظمه مارثى به جاريته دائره

يا حبيبا لم يكد * يعدله عندي حبيب
انت عن عيني بعيد * ومن القلب قريب
ليس لي بعدك في * شيء من اللهو نصيب
لك من قلبي على * قلبي وان غبت رقيب
لو ترانى كيف حالى * فرط عول ونحيب
وفؤادى حشوه من * حرق القلب لهيب
لتيقنت بأني * فيك محزون كئيب

وقال لما احتضر عفا الله عنه

تمتع من الدنيا فانك لا تبقى * وخذ صفوها لما صفت ودع الرنقا
ولا تأمنن الدهر اني امنته * فلم يبق لي حالا ولم يرع لي حقا
قتلت صناديد الرجال ولم ادع * عدوا ولم امهل على جسد خلقا
واخليت دور الملك عن كل نازل * وفرقتهم غربا ومزقتهم شرقا
فلما بلغت النجم عزا ورفعة * ودانت رقاب الخلق أجمع لي رقا
رماني الردى سهما فأخمد جمرتي * فها أنا ذا في حفرتي عاجلا ملقى
وافسدت دنياي ودينى سفاهة * فمن ذا الذي مني بعصره اشقى
فيا ليت شعري بعد موتي ما ارى * الى رحمة الله ام ناره ألقى

ومما وقع في أيام المعتضد من عمارة المسجد الحرام من الجانب الشامي زيادة دار الندوة وأدخلها في المسجد الشريف من الجانب الشامي بلصقه الى رواق الجانب المذكور وهذا المحل يسمى دار الندوة وهي كانت في زمن الجاهلية دار يجتمع صناديد قريش فيها عند نزول حادث بهم للاستشارة في دفع ذلك الحادث عنهم بالاتفاق على رأي يجمعون على كونه صوابا فيأتون به بعد ذلك وكانت الندوة مما تتفاخر به قريش في الجاهلية وكان قد اجتمع في قصي بن كلاب الرفادة والسقاية والسدانة والندوة واللواء ففرقها في أولاده * ولما ظهر شأن النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به كثير من قريش من الانصار خاف منه كفار قريش واجتمعوا في دار الندوة وتشاوروا في قتله صلى الله عليه وسلم فظهر لهم ابليس لعنه الله في صورة الشيخ النجدي واختار لهم من الرأي ما اختاره فنجاه الله تعالى من كيد المشركين وأذن له في الهجرة كما هو مذكور في كتب السيرة * وذكره الله تعالى في كتابه العزيز حيث قال واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وليست الزيادة هي عين دار الندوة بل محلها في تلك الاماكن لا على التعيين من خلف مقام الحنفي الآن الى آخر

هذه الزيادة * وكانت دار الندوة بعد ظهور الاسلام وكثرة بناء الدور بمكة دارا واسعة ينزل بها الخلفاء اذا وردوا مكة ويخوجون منها الى المسجد الحرام للطواف والصلاة وكان له فناء واسع صار ساباخة ترمى فيه القمائم فاذا حصلت الامطار الغزيرة سال من الجبال التى فى يسار الكعبة مثل جبل قيقعان وما حوله من الجبال سيول عظيمة الى ذلك الفناء وحملت أوساخه وقمائمه الى دار الندوة والى المسجد الحرام واحتيج الى تنظيف تلك الاوساخ والقمائم من المسجد الشريف كلما سالت سيول هذا الجانب الشمالى وصار ضررا على المسجد الحرام * فكتب قاضى مكة من قبل المعتضد العباسى القاضى محمد بن عبد الله القدمى وأمير مكة يومئذ من قبله أيضا عجيج بن حاج مولى المعتضد المذكور مكاتبات الى وزير المعتضد يومئذ وهو عبيد الله بن سليمان بن وهب يتضمن ان دار الندوة قد عظم خرابها وتهدمت وكثيرا ما يلقى فيها القمائم حتى صارت ضررا على المسجد الحرام وجيرانه واذا جاءه المطر سالت السيول من بابها الى بطن المسجد وحملت تلك القمائم الى المسجد الحرام وانها لو أخرج ما فيها من القمائم وهدمت وبنيت مسجدا يوصل بالمسجد الحرام يصلى الناس فيها ويتسع الحجاج بها لكانت مكرمة لم يتهيأ لاحد غير الخلفاء بعد المهدى والهادى ومنقبة باقية وشرفا وأجرا باقيا على طول الزمان وان بالمسجد خرابا كثيرا وان سقفه يسيل منه الماء اذا جاء المطر وان وادى مكة قد انحبس بالاتربة فعلت الارض عما كانت وصارت السيول تدخل من الجانب اليمانى أيضا الى المسجد الحرام ولا بد من قطع تلك الاراضى وتعهيدها وتنزيلها الى حد تعرفيها السيول منحدرة عن الدخول الى المسجد الحرام ووصل أيضا الى بغداد سدنة الكعبة ورفعوا أمرهم الى ديوان الخلافة ان وجه جدران الكعبة من باطنها قد تشعث وان الرخام المفروش فى أرضها قد تكسر وان عضادتى باب الكعبة كانتا من ذهب فوقعت فتنة بمكة فى سنة احدى وخمسين ومائتين بخروج بعض العلويين فقلع عامل مكة يومئذ ما على عضادتى باب الكعبة من الذهب وضربه دنانير واستعان به على حرب العلوى الذى خرج عليه يومئذ وصاروا يسترون العضادتين بالديباج ووقعت بعدها أيضا فتنة بمكة فى سنة ثمان وستين ومائتين فقلع عامل مكة يومئذ مقدار الربع من الذهب الذى كان مصفحا على باب الكعبة ومن أسفله وما على أنف الباب الشريف من الذهب وضربه دنانير واستعان به على دفع تلك الفتنة وجعل بدل الذهب فضة مموهة على الباب الشريف وعلى أنف الباب المنيف فاذا تمسح الحجاج به أيام الحج تبركا بذلك المكان الشريف ذهب صبغ الذهب وانكشفت الفضة فيجدد تمويهها كل سنة والمناسب اعادة ذلك ذهبا صرفا كما كان وان رخام الحجر الشريف قد تكسر ويحتاج الى التجديد وان بلاط المطاف حول الكعبة الشريف لم يكن تاما ويحتاج أن يتمم من جوانبها كلها وان ذلك من أعظم القربات وأكرم المثوبات وقد رفع الى الديوان العزيز المبادرة الى انتهاز ذلك والامر راجع الى دار الخلافة الشريفة والسلام فلما أشرف على هذه المكاتبات كاتب الخليفة المعتضد يومئذ الوزير عبد الله بن سليمان بن وهب الكاتب وكان من أهل الخير له قدم راسخ فى قصد الجميل وفعل الحسنات ونية جميلة فى احراز الاجر والمثوبات بادر الى عرض ذلك على اسماع الخليفة المعتضد وحسن له اغتنام هذه الفرصة والمبادرة اليها وبذل المقدور فيها فبرز أمر المقتدر اليه والى غلامه المؤمر بالحضرة بعمل ما رفع اليه من ترميم الكعبة الشريفة والحجر والمطاف والمسجد الحرام وأن تهدم دار الندوة وتجعل مسجدا يلحق بالمسجد الحرام وتوصل به وان يحفر الوادى والمسيل والمسعى وما حول المسجد الحرام ويعمق حفرها الى أن يعود الى حاله الاول ويجرى ماء السيل فيه ولا يدخل شىء منه الى المسجد الحرام

فينصان المسجد بذلك عن دخول السيول اليه وأن يحكم ذلك غاية الاحكام ويعمر ما تحب عمارته على وجه الاتقان والاستحكام وأمر ان يحمل من خزائنه مالا عظيما لهذا العمل وأمر قاضي بغداد يومئذ وهو القاضي يوسف بن يعقوب أن يرتب ذلك ويجهز لعملة من يعتمد عليه وأمر بحمل المال اليه فجهز بعضه نقدا في أيام الحج مع ولده أبي بكر عبد الله بن يوسف وكان قد قدما على حواشج دار الخلافة ومصالح طريق الحج وعمارتها وأرسل ببقية المال سفاتجا سلمها الى ولده المذكور ليسلمها لمن كتب اسمه في تلك السفاتج وعين معه لهذه الخدمة رجلا يقال له أبو الهياج عميرة بن حسان الاسدي له أمانة وحسن رأي ونية جميلة وسيرة حسنة فوصلا الى مكة في موسم حج سنة احدى وثمانين ومائتين فحلى بالذهب الخالص باب الكعبة الشريفة وحج وتخلف بعد الحج بمكة أبو الهياج المذكور ومن معه من العمال والاعوان وعاد عبد الله بن القاضي يوسف مع الحجاج الى بغداد ليرسل اليه ما يحتاج اليه من بغداد لتكميل ما أمر من العمارة المذكورة فشرع أبو الهياج في حفر الوادي وما حول المسجد الحرام فحفره حفرا جيدا حتى ظهر من درج المسجد الحرام الشارعة على الوادي اثنا عشر درجة وانما كان الظاهر منها خمس درجات فحفرت الارض ورمي بترابها خارج مكة ونظفت دار الندوة من القمامات والاتربة وهدمت وحفر اساسها وجعلت مسجدا وأدخل فيها من أبواب المسجد الكبير ستة أبواب كبار سعة كل باب خمسة أذرع وارتفاع كل باب من الارض الى جهة الشمال أحد عشر ذراعا وجعل بين الابواب الكبار ستة أبواب صغار ارتفاع كل باب ثمانية أذرع وسعة كل باب ذراعان ونصف وجعل في هذه الزيادة بابان بطاق شارعين الى الخارج في جانبها الشمالي وباب بطاق واحد في جانبها الغربي واقيمت أروقتها وسقوفها من جوانبها الاربعة وركبت سقوفها على أساطينها وسويت بخشب الساج وجعل لها منارة وفرغ من عمارتها في ثلاث سنين ولعل اكمالها في سنة اربع وثمانين ومائتين الا انها ما استمرت على هذه الهيئة بل غيرت بعد قليل الى وضع احسن منه بعد المعتضد المذكور * قال محمد بن اسحاق الفاكهي في تاريخ مكة ان ابا الحسن محمد بن نافع الخزاعي ذكر في تعليق له ان قاضي مكة محمد بن موسى القاضي لما كان اليه امر البلد جدد بناء زيادة دار الندوة وغيرا لطاقات التي كانت فتحت في جدار المسجد الكبير وجعلها متساوية واسعة بحيث صار كل من في زيادة دار الندوة من مصل ومعتكف وجالس يمكنه مشاهدة البيت الشريف وجعل اساطينها حجارة مدورة منحوتا وركب عليها سقوفا من الخشب الساج منقوشا مزخرفا وعقودا مبنية بالآجر والجص ووصل هذه الزيادة بالمسجد الكبير وصولا احسن من اول وجدد شرافاتها وبيضها وانه عمل ذلك في سنة وثلثمائة انتهى * ولقد كان ابتداء عمارة هذه الزيادة عظيمة ومنقبة كريمة اتى بها المعتضد بالله وأثرا باقيا على صفحات هذا الدهر ما فاز بها سواه وفعل لا يزال يذكر وصاحبه يمدح بألسنة الخلق ويشكر وقد بلي عظامه تحت التراب الأعفر فما مات من يذكر بالجميل بعد أن يقبر وما عاش من عاش بالسوء حين يذكر

ما عاش من عاش مذموما خصائله * ولم يمت من يكن بالخير مذكورا

واستمرت ذلك الاساطين المنحوتة من الاحجار السود عليها السقف الساج المزخرف المنضود مشيدة باقية الى ان أدركناها في عصرنا * ثم بدلت بأساطين منحوتة من الشيص الاصفر بعقود محكمة أزين من عقود الجوهر وجعل عرض السقف الذي يلي خشبه كل حين قبيا مرفوعة نزهة للناظرين في غاية

الاتقان

الاتقان والتزين فى زمان سلطان سلاطين الزمان السلطان مراد خان بن سليم خان بن سليمان خان بن عثمان خلد الله تعالى سلطانه وأفاض على العالمين بره واحسانه ﴿ رجعنا الى ما كنا فيه ﴾ من أخبار المعتضد العباسى وما وقع له من الناس الذى ليس من أمسى * ولما أن عضد المعتضد عضد الموت العاضد وقطع عرق حياته مباضع الزمان الحاسد وماحته عن الحمام قوته ولا منعته عن منعته ولا هيبته فأثرانه يد المنايا من سرير الخلافة والملك وأركبته سرير الجدباء الى شفير الفناء والهلك ودفنه فى تربة عمله الصالح وسقف ثراه عباطاب من ثنائه الفائح ﴿ ومن أغرب ما حكاه ﴾ المسعودى عن المعتضد فى وفاته أنه اعتل من افراطه فى كثرة الجماع وطالت علته وغشى عليه فشك من حوله فى موته وكان لا يجسر عليه أحد لشدة هيبته فتقدم اليه الطبيب يختبره بجس نبضه ففتح عينه وفطن لذلك فرفس الطبيب برجله رفسة فدحاه أذرعا فمات الطبيب ثم مات المعتضد من ساعته * وكان وفاته يوم الاثنين لثمان بقين من ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين وخلف من الاولاد ذكورا واحدى عشر بنتا وكانت مدة ملكه تسع سنين وتسعة أشهر ونصف رحمه الله

﴿ فصل ﴾ لما اشتد مرض المعتضد جعل ولى عهده من بعده ولده أبا محمد ولقبه المكتفى بالله وأخذ له البيعة قبل موته بثلاثة أيام فلما توفى المعتضد الى رحمة الله كان المكتفى غائبا بالرقة فنهض بالبيعة له الوزير أبو الحسين القاسم بن عبد الله وكتب اليه فوصل الى بغداد من الرقة فى سابع جمادى الأولى وكان يوم وصوله يوما مشهودا زينت له بغداد ونزل دار الخلافة وخلع على الوزير المذكور تسع خلع عظيمة ومدحه الشعراء وأنعم عليهم بالجوائز السنية * وكان مولده فى غرة ربيع الأول سنة أربع وستين ومائتين وأمه أم ولد تركية اسمها قجيجل وكان مليح الصورة يضرب بحسنه المثل وفيه قال القائل يصف الدنيا

ميزت بين جمالها وفعالها * فاذا الملاحة بالقباحة لا تفى
والله لا أختارها ولوانها * كالبدر أو كالشمس أو كالمكتفى

وكانت سيرته حسنة وأفعاله حميدة فأحبه الناس وفرحوا بخلافته ودخوله وذكر عبد الغافر فى تاريخ نيسابور عن ابن أبى الدنيا وكان معلما للمكتفى قبل أن يلى الخلافة قال فلما أفضت الخلافة الى المكتفى كتبت اليه هذين البيتين يقول

ان حق التأديب حق الأبوه * عند أهل الحجى والمروه
واحق الرجال أن يحفظوا ذا * ك ويرعوه أهل بيت النبوه

انتهى * ومن أعظم الحوادث فى أيامه ظهور القرامطة الملحدين بل الكفرة المفسدين أعداء الدين فاول من خرج منهم يحيى بن مبرويه القرمطى ومحل خروجهم ودار ملكهم هجر وهم اباحية يستحلون دماء الحجاج والمسلمين يدعون ان الامام الحق بعد النبى صلى الله عليه وسلم محمد بن الحنفية بن على بن أبى طالب رضى الله عنه وينتسبون اليه بالباطل ويسندون اليه أقاويل باطلة لا أصل لها ويكفرون من عداهم وهم الكفرة قاتلهم الله تعالى ﴿ ولما ظهر بالخروج يحيى المذكور ﴾ جهز اليه المكتفى بالله جيوشا واستمر القتال بينه وبين عسكر الخليفة الى أن قتل وسيق الى جهنم وبئس المصير * فقام بعده أخوه الحسين وأظهر شأنه بوجهه الاسود زعم أنها آيته وظهر ابن عمه عيسى بن مهرويه وتلقب بالمدثر وزعم انه المراد بالسورة الشريفة القرآنية ولقب غلاما ٢ مظلما بالطور بالنون وتسمى أمير المؤمنين

٢ قوله مظلما بالطور الخ هكذا بالاصل وحرر اهـ

وزعم انه المهدى ودعا لنفسه على المنابر وافسد بالشام وعاث فيها الخوارج وقتل الثلاثة وحزت رؤسهم وطيف بها فى البلاد فى سنة احدى وتسعين * وخلف من بعدهم خلف ظهر منهم مفاسد سيأتى ذكرها استطرادا وتعب المسلمون كثيرا فى امرهم الى ان خذلهم الله تعالى ولم يطل زمان المكتفى * وكانت مدة ملكه ستة اعوام ونصف ولما مرض مرض الموت وتيقن بالفناء والفوت سأل عن اخيه ابى الفضل جعفر بن المعتضد فقيل انه احتلم وصح عند ذلك * فجعله ولى عهده ولقبه المقتدر بالله * وبويع له على ان يكون الخليفة بعده قال الصولى سمعت المكتفى يقول فى علته التى مات فيها والله ما أسفى الا على سبعمائة ألف دينار صرفتها من بيت مال المسلمين فى ابنية وعمارات لا احتاج اليه وذكر أبو منصور الثعالبى قال حكى ابراهيم بن نوح ان الذى خلفه المكتفى مما جمعه هو وابوه لا غير مائة الف الف دينار ما بين عين وامتعة وأوانى وعقارات وكان من جملة الامتعة ثلاث وسبعون ألف ثوب ديباج فسبحان من بيده خزائن السموات والارض له الملك واليه ترجعون ولما جاءه الاجل المحتوم المقتدر وتلى لسان حاله ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر انقصف غصن شبابه القشيب ويبس عود جماله النضير الرطيب وصار بدر كماله محسوفا وعاد محياه المشرق بالجمال مكسوفا فانتقل من دار الفنا الى دار البقا فى ليلة الاحد لثنتى عشرة ليلة خلت من شهر القعدة الحرام سنة خمس وتسعين ومائتين رحمه الله تعالى وخلف ثمانية اولاد ذكور وثمانى بنات * وولى بعده اخوه ابو محمد على المقتدر بالله بن المعتضد بالله بن الموفق بالله بن المتوكل على الله بن المعتصم بن هرون الرشيد العباسى * بايعه الناس وعمره ثلاث عشرة سنة ولم يل الخلافة قبله أصغر منه ذكره الجلال السيوطى وامه ام ولد تسمى شغب وولى الخلافة ثلاث مرات هذه الاولى منها ولم يتم له فيها امر لصغر سنه فتغلب الجند عليه واتفقوا على خلعه فخلعوه * وعقدوا البيعة لأبى العباس عبد الله ابن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد * ولقبوه الغالب بالله وبايعوه لعشر بقين من ربيع الاول سنة ست وتسعين ومائتين واستمر خليفة ساعة من ذلك النهار * وعبد الله بن المعتز اقصر خلافته لا ينبغى عده من الخلفاء ولكن نذكره لفضله وأدبه وهو اشعر بنى العباس بل اشعر بنى هاشم على الاطلاق واكثرهم فضلا وادبا ودخولا ومعرفة بعلم الموسيقا وأشعر الشعراء مطلقا فى التشبيهات المبتكرة الغريبة المخترعة المرقصة التى لا يشق غباره فيها احد * مولده فى شعبان سنة تسع واربعين ومائتين * قال المعافى بن زكريا ما بويع ابن المعتز دخلت على شيخنا محمد بن جرير الطبرى العالم الكبير المفسر المحدث المؤرخ رحمه الله تعالى فقال لى ما الخبر قلت بويع بالخلافة لعبد الله بن المعتز قال فى مرشح لوزارته فقلت محمد بن داود قال فمن قاضيه قلت ابو المثنى فأطرق قليلا ثم قال هذا امر لا يتم فقلت ولم لا يتم فقال كل من ذكرت ذو شأن عظيم متقدم فى فضله وعلمه وعقله وان الدنيا توليه والزمان مدبر ولا مناسبة لأحد ممن ذكرت اسمه برياسة فى مثل هذا الزمان وما أرى هذا العقد الا آيلا الى الانحلال والاضمحلال فقدر الله تعالى انهم خلعوه فى ذلك اليوم وتلاشى امره فان عبد الله بن المعتز لما عقدت له البيعة والخلافة ارسل الى المقتدر يأمره باخلاء دار الخلافة وان يذهب الى دار محمد بن طاهر لينظر فى امره * فلما جاءه الرسول الى المقتدر وبلغه الرسالة قال ليس له جواب عندى غير السيف ولبس السلاح وركب معه جماعة قليلة من خدمه وهم مستسلمون للقتل فى غاية الخوف والرعب وهجموا على عبد الله ابن المعتز وعلى بعض الامراء والفقهاء وسلمهم الى يونس الخازن وقتل منهم من اراد وحبس عبد الله بن المعتز واخرج من الحبس ميتا واستقام الامر للمقتدر وهذه ولايته الثانية فسار أحسن سيرة واستقام

امره بعد الاضمحلال وطلعت شمس سعادته بعيد الزوال ولاح بدر فلاحه من أوج الكمال والعزة لله الكبير المتعال وحيث انجر الكلام الى ذكر عبد الله بن المعتز فلا بأس بتنميق هذه العجالة وترويق هذه الرسالة ببعض أشعاره المستظرفة ليعلم البلغاء مرتبته فى البلاغة واقتداره على الكلام فنورد قصيدته فى الحماسة التى فاخر بها آل النبى صلى الله عليه وسلم ولا يخفى على ان الاقدام على مثل ذلك يدل على قوة الطبع فان الادعاء لهذا المطلب العالى من امثاله محجوج فى الاسماع منفور عن الطباع فاذا أبرزه مع ذلك فى قالب مطبوع دل ذلك على قوة طبع الشاعر كما قال شاعر عصره الأديب الفهوبن الرومى

فى زخرف القول تزيين لباطله * والحق قد يعتريه سوء تغيير
تقول هذا مجاج النحل تمدحه * وان تعب قلت ذا قيء الزنابير

وهذه منتخب تلك القصيدة التى فاخر فيها بين قومه بنى العباس وآل أبى طالب رضى الله عنهم فى الخلافة وما انصف فيما ادعاه ولكنه اتى بشعر بليغ معناه فقال

ألا من لعينى وتسكابها * تشكى القذا وبكاها بها
ترامت بنا حادثات الزمان * ترامى القسى نشابها
ويارب ألسنة كالسيوف * تقطع أرقاب أصحابها
وكم دهى المرء من نفسه * فزقه حد أنيابها
وان فرصة أمكنت فى العدو * فلا تبد فعلك الابها
فان لم تلج بابها مسرعا * اتاك عدوك من بابها
وما نافع ندم بعدها * وتأميل أخرى وأنى بها
وما ينتقص من سباب الرجال * يزد فى رنها هنا وألبابها
نهيت بنى رحمى ناصحا * نصيحة بر بأنسابها
وقد ركبوا بغيهم وارتقوا * معارج تهوى بركابها
ورامو افرائس أسد الشرى * وقد نشبت ما بين أنيابها
دعوا الاسد تغرس ثم أشبعوا * بما تفضل الأسد فى غابها
قتلنا أمية فى دارها * وكنا أحق باسلابها
ولما أبى الله أن تملكوا * نهضنا اليها وقمنا بها
ونحن ورثنا ثياب النبى * فلم تجذبون بأهدابها
لكم رحم يا بنى بنته * ولكن بنو العم أولى بها
فهلا بنو عمنا انها * عطية رب حبانا بها
وكانت تزلزل فى العالمين * فشدت لدينا بأطنابها
وأقسم بأنكم تعلمون * بأنا لها خير أربابها

فرد عليه شاعر زمانه وبليغ أوانه الصفى الحلى بقوله

الا قل لشر عبيد الاله * وطاغى قريش وكذابها
أأنت تفخر آل النبى * وتجحدها حق أسبابها
بكم يا هل المصطفى ام بهم * ترد العداة بأوصابها

أعنكم نفى الرجس أم عنهم * لطهر النفوس وألبابها
إما الشرب واللهو من دأبكم * وفرط العبادة من دابها
هم الصائمون هم القائمون * هم العالمون بآدابها
هم الزاهدون هم العابدون * هم الساجدون بمحرابها
هم قطب ملة دين الاله * وأهل الرحى بأقطابها
تقول ورثة ثياب النبي * فلم تجذبون بأهدابها
وعندك لا تورث الانبيا * فكيف حظيتم بأثوابها
أبوهم وصى نبي الاله * وأهل الوصية أولى بها
أجدك يرضى بما قلته * وما كان يوما بعرتابها
وكان بصفين من حربهم * لحرب البغاة وأحزابها
وصلى مع الناس طول الحيا * ة وحده فى صدر محرابها
فهلا تخصها جدكم * وهل كان من بعض خطابها
واذ جعل الأمر شورى لهم * فهل كان من بعض أربابها
وقولك أنتم بنو بنته * ولكن بنو العم أولى بها
بنو البنت أيضا بنو عمه * وذلك أدنى لأنسابها
وقلت بأنكم القاتلون * اسود أمية فى غابها
كذبت ولولا أبو مسلم * لعثرت على جيد طلابها
وقد كان عيد الهم لا لكم * رأى عندكم قرب أنسابها
وكنتم أسارى بطون الحبوس * وقد شغلكم لثم أعتابها
فأخرجكم منها وحباكم بها * وقصدكم فضل جلبابها
فجاز يتموه بشر الجزا * لطغوى النفوس وإعجابها
فدع فى الخلافة فضل الخلا * فة فليست ذلولا لركابها
وما أنت والفحص عن شأنها * وما قصدوك بأثوابها
وما ساومتك سوى ساعة * فما كنت أهلا لأسبابها
ودع ذكر قوم رضوا بالكفا * ف وجاؤا القناعة من بابها
عليك بلهوك بالغانيا * ت وخل المعالى لأربابها
ووصف العذار وذات الخما * رونعت العقار بألقابها
فذلك شأنك لا شأنهم * وجرى الجياد باحسابها

ومن السحر الحلال الذى عقده فى سلك اللآل ورقه بقلم البلاغة على صفحات الأيام والليال هذا الموشح الذى يصلح وشاحا للجوزا وإكليلا على التاج المحلى بنجوم الثريا سارت به الركبان وتناقلته الرواة بألسنة الزمان قوله

أيها الساقى اليك المشتكى * قد دعوناك وان لم تسمع

وبديع همت فى عزته
ويشرب الراح من راحته
كلما استيقظ من سكرته
جذب الزق اليه واتكى * وسقانى أربعا فى أربع
ما لعينى عشيت بالنظر
انكرت بعدك ضوء القمر
واذا ما شئت فاسمع خبرى
عشيت عيناى من فرط البكا * وبكى بعضى على بعضى معى
غصن بان مال من حيث التوى
مات من يهواه من فرط الجوى
خفق الاحشاء موهون القوى
كلما فكر فى البين بكى * ويحه يبكى لما لم يقع
ليس لى صبر ولا لى جلد
يا قومى عدلوا واجتهدوا
أنكروا شكواى مما أجد
مثل حالى حقها ان تشتكى * طمع اليأس ودل الطمع
كبدى حر اود معى بكف
يذرف الدمع ولا يعترف
أيها المعرض عما أصف
قد غنى حبى بقلبى وركا * لا تقل فى الحب انى مدعى

ومن تشبيهاته الرائقه وأشعاره الفائقه قوله

ومقرطق يسعى الى الندماء * بعقيقة فى درة بيضاء
والبدر فى أفق السماء كدرهم * ملقى على ياقوتة زرقاء

(وله مثلث وهو معنى بديع)

خليلى طاب الراح من بعد طبخها * وقد عدت بعد الكسر والعود أحمد
فهاتا عقارا من قميص زجاجة * كياقوتة فى درة تتوقد
يصوغ علينا الماء شباك فضة * لها حلق بيض تحل وتعقد
وقتنى من نار الجحيم بنفسها * وذلك من احسانها ليس يجحد

وله من التصانيف كتاب الزهر والرياض وكتاب مفاكهات الاخوان وكتاب الصيد والجوارح وكتاب السرقات الشعريه وكتاب أشعار الملوك وكتاب طبقات الشعراء وديوان شعر وغير ذلك * ومن كلامه فى البلاغة البلوغ الى المعنى ولم نطل سفر الكلام وأشعاره البليغة وتشبيهاته الغريبة كثيرة لا تطول بها هذه العجالة * ولما تقرر امر المقتدر فى التمكن والاقتدار واستقرت خلافته أتم استقرارا استوزر أبا الحسن على بن محمد بن الفرات فسار احسن سيرة واستقر فى الخلافة الى سنة سبع عشرة وثلثمائة فخرج

يونس الخادم على المقتدر فركب وركب معه الجيش والامراء وجاؤا الى دار الخلافة فهرب خواص المقتدر من داره ونهبوا دار الخلافة فكان مما نهب ستمائة الف دينار لام المقتدر فاشهد على نفسه بالخلع لاربع عشرة ليلة خلت من المحرم سنة سبع عشرة وثلثمائة ﴿واحضر ابو منصور محمد بن المعتضد بن الموفق بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد﴾ وبايعه يونس والامراء ولقبوه القاهر بالله وفوضت الوزارة الى الوزير ابى على بن مقلة الكاتب المشهور وجلس القاهر يوم السبت وكتب الوزير بن مقلة الى سائر البلاد وعمل يوم الاثنين الديوان فى العسكر يطلبون منه انعام الجلوس فارتفعت الاصوات فمنعهم الحاجب ومالوا الى دار يونس واخرجوا المقتدر من الحبس وحملوه على اعناقهم الى دار الخلافة فجلس على السرير واتوا باخيه محمد القاهر اليه وهو مقهور يبكى ويقول الله الله يا اخى فى روحى فاستدناه المقتدر وقبل بين عينى اخيه وقال له يا اخى لا ذنب لك وانت مغلوب على امرك والله لا ينالك منى مكروه فطب نفسا وقر عينا ولما زال روعه آوى اليه اخاه قال انى انا اخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون وبذل المقتدر الاموال للجند واسترضاهم وثبتت له الخلافة وهذه ثالث مرة والثالثة ثابتة

(فصل) من جملة محاسن المقتدر بالله انه زاد فى المسجد الحرام زيادة باب ابراهيم وليس المراد به الخليل عليه وعلى نبينا وسائر الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه بل كان ابراهيم هذا خياطا يجلس عند هذا الباب عمر دهرا فعرف به وكان قبل هذه الزيادة باب متصل بأروقة المسجد الحرام بقرب باب الحزورة ويقال له باب الخياطين وبقربه باب ثان يقال له باب بنى جمح وخارج هذين البابين ساحة بين دارين لزبيدة ام الامين بنيتا فى سنة ثمان ومائتين وما بقى لتلك الدارين اثر الآن والذى يظهر ان دار زبيدة كانت احداهما فى الجانب الشامى فى مكان رباط الخوذى الآن وكانت الاخرى تقابلها من الجانب اليمانى من تلك الزيادة وهى رباط رامشت الذى يعرف الآن برباط ناظر الخاص فادخلت هذه الساحة التى بين الدارين فى المسجد الحرام وأبطل البابان يعنى باب الحناطين وباب بنى جمح بحيث دخلا فى المسجد الحرام وجعل عرض البابين باب ابراهيم باب كبير هو المسمى بباب ابراهيم فى غربى هذه الزيادة ﴿قال الحافظ نجم الدين عمر بن فهد رحمه الله تعالى﴾ فى حوادث سنة ست وثلثمائة من كتاب اتحاف الورى باخبار ام القرى وفيها زاد قاضى مكة يومئذ محمد بن موسى فى الجانب الغربى قطعة عند باب الحناطين وباب بنى جمح وهى السوح الذى كان بين دارى زبيدة أم الامين وعمل ذلك مسجدا أوصله بالمسجد الكبير وطول هذه الزيادة من الاساطين التى فى وزان جدر المسجد الكبير الى القبة التى عليها باب ابراهيم سبعة وخمسون ذراعا الا سدس ذراع وعرض هذه الزيادة من جانبها الشامى الى جانبها اليمانى وذلك من جدار رباط الخوذى الى جدار رباط رامشت اثنان وخمسون ذراعا وربع ذراع وفى هذه الزيادة فى جانبها الشرقى المتصل بالمسجد الكبير صفان من الرواق على أساطين منحوتة من الحجارة وكذلك فى جانبها الشمالى ولم يكن فى جانبها الغربى رواق فى جانبها الشمالى سبيل وسط رواقيه وكانت بهذه الزيادة منارة ذكرها التقى الفاسى فى شفاء الغرام * قلت أما المنارة فلا أدرى من بناها ولا متى هدمت وأما السبيل فكان موجودا الى سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة فهدم عند وصول العمارة السلطانية اليه واعيد بناؤه سبيلا كما كان وهذه الزيادة الثانية وقعت فى أيام المقتدر العباسى رحمه الله تعالى ﴿ومن جملة محاسن المقتدر أيضا﴾ انه أبطل من ديوانه استخدام أهل الذمة من اليهود والنصارى وأبطل تصرفهم فى الاموال السلطانية وأعاد

الامر بتوريث ذوى الارحام فى سائر ممالك الاسلام وأتلف كثيرا من الأموال وأفرغ خزائن بيت المال وباع كثيرا من الضياع حتى أرض الجند بامهال عطيتهم وكان يفرق كل عام من الابل والبقر أربعين ألف رأس ومن الغنم خمسين ألف رأس كذا ذكره الجمال يوسف بن تغرى بردى فى تاريخه مورد اللطافة فيمن ولى السلطنة والخلافة * وقال أبو المحاسن يوسف سبط ابن الجوزى رحمهما الله تعالى كان المقتدر يصرف فى طريق مكة والحرمين ثلثمائة ألف دينار وخمسة عشر الف دينار * وقال الحافظ السيوطى كان النساء غلبن على المقتدر فأخرج عليهن جميع جواهر الخلافة ونفائسها وأعطى بعض حظاياه الدرة اليتيمة وكان وزنها ثلاث مثاقيل وأعطى زيدان القهرمانة سبحة جوهر لم ير مثلها وكان فى داره أحد عشر ألف غلام خصى غير الصقالبة والروم والسود * وكان مبلغ النفقة على بيمارستان أم المقتدر فى كل عام سبعة آلاف دينار وانه ختن خمسة من أولاده فصرف فى ختانهم ستمائة ألف دينار * وقدمت رسل ملك الروم * بهدايا لطلب الهدنة فعمل المقتدر موكبا عظيما لارهاب العدو فاقام مائة وستين ألف مقاتل بالسلاح الكامل سماطين من باب الشماسية الى دار الخلافة ببغداد ثم الرسل بينهما فى هذه المسافة وأقام بعدهم الخدام وهم سبعة آلاف خادم ثم الحجاب وهم سبعمائة حاجب وكانت الستور التى بقيت على دار الخلافة ثمانية وثلاثين الف ستر من الديباج وكانت البسط الفاخرة التى فرشت فى الارض اثنين وعشرين ألف بساط وفى الحضرة مائة سبع فى سلاسل الذهب والفضة وغير ذلك * وزاد الجمال يوسف تغرى بردى من جملة الزينة شجرة صيغت من الذهب والفضة والجواهر تشتمل على ثمانية عشر غصنا أوراقها من الذهب والفضة واغصانها تتمايل بحركات مصنوعة وعلى الاغصان طيور من ذهب وفضة ينفخ الريح فيها فيسمع لكل طير صدح مفرد وصفير خاص وهذا بعد وهن الدولة العباسية وضعفها فكيف كان زينتها فى ايام قوة دولتهم فى كمال وصفها فسبحان من لا يزول ولا يزال ولا يفنى ملكه ولا يعتريه الزوال ولا تغيره الشؤن ولا تحوله الاحوال وهو الله الملك الكبير المتعال له الملك وحده لا شريك له ولا ضد ولا ند ولا مثال كون الاكوان وقدرها تقديرا ولم يتخذ صاحبة ولا وزيرا تعالى شأنه وعلا سلطانه علوا كبيرا وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا

* فصل وأول ما ظهر من الوهن للخلافة * فى أيام المقتدر ظهور الطائفة الملحدة التى تسمى القرامطة لهم اعتقاد فاسد يؤدى الى الكفر يستبيحون دماء المسلمين وينسبون الى موالاة محمد بن الحنفية من أولاد سيدنا أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه ويرون ضلال كافة المسلمين فأول نجس خبيث ظهر منهم ابو طاهر القرمطى وبنى دارا فى هجر سماها دار الهجرة أراد نقل الحج اليها لعنه الله وأخزاه وكثر فتكه فى المسلمين وسفك دماء المؤمنين الى ان اشتد بهم الخطب وانقطع الحج فى أيامه خوفا منه ومن طائفته الفاجرة واشتدت شوكتهم ففى أواخر عام سبع وعشرة وثلثمائة لم يشعر الحجاج يوم التروية بعكة الا وقد وافاهم أبو طاهر القرمطى فى عسكر جرار فدخلوا بخيلهم وسلاحهم الى المسجد الحرام ووضعوا السيف فى الطائفين والمصلين والمحرمين مجردين فى احرامهم الى ان قتلوا فى المسجد الحرام وفى مكة وشعابها زهاء ثلاثين ألف انسان وتلك مصيبة ما أصيب الاسلام بمثلها وركض أبو طاهر بسيفه مشهورا فى يده وهو سكران فصفر بفرسه عند البيت الشريف فبال وارث والحجاج يطوفون حول البيت الحرام

والسيوف تنوشهم الى ان قتل فى المطاف الشريف ألف وسبعمائة طائف محرم ولم يقطع طوافه على بن بابويه وجعل يقول

ترى المحبين صرعى فى ديارهم * كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا

والسيوف تقفوه الى ان سقط ميتا رحمه الله تعالى وطمت بالشهداء بئر زمزم وما بمكة من آبار وحفر قد ملئت بهم وطلع أبو طاهر الى باب الكعبة وقلع بابها وصار يقول

انا بالله وبالله انا * يخلق الخلق ويفنيهم انا

وصاح فى الحجاج يا حمير أنتم تقولون ومن دخله كان آمنا فأين الأمن وقد فعلنا ما فعلنا فاخذ شخص بلجام فرسه فقال وقد استسلم للقتل ليس معنى الآية الشريفة ما ذكرت وانما معناه من دخل فأمنوه فلوى أبو طاهر عنان فرسه عنه ولم يلتفت اليه وصانه الله تعالى ببركة بذل نفسه فى سبيل الله والرد على ذلك الكافر أخزاه الله * وأراد قلع الميزاب وكان من ذهب فاطلع قرمطيا يقلعه له فاصيب بسهم من جبل أبى قبيس فما أخطأ منحره وخر ميتا وأمر آخر مكانه فسقط من فوق الى أسفل على رأسه فهاب الثالث عن الاقدام على القلع فمضى أبو طاهر وتركه على رغم أنفه وقال اتركوه حتى يأتى صاحبه يعنى المهدى الذى زعم انه يخرج منهم * وكان ممن قتل بمكة أميرها ابن محارب والحافظ أبو الفضل محمد بن الحسن ابن أحمد الجارودى الهروى أخذته السيوف وهو متعلق بيديه بحلقة باب الكعبة حتى سقط رأسه على عتبة باب بيت الله تعالى وأخوه امام الفقهاء الحنفية أبو سعيد أحمد بن الحسين البردعى والشيخ أبو بكر بن عبد الرحمن بن عبد الله الرهاوى وشيخ الصوفية على بن بوبة الصوفى والشيخ محمد بن خالد زيد البردعى نزيل مكة وجماعة كثيرون من العلماء والصلحاء والصوفية والحجاج من اهل خراسان والمغاربة ونهبت أموالهم وسبيت ذراريهم ونهبت دور الناس وقتل من وجد من أهلها الا من اختفى فى الجبال وممن هرب من مكة يومئذ قاضيها يحيى بن عبد الرحمن بن هرون القرشى مع عياله الى وادى رهجان ونهبت القرامطة من داره وأثاثه وأمواله ما قيمته مائة ألف دينار وخمسين ألف دينار فافتقر بعد تلك الثروة وكذلك نهبت دور مكة الى ان صار الباقى ممن نجا من تلك الوقعة فقراء يستعطون ولم يحج فى هذا العام أحد ولا وقف بعرفة الا عدد يسير فازوا بأنفسهم وسمحوا بأرواحهم فوقفوا بدون امام وأتموا حجهم مستسلمين للموت وأخذ أبو طاهر خزانة الكعبة وما فيها من الذهب والفضة وكسوة الكعبة وخلعها وما نهبه من أموال الحجاج فقسمها بين أصحابه وأراد اخذ حجر المقام الذى فيه صورة قدم سيدنا ابراهيم صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه وعلى سائر أنبياء الله ورسله الكرام فلم يظفر به لان سدنة الكعبة اخفوه وغيبوه فى شعاب مكة وتألم لذلك فاستدعى بجعفر بن أبى علاج البناء وأمره بقلع الحجر الاسود من محله فقلعه بعد العصر يوم الاثنين لاربع عشرة ليلة خلت من ذى الحجة ذلك العام وصار بزندقته يقول قاتله الله ولعنه وأخزاه

فلو كان من هذا البيت لله ربنا * لصب علينا النار من فوقنا صبا
لانا حجبنا حجة جاهلية * محللة لم تبق شرقا ولا غربا
وانا تركنا بين زمزم والصفا * جنائز لا تبغى سوى ربنا ربا

وقلع ذلك الكافر قبة زمزم وباب الكعبة وأقام بمكة احد عشر يوما وقيل ستة أيام ثم انصرف الى بلده هجر وحمل معه الحجر الاسود يريد أن يحول الحج الى المسجد الضرار الذى سماه دار الهجرة وعلقه فى

الاسطوانة السابعة مما يلى صحن الجامع من الجانب الغربى من المسجد وبقى موضع الحجر الاسود خاليا يضع الناس أيديهم فيه ويتبركون بمحله وأمر هذا الفاجر أن يخطب لعبيد الله المهدى اول الخلفاء العبيديين الفاطميين وكان أول ظهوره فبلغ عبيد الله المذكور ذلك فكتب اليه ان اعجب العجب ارسالك يكتبك تمتنا بما ارتكبت فى بلد الله الامين من انتهاك حرمة بيت الله الحرام الذى لم يزل محترما فى الجاهلية والاسلام وسفكت فيه دماء المسلمين وفتكت بالحجاج والمعتمرين ثم تعديت وتجرأت على بيت الله تعالى وقلعت الحجر الاسود الذى هو يمين الله فى الارض يصافح بها عباده وحملته الى أرضك ورجوت أن اشكرك على ذلك فلعنك الله ثم لعنك الله والسلام على من سلم المسلمون من لسانه ويده وقدم فى يومه ما ينجوبه فى غده فلما وصل كتاب عبيد الله المهدى الى ابى طاهر القرمطى وعلم ما فيه انحرف عن طاعته واستمر الحجر عندهم اكثر من عشرين سنة يستجلبون به الناس اليهم طمعا أن يتحول الحج الى بلدهم ويأبى الله ذلك والاسلام وشريعة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وهذه أعظم مصائب الاسلام وأشدوهن فى الدين من أولئك الفجرة اللئام ذابت لها اكباد العباد وعمت فتنتها فى الحاضر والباد * الى أن دمر الله تعالى تلك الطائفة الفاجرة ومزقت كل ممزق بيد الله القاهرة وابتلى أبو طاهر النحس بالاكلة فصار يتناثر لحمه بالدود ومات أشقى ميتة الى دار الخلود وتعذب بأنواع البلاء فى الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ولما أيست القرامطة عن تحويل الحجاج حجهم الى هجر ردوا الحجر الاسود الى محله وورد سنبر بن الحسن القرمطى الى مكة فى يوم النحر يوم الثلاثاء عاشر ذى الحجة الحرام سنة تسع وثلاثين وثلثمائة ومعه الحجر الاسود فلما صار بفناء الكعبة حضر معه أمير مكة يومئذ وهو ح ظنا أبو جعفر محمد بن الحسن بن عبد العزيز العباسى فأظهر سفطا أخرج منه الحجر الاسود عليه ضباب من فضة فى طوله وعرضه تضبط شقوقا قد حدثت فيه بعد قلعه وأحضر معه حصا يشده به فوضع حسن بن مرزوق البناء الحجر فى مكانه الذى قلع منه وقيل بل وضعه سنبر بيده وقال أخذناه بقدرة الله واعدناه بمشيئته وقد أخذناه بأمر ورددناه بأمر ونظر الناس الى الحجر فقبلوه واستلموه وحمدوا الله تعالى وحضر ذلك محمد بن نافع الخزاعى ونظر الى الحجر الاسود وتأمله فاذا السواد فى رأسه دون سائره وسائره أبيض وحضر معهم من حج فى تلك السنة محمد بن عبد الملك بن صفوان الاندلسى وشهد رد الحجر الى مكانه ولما أعيد الحجر الى مكة حمل على قعود هذيل فسمن وكان لما مضوا به مات تحته أربعون جملا وكانت مدة استمراره عند القرامطة اثنتان وعشرون سنة الا أربعة أيام وكان المنصور بن القائم بن المهدى العبيدى راسل أحمد بن سعيد القرمطى أخا طاهر بخمسين ألف دينار للقرامطة على رد الحجر الاسود فأبوا وقالوا قد أخذناه بأمر ولا نرده الا بأمر الى ان أراد الله تعالى رده على الوجه الذى ذكرناه وفى التواريخ صور أخرى لهذه القصة رأينا هما متناقضة وهذا أصح ما روى فيها فاعتمدنا عليه فعوض عليها بالنواجذ * ثم ان الجبة خافوا على الحجر الاسود من استطالة يد خائن اليه لعدم استحكام بنائه فقلعوه وجعلوه فى البيت الشريف حفظا له وصونا عن من أراده بسوء ثم أمروا صانعين فصنعا له طوقا من فضة وزنه ثلاثة آلاف وسبعة وثلاثون درهما فطوقوا به الحجر وشدوا عليه به وأحكموا بناءه فى محله كما كان ذلك قديما وكما هو الآن أيضا كذلك * وكان قلع الحجر الاسود فى أيام المقتدر ثم وقع بينه وبين يونس حرب فتوغل فى المعركة فضربه واحد من البربر من خلفه فسقط الى

الأرض فقال لضاربه ويحك انا الخليفة فقال له أنت المطلوب وذبحه بالسيف ورفع رأسه على الرمح وسلب ما عليه وبقي مكشوف العورة الى ان ستر بالحشيش ثم حفر له مكانا ودفن فيه وعفى أثره فسبحان المعز المذل السميع البصير له الملك وحده لا شريك له وهو على كل شئ قدير وكانت مدة خلافة المقتدر أولا وثانيا وثالثا خمسا وعشرين سنة الا أياما وقتل لثمان بقين من شوال سنة عشرين وثلثمائة وولي اخوه مكانه أبو منصور محمد بن المعتضد * ولقب القاهر بالله وقهر القاهر المذكور وسمل عينيه * وجاؤا بأبي العباس محمد بن المقتدر بالله بن المعتضد ولقبوه الراضي بالله وبايعوه في سنة اثنين وعشرين وثلثمائة وصار خليفة الى أن مات سنة تسع وعشرين وثلثمائة وبويع لأخيه أبي اسحق ابراهيم بن المقتدر بعده ولقب المتقي بالله وقبض عليه تورون التركي وسمل عينيه في صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة وبويع بعده لابن عمه أبي القاسم عبد الله بن المكتفي بالله بن المعتضد * ولقب المستكفي بالله واستمر في خلافته سنة واحدة وأمسكه من امرائه معز الدولة ابن بويه وسمل عينيه وضمه الى المكتفي بالله والقاهر بالله وصار واثلاثة في العمى * وولي الخلافة الفضل بن المقتدر ولقب المطيع لله وبويع له بالخلافة في سنة أربع وثلاثين وثلثمائة * وكان رد الحجر الاسود الى مكانه من البيت الشريف في أيام المطيع لله هذا وتم امره على ضعف الخلافة ووهنها واستيلاء بني بويه على الملك وطالت أيامه الى أن خلع نفسه وبويع لولده أبي بكر بن عبد الكريم في سنة ثلاث وستين وثلثمائة ولقب الطائع لله وكان مغلوبا عليه من قبل امرائه وما كان له الا العظمة ظاهرا لا غير بحيث ما ورد في سنة تسع وستين وثلثمائة رسول العزيز بالله بن المعز العبيدي صاحب مصر الى بغداد وسأله عضد الدولة ابن بويه وهو يومئذ ملقب بالسلطنة من الطائع وبيده أمر المملكة ان يزيد في ألقابه ويقال له تاج الملة ويجدد عليه الخلع ويلبسه التاج فأجابه الى ذلك فجلس الطائع على سرير عال وأوقف حوله مائة سيف مسلول وبين يديه مصحف عثمان رضي الله عنه وعلى كتفه بردة النبي صلى الله عليه وسلم وبيده قضيب النبي صلى الله عليه وسلم وهو مقلد سيف النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك جميعه كما يتوارثه الخلفاء ويجعلونه لواء كبهم العمامة واحتجب بستارة عالية حتى لا يقع عليه نظر الجند قبل رفع الستارة وحضر الجند من الاتراك والديلم ووقف أرباب المراتب صفين ثم أذن بعضد الدولة فدخل ثم رفعت الستارة وقبل الارض وادخل رسول العزيز صاحب مصر فارتاع وأهاله ما رأى فقال لعضد الدولة أهذا هو الله فقال له هذا خليفة الله في ارضه ثم استمر عشي ويقبل الارض سبع مرات التفت الطائع الى خادمه المقرب عنده واسمه خاص وقال له استدنه فقربه الى رجل السرير وقبل رجله فمشى الطائع يمينه على رأس عضد الدولة وامره ان يجلس على كرسي وضع له قريبا من السرير فاستعفى عضد الدولة من ذلك فأقسم عليه ليجلس فقبل الكرسي ثم جلس عليه فلما استقر جالسا قال له الطائع قد فوضت اليك ما كان الله تعالى فوضه الي من امور الرعية في شرق الارض وغربها فقال يعينني الله تعالى على طاعة أمير المؤمنين وقبل الارض فأمر ان يفاض عليه سبع خلع فافيضت عليه وهو يقبل الارض في كل واحدة وانصرف الناس خلفه وقد أهالهم ما رأوه واستعظموا ما شاهدوه وما كانت هذه العظمة الا صورة صناعية وكافة اصطناعية حقيقتها واهية وقوتها واهنة وان السلطنة لما آلت الى أبي النصر بن بويه ركب الطائع اليه وخلع عليه سبع خلع وطوقه بطوق مجوهر وسوره بسوارين ولقبه بهاء الدولة وضياء الملة في سنة تسع وسبعين وثلثمائة * ثم في سنة احدى وثمانين وثلثمائة جاء بهاء

الدولة الى الطائع وقبل الارض بين يديه وجلس على الكرسي وامر خدامه من الديلم فجذبوا الطائع من سريره ولفوه في كساء وأمره بهاء الدولة ان يخلع نفسه ففعل ﴿ وأتى بأبي العباس احمد بن اسحق بن المقتدر ولقبه القادر بالله ﴾ وبويع له بالخلافة لعشر مضين من شهر رمضان من ذلك العام وكان على غاية من الديانة والعبادة والفضل وصنف كتابا في الرد على القائلين بخلق القرآن وامر ان يقرأ في كل جمعة في حلق اصحاب الحديث بحضرة الناس وعده ابن الصلاح في علماء الشافعية وذكره في طبقاته وطالت مدة خلافته حتى أناف على احدى واربعين سنة وثلاثة اشهر وتوفي الى رحمة الله تعالى في سنة اثنتين وعشرين واربعمائة ﴿ وولي بعده بعهد منه ولده أبو جعفر عبد الله بن القادر بالله ولقبه القائم بأمر الله ﴾ وكان خيرا دينا باهر الفضل الا انه مغلوب بيد امرائه وطالت مدته مع ذلك وكانت خلافته خمسة واربعين سنة ووفاته في شعبان سنة سبع وستين واربعمائة ﴿ وولي بعده بعهد منه حفيده أبو القاسم عبد الله محمد بن القائم بأمر الله ولقب المقتدي بأمر الله ﴾ وبويع له بالخلافة يوم وفاة جده بحضرة الامام الكبير الولي الشهير مولانا ابي اسحق الشيرازي احد اركان أئمة الشافعية رضي الله عنهم وكان خيرا دينا من نجباء خلفاء بني العباس وصالحيهم * ومن جملة صلاحه وبركته ان السلطان ملك شاه من آل سبكتكين قصد ان يتحكم عليه ويظهر الحيف والخيف على الخليفة المذكور فأرسل اليه وهو يقول لابد أن تترك لي بغداد وتذهب الى أي بلد شئت فأرسل الخليفة اليه يتلطف به في ذلك فأبى الا شدة وغلظة فقال لرسوله اسأله المهلة لي ولو شهرا فأبى وقال ولا ساعة فأرسل الى وزيره واستمهله عشرة أيام فصار الخليفة يصوم بالنهار ويقوم بالليل ويتضرع الى الله تعالى ويضع خده على التراب ويناجي رب الأرباب ويدعو على ملك شاه فنفذ دعاؤه وهو مظلوم نفوذ السهم المسموم في كبد الظلوم واستجاب الله دعاءه وتقبل ضراعته فهلك السلطان ملك شاه قبل مضي عشرة أيام وكفاه الله تعالى شره ومار بك بظلام وعدت هذه كرامة للخليفة المقتدي وهذه عقبى كل ظالم معتدي ورحم الله من قال

وكم لله من لطف خفي * يدق خفاه عن فهم الذكي
وكم فرج أتى من بعد عسر * وفرج كربة القلب الشجي
وكم هم تساءبه صباحا * وتأتيك المسرة بالعشي
اذا ضاقت بك الاحوال يوما * فثق بالواحد الفرد العلي
تمسك بالنبي فكل هم * يزول اذا تمسك بالنبي

وكذلك من قال

لا تشتغل بهموم القلب مكتئبا * ولا تبيتن الا خالي البال
ما بين غمضة عين وانتباهتها * يغير الدهر من حال الى حال

وكانت وفاة الخليفة المقتدي بأمر الله في محرم سنة سبع وثمانين واربعمائة * (وولي بعده ابنه ابو العباس أحمد ولقب المستظهر بالله) * وبويع له بالخلافة يوم مات ابوه وكانت امه ام ولد تركية اسمها الطون وكان كريم الاخلاق حسن الخط لا يقاومه احد في كتابته حافظا للقرآن عالما فاضلا وكان قد غلب عليه ملوك آل سلجوق وكانت مدة خلافته اربعا وعشرين سنة وثلاثة اشهر وتوفي يوم الاربعاء لست بقين من شهر ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة وخمسمائة * (وولي بعده ولده أبو منصور الفضل بن

المستظهر بالله ولقب المسترشد بالله) * وبويع له بالخلافة يوم مات والده وامه ام ولد تسمى لبابة * وكان شجاعا عادلا مشغولا بالعبادة حفظ القرآن وقرأ الحديث ونظم الشعر ومن شعره

انا الاشقر الموعود لى فى الملاحم * ومن يملك الدنيا بغير مزاحم

وكان هذا التخيل من خيالاته الفاسدة فانه ما ملك من الدنيا ولا فناء داره وخرج الى قتال مسعود ابن محمد بن ملكشاه السلجوقى فلم يقاتل معه احد فقاتل وحده الى ان قتل فى ذى القعدة سنة تسع وعشرين وخمسمائة * (وولى بعده ابنه جعفر منصور بن المسترشد ولقب الراشد بالله) * وبويع له بالخلافة يوم قتل ابيه رحمه الله تعالى ولم تطل مدته بل قبض عليه السلطان مسعود السلجوقى وخلعه من الخلافة فى يوم الاثنين لاثنى عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة الحرام سنة ثلاثين وخمسمائة وحبسه وقتله فى حبسه * (وولى عمه أبو عبد الله محمد بن المستظهر بالله ولقبه المقتفى بالله) * وبويع له يوم خلع ابن أخيه وكان عالما فاضلا حسن السيرة دمث الاخلاق شجاعا توفى يوم الاحد لليلتين خلتا من ربيع الاول سنة خمس وخمسين وخمسمائة * (وولى بعده ولده المظفر يوسف بن المقتفى ولقب المستنجد بالله) * وبويع له يوم وفاة أبيه وأمه أم ولد حبشية اسمها طاووس ويحكى أنه قبل أن يصير خليفة رأى فى منامه ان ملكا نزل من السماء فكتب فى كفه خمس خاتم فلما أصبح سأل بعض المعبرين عن منامه فقال انك تلى الخلافة فى سنة خمس وخمسين وخمسمائة فكان كذلك توفى الى رحمة الله تعالى فى يوم السبت لليلتين خلتا من ربيع الثانى سنة ست وستين وخمسمائة * (وولى بعده ابنه أبو محمد المستنجد بالله ولقب المستضىء بالله) * وبويع له يوم وفاة والده وكان حسن السيرة كريم النفس أسقط المكوس فى ممالكه وكثر ثناء الخلق عليه وتوفى فى مستهل ذى القعدة سنة خمس وسبعين وخمسمائة * وولى بعده ابنه أبو العباس أحمد فلقب الناصر لدين الله) * وبويع له بالخلافة لثمان مضين من ذى القعدة وهى اليوم الثانى من وفاة والده وفى أيام ظهور السلطان صلاح الدين بن أيوب واستخلاصه بيت المقدس من أيدى النصارى الفرنج واستيلائه على مصر وازالة دولة الفاطميين عنها وخطب لهذا الناصر العباسى على منابر مصر ووقع بينه وبين السلطان صلاح الدين منافرة بسبب لقبه بالناصر لدين الله فان صلاح الدين تلقب به والفاطميون ويقال لهم العبيديون أربعة عشر خليفة أولهم عبيد الله المهدى * واختلف المؤرخون فى نسبهم وهم ينسبون الى فاطمة الزهراء رضى الله عنها وأنكر ذلك كثير من المؤرخين وطعنوا فيهم بأنهم من أولاد الحسين بن محمد بن القداح وقالوا كان القداح المذكور مجوسيا وثانيهم المنصور وثالثهم القائم ورابعهم المعز وهو الذى انتقل من بلاد المغرب الى مصر وملكها من الاخشيديين وبنى القاهرة المعزية واستقر هو ومن بعده من العبيديين بمصر الى ان كان آخرهم العاضد وهو الرابع عشر منهم * توفى يوم عاشوراء سنة سبع وستين وخمسمائة وذلك بعد استيلاء صلاح الدين بن أيوب عليه وعلى مملكته وخطب على منابر مصر للناصر لدين الله وانقرضت دولة العبيديين وكانوا أرفاضا سبابين ومنهم ملاحدة كالحاكم بامر الله ويحكى عنه كفريات عجيبة وأكثر المؤرخين على نفى شرفهم والله اعلم بحقيقة ذلك وطالت مدة الناصر فاحيا رسوم الخلافة وامتلأت القلوب من هيبته وكان ذا فكرة صائبة وكانت أيامه من غرر الزمان وكان له احسان الى أهل الحرمين الشريفين وكانت الكعبة الشريفة تكسى الديباج الابيض فى زمن المأمون الى آخر أيام الناصر فكساها الديباج الاسود كساه الحمام ثياب اكفانه وعزله عن سرير ملكه وتخت سلطانه وكانت وفاته فى سلخ شهر رمضان سنة اثنين وعشرين وستمائة * (وولى مكانه بعد موته

أبو نصر محمد بن الناصر ولقب القاهر بالله) * وبويع له بالخلافة يوم مات والده بعهد منه فأظهر العدل والاحسان وابطل المكوس وورث ذوى الارحام وكان العمال يكيلون للديون بكيل زائد على ما يكيلون به للناس فأبطل الظاهر ذلك وكتب الى وزيره ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون الا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين فقال الوزير ان تفاوت الكيل ينوف على ثلاثين الف دينار فقال ابطله ولو انه ثلثمائة الف دينار فلامه الوزير على ذلك فقال اتركنى افعل الخير فانى لا ادرى كم اعيش فلم يلبث ان وفاه الله الكيل الاوفى واثابه على عمله الصالح ووفى فعاش حميدا ومضى سعيدا وتوفى فى رجب سنة ثلاث وعشرين وستمائة * (وولى بعده ولده أبو جعفر منصور بن الظاهر ولقب المستنصر بالله) * وبويع له بالخلافة يوم وفاة والده فنشر العدل وبذل الانصاف وقرب أهل العلم والدين وبنى المساجد والربط والمدارس وهو الذى بنى المدرسة المنتصرية ببغداد التى لم ير مثلها فى مدارس الاسلام ولم يوجد فى المدارس أكبر منها كتبا ولا أكثر أوقافا عليها وكان لهذه المدرسة أربعة مدرسين يدرسون فيها على المذاهب الاربعة رتب فيها الخبز والحلوى والفاكهة وكسوة الشتاء والصيف وجعل فيها ثلاثين يتيما ووقف على ذلك ضياعا وقرى كثيرة سردها الذهبى وغيره فرحم الله أهل الخير وأهل الاحسان ورفع الله درجاتهم فى أعلى الجنان ووفقهم لنشر العدل بالقسط والميزان وكانت مدارس بغداد يضرب بها المثل فى ارتفاع العماد واتقان المهاد وطيب الماء ولطف الهواء ورفاهية الطلاب وسعة الطعام والشراب وغير ذلك من الاسباب وقد حكى ان أول مدرسة بنيت فى الدنيا مدرسة نظام الملك فى بغداد فبلغ علماء ما وراء النهر هذا الخبر فاتخذوا للعلم مأتما وحزنوا على سقوط حرمة العلم فسئلوا عن ذلك فقالوا ان العلم ملكة شريفة فاضلة لا يتطلبها الا النفوس الشريفة الفاضلة لجاذب الشرف الذاتى والمناسبة الطبيعية ولما جعل عليه أجرة تتطلبه النفوس الرذلة وتجعله مكسبا لحطام الدنيا ويتزاحم عليه لا لتحصيل شرف العلم بل لتحصيل المناصب الدنيوية السفلة الفانية فيرذل العلم برذالتهم ولا يشرفون بشرفه ألا ترى الى علم الطب فانه مع كونه علما شريفا تعاطته أراذل اليهود بشرف علم الطب وهذا حال أكثر طلبة العلم فى هذا الزمان الفاسد وهذا شأن طلاب هذه العلوم المتداولة الآن فى هذا السوق الكاسد فانك ترى أكثرهم مع دأبه فى الطلب واكبابه على فنون العلم والادب يزداد كل وقت عجبا وكبرا ويتعاظم على كل أحد تيها وفخرا ولم ينتق من أوصاف الاخلاق الرذيلة ولو اكتسب مهما اكتسب من الفضيلة وقلما يتحلى أحدهم بحلى الاخلاق الحسنة الجميلة والمزايا الفاضلة الكاملة الجليلة وما ثمرة كسب العلوم غير التخلق بحسن الاخلاق والعمل بمقتضى طب الاصول والاعراق فالله تعالى يبصرنا بعيوبنا ويستر علينا معايب ذنوبنا وينير ببصر بصائرنا ويزيل عوار قلوبنا ويرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه ويرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه * قلت وحيث انجر الكلام الى ذكر نظام الملك فأذكر لك حكاية لطيفة نقلها صاحب كتاب وصل الحبيب ونديم اللبيب * قال ذكر * ان نظام الملك لما استوزر بالعراق للسلطان أبى الفتح السلجوقى قام بالدولة أحسن قيام فشيد أركانها واسس بنيانها ووالى الاولياء واستمال الاعداء وعم احسانه العدو والصديق والقريب والبعيد وكان أقبل اقبالا عظيما على العلماء والصلحاء والفقهاء وبنى المدارس العظيمة والخانقاهات العالية وأجرى الخيرات الكثيرة والكساوى الجليلة الفاخرة لطبقات طلبة العلم والمشايخ والصوفية وغيرهم

ممن يتوسم فيه الدين والصلاح وعم بذلك سائر الاقطار من بلاد العراقين الى الحرمين الشريفين بحيث كان يخرج من خاصته الخالصة السلطانية والخزائن الديوانية من هذه الوجوه ماينوف عن ستمائة ألف مثقال من الذهب غير الذى ينفقه من خاصة أمواله ومحصلات غلاله وما يدخل عليه من الهوائيات وغيرها ولعله كان يقرب من القدر الذى يخرجه من أموال السلطنة فسار صيته فى الآفاق وكثر حساده ولا يخلو السعداء من الحساد فى كل زمان كما هو مشهود بالعيان فى كل أوان وما وجدوا للطعن على نظام الملك طريقا غير اجحافه فى الاخراج من الاموال السلطانية فى هذه الوجوه فوشوا به الى السلطان أبى الفتح من طرق شتى وكرروا فى سمعه ان نظام الملك أخرب بيت المال وان هذه المصاريف الزائدة التى يخرجها فى هذه الوجوه يمكن ان تصرف فى جمع جيش كثيف يركز رايته فى سور قسطنطينية وكانت يومئذ مملكة النصارى وهى الآن بحمد الله دار ملك الاسلام عمرها الله تعالى بعدله سلطان سلاطين الانام وحرسها بالنصر والتأييد الى يوم القيام وانه يؤخذ بذلك الجيش كثيرا من الممالك والاقاليم ويتسع بها المملكة ويكثر الخراج والاموال فلما تكرر ذلك على سمع السلطان أثر كلامهم فى قلبه واعتقد نصحهم وكل كلام تكرر على السمع قبله القلب وانطبع فى الطبع ولو كان واهنا واهيا فى نفس الامر فطلب نظام الملك وقال له يا أبى وكان يخاطبه بالاب تعظيما له لكبر سنه وعقله بلغنى انك تخرج من بيت المال فى كل سنة ستمائة ألف دينار الى من لا ينفعنا ولا يغنى شيأ فبكى نظام الملك وقال يا بنى أنا شيخ أعجمى لو نودى على فى السوق ما سويت خمسة دنانير وأنت شاب تركى لو نودى عليك عساك أن تساوى ثلاثين دينارا وقد اختارنا الله وفوض أمور عباده وبلاده الينا فلم نقابله بالشكر ولا عرفنا قدر نعمة الله تعالى فاستمريت أنا فى كتابتى وضبطى وأنت منهمك فى لذاتك ولهوك وأكثر ما يصعد الى الله تعالى معاصينا دون طاعتنا وشكرنا وجيوشك الذين أعددتهم للنوائب اذا احتشدوا عنك كالخوا عنك بسيف طوله ذراعان وسهم لا يعدو مرماه وهم مع ذلك منهمكون فى المعاصى والخمور والملاهى هم أحرى بنزول القهر عن نزول الفتح والنصر فاتخذت لك جيشا كثيفا وعسكرا منيفا يسمى جيش الليل وعسكر السحر اذا نامت جيوشك ليلا قامت هذه الجيوش على أقدامهم صفوفا بين يدى ربهم وأرسلوا دموعهم وأطلقوا بالدعاء ألسنتهم ومدوا أكفهم فرمواسهاما تخرق السموات والارضين وسلوا سيوفا تعمل فى كل حين طولا تبلغ الى الصين فأنت وجيوشك فى خفارتهم تعيشون وببركاتهم تمطرون وبدعائهم تنصرون فبكى السلطان أبو الفتح بكاء شديدا وقال شاباش يا أبه استكثر من هذا الجنس فانه الذى لا بد لنا منه ولما كان كل منهما له قابلية الخير مجبولا به ما أثر عند ملكه كلام الحساد مع تكرره الا تأثيرا ضعيفا وزال فى الحال وعاد الى حب الخير الذى جبل عليه واستغفر الله تعالى مما فرط من تقصيره فرحم الله تلك الارواح الطاهرة ومتعها بالنظر الى وجهه الكريم فى الدار الآخرة فقد زالوا وما زالت أخبارهم تروى وأحاديثهم الحسنة تنشر على ألسنة الرواة ولا تطوى ﴿عدنا الى ما كنا فيه﴾ ومن جملة خدام المستنصر بالله الامير شرف الدين اقبال الشرابى المستنصرى العباسى بنى بمكة مدرسة على يمين الداخل الى المسجد الحرام من باب السلام ووقف فيها كتبا كثيرة فى سنة احدى وأربعين وستمائة ذهبت شذر مذر والمدرسة باقية الى الآن وقد صارت رباطا وفيه محل التدريس وبه كتب وقفها أهل الخير ممن أدركناه رحمه الله تعالى وبلاصق الكعبة الشريفة فى وسط مقام سيدنا جبريل عليه

السلام

السلام من الرخام الازرق الصافى منقور فيه بالمنبث ماصورته *بسم الله الرحمن الرحيم أمر بعمارة هذا المطاف الشريف سيدنا ومولانا الامام الاعظم المفترض الطاعة على سائر الأمم أبو جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين بلغه الله آماله وزين بالصالحات أعماله وذلك فى شهور سنة احدى وثلاثين وستمائة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم اه وهذا اللوح باق الى زماننا وكانت وفاة المستنصر بالله لعشر بقين من جمادى الآخرة سنة أربعين وستمائة وكتم موته وخطب بعد موته الى أن جاء الأمير اقبال الشرابى الى ولده أبى أحمد بن المستنصر وسلم عليه بالخلافة لعشر مضين من رجب سنة اربعين وستمائة *فبويع له ذلك اليوم ولقب المستعصم بالله* وهو آخر الخلفاء العباسيين فى بغداد وبزواله زالت دولتهم من الدنيا كما سنشرحه ان شاء الله تعالى *وحجت والدة المستعصم بالله فى سنة احدى وأربعين وستمائة وهى أم ولد حبشية واسمها هاجر وكان فى خدمتها اقبال الشرابى الدوادار ومعه ستة آلاف خلعة وتصدق بنحو ستين ألف دينار وعدة جمال ركب بغداد فى تلك السنة فكانت مائة ألف وعشرين ألف جمل ثم عادت الى بغداد رحمها الله تعالى ولما جرت عادة الله تعالى بانقراض الدول واختصاص العزة والبقاء لله عز وجل آلت دولة آل عباس الى الانقراض والزوال وغيرتهم الغير ونابتهم النوائب وحالت بهم الأحوال ودالت دولة غيرهم ولكل زمان دولة ورجال

ما بين غمضة عين وانتباهتها * يغير الدهر من حال الى حال

وكل شئ له سبب من الاسباب وعلة يدور عليه التقلب والانقلاب وكان سبب ضعف خلفاء بنى العباس استيلاء حمالیكهم وأمرائهم عليهم وتفويض أمور جميع المملكة اليهم وتلقيبهم بألقاب السلطان وفرط ادلالهم على مواليهم وامتهانهم اياهم غاية الامتهان الى أن صاروا اسماء بلا مسميات وصوراً هيولانية يتصرف فيها بالمحو والاثبات وصار أمراؤهم يفشون سرهم ويغشونهم ويصل أرباب الغرض الى اغراضهم الفاسدة لما يرضونهم *فأول أسباب زوال الملك ان المستنصر بالله كان له ولدان أحدهما يعرف بالخفاجى كان شديد الباس صعب المراس والثانى المستعصم بالله هينا لينا ضعيف الرأى فاختاره الأمير اقبال الشرابى على أخيه ليستبد بالأمور ويستقل بأحوال المملكة ولا يناله مكروه من المستعصم ولا يخشاه كما يخشى من أخيه الخفاجى فلما توفى المستنصر أخفى الأمير اقبال موته عشرين يوما حتى دبر لولاية المستعصم وبويع له بالخلافة وفر أخوه الى العربان وتلاشى أمره * ثم أعظم سبب الزوال ان مؤيد الدين محمد بن محمد بن عبد الملك العلقمى صار وزيرا للمستعصم وكان رافضيا سبابا مستوليا على المستعصم عدو اله ولأهل السنة يداريهم فى الظاهر وينافقهم فى الباطن وكان تدبيره على ازالة الخلافة من بنى العباس واعادتها الى العلويين وطمس آثار أهل السنة واطفاء نورهم وتقوية أهل البدعة وابقاء ديارهم فصار يكاتب هولاكو خان ويطمعه فى ملك بغداد ويخبره عن صورة أخذها وضعف الخليفة وانحلال العسكر وصار يحسن للمستعصم توفير الخزينة وعدم الصرف على العسكر والاذن لهم فى التفرق والذهاب أين شاؤا ويقطع ارزاقهم ويشتت شملهم بحيث اذن مرة لعشرين ألف مقاتل أن يذهبوا أين أرادوا وفر علوفاتهم فى الخزينة وأظهر للمستعصم انه وفر من علوفاتهم خزائن أموال عظيمة توفرت فى بيت المال فأعجب المستعصم رأيه وتوفيره وكان يحب المال ويجمعه وما علم انه يجمعه لعدوه * وقد سئل بنو أمية بعد ذهاب ملكهم فقالوا أقواها

انا اعتمدنا على المال واستهونا بالرجال فوفرنا المال وقللنا الرجال فأخذ العدو مالنا وتقوى به علينا وانا أبعدنا الصديق اعتمادا على صداقته وقربنا العدو استجلابا بالمحبته فصار الصديق عدوا ولم يصر العدو صديقا بالاستجلاب

احذر عدوك مرة * واحذر صديقك ألف مره
فلربما انقلب الصديق * فصار أدرى بالمضره

وكان من قضاء الله وقدره ان هولاكو خان سلطان القول وجفتاى من دشت قفجاق رجعوا على بلاد الاسلام وجاءوا بعسكر جرار لا يعلمه الا الله تعالى وكان أقوى سلاطين الاسلام اذذاك علاء الدين خوارزم شاه وكان يملك من العراق الى أقصى بلاد الشرق وكان له قوة وشوكة وعسكر وافر وجند متكاثر فظهر هلاكو وقاتله خوارزم شاه مرارا وهو ينكسر الى أن قتل هو وأولاده وجنوده واستباح كثيرا من بلاد الاسلام وقتل من فيها بالقتل العام وصار يجول هولاكو في الديار وناره في غاية الاشتعال والاستعار والمستعصم ومن معه في غفلة عنه لاخفاء ابن العلقمى عنه سائر الاخبار الى أن وصل هولاكو خان الى بلاد العراق واستأصل من بها قتلا وأسرا وتوجه الى بغداد وأرسل الى الخليفة يطلبه اليه فاستيقظ من نوم الغرور وندم على غفلته حيث لا ينفعه الندم وجمع من قدر عليه وبرز الى قتاله وجمع من أهل بغداد وخاصة عبيده وخدمه ما يقارب أربعين ألف مقاتل لكنهم مرفهون بلين المهاد ساكنون على شاطئ بغداد في ظل تخين وماء معين وفاكهة وشراب واجتماع أحباب وأصحاب ما كابدوا حربا ولا دافعوا طعنا ولا ضربا وعساكر الغل ينوفون عن مائتى ألف مقاتل ما بين فارس وراجل وسالب وباسل وفاتك وقاتل يثبون وثب القردة ويتشكلون باشكال المردة يقطعون المسافات الطويلة في ساعات قليلة ويخوضون الاوحال ويتعلقون بالجبال ويصبرون على العطش والجوع ويهجرون الغمض والهجوع ولا يبالون بالبرد والحر والسهل والوعر والبحر والبر طعامهم كف شعير وشرابهم من طرف البير يكاد أحدهم يتقوت بأذن فرسه يقطعها ويأكلها نيه ويصبر على ذلك أياما عديده أو يكتفى هو وفرسه بحشيش الارض مدة مديده فوقع المصاف والتحم القتال ووقع الطراد والنزال وزحف الخميس الى الخميس في يوم الخميس عاشر المحرم الحرام سنة ست وخمسين وستمائة وثبت أهل بغداد مع براقتهم على حد السيوف وصبروا مضطرين على طعم الحتوف وأعطوا الدار حقها فاستمطروا غمائم السهام وابلها وودقها واستقبلوا بحر وجوههم صواعق الحرب وبرقها ورزقوا في تلك المكابدة الفوز بالشهاده وارتقوا في الدار الآخرة رتب السعاده وجادوا بأنفسهم في سبيل الله وأجادوا أحسن اجاده واستمروا كذلك من اقبال الفجر الى ادبار النهار فعجزوا عن الاصطبار وانكسروا أشد انكسار وولوا الأدبار بالادبار وما أغنى عنهم الفرار

ولذهم الطراد الى قتال * أحد سلاحهم فيه فرار
مضوا متسابقى الاعضاء فيه * لاجلهم بار وسهم عثار
يرون الموت قدامًا وخلفا * فيختارون والموت اضطرار

وغرق كثير منهم في دجله وقتل أكثرهم أشد قتله وأعقبهم التتار ووضعوا السيف فيهم والنار وقتلوا من المسلمين في ثلاثة أيام ما ينوف على ثلثمائة ألف وسبعين ألف وسبوا النساء والأطفال ونهبوا الخزائن والأموال فأخذ هولاكو جميع النقود وأمر باحراق الباقى ورموا كتب بغداد في بحر

الفرات وكانت لكثرتها جسرا يمرون عليها ركبانا ومشاة وتغير لون الماء بمداد الكتابة الى السواد وكانت هذه الفتنة من أعظم مصائب الاسلام (واستؤسر المستعصم) هو وأولاده وجماعته وأتوا به الى هولاكو أسيرا ذليلا فقيرا حقيرا فسبحان المعز المذل القادر القاهر تعالى شأنه الباهر وعلا سلطانه على كل ذى سلطان قاهر فاستبقى هولاكو الخليفة أياما الى أن استصفى أمواله وخزائنه وذخائره ودفائنه ثم رمى رقاب أولاده وذويه وأتباعه ومتعلقيه وأمر أن يوضع الخليفة فى غرارة فيرفس بالأرجل الى أن يموت ففعل به ذلك فاستشهد رحمه الله تعالى فى يوم الاربعاء لأربع عشرة ليلة خلت من صفر سنة ست وخمسين وانقطعت الخلافة من بنى العباس وهم سبع وثلاثون أوّلهم السفاح وآخرهم المستعصم وبعده صار المسلمون بلا خليفة ولم ينل ابن العلقمى ما أراده ولم يستفد غير سلامة أهل الحلة من النهب والقتل بمساعدته لهم فان مجد الدين محمد بن الحسن بن طاووس الحلى وسديد الدين يوسف بن المطهر الحلى ارسلا كتابا الى هولاكو على يد ابن العلقمى وفيه كلام يروونه عن على بن أبى طالب رضى الله عنه * صورته اذا جاءت العصابة التى لا خلاق لها لتخربن يا أم الظلمة ومسكن الجبابرة وأم البلايا ويل لك يا بغداد وللدار العامرة التى لها أجنحة كالطواويس تماتين كما يمات الملح فى الماء ويأتى بنو قنطورا ومقدمهم جهورى الصوت لهم وجوه كالمجان المطرقة وخراطيم كخراطيم الفيلة لم يصل الى بلد الا افتتحها ولا راية الا نكسها فلما وصل الكتاب الى هولاكو أمر أن يترجم له فلما قرأه أمر لهم بسهم الأمان وسلموا بسبب ذلك من القتل والنهب وباء ابن العلقمى باثمه واثم من ظلم بسببه وكان من أهل النار وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون * قلت وأما هذه الكلمات فما عليها طلاوة كلام سيدنا على رضى الله عنه ولا حلاوته وآثار الوضع ظاهرة عليها وكأنهم اخترعوه بعد وقوع الطامة وعند حصول هذه الفتنة العامة والا لاشتهر ذلك قبل الوقوع وتناقلته الرواة فى كل مجموع والله أعلم بالسرائر وما تجنه الاحشاء والضمائر

(فصل) كان ممن نجا من سيوف هولاكو من بنى العباس أحمد وتلقب المستنصر بن الظاهر بن الناصر بن المستضئ بن المستنجد بن المقتفى بالله العباسى فوصل الى مصر وافدا على سلطانها اذ ذاك وهو الملك الظاهر سيف الدين بيبرس البندقدارى فى سنة ست وخمسين وتسعمائة فخرج السلطان بيبرس الى تلقيه وأكرمه وأثبت نسبه فى موكب عظيم فيه قضاة الشرع الشريف وأعانه الظاهر بجيش وتوجه الى بغداد ووصل الى الفرات فى ثالث ذى القعدة سنة تسع وخمسين وستمائة فقاتله فزت بغا نائب هولاكو على بغداد فقتل المستنصر ومن معه ولم ينج منهم الا القليل فلم يتم له أمر ثم وصل بعد ذلك الى مصر من بنى العباس أبو العباس أحمد وتلقب الحاكم بأمر الله بن الراشد بن المسترشد بن المستظهر بن المقتدر العباسى فأكرمه الملك الظاهر وأثبت نسبه قضاة الشرع بحضرته وبايعه بالخلافة وأجرى عليه نفقته وسكن بمصر وليس لهم من الأمر شئ وانما اسمه الخليفة وأولاده من بعده على هذا المنوال ليس لهم الا اسم الخلافة ويأتون به الى السلطان الذى يريدون توليته فيبايعه ويقول له وليتك السلطنة هكذا كانوا بألقاب الخلفاء واحد بعد واحد وكانوا سلاطين الاقاليم يتبركون بهم ويرسلون اليهم أحيانا يطلبون منهم تفويض السلطنة باللسان فيكتبون له تقليدا ويعهدون اليه بالسلطنة عهدا ويولونه سلطنة الجهة التى هو فيها فيتبرك بهذا التقليد ويتيمن به ولا يخفى ان هؤلاء ليس لهم من الخلافة والصورة كما كان للخلفاء العباسيين ببغداد المحجور عليهم من جهة أمرائهم الا صورة الخلافة فقط وهؤلاء ليس لهم ولا

تلك الصورة أيضا واغفالهم الاسم المجرد عن المعنى من كل وجه ولكن شيخ شيوخنا الحافظ السيوطى رحمه الله تعالى عدهم من جملة العباسيين وكتب تاريخا للخلفاء ذكرهؤلاء من جملتهم وقام بشأنهم واعتبارهم وآخر من ذكرمنهم فى تاريخ الخلفاء ﴿المتوكل على الله أبو العز عبد العزيز بن يعقوب﴾ وانه بويع له فى يوم الاثنين السادس والعشرين من المحرم سنة أربع وثمانين وثمانمائة بحضرة السلطان الاشرف قايتباى والقضاة والاعيان بالقلعة فى مصر ثم ركب من القلعة الى منزله وكان يوما مشهودا وبه ختم كتابه تاريخ الخلفاء * ورأيت فى تاريخ لطيف للحافظ السيوطى أيضا سماه الوفيات فى الرقيات ان فى سنة ثلاث وتسعمائة مات فى المحرم منها الخليفة المتوكل على الله أبو العز العباسى المصرى رحمه الله تعالى ﴿وعهد لابنه يعقوب ولم يلقبه فلقبه الناس المستمسك بالله﴾ قلت واستمر يعقوب المستمسك بالله خليفة الى ان كبر سنه وكف نظره ودخلت أيام الدولة الشريفة العثمانية وافتتح السلطان الاعظم والخاقان الاقهر الاشهم السلطان سليم خان ابن السلطان بايزيد خان مصر القاهرة وقهرها وأزال عنها مظالم الجراكسة وعاد مع الفتح والبشرى الى دار السلطنة الكبرى قسطنطينية العظمى فتوفى الخليفة المذكور بمصر لعشر بقين من ربيع الثانى سنة سبع وعشرين وتسعمائة أخذه سركنا الى اصطنبول عوضا عن والده يعقوب المستمسك بالله لكبر سنه وذهاب نظره فلما توفى السلطان سليم رحمه الله عاد المتوكل على الله هذا الى مصر وصار خليفة بها واستمر الى ان توفى الى رحمة الله تعالى لاثنتى عشرة ليلة مضت من شعبان سنة خمسين وتسعمائة فى أيام المرحوم داود باشا الخادم صاحب مصر رحمه الله تعالى وبموته انقطعت الخلافة العباسية الصورية بمصر أيضا وكان المتوكل هذا فاضلا أديبا له شعر فمنه قوله

لم يبق من محسن يرجى ولا حسن * ولا كريم اليه مشتكى الحزن
واغا سادقوم غير ذى حسب * ما كنت أوثر ان يمتد بى زمنى

ضمن قول الطغرائى من لامية العجم

ما كنت أوثر ان يمتد بى زمنى * حتى أرى دولة الاوغاد والسفل

وقد اجتمعت به وأخذت عنه فى رحلتى الى مصر لطلب العلم الشريف فى سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة وكانت مصر اذ ذاك مشحونة بالعلماء العظام مملوءة بالفضلاء الفخام ميمونة بيمن بركات المشايخ الكرام كانها عروس تتهادى بين أقمار وشموس

ثم انقضت تلك السنون وأهلها * فكانها وكأنهم أحلام

﴿الباب السادس فى ذكر ملوك الجراكسة لان بعضهم أو أكثرهم عمر فى المسجد الحرام﴾

﴿وسبق لهم فيه من الترميم والنظام لما صار وا من سلاطين الاسلام﴾

اعلم ان الجراكسة جنس من الترك فى جنوب الارض لهم مدائن عامرة ولهم جبال ومزارع يرعون الغنم ويزرعون وهم تابعون السلطان خوارزم وملوك هذه الطوائف الملك سراى كالرعية يقاتلونهم ويسبون منهم النساء والاولاد ويجلبونهم الى أطراف البلدان والاقاليم هكذا ذكرها المقريزى فى عقوده قال واستكثر المنصور قلاوون صاحب مصر من ملوك الاتراك بعد الايوبية ملوك الاكراد أصحاب مصر من شراء المماليك الجراكسة وكذلك ولده وبنوه وأدخلوهم فى الخدم الخاصة فصار واسلحداريه وجامداريه وجاشكيريه وأمراء وكبر واعمائهم وسلكوا طريق أسيادهم من ملوك الترك ودا خلوا السلطنة وغلبوا عليها واستقلوا بها واستكثروا من جنسهم وعملوا الهاقوانين وقواعدا ننتظم بها دولتهم

وولى منهم ومن أولادهم السلطنة بمصر اثنان وعشرون ملكا وكانت مدة ملكهم مائة وثمان وعشرون سنة * وأولهم السلطان الظاهر سيف الدين أبو سعيد برقوق بن أنص العثمانى الجركسى * كما ذكره المقريزى فى عقوده وخططه قال الجمال يوسف بن تغرى بردى هو جركسى الاصل قام بدولة الجراكسة جلبه عثمان بن مسافر ولذلك يقال له برقوق العثمانى فاشتراه الاتابك بليغا العمرى وهو من جملة الاتراك الذين مسهم الرق من مماليك بنى أيوب المتغلبين عليهم بمصر ومات بليغا وهو من صغار مماليكه وانما سمى برقوقا لشحوظ فى عينيه وتنقلت به الاحوال الى ان صار أمير مائة ألف مقدم وكان أتابكا للملك الصالح حاجى بن الاشرف شعبان بن الامجد حسين بن الناصر محمد بن قلاوون وهو الرابع والعشرون من ملوك الاتراك من مماليك الايوبية الاكراد المتغلبين عليهم غير الجراكسة وكان سن الملك الصالح لما ولى السلطنة عشر سنوات عوام ليس له من السلطنة غير الاسم فالزم الامير الاتابك برقوق أن يخلع الملك الصالح ويتولى السلطنة بدله فخلعه بعد سنة ونصف سنة وذلك فى يوم الاربعاء تاسع عشر شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة ومن آثاره مدرسة أنشأها بمصر بين القصرين كان مشد عمارتها جركسى الخليلى فقيل له فى ذلك شعر

قد أنشأ الملك السلطان مدرسة * فاقت على ارم مع سرعة العمل
يكفى الخليلى ان جاءت لخدمته * صم الجبال لها تمشى على عجل

وجهز للحرم المكى مالا لعمارة ما تهدم من المسجد الحرام وسار الركب الرجبى من مصر الى مكة بعد طول انقطاعه واستكثر من المماليك الجراكسة فاستمروا متغلبين على ملك مصر الى ان كثر ظلمهم وزاد عسفهم وغشمهم فأزالهم الله تعالى بعد ذلك بالسيوف الصارمة العثمانية وتشرفت بدولتهم القاهرة مصر والتخوت اليوسفية الكنعانية ملكهم الله تعالى كافة البسيطة وجعل معدلتهم ورأفتهم عامة بسائر أهل الارض محيطة * ودخل الظاهر برقوق مكة جمع أموالا وخزائن وأكثر من المماليك الجراكسة فتمكنوا من الملك وتلاعبت بعدها المماليك الجراكسة بملك مصر وصاروا ملوكها وسلاطينها بالقوة والغلبة والاستيلاء وكانت تقع فتن وقتال وجلاد وجدال وقتل نفوس وحرب البسوس وحزف وبوس الى أن يستقر الامر على واحد منهم فيركب فى شعار السلطنة واصطلحوا على هيئة خاصة أخذوها عن الملوك الايوبية الاكراد وزادوا فيها ونقصوا وكان ذلك الوضع مقبولا عندهم فان العرف يحسن ويقبح وان كان صورة مضحكة عند من لا يألفها ولكل أقليم وضع خاص لسلاطين ذلك الاقليم يكون مهيبا مهولا فى أعين أهل ذلك الاقليم لالفهم بتلك الهيئة لسلاطينهم فكان من شعار سلاطين الجراكسة عمامة ملفوفة بصنائع مكلفة يجعلون فى مقدمها ويمينها ويسارها شكل ستة قرون بارزة من نفس العمامة ملفوفة من نفس الشاش يلبسها السلطان فى مواكبه وديوانه ويلبس قفطانا من فاخر الثياب يكون على كتفه اليمين طراز مزركش بالذهب وكذلك على كتفه اليسار الا ان ذلك ليس مخصوصا بالسلطان بل يلبس ذلك من أراد من الامراء ومن دونهم ويخلع بهذا الثوب المطرز من أراد ويحمل على رأس السلطان قبة لطيفة وفى وسط ذلك صورة طير صغير يظلل السلطان بتلك القبة والذى يحملها على رأس السلطان أمير كبير وظيفته أن يصير سلطانا بعد ذلك وأكابر أمرائه أربعة وعشرون كبيرا يلطخانه على بابهم صبحا وعصرا كل واحد منهم أمير مائة مقدم على ألف بمنزلة البكلربكية عندهم يلبس كل واحد منهم عمامة بأربعة قرون ودونهم أمير عشرة مقدم

مائة بمنزلة السنجق يلبس كل واحد منهم عمامة بقرنين ودونهم الخاصكية يكون له فرس وخدام وعلى رأسه زنط عليه عمامة بعذبة يديرها من تحت حنكه ودونهم الجلبان وهم مشاة على رؤسهم طواق من جوخ أحمر ضيق من موضع يدخل فيه رأسه وسيع من أعلاه لا يلطأ برأسه وملبوس أكثرهم الملوطة البيضاء المصقولة يكون على كتفه طراز من مخمل أو أطلس أو مزركش وفى أوساطهم شد ودبيض مصقولة يشدون بها أوساطهم ويسدلون طرفها الى أنصاف سوقهم وكانت التجار تجلب المماليك البيض من بلاد بركس ويتغالون فى أثمانهم الى ان كثروا بمصر وبلغوا من عشرين ألف فارس * وكانت لهم اصطلاحات فى تربيتهم وكانت لهم اطباق يوظفون فيها المعلمين من حفظ القرآن وكان الجلب يدخله سيده أولا الى الطبقة فيتعلم الخط والاستخراج والصلاة والقراءة بحسب قابليته فقد يفوق فى الخط ومعرفة القرآن والفقه وأمور دينه ثم يترقى الى معرفة التقاف والصراع ورمى السهام ثم يترقى الى الفروسية الى أن يتفرس فى كل ذلك ثم يترقى الى الخاصكية ثم الى الدوادارية والمقدمية ثم الى السلطنة فكان خيال السلطنة فى دماغ كل واحد منهم من حين يجلب الى السوق ليباع الى أن يموت حتى ان واحدا من الجلبان جلب وهو حقير فاحش القرعة فاحش العرج فقال للدلال يبيعه هل ولى الاقرع الاعرج سلطانا فى مصر وبالجملة فقد كانوا طوائف سوارج لهم سماحة وحماسة وصداقة لمن صادقوه وكانت أرزاق مصر بيديهم وكانت أهل مصر تتلاعب بهم فيما بيدهم من الأرزاق وكانوا بيد فقهائهم ومباشريهم وكانوا يخدعون فيرتب لهم مباشر وهم المصريون مصارف فيكون للجندى فقيه يعلمه القرآن وامام يصلى به ومكبر ومباشر يكتب دخله وخرجه وخزندار وركاب دار وجامدار ومهتار وسراج ومكالبس وحلاق وغير ذلك وحلوى وتفكها وكانوا فى رفاهية وكان اهل مصر يعيشون فى ظلهم رغدا بحيث ان اسمطتهم كانت تكفى سائر جيرانهم وكانت خدامهم تبيع ما يفضل من طعامهم للناس من الدجاج والاوز وسائر النفائس وكان لهم سوق يباع فيه ما يفضل من أطعمتهم وكانوا يتفاخرون ببناء البيوت الفاخرة والمدارس والجوامع والتربة وكانت لهم خيرات جارية ومبرات عالية الى ان فشا فيهم الظلم والعدوان وكثرت منهم المصادرات وغلبت سيآتهم على حسناتهم وزادت مظالمهم على خيراتهم ومالوا الى العوانية المفسدين واخلوا بشعائر الشرع والدين فاستجاب الله فيهم دعاء المظلومين ومزقهم كل ممزق ودار الظالم خراب ولو بعد حين والملك يدوم بالكفر ولا يدوم مع الظلم والله لا يحب الظالمين وان الملك بيد الله يؤتيه من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين * (وكانت) * مدة سلطنتهم بمصر من سنة أربع وثمانين وسبعمائة الى سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة * وهذا كلام وقع فى البين فلنرجع الى أحوال الملك الظاهر برقوق فنقول بعد سلطنته استمر على حاله سلطانا الى ان خلع فاحبس فى الكرك ثم تسحب من الحبس وجمع الجيوش وقاتل وغلب على المملكة وأعيد الى السلطنة وصار يتبع اعداءه ومن خرج عليه وخالفه الى ان استصفاهم ومأصفاله الزمان وظن أنه آمن وأين الامان من يد الدهر الخوان ومالت شموس سلطنته الى الزوال واغدق بدر حياته ولا بد من المحاق بعد الكمال وبرق برق الزوال على برقوق وشاهد الانفصال * (فعهد بالسلطنة الى ولده السلطان فرج بن برقوق) * وطلب الخليفة والقضاة والامراء واشهد على نفسه انه نزل عن السلطنة لولده فرج وسنه عشرة اعوام وعين الاتابك ايتمش البجاسى لتدبير المملكة وتوفى الى رحمة الله فى ليلة الجمعة وقت التسبيح منتصف شوال سنة احدى وثمانمائة وفى ذلك يقول احمد المعرى الشاعر

مضى الظاهر السلطان اكرم مالك * الى ربه يرقى الى الخلد فى الدرج
وقالوا ستأتى شدة بعد موته * كرمهم ربى وما جا سوى فرج

وخلف الظاهر برقوق من الذهب العين ألف ألف دينار ومن القماش والاثاث ما قيمته الف ألف وأربعمائة ألف ومن الخيل المسومة والبغال الفارهة ستة آلاف ومن الجمال البختية خمسة آلاف جمل وكان عليق دوابه فى كل شهر أحد عشر ألف اردب شعير وفول * وفى أيام الناصر فرج بن برقوق وقع الحريق فى المسجد الحرام فى ليلة السبت لليلتين بقيتا من شوال سنة اثنتين وثمانمائة * وسبب ذلك ظهور نار من رباط رامشت الملاصق لباب الحزورة من أبواب المسجد فى الجانب الغربى منه ورامشت هو الشيخ أبو القاسم ابراهيم بن الحسين الفارسى وقف هذا الرباط على الرجال الصوفية أصحاب المرقعات فى سنة تسع وعشرين وخمسمائة فترك بعض سكان الخلاوى سراجا موقودا فى خلوته وبرز عنها فسحبت الفأرة الفويسقة فتيلة السراج منه الى خارجه فأحرقت فى الخلوة واشتعل اللهب فى سقف الخلوة وخرج من شباكه المشرف على الحرم الشريف واتصل بسقف المسجد الحرام والتهابه وعجز الناس عن طفيه لعلوه وعدم وصول اليد اليه فعم الحريق الجانب الغربى من المسجد الحرام واستمرت النار تأكل من السقف وتسير ولا يمكن الناس اطفاؤها لعدم الوصول اليها بوجه من الوجوه الى ان وصل الحريق الى الجانب الشامى واستمر يأكل من سقف الجانب الشمالى الى ان انتهى الى باب العجلة وكان هناك اسطوانتان هدمهما السيل العظيم المهول الذى دخل المسجد الحرام فى اليوم الثامن من جمادى الاولى من هذا العام يعنى عام حريق المسجد الحرام وأخرب عمودين من اساطين الحرم الشريف عند باب العجلة بما عليهما من العقود والسقوف فكان ذلك سببا لوقوف الحريق وعدم تجاوزه عن ذلك المكان والا لعم المسجد الحرام جميعه من الجوانب الاربعة فاقتصر الحريق الى باب العجلة وسلم الله تعالى باقى المسجد الحرام

وكم لله من لطف خفى * يدق خفاه عن فهم الذكى

فصار ما احترق من المسجد الحرام كواما عظاما تمنع من رؤية الكعبة الشريفة ومن الصلاة فى ذلك الجانب من المسجد * قال النجم بن فهد وتحدث أهل المعرفة بأن هذا منذر بحادث جليل يقع فى الناس وكان ذلك مقدم وقعة المحن العظيمة بقدوم تمرلنك الى بلاد الشام وبلاد الروم وسفك دماء المسلمين وسبى ذراريهم ونهب أموالهم واحراق مساكنهم ودورهم كما هو مذكور فى التواريخ المفصلة * قال الحافظ السخاوى * فى ذيله على دول الاسلام للذهبى رحمه الله تعالى وفى آخر شوال سنة اثنتين وثمانمائة وقع بالحرم المكى حريق عظيم أتى على نحو ثلث المسجد الحرام ولولا العمودان اللذان وقعا من السيل قبل ذلك لاحترق المسجد الحرام جميعه واحترق من العمد الرخام مائة وثلاثون عمودا صارت كلها كلسا ولم يتفق فيما مضى مثله وكان وقوع السيل فى جمادى الأولى من هذه السنة بعد مطر عظيم الانسكاب كأفواه القرب ثم هجم السيل فامتلأ المسجد حتى بلغ القناديل ودخل الكعبة من شق الباب فهدم من الرواق الذى يلى باب العجلة عدة اساطين وخرب منازل كثيرة ومات فى السيل جماعة رحمهم الله قال الفاسى رحمه الله تعالى ثم قدر الله تعالى عمارة ذلك فى مدة يسيرة على يد الامير يسق الظاهرى وكان قدومه الى مكة لذلك فى موسم سنة ثلاث وثمانمائة وكان هو أمير الحاج المصرى وتخلف بمكة بعد الحج لتعمير المسجد فلما رحل الحجاج من مكة شرع فى تنظيف الحرم الشريف من تلك الاكوام

التراب وحفر الارض وكشف عن أساس المسجد الشريف وعن أساس الاسطوانات فى الجانب الغربى من الحرم الشريف المحترم وبعض الجانب الشامى منه الى باب العجلة فظهر اساس الاسطوانات مثل تقطيع الصليب تحت كل اسطوانة فبناها واحكم ذلك الاساسات على هيئة بيوت الشطرنج تحت الارض وبناها حتى رفعها الى وجه الارض على اشكال زوايا قديمة وقطع من جبل بالشبيكة على يمين الداخل الى مكة أحجار صوان صلبة منحوتة على شكل نصف دائرة يصير على آخر منحوت مثله دائرة تامة فى سمك ثلثى ذراع وصففت على قاعدة مربعة منحوتة على محل التقاطع الصليبى على وجه الأساس المرتفع على الارض ووضع عليها دائرة اخرى مثل الأولى ووضع بينهما بالطول عمود حديد منحوت له بين الحجرين المدورين وسبك على جميع ذلك بالرصاص الى ان انتهى طوله الى طول اساطين المسجد فيوضع عليه حجر منحوت من المرمر هو قاعدة ذلك العمودين من فوق طاق يعقد الى العامود الآخر وبنى ما بين ذلك بالآجر والجص الى أن يصل الى السقف الى ان تم الجانب الغربى من المسجد الحرام على هذا الحكم وبقيت القطعة التى من الجانب الشامى الى باب العجلة فأكملوها بالقطع من عمد الرخام الابيض موصلة بالصفايح من الحديد الى ان لاقوا به العمد التى بنوها من الحجر الصوان المنحوت لعدم القدرة على العمد الرخام فصارت الجوانب الثلاثة من المسجد الحرام ثلاثة أروقة والجانب الغربى وحده بالحجر الصوان المنحوت المدور على شكل عمد الرخام وكملت عمارة هذه العمد فى أواخر شعبان سنة أربع وثمانين ولم يبق غير عمل السقف وآخر عمله بعدم وجود خشب يصلح لذلك بمكة اذ لا يوجد غير خشب الدوم وخشب العرعر وليس لذلك طول ولا قوة ويحتاج الى خشب الساج ولا يجلب الا من الهند أو خشب الصنوبر ولا يجلب الا من الروم فلزم تأخيرا كماله الى احضار القدر الذى يحتاج اليه من ذلك الخشب وشكر الناس الاجير يسق على سرعة تمام هذا المقدار من العمل فى هذه المدة اليسيرة ومبادرته الى تنظيف المسجد الى ان صلح للصلاة فيه وكان ذا همة عالية وحسن توجه وكان كثير الصدقة والاحسان وحج الامير يسق فى ذلك العام وعاد الى مصر لتجهيز ما يحتاج اليه من خشب سقف الجانب الغربى من المسجد الحرام ووصل الى مصر فى أوائل سنة خمس وثمانمائة وكان صاحب مكة يومئذ جد سادتنا أشراف مكة الآن السيد الشريف حسن بن عجلان سقى الله عهده صوب الرحمة والرضوان وكان ممن يحب الخير ويرغب فيه ويسابق الى فعل الجميل ويباريه وهو الذى يقول فيه شمس الدين بن المقرى الشافعى صاحب الارشاد والرضوان وعنوان الشرف وغيرها من قصيدة له يمدحه ويعرض بصاحب اليمن يومئذ

أحسنت فى تدبير ملكك ياحسن * واجدت فى تسكين اخلاص الفتن

الى أن قال

موسى هزبر لا يطاق نزاله * فى الحرب لكن اين موسى من حسن

هذا لك فى عين وما سلمت له * عين وذا فى الشام لم يدع اليمن

ومن جملة خيراته وآثاره انه لما رأى رباط رامشت وما آل اليه امره بعد الحريق الى ان صار سباطة بذلك المحل امر باعادته رباطا للفقراء كما كان وصرف من ماله عليه الى ان عاد أحسن من الاول وزالت السباطات من ذلك المكان وانصان الحرم الشريف وتضاعفت أدعية الناس له بسبب ذلك والله يجزى المتصدقين ويسمى الآن رباط الخاص لانه رممه وعمره بعد شهرته فى أوائل القرن العاشر وهو من

طائفة المباشرين فى ديوان السلطنة بمصر فى خدمة السلطان جقمق العلائى ومن بعده وكان من أهل الخير رحمه الله * وفى سنة سبع وثمانمائة قدم الى مكة الامير يسق لعمارة سقف الجانب الغربى من المسجد الحرام وغيره مما تشعب من سقف المسجد الشريف من كل جانب فنهض الى هذه الخدمة وأحضر الاخشاب المناسبة لذلك وجلبها من بلاد الروم وهيأها لعمل السقف ونقشها بألوان وزوقها واستعان بكثير من خشب العرعر الذى يؤتى به من جبال الحجاز من جهة الطائف لعدم وجود خشب الساج يومئذ فى مكة وبذل همته واجتهاده الى أن أسقف جميع الجانب الغربى من المسجد الحرام وأكمله بخشب العرعر المذكور وعمر معه بعض الجانب الشامى أيضا الى باب العجلة فتم عمارة المسجد الشريف على تلك الاسطوانات المنحوتة من الحجر الصوان وعلق فى تلك الاسقف سلاسل من نحاس وحديد لتعليق القناديل فى الرواق الوسطانى من الاروقة الثلاثة على حكم سائر المسجد الحرام غير الجانب الشرقى واليمانى وأكثر الشامى الى باب العجلة كان فى كل عقد من العقود التى تلو صحن المسجد الشريف ثلاث سلاسل احدها فى وسط كل عقد والثانى عن يمينه والثالث عن شماله لتعليق القناديل وأما هذا الجانب الغربى كانت فيه السلاسل على هذا الحكم فلما احترق هذا الجانب واعيدت عقوده لم تركب فيها هذه السلاسل ولا أدرى كانت هذه السلاسل التى هى خارج عن الاروقة تحت العقود البرانية منها يعلق فيها القناديل احيانا ام كانت لمجرد الزينة ولم اطلع على ذكر قناديلها ولا كيف كانت ومتى بطلت وأكل عمارة سقف الجانب الغربى وما احترق من الجانب الشامى الى باب العجلة فى سنة سبع وثمانمائة وعمر مع ذلك فى الجوانب الثلاثة من المسجد الحرام مواضع كثيرة من سقفها كان قد انكسر اعوادها ومال بعضها وكان يسيل منها الماء الى المسجد الشريف فأصلح الامير يسق جميع ذلك بالطبطاب والنورة فى سطح الاسقف ودلكها وسواها وأتقن عملها وعمر ما فى صحن المسجد من المقامات الاربعة على الهيئة القديمة وبذل فى صرف ذلك الاموال العظيمة وشكره الناس على ذلك وكان ذلك فى ايام الناصر زين الدين أبى السعادات فرج بن برقوق بن انص الجركسى ثانى ملوك الجراكسة وكانت سلطنته بعهد من أبيه عند وفاته كما تقدم صبيحة يوم الجمعة منتصف شوال سنة احدى وثمانمائة وكان الامير الاتابك ايتمش مدبر المملكة وكان الامير شيبك خزندار فوقع بينهما منافرة ادت الى مشاجرة ثم الى مقاتلة فانكسر ايتمش فهرب الى نائب الشام الامير تنم الظاهرى فجيش جيوشا الى مصر لقتال الناصر وشيبك فخرج الناصر لقتالهم فانهزموا منه واضطربت احوال مصر لاختلاف الكلمة ثم وصل تمر لنلك الى بلاد الشام وأخذها من سدون الظاهرى وأسره وقتله ونهب بلاد الشام وأخرب ديار الدوادار وخرج الناصر فرج بجيوشه من مصر لقتال تمر لنلك فوجده قد نزل البلاد وتوجه الى بلاد الروم فأعطى الشام لتغرى بردى وعاد الى مصر وذلك فى سنة ثلاث وثمانمائة ثم كثرت الفتن بمصر من الامراء الظاهرية مماليك الظاهر برقوق واختلفت الاحوال بسبب هذه الفتن والاختلافات الى ان ضجر فرج من ذلك وهرب من القلعة بعد العشاء ليلة الاثنين سادس ربيع الاول سنة ثمان وثمانمائة واختفى عند سعد الدين ابراهيم بن غراب أحد رؤساء المباشرين فلما أصبح الامراء وفقدوا السلطان اقاموا الى السلطنة اخاه * الملك المنصور عبد العزيز بن برقوق بن أنص الجركسى * ثالث ملوك الجراكسة فتلاشت أمور المملكة فى أيامه لصغر سنه واختلاف امراء دولته وكيف يستقيم الملك مع الخلاف والحال انه لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وكان مدة ملك المنصور شهرين وعشرة أيام

ثم ظهر الناصر فرج بعد هروبه واختفائه وركب معه امراء من مماليك أبيه وأخذ القلعة بالحراب من أخيه الملك المنصور عبد العزيز وتسلطن ثانيا يوم الجمعة لاربع مضين من جمادى الآخرة سنة ثمان وثمانمائة ونفى أخاه الملك المنصور عبد العزيز وأخاله اسمه ابراهيم الى الاسكندرية فتوفيا بها في ليلة الاثنين سابع ربيع الآخر سنة تسع وثمانمائة وأتهم الناصر بقتلهما والله أعلم * ثم صار الملك الناصر فرج يتبع أعداءه من الامراء فصار يقتلهم واحدا بعد واحد فتجمعوا عليه وخرجوا عن طاعته وقاتلوه فهزمهم فخرجوا عنه الى الشام فتبعهم فصاروا يكرون به ويهربون عنه ويتبعونه في طلبهم مع غاية الاحتراز منه والحرب خداع ومخالفة الجم الغفير والجمع الكثير لا تستطاع الى ان مل منه الخدم والاتباع وتفرقوا عنه وسئموا عن الاتباع وهو يتبعهم بالجد في الطلب الى أن صادفوه في طلبهم بعد التعب والدأب وهو ومن معه اتعبوا خيولهم في طلب العدو من العشاء الى الصباح وأشرفوا في الصبح على الامراء العصاة عليه وهم بطول الليل في الراحة والارتياح فحمل السلطان الناصر فرج ومن معه وهم نفر قليلون حقيرون على امرائه العاصين له وهم متوفرون كثيرون فمنعه أصحابه من هذه الحملة وعلموا انه هو ومن معه في غاية التعب والقلة فلم يطعهم وأطاع غروره وجهله واغتر بشجاعته وخوله وظن انه لا يقابله احد لعزته وطوله ولا يقاتله أحد لهيبته وزوله فدلاه خياله الفاسد بغرور وخاب ظنه كما يخيب ظن كل مغرور وخانه الزمان الجائر ودارت عليه الدوائر وخذله الدهر فما كان للناصر من قوة ولا ناصر وانقلب اليه بصره وهو حسير وظفر به عدوه الحقير وقيده وهو أسير حسير وقتل وما للناصر نصير وما جاء لفرج فرج الا بشرى الشهادة والى الله المصير وطعنته المشاعلية بالسكاكين الى ان انقطع منه الوتين وسكن منه الأنين فصار عبرة للناظرين وهو مقيد محبوس بأيدي القاتلين في ليلة السبت منتصف شهر صفر سنة خمس عشرة وثمانمائة والقي بعد هذه القتلة على سباطة مزبلة وهو عريان من اللباس يمر به الناس وينظرون الى ذلك البدن المتهن والجسد العاري الممتحن وذلك من أعظم العبر وأكبر المحن الى ان حنن الله عليه بعض الانام بعد عدة أيام فحمله وغسله وأدرجه في كفن ووراه في التراب في مقبرة باب الفراديس ولعل الله سامحه وأسكنه الفراديس والرجاء من الله الكريم ان يكون الله غفر له فان السيف محاء الذنوب وان الله علام الغيوب * ومن العمائر الحرمية في أيامه تجديد عقد المروة بعد سقوطه في سنة احد عشر وثمانمائة * ومنها ان تاجر السبي الخواجا حسين بن احمد الشرواني أوصى في مرض موته أن يصرف على عمارة عين مكة من ماله عشرة آلاف درهم وأن يعمر الميضأة الصرغتشية بخمسة آلاف درهم فنفذت وصيته بعد ذلك في العام المذكور * ووقع في أيام الناصر فرج أيضا ان سلطان بنكاله من سلاطين أقصى الهند السلطان غياث الدين أعظم شاه بن اسكندر شاه أرسل الى الحرمين الشريفين صدقة كبيرة مع خادمه ياقوت الغياثي ليتصدق بها على أهل الحرمين ويعمر له بمكة مدرسة ورباطا ويوقف على ذلك جهات يصرف ريعها على أفعال الخير كالتدريس ونحوه وكان ذلك باشارة وزيره خان جهان فوصل ياقوت المذكور بأوراق سلطانية الى مولانا السيد حسن بن عجلان شريف مكة يومئذ جد سادتنا الاشراف الآن جمل الله بوجودهم الزمان وكان وصول ياقوت الغياثي الى مولانا السيد الشريف حسن بن عجلان رحمه الله مع هدايا جليلة اليه فقبلها وأمره أن يفعل ما أمره به السلطان غياث الدين لكنه اخذ ثلث الصدقة على معتاده ومعتاد أبائه ووزع الباقي على الفقهاء والفقراء بالحرمين الشريفين

فعمتهم وتضاعف الدعاء له على الخير والدال عليه كفاعله واشترى ياقوت الغياثى لعمارة المدرسة والرباط دارين متلاصقتين على باب أم هانئ هدمها وبناهما فى عامه رباطا ومدرسة واشترى أصيلتين وأربع وجبات مافى الركابى وجعل لها أربعة مدرسين من أهل المذاهب الاربعة وستين طالبا ووقف عليهم ماذكرناه واشترى دارا مقابلة للمدرسة المذكورة بخمسمائة مثقال ذهبا ووقفها على مصالح الرباط واخذ منه مولانا السيد حسن بن عجلان فى الدارين اللتين بناهما رباطا ومدرسة والاصيلتين والاربع الوجبات من قرار عين الركابى اثنا عشر الف مثقال ذهبا واخذ منه مبلغا لايعلم قدره كان جهزه معه سلطانه لتعمير عين عرفة فذكر مولانا السيد حسن انه يصرفه على عمارته ويقال ان قدره ثلاثون الف مثقال ذهبا وكان السيد حسن عين احد قواده وهو الشهاب بركات المكين لتفقد عين بازان واصلاحها واصلاح البركتين بالمعلاة وكانتا معطلتين فأصلحهما الى ان جرت عين بازان فيهما * وكان خان جهان وزير السلطان غياث الدين ارسل مع ياقوت الغياثى خادما يسمى حاجا قبال ارسله بصدقة أخرى من عنده لاهل المدينة المنورة وجهز معه مالا ليبنى له به مدرسة ورباطا وهدية الى امير المدينة يومئذ جمان الحسينى فانكسرت السفينة التى فيها هذه الاموال وغيرها بقرب جدة فأخذ مولانا السيد بن عجلان ربع ماخرج من البحر على عادتهم اذا انكسرت سفينة عندهم وأخذ مايتعلق بالسيد جمان الحسينى لانه عصى وظهرت منه شنائع بالمدينة الشريفة من أخذ مفتاح خزانة النبى صلى الله عليه وسلم من قاضى المدينة جبرا بعد ان أهانه وهو القاضى زين الدين ابو بكر بن الحسين المراغى وضرب شيخ الخدام وأخذ من خزانة النبى صلى الله عليه وسلم احد عشر خوشخانة وصندوقين كبيرين وصندوقا صغيرا كلها مهورة فيها ذهب مودع لملوك العراق وخمسة آلاف كفن وصادر الخدام واراد أخذ قناديل الذهب من الحجرة فمنعه الله تعالى ونهب العربان ماجمعه ومات لارحمه الله تعالى فارسل مولانا السيد حسن بن عجلان الى المدينة الشريفة عسكرا وصلوا اليها بعد خراب البصرة وولى عليها عجلان بن غير الحسينى وكل ذلك سنة احد عشر وثمانمائة * وفى سنة أربع عشرة وثمانمائة وقع فى اواسط رمضان اصلاح مواضع فى سطح الكعبة الشريفة كان يكثر وكف المطر منها الى أسفلها ومنها مواضع عند الطابق التى على الدرجة التى يصعد منها الى سطحها ومنها مواضع عند الميزاب وكان الفتح الذى فى هذا الموضع متسعا مضرا يصل الماء منه فى وسط الجدار وذلك بعد قطع اللوح الذى بين مجرى الماء وأعيد اللوح كما كان وموضع بقرب الروازن التى للقبور وكان اصلاح المواضع المذكورة بالجبس وكانت الاخشاب المطيفة بأعلى الروازن التى عليها البناء المرتفع فى وسط البيت وقد تخربت فعوضت بخشب سوى ذلك وأعيد البناء الذى كان عليها كما كان الا الروزن الذى يلى الكعبة فان خشبه لم يغير وكان الروزن الذى يلى الركن الغربى قد تخرب بعض الخشب الذى فى جوفه مما يلى السقف والكسوة التى فى جوف الكعبة وكانت الكسوة التى عليه قد زال تسبلها فشمرت وكان الروزن الذى يلى الركن اليمانى منكسرا فقلع وعوض بروزن جديد وجد فى أسفل الكعبة * قلت وهذه الروازن لا وجود لها الآن فانها سدت جميعها واصلح فى الدرجة أخشاب منكسرة وكان اصلاح ذلك عقيب مطر عظيم حصل بمكة فى أوائل شهر رمضان * ولما قتل الناصر فرج بن برقوق على الوجه الذى تقدم شرحه ماقدم احد من امراء الجراكسة على التلبس بالسلطنة خوفا من مخاصمة العسكر وجبنا ان يقدموا على قتله فاتوا الخليفة العباسى وأبرموا عليه وسلطنوه بالجبر وهو (المستعين بالله ابو العباس بن محمد بن ابى بكر العباسى المصرى) بعد التمنع الشديد منه فولى السلطنة فى المحرم سنة خمس عشرة وثمانمائة

وكان القائم بتدبير المملكة الامير شيخ المحمودى ثم خلع المستعين بالله وتسلطن مكانه * وتلقب بالملك المؤيد شيخ فى مستهل شعبان سنة خمس عشرة وثمانمائة وهو الرابع من ملوك الجراكسة وكان أصله من مماليك الظاهر برقوق اشتراه من تاجر يسمى محمود البزدى وأعتقه وجعله أمير عشرة ثم صار صاحب طبلخانه ثم مقدم ألف ثم ولى نيابة طرابلس ثم أسره تيمورلنك لما أسر نواب البلاد الشامية ثم هرب منه ووقعت له أمور مع الناصر فرج من الخروج عليه وعصيانه الى أن آل أمره الى أن صار سلطانا وعصى عليه نواب البلاد الشامية وتوجه الى قتالهم مرارا كثيرة وافتتح الشام وغيرها وعاد الى مصر وكان يعتريه ألم المفاصل فصار يحمل على الاكتاف ويركب المحفة وكان شجاعا مقداما مهيبا * وكانت أسواق ذوى الفنون نافقة عنده لجودة فهمه وذوقه وكان يحب العلماء والفضلاء ويجل قدرهم * وفى أيامه وقع الغلاء العظيم بمكة بحيث بيعت الفرارة الحنطة وهى حمل جمل معتدل بعشرين دينارا ذهبا وكان عاما فى جميع المأكولات بحيث بيعت البطيخة بدينار ذهب الى أن رفع الله عن المسلمين تلك الشدة وكان فى سنة خمس عشرة وثمانمائة * ومن أعجب ما وقع فى ذلك ان جملا كان لجمال يقال له الفاروقى يحمله فوق طاقته فى جمادى الآخرة من تلك السنة فر من صاحبه ودخل المسجد الحرام ولم يزل يطوف بالبيت والناس حوله يريدون امساكه فيعضهم ولا يمكن أحدا من نفسه الى أن أتم ثلاثة أسابيع ثم جاء الى الحجر الاسود فقبله ثم توجه الى مقام الحنفية ووقف هناك تجاه الميزاب فبرك عنده وبكى وألقى نفسه على الأرض ومات فحمله الناس الى ما بين الصفا والمروة ودفنوه هناك * وفى هذه السنة عمرت آما كن من سقف المسجد الحرام وعقدان من جانب الركن اليمانى المتصل بصحن المسجد * وفى سنة ست عشرة وثمانمائة عمر شريف مكة يومئذ وهو الشريف حسن بن عجلان بن رميثه جد سيدنا ومولانا شريف مكة الآن حسن بن أبى نمى بن بركات بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان أدام الله تعالى دولته وسعادته بالجانب الشمالى من المسجد الحرام البيمارستان الذى كان وقفا للمستنصر العباسى فخرب ودثر فاستأجره من قاضى مكة يومئذ القاضى جمال الدين الشافعى اجارة طويلة مائة عام بار بعين الف درهم بوزن مصر واذن القاضى جمال الدين للسيد حسن بن عجلان ان يصرف الاجرة المذكورة فى عمارة ما تخرب منه البيمارستان المذكور وتهدم مما يحتاج الى الهدم ويرمم مما يحتاج الى ترميمه وان ينتفع به مدة اجارته فشرع السيد حسن فى عمارة البيمارستان المذكور عمارة حسنة وجدد فيه ما يحصل به النفع للفقراء وجدد به ايوانا وصهريجا ووقف جميع ذلك مما عمره ومما يستحق الانتفاع به على الفقراء والمساكين والمرضى المنقطعين يأوون فيه علوا وسفلا وينتفعون بالاقامة به والسكنى فيه لا يزعجهم احد ولا يخرجهم بل يستمرون الى ان يحصل لهم الشفاء والعافية فيخرجون باختيارهم فاذا خلا البيمارستان عن المرضى عاد الانتفاع لهم وكتب بذلك كتاب وقف على الصورة المشروحة وجعل النظر على ذلك لولديه بركات واحمد ثم من بعدهما للارشد فالارشد من ذريته المذكورين الاناث من ولد الظهر لا البطن وثبت ذلك وحكم بصحته القاضى السيد رضاء الدين ابو حامد محمد بن عبد الرحمن الفاسى الحسنى المالكى فى يوم الجمعة لعشر مضين من صفر سنة ست عشرة وثمانمائة وانما استحكم فيه المالكى لان متأخريهم اجازوا وقف المنافع وهو خلاف رأى ابى حنيفة والشافعى رضى الله عنهما واستمر الحال ان خرب ودثر فاستبدل مرارا آخرذلك فى أواخر دولة المرحوم المقدس السلطان سليمان خان بن سليم خان سقى الله عهده صوب الرحمة والرضوان واستبدل الى جانبه رباط سلطان الهند احمد شاه البحراتى ورباط الخواجا الظاهر واشتريت

دور أخرى وعمر فى مكانها المدارس الأربعة وبيده مؤلفه مدرسة الحنفية منها جزى الله خيرا من كان سببا فى انشائها وسيأتى بيان عمارتها ان شاء الله تعالى * وفى مستهل ذى الحجة سنة ست عشرة وثمانمائة قدم الى الحج أحد خواص مماليك السلطان الملك المؤيد شيخ المحمودى فى يوم الاثنين لتسع خلون من المحرم سنة أربع وعشرين وثمانمائة وقد ناف على خمسين وكانت مدة ملكه ثمان سنين وخمسة اشهر وتسلطن بعده ولده الملك المظفر ابو السعادات احمد بن المؤيد شيخ بعهد منه فى يوم الاثنين تاسع المحرم يوم وفاة والده وعمره اذذاك سنة وثمانية اشهر وسبعة ايام وهو الخامس من ملوك الجراكسة وصار يدبر مملكته الامير ططر ومعه الملك المظفر أحمد طفلا وقاتلهم وقتل كثيرا منهم الى أن صفا له الوقت فخلع الملك المظفر وتسلطن عوضه فى يوم الجمعة لليلة بقيت من شعبان سنة أربع وعشرين وثمانمائة ورجع بالمظفر أحمد الى مصر واستمر بالقلعة الى أن نقل الى الاسكندرية مطعونا فى سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة ونقلت جنازته من اسكندرية الى مصر ودفن بالجامع المؤيد داخل زويلة * وتسلطن الملك الظاهر أبو الفتح سيف الدين ططر الظاهرى فى يوم الجمعة لليلة بقيت من شعبان سنة أربع وعشرين وثمانمائة وهو السادس من ملوك الجراكسة وأولادهم بمصر وكان من مماليك الظاهر برقوق أعتقه وقدمه ولا زال يتقدم الى أن صار عند المؤيد رأس نوبة النوب ثم أمير مجلس ثم تسلطن كما ذكر وتلقب بالظاهر لقب أستاذه ومهد مملكة الشام وقتل نائبها وقبض على الأمراء المخالفين له وقدم المحالفين وله آثار جميلة ومقاصد حسنة جليلة * من أعظمها أنه قرر لصاحب مكة الشريف حسن بن عجلان ألف دينار ذهب تحمل له من خزينة مصر فى كل عام وجعل ذلك له فى مقابلة ترك المكس على الخضرة والفواكه والحبوب وغيرها بمكة وأمر أن يكتب عهده واعترافه بذلك على سوارى المسجد الحرام من ناحية باب السلام ومن ناحية باب الصفا باسقاط المكس الذى كان يؤخذ على الخضرة والفواكه من المأكولات وان لا يكلف شريف مكة على أخذ القرض منهم والسوارى المكتوبة بهذا العهد موجودة فى المسجد الحرام الى الآن * ثم لما سخر الله للملك الظاهر ططر مملكة الشام وحلب عاد الى مصر فمرض فى اثناء الطريق وصار يتعلل فى مصر ولزم الفراش ولم يتهن بالسلطنة ولا كمل فرحه بالملك وما أمهله الدهر بل سلبه الملك واسلمه الى الهلاك وتوفى يوم الاحد لاربع مضين من ذى الحجة سنة اربع وعشرين وثمانمائة وكانت مدة ملكه اربعة وتسعين يوما * وولى بعده فى يوم موته ولده الملك الصالح محمد بن الظاهر ططر * وعمره نحو العشر سنوات وهو السابع من ملوك الجراكسة وصار اتابكه ومدبر مملكته الاتابك جانى بك الصوفى الى ان تغلب على الاتابك برسباى الدقماقى فقبض عليه وارسله الى سجن اسكندرية وصار اتابكا فى مكانه واستبد بأمور المملكة من غير مشارك فخلع الملك الصالح وتسلطن عوضه فى يوم الاربعاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وثمانمائة وكانت مدة سلطنة الملك الصالح ثلاثة أشهر وأربعة عشر يوما واستمر بعد الخلع عند والدته فى القلعة الى أن توفى بالطاعون فى سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة وعمره نحو العشرين عاما * وولى برسباى السلطنة وتلقب الملك الأشرف سيف الدين أبو النصر برسباى الدقماقى * وهو الثامن من ملوك الجراكسة بمصر أخذ من بلاد جركس وبيع فى بلاد قرم فاشتراه تاجر وجلبه الى الشام وباعه فاشتراه الأمير دقماق الظاهرى نائب ملطية وقدمه الى الظاهر برقوق فقربه وأعتقه فصار يترقى الى أن ولاه الملك المؤيد مقدم ألف وجرت عليه نكبة وجيوش الى أن ولى الظاهر ططر فقربه وأنعم عليه بتقدمة ألف

ثم جعله داودارا واستمر على ذلك الى أن تسلطن على الوجه الذى قدمناه واستمر فى السلطنة مدة طالت وحسنت أيامه * ومن جملة مناقبه انه أخذ بلاد قبرس وأسر ملكها فى سنة تسع وعشرين وثمانمائة وهو فى تخت ملكه بمصر لم يتحرك وكان عاقلا مدبرا سيوسا ذا وقار وسكينة متجملا فى ملبسه وموكبه محبا الجمع المال واشترى من ماله ثلاثة آلاف مملوك جركسى وعمر بالقاهرة المدرسة الأشرفية وهى من محاسن مدارس مصر ووقف عليها أوقافا كثيرة وعمر أيضا جامعا عظيما فى سرياقوس ووقف عليه أيضا أوقافا كثيرة وفى أول سنى سلطنته أرسل الأمير مقبل القديدى وأمره بعمارة أماكن متعددة من المسجد الحرام كان قد استولى عليها الخراب فأحسن بنائها وجدد كثيرا من أسقف المسجد الحرام كان قد تآكلت أخشابها وكذلك جدد سطح الكعبة الشريفة وكانت الأخشاب التى تربط فيها كسوة الكعبة قد تآكلت وذابت فقلعها ووضع عوضها أخشابا جديدة محكمة بمسامير كبار من الحديد وأحكم كل ذلك غاية الاحكام وأتقنه غاية الاتقان * وفى سنة ست وعشرين وثمانمائة أمر الاشرف برسباى أميرا له بمكة يقال له مقبل القديدى الأشرفى بقلع الرخام المفروش فى باب الكعبة وجدرانها من داخل لتخربه وتقلعه وأن يجدده برخام جديد وأن يعيد ما كان صحيحا غير منكسر وكذلك يصلح الاساطين التى فى جوف الكعبة الشريفة ويحكمها * وذكر شيخ الكعبة أنه سمع صريرا فى سقف الكعبة الشريفة فتتبعوا ذلك فوجدوا احدى الاسطوانات التى تقابل باب البيت قد مال رأسها عن محله فأعادها الى محلها وأحكمها وعمر ذلك عمارة حسنة وكتب اسم سلطانه الاشرف برسباى فى لوح رخام نقره ونقشه بالذهب وركبه فى جدار البيت الشريف وهو باق الى الآن وكان مسند العمارة هو الامير مقبل القديدى الأشرفى والناظر عليها الخواجا على الكيلانى تاجر السلطان وحضر فى العمارة شيخ الكعبة والقضاة الأربعة وناظر الحرم الشريف والمعمار جمال الدين يوسف المهندس وكان الفراغ من هذه العمارة فى شهر صفر * وفى أول هذا العام عمر الرخام الذى فى أرض الحجر فى باطنه وظاهره وأعلاه وأسفله على يد الأمير مقبل المذكور * وفيها عمر باب الجنائز أحد أبواب المسجد الحرام الواقع امام رباط سيدنا العباس رضى الله عنه امام هذا الباب واغا سمى باب الجنائز لانه كان مخصوصا بدخول الجنائز منه الى المسجد للصلاة عليها فيه وجرت عادة أهل الحرمين الشريفين بادخال جنائزهم المسجد الحرام والصلاة عليها عند باب الكعبة الشريفة وكذلك أهل المدينة يدخلون جنائزهم المسجد النبوى ويقفون بها أمام وجه النبى صلى الله عليه وسلم ويصلون عليها فى الروضة الشريفة وهذا مذهب الامام الشافعى والامام مالك والامام أحمد بن حنبل رضى الله عنهم وأما الحنفية فى الحرمين الشريفين فيقلدون أولئك الأئمة ليجوزوا هذا الفضل العظيم لان مذهب الامام الأعظم أبى حنيفة رضى الله عنه عدم جواز ادخال الميت المسجد وطال ما تصفحت كتب الفتاوى وتفحصت عن رواية أئمتنا بالجواز الى أن ظفرت بعون الله تعالى فى جواز ذلك وهى رواية عن أبى حنيفة رضى الله عنه ففرحت بها كثيرا كأنى ظفرت بكنز عظيم فلا تغفل عنها فانها من مهمات المسائل لا سيما لأهل الحرمين الشريفين فعض عليها بالنواجذ واعتمد على ما أفتيت فى هذه المسئلة فقد ذكر علماؤنا رضى الله عنهم ان كل قول قال به الامام أبو يوسف والامام محمد والامام زفر فهو رواية عن الامام أبى حنيفة رضى الله عنه وحيث ثبتت هذه الرواية عن الامام أبى حنيفة رضى الله عنه فهى قوله وان كانت غير ظاهر الرواية فأخذنا بها تصحيحا لعمل جيران الله وجيران نبيه صلى الله عليه وسلم فى الحرمين الشريفين من

صدر الاسلام الى هذا العصر ولا نقول بتأثيم من سلف مع وجود المساغ الصحيح وهو رواية عن المجتهد
الذى نقلده رضى الله عنه ﴿وقد رفع الى سؤال فى ذلك صورته﴾ ما قولكم فى مسئلة الصلاة على
الميت فى المسجد الحرام المكى ومسجد النبى صلى الله عليه وسلم فى الروضة الشريفة هل يجوز للحنفى
ادخال الميت اليهما والصلاة عليه فيهما كما هو محل الحرمين قديما وحديثا وهو شأن السلف الصالح الى
الآن أم لا يجوز ذلك لان الصحيح من مذهب أبى حنيفة رضى الله عنه كراهة الصلاة على الميت فى
المسجد وعلى هذا فهل يأثم فاعل ذلك وهل تؤثمون السلف الصالح على ادخال موتاهم الى مقابلة وجه
النبى صلى الله عليه وسلم طلبا لبركته ومرحمته ثم ادخاله الى الروضة الشريفة التى هى بنص الحديث
الشريف روضة من رياض الجنة فيحرم الميت من دخولها ولا يدخل الى المسجد الحرام ولا يوضع على
باب الكعبة منظرحا فى باب مولاه الكريم تعالى ويحرم من هذه البركات كلها ويأثم من أدخله مواطن
هذه الرحمة والخير ﴿فكتبت ما صورته اللهم وفقنا للصواب﴾ اعلم رحمنا الله وإياك ان شرف المسجد
الحرام وروضة النبى عليه أفضل الصلاة والسلام ونزول الرحمة فيهما على من دخل فيهما أمر واضح
لا شك فيه ولا مرية تعتريه وما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وقد تواطأ أهل الحرمين الشريفين
وتطابقت آراؤهم الى الآن على ادخال موتاهم الى المسجد طلبا لمزيد التبرك والاسترحام ولم يعهد من
علمائنا بالحرمين الشريفين التأثيم من ذلك أو الانكار على فاعله مع انه سائغ فى مذهب غير الامام أبى
حنيفة رضى الله عنه من الأئمة المجتهدين رضى الله عنهم فلا نقدم على تأثيم السلف الصالح فيما فعلوه طلبا
لمزيد الرحمة والبركة واختلاف الأئمة رضوان الله تعالى عليهم رحمة ويجوز للمقلد الاخذ بكلام مجتهد من
المجتهدين فى بعض المسائل وان خالف امامه رضى الله عنهم أجمعين ومع ذلك فقد وجدت نقلا صريحا
للمحيط البرهانى عن الامام الثانى ان فى رواية عنه قوله مثل قول الامام الشافعى رضى الله عنهما وصورة
ما نقل وانما تكره الصلاة على الجنازة فى المسجد الجامع ومسجد الحى عندنا وقال الشافعى لا يكره وعن
أبى يوسف روايتان فى رواية كما قال الشافعى وفى رواية اذا كانت الجنازة خارج المسجد والامام
والقوم فى المسجد لا يكره انتهى فترجح عندى ان أفتى بالجواز من غير كراهة واعتمدت على هذه الرواية
وحسنت الظن بالسلف الصالح وكفى بالامام أبى يوسف رضى الله عنه قدوة فى هذه المسئلة فاعلم ذلك
واحفظه فانه نفيس ولا تجمد مع الجامدين على أن الكراهة كراهة تنزيه نص عليه شرف الأئمة
العقيلى كما نقله عنه الامام الزاهدى رحمهما الله تعالى قاله الفقير قطب الدين الحنفى غفر الله تعالى ذنوبه
قال النجم عمر بن فهد رحمه الله تعالى فى كتابه اتحاف الورى بأخبار أم القرى فى حوادث سنة ست
وعشرين وثمانمائة وفيها عمر الأمير مقبل القديدى باب الجنائز على صفته الآن لانه كان قد سقط
ما فوق أحد البابين الى منتهى المسجد الحرام المقابل لرباط المراغى وتخرب ما بين هذا الباب والباب
الآخر وازيل الحاجز الذى كان بينهما وازيلت الاسطوانتان الرخام اللتين تليان هذا الحاجز وعمر بحجارة
منحوتة حتى ارتفع وعمر أماكن بهذا الموضع بين باب على وباب العباس وموضع آخر يتصل بباب
الافضلية انتهى * قلت رباط المراغى هو الآن محل رباط السلطان قايتباى الذى هو منزل أمير الحاج
المصرى فى هذا الزمان والمدرسة الافضلية هى أوقاف الخواجا محمد بن عباد الله وبينهما بابان للمسجد
أصلهما باب واحد يقال له باب النبى صلى الله عليه وسلم وكان يدخل الى المسجد من هذا الباب لان
دار السيدة خديجة رضى الله عنها فى هذا الباب يقال له باب الحريريين لان الحرير يباع فى هذا الباب

قلت وعادة الناس فى زماننا ادخال الجنائز من أبواب العباس وتخرج من باب السلام وأنا أرى ان تدخل الجنائز وتخرج من باب الحريريين ما بين مدرسة قايتباى ودار الخواجا ابن عباد الله لان النبى صلى الله عليه وسلم كان يدخل من هذا الباب الى المسجد ويخرج منه ولا شك انه أكثر بركة وخيرا من سائر أبواب المسجد الحرام وانما يقال له باب القفص لان الصياغ يصوغون الحلى فى أقفاص للبيع بقرب هذا الباب * قال النجم عمر بن فهد رحمه الله تعالى وفيها عمر الأمير مقبل المذكور عدة عقود بالمسجد الحرام فى الجانب الشامى من الدكة المنسوبة الى القاضى أبى السعود بن ظهيرة الى باب العجلة خلف مقام الحنفية وزاد فى عرض العقود التى تلى الصحن من هذا الجانب ثلاثة عقود فى الصف الثالث وأحكم الاساطين التى عليها هذه العقود وهى سبعة اساطين فى الرواق الأول وثمانية فى الذى يليه وثلاثة فى الذى يليه وسبعة متصلة بجوار المسجد وجدد من أبواب المسجد الحرام باب العباس وهو ثلاثة أبواب وباب على وهو ثلاثة أبواب أيضا والباب الاوسط من أبواب الصفا وهى خمسة وباب العجلة وهو باب واحد وأحد بابى الزيادة وهو الواقع فى الركن الغربى من الزيادة ورمم باقى أبواب المسجد وبيض غالبه وأصلح سقفه وكل ذلك على يد الأمير مقبل المذكور ومعماره المعلم جمال الدين يوسف المهندس رحمهم الله تعالى * وفى هذه السنة جدد الاشرف برسباى الكسوة الحمراء داخل الكعبة الشريفة وكساها من داخل وأزال الكسوة القديمة وكانت للناصر حسن بن قلاوون وجاءت الكسوة الجديدة على يد الزينى عبد الباسط ناظر الجيش صاحب الباسطية التى على باب العجلة عن يسار الداخل الى المسجد الحرام وهى مدرسة وخلاوى للفقراء فى غاية الاحكام والاتقان وللمدرسة شبابيك مشرفة على المسجد الحرام وسبيل الى جانب المدرسة باقية الآن بيد النجارين أئمة مقام الحنفى يسكنها الاعيان الواردون الى الحج وكانت عليها أوقاف عصرت الآن وأبقى أيضا عبد الباسط سبيلا وحفر بئرا فى طريق العمرة على يسار الذاهب الى العمرة موجودة الى الآن بقرب الموضع الذى يقال له فخ بالفاء والخاء المعجمة فيه مدفن أبى عبد الله الحسين بن على بن الحسن المثلث بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين وكان أحد الاجواد فى الاسلام وكان يقول ما أظن لى أجرا فيما اعطيه فقيل له وكيف ذلك قال لان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ووالله ما هذا عندى وهذا الحصا لا يعزله واحدة وكان خرج على الهادى العباسى بمكة وقاتل خالد اليزيدى ومن معه من جنوده العباسيين وهزمهم ثم وصل محمد بن سليمان بجنود أخرى من قبل الهادى ونزل الحسين بن على بفخ وقاتل قتالا شديدا الى ان قتل هو وجماعة من شيعة اشراف بنى حسن رحمهم الله تعالى وحملت رؤسهم وهى مائة رأس ليعد مها رأس الحسين بن على الى الهادى ويقال له الحسين بن على الفخ الينبعى * وروى أبو الفرج الاصفهانى فى مقاتل الطالبين اسناده الى النبى صلى الله عليه وسلم قال انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى فخ فصلى باصحابه صلاة الجنائز ثم قال يقتل هذا رجل من أهل بيتى فى عصابة من المسلمين ينزل لهم بأكفان وحنوط من الجنة تسبق أرواحهم الى الجنة أجسادهم وعبد الباسط هذا هو ابن خليل بن ابراهيم الدمشقى ثم القاهرى ناظر الجيش فى أيام الظاهر ططر فمن بعده كان عزيز ارئيسا كريما نافذ الكلمة على الجاه واسع العطاء كبير الهمة له فى كل واحد من هذه المساجد الثلاثة مدرسة وكذلك بالقاهرة مدرسة عظيمة وبالشام وبغزة وله على جميع هذه المدارس أوقاف كثيرة عصرت كانت تغل مغلا كبيرا استولى عليها الخراب الآن وكانت له محابة للفقراء تنصب لهم فى الطريق ليستظلوا

تحتها وكانوا يحملون على جمال فى شقادف أعدها لهم وكانوا يسقون الماء العذب كلما احتاجوا اليه
ويطعمون الخبز الطرى والبكسماط وكان يطبخ لهم فى المناهل ويذبح لهم الغنم فى الذهاب من مصر الى
مكة وفى مدة الاقامة بها والعود منها الى مصر مع الاحسان اليهم والى غيرهم وأصلح كثيرا من درب الحجاز
وكان متكلما على أوقاف كسوة الكعبة بعصر فعمرها وغماها الى ان فاضت وكثرت فى زمانه * وقد ذكر
شيخ الاسلام قاضى القضاة بعصر الشهاب أحمد بن حجر العسقلانى رحمه الله فى كتابه فتح البارى ان
الصالح بن الناصر بن قلاوون اشترى ثلثى قرية يقال لها بيسوس من وكيل بيت المال ثم وقفها فى كسوة
الكعبة الشريفة ولم تزل تكسى من ريع تلك القرية الى ان فوض أمرها المؤيد شيخ الى الزينى
عبد الباسط بن خليل ناظر الجيوش فنمت وكثر ريعها وبالغ فى تحسينها بحيث يعجز الواصف عن وصف
حسنها جزاه الله على ذلك خير الجزاء اه وكفاه فخرا ذكر هذا الامام الجليل فى مثل هذا التأليف
العظيم * ورأيت ايضا فى شرح ايضاح المناسك للسيد نور الدين على السمهودى الحسنى عالم المدينة رحمه
الله تعالى ما لفظه وكسوة الكعبة الشريفة وكسوة الحجرة الشريفة النبوية فى هذه الاعصر من وقف
قرية يقال لها سندبيس فى طرف القليوبية مما يلى القاهرة شراها السلطان الصالح اسمعيل بن
السلطان محمد بن قلاوون من وكيل بيت المال ووقفها الان تكسى منها الكعبة الشريفة كل سنة
وتكسى الحجرة الشريفة النبوية فى كل خمس سنين مرة على ما قاله الزينى المراغى وذلك فى عشر
الستين وسبعمائة * أقول هذه القرى موجودة الآن بعصر لكن ذكر لى من كتبة ديوان مصر الفاضل
الكامل مولانا مصطفى چلبى بن مسيح زاده لما كان مقيما بمكة المشرفة ناظرا على الحرم الشريف
المكى ذكره الله تعالى بالصالحات ان هذه الاوقاف ضعفت جدا وقل محصولها وصارت لا تفى لكسوة
الكعبة الشريفة فعرض ذلك على أبواب المرحوم المغفور له السلطان سليمان خان أسكنه الله
فسيح الجنان فأمر بالحاق قرى أخرى اشتريت من بيت المال وأوقفها وألحقها بأوقاف كسوة الكعبة
الشريفة وهى باقية الى الآن ومنها كسوة الكعبة الشريفة فى كل عام * ولنعد الى تكميل
ترجمة القاضى عبد الباسط * كانت وفاته رحمه الله يوم الثلاثاء لاربع ليال مضين من شوال سنة
أربع وخمسين وثمانمائة وتوفى السلطان الملك الاشرف برسباى يوم السبت لثلاث عشرة ليلة خلت
من ذى الحجة سنة احدى وأربعين وثمانمائة * وفى يوم وفاته تولى بعده العزيز الملك جمال الدين يوسف
وعمره يومئذ أربعة عشر عاما وهو التاسع من ملوك الجراسة بمصر وصار مدبر مملكته الاتابك جقمق
العلائى ولا زال يقوى أمره والاقدار تساعده الى ان خلع الملك العزيز يوسف بن برسباى بعد ان تسلطن
نحو من خمسة أشهر لم يكن له فيها الا مجرد الاسم * وتسلطن مكانه فى يوم الاربعاء لعشر بقين من
شهر ربيع الاول سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة ولقبوه الملك الظاهر سيف الدين أبا سعيد جقمق
العلائى الظاهرى وجلس على سرير الملك وتم أمره وهو العاشر من ملوك الجراكسة وكان جلب
من بلاد جركس الى مصر فاشتراه علاء الدين على بن الاتابك أينال اليوسفى فنسب اليه فقيل له جقمق
العلائى * ثم انتقل الى الظاهر برقوق فقيل له الظاهرى وكان عنده خاصكيا * ثم صار فى دولة الناصر
ساقيا عنده * ثم صار أمير عشيرة * ثم صار فى دولة المؤيد خزندار * ثم صار من مقدمى الألوف * ثم فى دولة
الأشرفية صار حاجب الحجاب * ثم أمير أخور كبير * ثم أمير سلاح * ثم صار أتابك الى ان تسلطن فخرج
عن طاعته الامير قرقماس فقابله ثم ظفر به وسجنه بالاسكندرية ثم قتله * ثم خرج عن طاعته نائب حلب

تغرى برمش * ثم انيال الحكمى نائب الشام فجهز عليهما العساكر فقاتلوهما واحدا بعد واحد وظفر بهما وقتلهما وبعد حول صفا له الوقت فأخذ وأعطى وأقدم وسطا وكان متواضعا محبا للفقهاء والعلماء والصالحين يميل الى تربية الايتام ويحسن اليهم عفيفا عن المنكرات طاهر الفم والذيل لا يعلم من ملوك الجراسة قبله ولا بعده أعف منه وكان على قاعدة الاتراك الدعوى عنده لمن سبق يذاكر مسائل فقهية ويتعصب لمذهب أبى حنيفة رضى الله عنه وملك مصر نحوا من خمسة عشر عاما الى أن أورى الدهر له من زنده نارا واتخذ بدل عيشه الاخضر بالموت الاحمر ولم يجد له أنصارا واتخذ تحت الارض بعد تخت الملك قرارا واصفرت الارض منه فى سابع صفر سنة سبع وخمسين وثمانمائة * وكان الظاهر جقمق أول ما ولى التفت الى مكة المشرفة وأرسل خلعا ومراسيم للسيد بركات بن حسن عجلان بولاية مكة وأرسل اليه سودون المحمدى ليكون أميرا على خمسين فارسا من الترك مقيما بمكة وشيد العمائر بها * وكان من عمارة الامير سودون بالمسجد الحرام فى سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة انه قلع الرخام الذى على سطح الكعبة الشريفة وكان الخشب الموضوع فى السطح الشريف لان يربط فيه حبال الكسوة الشريفة قد تأكل وتأكل خشب الروازن الاربعة التى كانت فى سقف الكعبة التى كانت للضوء فغير ذلك جميعه وجرد الكعبة الشريفة واستمرت مجردة يومين وليلتين يشاهد الناس أحجارها الى ان أكمل ترميمها واصلاحها وأعيدت الكسوة عليها فى ضحى يوم الاثنين لثمان بقين من شهر صفر سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة وأصلح أيضا رخام داخل الكعبة من الجدار المقابل للباب الشريف وأصلح أيضا رخام الحجر وبيض مأذنة باب السلام وأصلح مأذنة باب العمرة وبيض مأذنة باب الحزورة ورم أسافل مأذنة باب على وأصلح سقف المسجد الحرام من تلك الجهة لخرابه وأصلح الرفرف الدائر بالمسجد الحرام وبيض علو مقام ابراهيم وعلو مقام الحنفية وقبة باب ابراهيم والاميال التى تلصق بدار العباس فى المسعى والميل الذى فى ركن المسجد بقرب باب بازان والذى يقابله التى هى علامة للسعى بينهما وعين فى كل ميل قنديلا بالليل من قناديل الحرم الشريف فى شهر رجب وشعبان وشهر رمضان تضىء للمعتمرين وفى بعض ذى الحجة للاضاءة على الحجاج اذا أرادوا السعى وجعل على الصفا قنديلا وعلى المروة * ثم عمر الامير سودون المذكور ما بقى من المواضع المأثورة فى منى وفى المشعر الحرام بمزدلفة ومسجد نمرة بعرفة وقطع جميع اشجار السلم والشوك الذى كان بين المارين فى طريق عرفة وكانت تمزق كسوة الشقادف والمحابر عند مزاحمة جمال الحاج فى ذلك المحل وكانت الحرامية تكمن تحت الاشجار وتنهب جميع ما تظفر به من الحجاج وتخطف منهم جميع ما تقدر عليه فقطع الامير سودون جميع تلك الاشجار وأزال الصخار الكبار ونظف الطريق ووسعها وشكره الحجاج على ذلك ودعوا له حيث كانت تضر فى طريق المسلمين والا فشجر الحرم لا يعضد ولا يقطع فرحمه الله تعالى وأثابه الحسنى وكذلك الامير خوش كلدى نائب جدة فى عصرنا فى حدود سنة خمسين وتسعمائة قطع أشجار السلم ما بين المازمين وكسر الاحجار فى سفح الجبلين ومهد ووسع الطريق للحجاج ودفع بذلك عنهم شر السراق الذين كانوا يكمنون خلف تلك الاشجار والاحجار وشكره الناس أثابه الله تعالى وسيأتى شىء من عماراته فيما بعد ان شاء الله تعالى * وفى موسم سنة ثمان وأربعين وثمانمائة وصل مع الركب المصرى رسول سلطان العجم شاه رخ ميرزا بكسوة للكعبة الشريفة وصدقة لاهل مكة فكسيت الكعبة من داخلها بتلك الكسوة من يوم عيد الاضحى وفرقت الصدقة على اهل الحرم * وفى سنة خمسين وثمانمائة وصل بيرام خواجا

بياض بالاصل

ناظرا

ناظرا على المسجد الحرام وبنى بالمعلاة سبيلا وحوضا ينتفع بهما الناس والبهائم على عين الصاعد الى المعلاة صار الآن فى عصرنا بستانا عمره خواجاقينى مولانا محمد بن محمود أفندى قاضى مكة المشرفة فى سنة سبع وستين وتسعمائة وقدمه لخانم سلطان بنت الوزير الاعظم رستم باشا وأمها والدة السلاطين خاصكى سلطان رحمهما الله وهو الآن فى تصرف ناظر عمارتها بمكة المشرفة * وفى موسم سنة خمسين وثمانمائة أيضا جاز من وزراء السلطان مراد الثانى طيب الله ثراه جاء بصدقات جليلة وخيرات وافرة جميلة لاهل الحرمين الشريفين ورمى فى بركة قبة العباس بالحرم الشريف ثلثمائة وستين رأس سكر وعدة قناطير من العسل وسقى الناس وملأ القرب وخرج بها السقايون الى المسعى يسقون الناس وصرف على الحجاج وأهل الحرمين أموالا جزيلة تقبل الله منه صالح أعماله * وفى سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة عمر ناظر الحرم بيرم خواجا فى الجانب الشرقى قطعة من جدار المسجد الحرام يلى رباط السدرة الذى هو الآن رباط الاشرف قايتباى وعمر شباك خلوة منسوبة للشيخ عفيف الدين بن عبد الله بن أسعد اليافعى وشباك خلوة منسوبة للشيخ جمال الدين محمد بن ابراهيم المرشدى وجدد فى الرواق القبلى من الجانب الشامى سبعة عقود وعمر أيضا عين حسين وأصلح مجاريها ورممها ترميما محكما ووصل فى ذلك العام كسوة الحجر اسمعيل مع كسوة البيت الشريف لانه لم تجر بذلك عادة قبل هذا ووضعت فى البيت الشريف ثم كسى بها الحجر الشريف من داخله فى العشر الاخير من ذى الحجة سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة بعد ان حفظت فى جوف البيت الشريف سنة كاملة * وعمر ناظر الحرم الشريف بيرم خوجا عدة برك فى عرفة كانت داثرة مملوءة بالتراب فأخرج ترابها وأصلحها وساق اليها الماء من الآبار التى يقربها يشرب الحجاج منها وعمر مسجد نمرة بعرفة وعمر مسجد الخيف بمنى وصرف مالا عظيما فى جهات الخيرات رحمه الله تعالى * ثم عزل ناظر الحرم المذكور بالتاجى الامير بردبك ووصل الى مكة المشرفة ليلة الاحد السادس والعشرين من شعبان سنة أربع وخمسين وثمانمائة وطاف وسعى وعاد الى الزاهر ودخل صبح تلك الليلة من أعلام مكة ولاقاه أكابر مكة وأعيانها ولبس الخلعة السلطانية وقرأ مرسومه بالحطيم وهو مؤرخ بثانى عشر جمادى الآخرة يتضمن انه ولى نظر الحرم الشريف والربط والاوقاف والصدقات وان يحاسب من كان قبله وان يكون محتسبا بمكة فاستمر بهذه الوظائف وهو قائم الجاه نافذ الكلمة وباشرها مع التمكين وعمر فى أواخر السنة بعض سقوف المسجد الحرام * وفى هذه السنة آجر قاضى القضاة أبو السعادات بن ظهيرة الشافعى رباط رامشت لوكيل القاضى ناظر الخاص ثم وصلت فتاوى بعدم صحة اجارة الوقف اجارة طويلة فاستبدل له وحكم بصحة الاستبدال حاكم حنفى ثم أمر بعمارته ارباطا فعمره له ناظر الحرم الشريف التاجى بردبك وفتح فيه عدة شبابيك على الحرم الشريف على الوضع الذى هو باق عليه الى الآن * وفى سنة ست وخمسين وثمانمائة وصلت أحكام من الظاهر جقمق تتضمن الامر باخراج ما على الكعبة الشريفة من داخلها من الكسوة المنسوبة الى الاشرف برسباى وان تبقى كسوة الملك الاشرف الظاهر جقمق وحدها ففعلوا ذلك وفيها سافر أمير الترك الزاكز بمكة الامير جانبك النورورى وولى عوضه فى منصبه ناظر الحرم التاجى بردبك * وفى سنة سبع وخمسين وثمانمائة وردت القصاد من مصر تخبر بان الملك الظاهر جقمق زاد به مرضه فخلع نفسه من السلطنة فى يوم الخميس لتسع بقين من محرم من السنة المذكورة ولده أبى السعادات فخر الدين عثمان * ولقبه الملك المنصور وعقد له البيعة ورضى الناس به واطمأنوا وهو

الحادى عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم وسنه دون العشرين وركب بشعار السلطنة وحمل الاتابك أنيال العلائى أمير كبير القبة والطير على رأسه وجلس على تخت الملك فى قلعة الجبل وباشر الامور الى ان توفى والده بعد سلطنة ولده باثنى عشر يوما فوقعت فتنة بين الامراء فخلع الملك العزيز عثمان * وتسلطن الملك الاشرف سيف الدين أبو النصر أنيال العلائى فى صبيحة يوم الاثنين لثمان مضين من شهر ربيع الاول سنة سبع وخمسين وثمانمائة وهو الثانى عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم وهو چركسى جلبه الخواجا علاء الدين الى مصر فاشتراه الظاهر برقوق وأعتقه الناصر فرج بن برقوق وتنقل فى الدولة الى ان صار فى أيام الاشرف برسباى أمير مائة مقدم ألف وولاه الظاهر جقمق الدوادارية الكبرى الى ان جعله أتابكا واستمر الى أن تسلطن وتم أمره فى الملك وطالت مدته وأيامه نحو ثمان سنين وشهرين وأياما وكان طويلا خفيف اللحية بحيث اشتهر بانيال الاجرد وكان قليل الظلم قليل سفك الدماء متجاوزا عن الخطا والتقصير الا ان مماليكه ساءت سيرتهم فى الناس وفى ابتداء سلطنته سافر اليه أمير الترك الراكز بمكة وناظر الحرم ومحتسب مكة الامير بردبك التاجى وولى عوضه أمير الترك الراكز بمكة شيبك الصوفى وطوغان شيخ الحرم ومحتسب وولى مشدا على حدة جانى بك وهو الذى بنى البستان الذى على يسار الذاهب من منى المعروف به الآن وحفر فيه عدة آبيار وغرس فيه ما قدر عليه من الاشجار حتى شجر التمر هندى وأدركناه فيه ووقف عليه مسقفات بمكة ولم يقع فى أيام الاشرف عمارة للحرم الشريف واستمر سلطانا الى ان خلع نفسه مدة السلطنة وعقدها لولده *(الملك المؤيد شهاب الدين أبى الفتح أحمد بن أنيال)* فى يوم الاربعاء لاربع عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى سنة خمس وستين وثمانمائة وتوفى والده بعد ذلك بيوم واحد ثم خلعه أتابك حين قدم بعد خمسة أشهر وخمسة أيام وولى السلطنة عوضه *(الملك الناصر سيف الدين بن سعيد خوشقدم الناصرى)* يوم الاحد لاحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة خمس وستين وثمانمائة وهو رومى جلبه الخواجا ناصر الدين وبه عرف واشتراه المؤيد شيخ واعتقه وصار خاصكيا عنده ثم تغلب فى الدولة الى ان جعله الاشرف أنيال أتابكا لولده فخلعه وتسلطن مكانه وكان محبا للخير وكسى الكعبة الشريفة فى أول ولايته على العادة ولكن كانت كسوة الشرقى والجانب الشامى بيضاء بجامات سود وفى الجامات التى بالجانب الشرقى بعض ذهب فارسل فى سنة ست وثمانين وثمانمائة منبرا وكان من خشب فركب فى يوم الاربعاء والخميس وخطب عليه الخطيب فى يوم الجمعة ثانى الحجة الحرام وكانت مدة سلطنته ست سنين ونصف تقريبا ومرض وطال مرضه وتوفى فى يوم السبت لعشر خلون من شهر ربيع الاول سنة اثنين وسبعين وثمانمائة *وتسلطن فى ذلك اليوم خشقدمه الاتابك بلباى *(وهو الملك الظاهر الناصر بلباى المؤيدى)* فاخلع على الامير تمربغا الظاهرى بالاتابكية عوضا عن نفسه وهو الرابع عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم وكان ضعيفا عن تدبير الملك فخلعه الامراء من السلطنة فى يوم السبت لسبع مضين من جمادى الاولى سنة اثنين وسبعين وثمانمائة فكانت مدة سلطنته شهرين الا أربعة أيام وتسلطن بعد خلعه عوضا عنه (الملك الظاهر أبو سعيد تمربغا الظاهرى) وهو الخامس عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم بمصر ولكن كان يقال انه رومى الاصل من مماليك الظاهر جقمق أعتقه ورباه صغيرا الى ان جعله خاصكيا ثم سلحدارا ثم خزندارا كبيرا ثم دوادارا ثانى ثم صار فى دولة الملك المنصور دوادارا كبيرا ثم أخرج الى مكة ثم عاد الى القاهرة فى دولة

الظاهر خوشقدم فصار مقدم ألف ثم صار فى دولة الظاهر بلباى أتابك العساكر ثم تسلطن وكان له فضل وصلاح وتودد للناس وحذق ببعض الصنائع بحيث يعمل القسى الفائقة بيده ويعمل السهام عملا فائقا فيها ويرمى أحسن رمى يفوق غيره فيها مع الفروسية التامة ومع ذلك ما صفاله الدهر يوما ورماه عن كبد قوسه أبعد رمى ومازال به الامر الى ان خلعوه ونفوه الى الاسكندرية وولى السلطنة أتابك العساكر يومئذ * (السلطان الملك الاشرف قايتباى المحمودى الظاهرى) * فى ظهر يوم الاثنين وهو السادس من شهر رجب سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة وهو السادس عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم بمصر مولده ببلاد جركس تقريبا فى بضع وعشرين وثمانمائة جلبه الخواجا محمود الى مصر فنسب اليه واشتراه الاشرف برسباى وأعتقه الظاهر خقمق واليه أنتسب وتنقل فى المراتب الى ان صار فى دولة الظاهر خوشقدم أمير مائة مقدم ألف ثم صار فى دولة الظاهر تمربغا أتابكا ثم صار بعد خلعه سلطانا بعد تعزز منه وتمنع وحصلت له البشارة بالسلطنة من عدة أولياء الله الصالحين قبل أن يليها وكان محبا للخير معتقدا فى الصلحاء * ويحكى عنه أنه كان يحكى عن نفسه أنه لما جلب الى مصر للبيع وهو اما مراهق او بالغ كان معه رفيقه احد المماليك الجلب فتحادثوا مع الجمال فى ليلة من ليالى شهر رمضان فقالوا لعل هذه ليلة القدر والدعاء فيها مستجاب فليدع كل واحد منا بدعاء يحبه فقال قايتباى اما انا فاطلب سلطنة مصر من الله تعالى فقال الثانى وانا اطلب من الله ان أكون اميرا كبيرا والتفتا الى الجمال وقالا له اى شئ تطلبه فقال انا اطلب من الله خاتمة الخير فصار قايتباى سلطانا وصار صاحبه اميرا كبيرا فكانا اذا اجتمعا يقولان فاز الجمال من بيننا رحمهم الله وكان ملكا جليلا وسلطانا نبيلا له اليد الطولى فى الخيرات والطول الطائل فى اسداء المبرات بنى بالمساجد الثلاثة عدة ربط ومدارس وجوامع عظيمة الآثار باهرة الانوار ولهم بمصر والشام وغزة آثار جليلة وخيرات جميلة اكثرها باق الى الآن وجميع عمائره يلوح عليها لوائح النورانية والانس * وفى اول ولايته ارسل الى مكة بالمراسيم والخلع للسيد الشريف محمد بن بركات بن حسن بن عجلان بولاية الحرمين الشريفين والى قاضى القضاة برهان الدين ابراهيم بن ظهيرة الشافعى بقضاء مكة ومراسيم تتضمن الامر بابطال جميع المكوسات والمظالم وان يقرر ذلك على اسطوانة من اساطين الحرم الشريف فى باب السلام وفى آخر سنة اربع وسبعين وثمانمائة والتى قبلها بنى مسجد الخيف بناء عظيما محكما وجعل فى وسط المسجد قبة عظيمة هى حد مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خيف منى وبنيت جدرانه المحيطة به وبنى اربع بوائك من جهة القبلة فصارت قبة عالية فيها محراب النبى صلى الله عليه وسلم وبلصق القبة مأذنة التى على عقد باب المسجد بثلاثة أدوار صنعة الاستاذين وبنى دارا بلصق الباب وكانت مسكن امراء الحاج وعلى الباب فى الدار المذكورة سبيل علا الصهريج كبير جعل فى صحن المسجد عتلا من المطر وجعل للمسجد بابا آخر الى جهة عرفة وخوخة صغيرة الى الجبل الذى فى سفحه غار المرسلات وهو الموضع الذى أنزلت فيه سورة المرسلات على النبى صلى الله عليه وسلم وبالجملة فهذا المسجد أثر عظيم باق الى الآن من آثار المرحوم السلطان قايتباى وقد غلب عليه الدثور عمر الله من عمره أو تسبب فى تعميره * وعمر السلطان المذكور مسجد غرة فى عرفة وهو المسجد الذى يجمع فيه الامام بين الظهر والعصر جمع تقديم فى يوم عرفة للحجاج المحرمين فى ذلك الآن لا يجمع عند ابى حنيفة فى غير ذلك الحال جمع تقديم الا فى ذلك المسجد ولا جمع تأخير الا فى المزدلفة بين المغرب والعشاء للحجاج وجعل فى

صدر ذلك المسجد رواقان عظيمان يتظلل بهما الحجاج وقت الصلاة عن الشمس وحدد العلمين الموضوعين لحد عرفة والعلمين الموضوعين لحد الحرم وبيض المسجد الذى بمزدلفة على جبل قزح وهو المشعر الحرام على رأى وجدد عين عرفات وابتدأ المعمار العمل فيها من سفح جبل الرحمة الى وادى نعمان فوجد الماء بكثرة فاقتصر على ذلك ولم يصل الى أم العين وكانت قد انقطعت منذ مائة وخمسين سنة وكان الحجاج يقاسون فى يوم عرفة من قلة الماء مالا يصبر عليه ثم أصلح البركة وملأها بالماء ثم أصلح عين خليص وأجراها وأصلح بركتها وبنى قبتها وامتلأت البرك وعم النفع بهما وبعين عرفات وكان ذلك من أعظم الخيرات بالنسبة الى الحجاج والزوار * وفى سنة تسع وسبعين وثمانمائة وصل منبر خشب للمسجد الحرام فى الخامس والعشرين من ذى القعدة الى مكة المشرفة فى البر فركب فى جهة باب السلام وجر الى المطاف وخطب عليه الخطيب فى أول ذى الحجة * وفى سنة احدى وثمانين أصلح خشب سقف المسجد بالرواق الشرقى وغير رخام الحجر الشريف من داخله وخارجه ورصصت الشقوق التى بين أحجار المطاف داخل البيت الشريف * وفى سنة اثنتين وثمانمائة أمر السلطان قايتباى وكيله وتاجره الخواجا شمس الدين محمد ابن عمر الشهير بابن الزمن وشاد عمائر الامير سنقر الجمالى ان يحصل له موضعا مشرفا على الحرم الشريف ليبنى له مدرسة يدرس فيها علما المذاهب الأربعة ورباطا يسكنه الفقراء ويعمر له ربوعا ومسقفات يحصل منها ريع كثير يصرف منه على المدرسين وعلى القراء وأن يقرأ له ربعة فى كل يوم يحضرها القضاة الاربعة والمتصوفون ويقرر لهم وظائف ويعمل مكتبا للايتام وغير ذلك من جهات الخير فاستبدل رباط السدرة ورباط المراغى وكانا متصلين وكان الى جانب رباط المراغى دار للشريفة شمسية من شرائف بنى حسن اشتراها منها وهدم ذلك جميعه وجعل فيها اثنين وسبعين خلوة ومجمعا كبيرا ومشرفا على الحرم الشريف وعلى المسعى الشريف ومكتبا ومأذنة وصير المجمع المذكور مدرسة بناها بالرخام الملون والسقف المذهب وقرر فيه أربعة مدرسين على المذاهب الاربعة وأربعين طالبا وأرسل خزانة كتب وقفها على طلبة العلم وجعل مقرها المدرسة المذكورة وجعل لها خازنا عين له مبلغا وقد استولت عليها أيدى المستعيرين وضيعوا منها جانبا كبيرا وبقى منها ثلثمائة مجلد وهو تحت تكلم مؤلف هذا الكتاب صنتها وكملت بعض ما فات منها وجلدت منها ما يحتاج الى التجليد واستخلصت بعض ما وجدته واعدته الى الوقف صانه الله وجعل الواقف فى ذلك المجمع للقضاة الأربعة حضروا بعد العصر مع جماعة من الفقهاء يقرأون له ثلاثين جزأ من القرآن وجعل فقيها يعلم أربعين صبيا من الايتام ورتب لكل واحد من الايتام وأهل الخلاوى ما يكفيهم من القمح فى كل سنة وللمدرسين والمؤذنين وقراء الأجزاء مبالغ من الذهب تصرف لهم كل سنة وبنى عدة ربوع ودور تغل فى كل عام نحوا الى ذهب ووقف عليهم بعصر قرى وضياعا كثيرة تغل حبوبا كثيرة تحمل فى كل عام الى مكة وعمل من الخيرات العظيمة ما لا يعلم ذلك لسلطان قبله وذلك باق الى الآن الا أن الأكلة قد استولت على تلك الاوقاف فضعفت جدا وهى آيلة الى الخراب وصارت المدرسة سكنا لامراء الحاج أيام موسم الحاج وسكنا لغيرهم من الامراء اذا وصلوا الى مكة فى وسط السنة وصارت أوقافها مأكلة للنظار عمر الله من عمرها وأحيا من أحياها وكان الفراغ من بناء هذه المدرسة والرباط والبيتين أحدهما من ناحية باب السلام والثانى من ناحية باب الحريريين فى سنة أربع وثمانين وثمانمائة على يد الامير سنقر الجمالى رحمه الله تعالى * وفى هذه السنة وردت أحكام السلطان قايتباى الى صاحب مكة يومئذ مولانا السيد الشريف جمال الدين محمد بن بركات بن

حسن بن عجلان رحمه الله تعالى يتضمن انه رأى مناما وان بعض المعبرين عبر له ذلك المنام بغسل البيت الشريف من داخله وخارجه وغسل المطاف وانه أمره ان يفعل ذلك فحضر مولانا السيد الشريف محمد ابن بركات رحمه الله تعالى بنفسه وقاضي القضاة برهان الدين ابراهيم بن علي بن ظهيرة وباش الترك الزاكز بعكة الامير قايتباي اليوسفي والامير سنقر الجمالي والدوادار الكبير الامير جانبك نائب جدة المعمورة وبقية القضاة والاعيان بعكة وفاتح بيت الله الحرام عمر بن ابي راجح الشيبي والشيبيون والخدام وغسلوا الكعبة الشريفة من داخلها قدر قامة ومن خارجها قدر قامة وغسلوا أرض الكعبة وسائر المطاف الشريف وطيبوها بالطيب وكان ذلك في يوم الخميس ثمان بقين من ذي الحجة الحرام من السنة المذكورة

X ﴿فصل﴾ ومن أعظم ما وقع في أيام السلطان قايتباي من الامور الهائلة حرق المسجد الشريف النبوي ذكرناه استطرادا لانه أمر هائل عظيم * وتفصيل ذلك ان في ثلث الليل الاخير من ليلة الاثنين ثالث عشر شهر رمضان سنة ست وثمانين وثمانمائة طلع رئيس المؤذنين الشيخ شمس الدين محمد بن الخطيب الى المأذنة الشرقية اليمانية في ركن المسجد الشريف المعروف بالرئيسية وهو يذكر ويعبد وكانت السماء متراكمة الغيوم متواترية النجوم اذ سمع رعدها ثل وسقطت صاعقة لها لهب كالنار أصاب بعضها هلال المأذنة فانشق رأسها ومات الرئيس الى رحمة الله تعالى وسقط باقيها على سقف المسجد الشريف عند المأذنة فعلقت النار فيه ففتحت ابواب السماء ونودي بالحريق في المسجد فحضر أمير المؤمنين يومئذ السيد قسطل بن زهير الجمالي وشيخ الحرم والقضاة وسائر الناس وصعدت أهل النجدة والقوة الى سطح المسجد بالمياه في القرب يسكبونها على النار لتطفي فالتهبت وأخذت في جهة الشمال والمغرب وعجزوا عن اطفائها فهربوا واستولت النار عليهم فمات منهم فوق عشرة انفس وعظمت النار جدا وأحاطت بجميع سقف المسجد الشريف واحرقت ما في المسجد من المصاحف وخزائن الكتب والربعات وكانت كتبا نفيسة ومصاحف عظيمة وصار المسجد كجهنم من نار يرمي بشرر كالقصر الى ان استوعب الحريق جميع المسجد والقبة العليا التي فوق قبة النبي صلى الله عليه وسلم وذاب الرصاص ولم يصل أثر النار الى جوف الحجرة الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام لسلامة القبة السفلى وعدم التأثير فيها مع ما سقط عليها مما هو أمثال الجبال وأحرقت حتى الحجارة الأساطين وسقط منها نحو مائة وعشرين اسطوانة واحترق المنبر الشريف النبوي والصندوق الذي في المصلى الشريف والمقصورة التي حول الحجرة الشريفة وقد سلمت الأساطين الملاصقة للحجرة الشريفة وسلم ما حول المسجد من البيوت وشوهد أشكال طيور بيض يحومون حول النار كأنها تكفها عن بيوت جيران النبي صلى الله عليه وسلم مع وقوع بعض شرر النار فيها وعدم تأثيره فيها * قال مؤرخ المدينة وعالمها ومفتيها مولانا السيد نور علي بن عبد الله السمهودي رحمه الله بعد سوق هذه الحكاية بالسبط من هذا في كتابه خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى صلى الله عليه وسلم وفي ذلك عبرة تامة وموعظة عامة أبرزها الله تعالى للانذار فخص بها حضرة النذير الأعظم صلى الله عليه وسلم وقد ثبت ان أعمال امته تعرض عليه فلما ساءت الاعمال المعروضة ناسب ذلك الانذار باظهار المجازي بها يوم العرض قال الله تعالى وما نرسل بالآيات الا تخويفا وقال تعالى ذلك الذي يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون قال وشرعوا في تنظيف المسجد ونقلوا نقضه من مقدم المسجد الى مؤخره للصلاة فيه وعمل في ذلك امير المدينة وقضاتها وعامة اهلها حتى النساء والصبيان

تقربا الى الله تعالى و بادروا بارسال قاصد الى مصر وعرضوا ذلك على السلطان قايتباى رحمه الله تعالى فتهول من هذا الحادث العظيم وتوجه الى عمارة المسجد الشريف وعرف نعمة الله عليه لتأهيله لهذا الشرف العظيم ورسم بابطال جميع العمائر المكية وغيرها وان يتوجه شادها السيوفى سنقر الجمالى مبادرا الى المدينة الشريفة وارسل اليه نحو من ثلثمائة من ارباب الصنائع وكثيرا منه الحمير والجمال والبغال وسائر مؤنهم ومبلغا من الخزانة نحو مائة الف دينار فاكثر وجهز المؤن الكثيرة الى ان امتلأت البنادر بها كالطور وينبع ونقلت الى المدينة الشريفة واستقبلوا العمارة بجد واجتهاد الى ان كملت عمارة المسجد الشريف والقبة الشريفة والمواذن وفرغوا منها على هذا الوجه الذى هو عليه الآن فى هذا الزمان * وذكر السيد السمهودى رحمه الله تعالى فى تفصيل كتابه خلاصة الوفا فراجعه ان اردت احاطة العلم به وذكره ببسط من ذلك فى تاريخه الكبير الذى سماه وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى صلى الله عليه وسلم وأمر السلطان قايتباى أن يبنى له رباطا ومدرسة ومأذنة حول المسجد الشريف فبنوا له مدرسة عظيمة ورباطا مشرفا على المسجد الشريف ما بين باب السلام وباب الرحمة وأرسل الى المدرسة خزانة كتب جليلة جعل مقرها المدرسة موقوفة على طلبة العلم الشريف وأرسل مصاحف كثيرة وكتبا لخزنة المسجد الشريف عوض ما احترق منها ووقف قرى كثيرة بمصر تحمل غلاتها الى جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم فيفرق عليهم لكل شخص ما يكفيه من الحب بطول السنة فكان حصة كل نفر سبعة اراديب فى العام مسوى فى ذلك بين الصغير والكبير والحر والعبد وذلك الخير جار الى الآن وزاد عليه الآن سلاطين آل عثمان أكثر مما أوقفه السلطان قايتباى لمكة والمدينة جزى الله المحسنين خيرا وضاعف لهم ثوابا وأجرا

﴿فصل﴾ فى حج السلطان قايتباى * اعلم ان ملوك الجراكسة ماج منهم أحد غير السلطان قايتباى لكثرة تمكنه فى الملك وكثرة ما فعله من الآثار الجميلة فى الحرمين الشريفين فاقام الامير الكبير شيبك الدوادار نائبا عنه بمصر وخرج الى الحج فى سنة اربع وثمانين وثمانمائة قبل وقوع حريق المسجد الشريف النبوى بنحو عامين وكان امير الحاج خوشقدم خرج بالمحمل الشريف وبركب الحاج المصرى فخرج السلطان قايتباى بقصد الحج والزيارة بعد خروج ركب الحاج بثلاثة ايام ووصلت القصاد الى شريف مكة يومئذ سيدنا ومولانا المقام الشريف العالى جمال الدين السيد محمد بن بركات بن حسن بن عجلان سقى الله عهده صوب الرحمة والرضوان وكان من اخص المخصوصين به وصاحب الحل والعقد عنده قاضى القضاة شيخ الاسلام مولانا القاضى برهان الدين ابراهيم بن ظهيرة القاضى الشافعى يومئذ بمكة طيب الله ثراه فتهيأ هو والسيد الشريف محمد بن بركات الملاقاة السلطان فان القصاد أخبروا انهم فارقوه من عقبة أيلة وهى نهاية الربع الاول من طريق الحج وارسل مولانا السيد الشريف احد قواده ليسبقه الى ملاقاة السلطان بسماط حلوى فوصل الى الحوراء ولاقى السلطان ومده السماط الحلوى هناك فجلس عليه السلطان بنفسه وأظهر غاية اللطف والمجابرة واكل وقسم على امرائه وعسكره وكان سماطا كبيرا جميلا * ويحكى * من لطافة السلطان قايتباى انه لما جلس على السماط تناول شيأ من الحلوى يقال له كل واشكر وأكل منه وسأل من الذى جاءه بالسماط ايش اسم هذا عندكم فقال له القائد هذا اسمه كل واشكر فقال له سلم على سيدك وقل له أكلنا وشكرنا * ثم لما وصل السلطان الى ينبع عدل منه الى المدينة لزيارة النبى صلى الله عليه وسلم وتوجه اليها وكان قد خرج الى ملاقاته سيدنا ومولانا السيد الشريف

محمد بن بركات وولده السيد بن هيزع بن محمد ومولانا القاضي ابراهيم بن ظهيرة قاضي جدة فبلغهم في اثناء الطريق ان السلطان عدل الى زيارة النبي صلى الله عليه وسلم فتوجهوا الى منزلة بدر وأقاموا به منتظرين عود السلطان من المدينة الشريفة * قال السيد السمهودي في تاريخه الكبير جرج السلطان قايتباي في سنة أربع وثمانين وثمانمائة وبدأ بالمدينة النبوية لزيارة التربة المصطفوية على الحال بها أفضل الصلاة والسلام فقدمها طلوع الفجر من يوم الجمعة الثاني والعشرين من ذي القعدة الحرام فلبس حولها حلل التواضع والخشوع وتحلى بما يجب لتلك الحضرة النبوية من الهيبة والخضوع فترجل عن فرسه عند باب سورها ومشى على أقدامه بين ربوعها ودورها حتى وقف بين يدي الجناب الرفيع الحبيب الشفيع صلى الله عليه وسلم وناجاه بالتسليم وفاز من ذلك بالحظ الجسيم ثم ثنى بضجيعيه رضي الله عنهما بعد ان صلى بالروضة الشريفة التحيه وعفر جبهته في ساحتها السنيه وعرض عليه الدخول الى الحجرة الشريفة فتعاظم ذلك وقال لو أمكنني ان أقف أبعد من هذا الموقف وقفت فالجناب عظيم ومن ذا الذي يقوم بما يجب له من التعظيم * ثم صلى الجمعة في الروضة الشريفة في الصف الاول بين فقراء الزوار والى جانبه امامه الشيخ الامام العالم العلامة برهان الدين بن العركي * ثم توجه لزيارة السيد حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم ومن حوله من الصحابة الذين استشهدوا يوم أحد رضوان الله عليهم أجمعين فمشى مترجلا حتى خرج من باب المدينة ولم يزل ذلك دأبه ولم يركب بالمدينة تأدبا مع النبي صلى الله عليه وسلم وعاد من الزيارة وحضر لصلاة الجمعة قال السيد السمهودي رحمه الله تعالى فبدأني السلطان بالملاطفة وسألني عن بعض المباحث فرأيت من تواضعه وحلمه وثقوب فهمه ما يفوق وصف الواصف فأنشدته بيتي التلخيص

كانت مسائلة الركبان تخبرني * عن أحمد بن سعيد طيب الخبر
حتى التقينا فلا والله ما سمعت * أذني بأطيب مما قد رأى بصري

فطرب لهما جدا واجتمعت به قرب المغرب في الروضة ففاتحني بالكلام ورأى في المحراب النبوي مكتوبا قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام فسألني عن هذه الآية هل نزلت قبل المعراج أم بعد وكيف كان الاستقبال قبل نزولها فشرعت له في الجواب فأقيمت الصلاة في أثناء ذلك فصلينا فلما فرغ من الصلاة صلى ست ركعات بسكون وتأدب فلما انقضت الصلاة أقبل علي طالبا للجواب فذكرت له ان نزولها بالمدينة وان فرض الصلاة كان بمكة ليلة المعراج وذكرت ما حكي في تعدد نسخ القبلة وصلاته صلى الله عليه وسلم بين الركنين اليمانيين جاعلا الكعبة بينه وبين بيت المقدس الى غير ذلك من الفوائد وهو مصغ اليها متلذذا سماعها واستمر ينا على ذلك حتى أقيمت صلاة العشاء فصلينا ثم عرضت عليه رفع بعض البدع من المدينة فأمر برفعها وطلبت منه رفع المكوس من المدينة فأمر بازالتها وجعل لأمير المدينة في مقابلة ذلك ألف أردب قررها له في كل عام وفرق بالمدينة على فقرائها وفقهائها وعلمائها نحو ستة آلاف ذهب وحصل لي منه خير كثير واحسان جزيل ثم برز في اليوم الثالث من المدينة الشريفة قاصدا حج بيت الله الحرام انتهى كلام السمهودي ملخصا قال العز بن فهد فلما وصل الخبر الى بدر بعود السلطان وبروزه من المدينة الشريفة الى السيد الشريف محمد بن بركات ومن معه ركبوا من بدر للاقاة السلطان فاجتمعوا به في منزلة الصفراء وتلاقيا على ظهر الخيل وتصافحا ومشى السيد الشريف عن يمين السلطان والقاضي برهان الدين بن ظهيرة عن يساره

وباقى من معهما سلموا على السلطان على بعد ومشوا أمامه وصار السلطان يلاطفهم ويسأل عن أحوالهم ويشكر مساعاهم ويطمن خواطرهم ويجابرهم بالمكالمة وينصت لهم اذا تكلموا واستمروا كذلك الى أن وصل السلطان الى اوطاقه فرجعوا عنه الى مخيمهم ثم صاروا يسايرونه فى الطريق ويظهر كمال النشاط ويبدى لهم وافر الانبساط وألبسهم السلطان خلعا فاخرة مرارا عديدة وفارقوه من بدر وتقدموا على السلطان الى وادى مر الظهران ورتبوا هناك سماطا حافلا جميلا للسلطان ولمن معه فلما كان صبيح يوم الأحد مستهل ذى الحجة وصل السلطان مخيمه بالوادى ووجد السماط ممدودا فجلس السلطان ومن معه على السماط وأكل منه وأطعم وفرق على من معه من عسكره الخاص به وخلع على الخدام والانفار الذين مدوا السماط خلعا فاخرة متعددة جميلة ووصل بقية القضاة والخطباء والاعيان من مكة للسلام على السلطان فسلموا عليه وانصرفوا امامه وركب السلطان ومعه شيخ الاسلام القاضى ابراهيم بن ظهيرة وولده القاضى أبو السعود وأخوه القاضى أبو البركات وامام السلطان الشيخ برهان الدين السركى الحنفى واستمروا الى ان دخلوا الى مكة من أعلاها وكان القاضى ابراهيم هو الذى تقدم لتطويف السلطان وصار يلقنه الأدعية والتلبية الى ان دخل السلطان من باب السلام البرانى فطلع بفرسه منه فحفل به جواده فسقطت عمامته واستمر مكشوف الرأس الى أن تقدم المهتار رمضان وتناول العمامة من الارض ومسحها وناولها السلطان فلبسها وكان ذلك تأديبا له من الله تعالى حيث كان يتعين عليه أن يترجل ويدخل محرما مكشوف الرأس تواضعا لله تعالى * ثم لما وصل الى عتبته الداخلة من باب السلام ترجل ونزل وقرأ بين يديه الرئيس بصوت جهورى قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون فعلم مالم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا ثم انه رفع يده للدعاء للسلطان وأمن من حوله من أهل الاصوات ودخل من باب السلام ومولانا القاضى ابراهيم يلقنه الدعاء الى أن دخل الطواف وقبل الحجر الأسود وهو الذى يطوفه ويلقنه الادعية والرئيس ينادى بالدعاء له من أعلا قبة زمزم والناس محيطون بالطاف الشريف يشاهدونه ويدعون له الى ان تم طوافه وصلى خلف مقام ابراهيم ثم خرج من باب الصفا الى الصفا وسعى راكبا ومعه القاضى ابراهيم يلقنه الدعاء فلما فرغ من سعيه قعد الى الزاهر وبات فى مخيمه وركب فى الصبح فى موكبه ولاقاه مولانا السيد الشريف محمد بن بركات وأولاده وقاضى القضاة البرهانى ابراهيم بن ظهيرة وابنه الجمالى أبو السعود وأخوه القاضى فخر الدين وابن عمه والخطباء واعيان الناس وأكابر التجار فخلع السلطان قفاتبانى على الجميع ومشوا قدامه فى موكب عظيم وأبهة عظيمة ولم يتخلف أحد بمكة من النساء والرجال حتى المخدرات ودخل بمكة بهذا العنوان الى أن وصل الى مدرسة فترجل الناس له وسلم عليهم ودخل الى مدرسته ومدله بها السيد الشريف محمد بن بركات سماطا جليلا واستمر على ذلك عدله صبحا وليلا الاسمطة الجميلة ومدله فى ثانى يوم قاضى القضاة البرهانى سماطا جميلا واستمر السلطان بمدرسته ماظهر لاحد غير انه يتصدق بالليل كثيرا وركب مرة لدرب اليمن يشاهد ما قدم له مولانا السيد الشريف من الابل والخيل وتشكر من فضل السيد الشريف واستمر بمدرسته الى أن طلع الى عرفات ومعه امامه راكب الى جانبه وهو شيخ الشيوخ البرهانى ابراهيم بن السركى والامير شيبك الجمالى وأولاد القاضى يحيى بن الجيعان كاتم السر وخصيصه القاضى أبو البقا بن الجيعان

ورمضان المهتار ووقف بجبل الرحمة متضرعا الى الله تعالى سائلا من رحمته القبول وكانت الوقفة يوم الاثنين فأفاض مع الناس وأتم حجه وفرق الاضاحى غنما كثيرة وأهدى شيأ كثيرا وكان المناسب ان ينحر شيأ من البدن فما أشار عليه أحد بذلك وعاد بعد أيام التشريق الى مكة وتوجه الركب المصرى وتأخر هو بمكة أياما وقرر وظائف مدرسته لأهلها من المدرسين والطلبة وقراءة صحيح البخارى وقراءة الربعة وخادمها وخادم المصحف والفراشين والبوابين والوقادين والجبادين والسقايين والسبيل والايتام والعريف والفقيه والمؤذنين وناظر المدرسة والوقف والجابى والصيرفى وأصحاب الخلاوى ونحو ذلك وجعل لكل واحد كفايته من القمح والدراهم والزيت وكتب بذلك وقفية أشهد على نفسه بذلك فيها وعمل من الخيرات مالم يسبق اليه وحضر بنفسه يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من ذى الحجة بطرف الايوان وقدامه المصحف على كرسى وفرق على الحاضرين اجزاء الربعة الشريفة وتناول السلطان جزأ منها كأحد القراء وقرؤا الى ان ختم القاضى ابراهيم ولم يؤخذ من السلطان الجزء حتى وضعه بنفسه وجمعت الاجزاء فى صندوق الربعة ودعا الداعى للسلطان ومد للحاضرين سماط حلوى بدور المدرسة ونزل السلطان وجلس الى جنب القاضى ابراهيم وأكلوا ثم سقاهم سكر اوسوبية وفرق عليهم فتوحا وانصرفوا * وكان بنى السلطان سبيله على يمين الداخل الى خان البزازين بالمسعى يقال له العلقمية وكان أمامه الى جهة القبلة بالمسعى سبيل قديم للقاضى شهاب الدين الطبرى على يمين الذاهب الى المروة فأشار الخواجا شمس الدين بن الزمن والمهندس أن يهدم هذا السبيل حتى تظهر عمارة السلطان وسبيله فهدم وصار المسعى مكشوفا وعمارة الخان والسبيل ظاهرا وسافر السلطان فى ظهر يوم السبت لأربع عشرة ليلة خلت من ذى الحجة بعد ان طاف للوداع والرئيس يدعو له على قبة زمزم ومشى القهقرى الى أن خرج من باب الحزورة وركب معه السيد الشريف محمد بن بركات وأولاده وقاضى القضاة ابراهيم بن ظهيرة الى الزاهر ثم ردهم وودعهم وسار الى مصر وعاد الى مملكته ولم يختل عليه شئ من أمر المملكة مع غيبته عن تخت مصر مدة سفره الى الحج وعوده اليها وهى نحو ثلاثة أشهر وذلك لاتقانه أمر الملك وتدربه فيه وضبطه رحمه الله تعالى * وكان واسطة عقد ملوك الجراكسة وأقربهم الى قلوب الرعية فى اللطف والمؤانسة وأجلهم جمالا واجلالا وأحسنهم احسانا وأفضلهم افضالا وأكملهم عقلا ونبلا واعتدالا وأكثرهم فى جهات الخير آثارا وأوفرهم عمائر وأوقافا وادوارا وأطولهم طولا وزمانا وأكملهم ملكا وقوة وامكانا وكانت أيامه كالطراز المذهب ودولته تتجلى كالعروس فى حلل الجوهر والذهب وعاشت الرعية فى أيامه عيشا رغدا وظهرت العلماء فى أيامه ونموا فصار وانجوم الهدى الى أن انتبه له الزمان الجائر واستيقظت له صروف الليالى والجدود العوائر ودارت عليه كما دارت على من قبله الدوائر وهذا شأن الدنيا الدنية فى أبنائها الاصاغر والاكابر ودأبها فى السلاطين والملوك الغوابر والبقاء والدوام لله عز وجل القدير القاهر فقدم على قايتباى يريد أجله وما أغنى عنه ماجمعه من خيله وخوله فأقدم على ماقدم من صالح عمله وترك ماخوله من متاع الدنيا وراء ظهره وأدرج فى أكفان أعماله بعد ماغسل بدموع فقره وأنزل من سرير الملك الى التابوت الى قبره وقدم على رب كريم ووقف بين يدى ملك الملوك الحكيم الحليم

اذا أمسى فراشى من تراب * وصرت مجاور الرمس الرميم
فهنونى أصحابى وقولوا * لك البشرى قدمت على كريم

فكان انتقاله رحمه الله تعالى فى أواخر يوم الأحد لثلاث بقين من ذى القعدة الحرام سنة احدى وتسعمائة وصلى عليه يوم الاثنين ودفن بتربته بالصحراء التى بناها فى حياته فى غاية الحسن والزينة وبها مساكن للقراء وأوقاف دارّة عليهم الى الآن ليس بمصر أحسن تربة منها وصلى عليه بعد ذلك صلاة الغائب بالمساجد الثلاثة وكان له مشهد عظيم لم يعهد الملك قبله وكانت مدة سلطنته ثلاثين سنة الاثمانية أشهر ولم يملك أحد من ملوك الجراكسة قدر مدة ملكه رحمه الله تعالى ❊ وولى بعده الملك ولده الملك الناصر أبو السعادات محمد ❊ وكان شابا يغلب عليه الجنون والسفه وما كان له التفات الى الملك والى السلطنة بل غلب عليه اللهو واللعب والحركات المستبشعة ❊ يحكى عنه أمور قبيحة ❊ منها انه كان اذا سمع بامرأة حسناء هجم عليها وقطع دائر فرجها ونظمه فى خيط أعده لنظم فروج النساء ❊ ومنها ان والدته كانت من أعقل النساء وأجملهن هيأت له جارية جميلة جدا وجمعتها به فى بيت مزين أعدته لهما فدخل بها وغلق الباب على نفسه وعليها وربطها وشرع يسلخ جلدها عنها كالجلادين وهى حية فلما سمعوا صوتها وبكاءها أرادوا الهجوم عليه فلم يمكنهم لانه قفل الباب من داخل فاستمر كذلك الى أن سلخها وحشى جلدها بالتباب وخرج يظهر لهم استاذيته فى السلخ وان الجلادين يعجزون عن كماله فى صنعته ❊ ومنها انه مرّ وهو فى موكبه بدكان حلوانى يبيع الحلاوة وبسطته قدامه فأقامه من دكانه وجلس مكانه يبيع الحلاوة ودار حوله أمراؤه يشترون منه وأخذ بيده الميزان وصار يزن لهم الحلاوة الى أن جبرت وكان له حركات من هذه الخرافات منها ما يضحك ومنها ما يبكى الى أن سقط من أعين العسكر وسطوا عليه كما سطا بالحسام الأبتر وسلخوه كما سلخ تلك الضعيفة بالخنجر ومزقوه كل ممزق ولعذاب الآخرة أكبر فمن غروره انه خرج مستخفيا منفردا عن عبيده وخدمه متباعدا عن خوله وحشمه فتوجه يمشى وحده الى برا الجيزة فأكمن له عشرة أنفس من مماليك أبيه فى خيمة على ممره فلما وصل اليهم وكان وحده منفردا خرجوا عليه من الخيمة ومسكوا بلجام فرسه وضربوه بالسيوف الى أن قطعوه وجاؤا به مقتولا الى القاهرة ودفنوه فى تربة أبيه فى سنة أربع وتسعمائة ❊ ثم ولوا بعد خاله الظاهر قانصوه ❊ وهو خال الناصر محمد بن قايتباى كان ساذجا أميا لا يعرف الا بلسان الجركس قريب العهد ببلده لان السلطان قايتباى جلبه من بلاده وهو كبير وخطه الشيب وصار يرقيه بواسطة زوجته خوند ادم الناصر فبذلت له الأموال والخزائن وأرادت اقامته مقام ولدها الناصر وأرادت تقويته واقامته واصلاحه ولن يصلح العطار ما أفسد الدهر فلما استكمل الجند للايالة وما أهلوه للسلطنة وكيف له بها وأنى له فخلعوه بعد أن ساسهم سنة وسبعة أشهر وأخرجوه من الملك فى أواخر سنة خمس وتسعمائة ❊ وولى بعده أمير كبير يسمى جان بلاط وتلقب الملك الأشرف جان بلاط ❊ فى أوائل سنة ست وتسعمائة وما تهنى بالسلطنة ولا وافقه أحد عليها وخلع بعد ستة أشهر ❊ وولى مكانه الملك العادل طومان باى ❊ وما استكمل يوما واحدا بل هجم عليه العسكر وقتلوه فما قدم أحد على السلطنة وكانت الأمراء متوفرة وكلهم يشير بعضهم الى بعض فى الجلوس على تخت الملك فاتفقوا على أن يولوا قانصوه الغورى لانهم رأوه لين العريكة سهل الازالة أى وقت أرادوا ازالته أزالوه لانه كان اقلهم مالا وأضعفهم جاها وأوهنهم قوة فأشاروا عليه أن يتقدم فأبى فألزموه بذلك فقال أقبل ذلك منكم بشرط أن لا تقتلونى واذا أردتم خلعى من السلطنة أخبرونى بما تريدون وأنا أوافقكم على ذلك واترك لكم الملك وأمضى حيث أريد فعاهدوه على ذلك فقبل منهم وولوه السلطنة ولقبوه ❊ السلطان الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغورى ❊ فى سنة

ست وتسعمائة وفرح العسكر بولايته لانهم سئموا تعدد السلاطين وسرعة تقضى ملكهم بل فرح العامة وأمنوا على أنفسهم وأموالهم فى الجملة وكان قانصوه الغورى كثير الدهاء ذا رأى وفطنة ويقظة الا أنه كان شديد الطمع كثير الظلم والعسف بخيلا محبا للعمارة ﴿ومن جملة عماراته الجامع والتربة﴾ بين القصرين بمصر وكان فى نيته أن يدفن بها ووقف عليها أوقافا كثيرة وما قدّر له دفنه فيها بل ذهب تحت سنابك الخيل وما عرف وما تدرى نفس بأى أرض تموت * وله آثار جميلة فى طريق الحج فى عقبة أيلة ومآثر بمكة المشرفة وغيرها وكان يحفظ حرمته على الأمراء بالدربة والتنزل من غير تشديد عليهم ولا اظهار عظمة أو نهى وذلك فى ابتداء أمره الى أن تمكن من قوته وبأسه * حكى شيخنا شهاب الدين أحمد بن موسى بن عبد الغفار المغربى الاصل ثم المصرى نزيل الحرمين الشريفين وهو ممن أخذنا عنه رحمه الله تعالى عن والده وكان من المباشرين أرباب الأقلام من ديوان السلطان قانصوه الغورى رحمهما الله تعالى قال اشتم الغورى منادى فتنة أراد الأمراء احداثها وأرادوا أن يجعلوها مقدمة لخلعه من السلطنة فلما استشعر الغورى ذلك منهم عمل ديوانا جمع فيه الامراء والمقدمين وأمرهم بالجلوس وجلس بينهم كأحدهم وكانت عادة الامراء والمقدمين الوقوف بين يدى السلطان ولا يجلسون معه الا على السماط فى الاكل فقط فلما أجلسهم وجلس بينهم استنكروا ذلك منه وصاروا يتفقدون عن سبب ذلك وكل مصغ الى ما يقول متوجه للسلطان غاية التوجه فقال يا أغوات جمعتكم لأسألكم سؤالا خطر لى وأطلب جوابه على الوجه الذى ترونه صوابا فقالوا نعم فقال أسألكم عن جماعة جاؤا الى رجل وناولوه صرة من الدراهم مربوطة مختومة وأودعوها عنده فقال انما استودع منكم هذه الوديعة بشرط ان تأتونى وتطلبوا وديعتكم منى بلا نزاع ولا خصومة فأردّ وديعتكم اليكم فقالوا له نعم قبلنا منك هذا الشرط وأودعوه ومضوا ثم عادوا اليه بعد مدة وقالوا نطلب الوديعة بنزاع شديد ومخاصمة ومضاربة فقال لهم هذه وديعتكم حاضرة خذوها بلا نزاع وضراب معى كما اشترطت عليكم فقالوا لا بد لنا معك من الخصام والنزاع فأيهم على الباطل وأيهم على الحق ففهموا مراده واستعفوا منه فقال لهم أنا ما جلست معكم الا لتعلموا انى كأحدكم لا أمتاز عنكم بشئ وهذه السلطنة أسلمها الا يكم أراد ولا أنازعكم فيها ولا أخاصمكم عليها وانما أنا واحد من الجند فقبل كل واحد منهم يده وأذعنوا له بالسلطنة وسألوه فى استمراره سلطانا عليهم وسكنت الفتنة بهذا التدبير وغفلوا عنه مدة واشتغلوا عنه بضرورات أخرى وطال معه الحبل الى ان صار يأخذهم واحدا بعد واحد ويتغافل ثم يجعل حيلة أخرى وعلة أخرى لاحدهم فيأخذهم بها ويوقع بين الاثنين ويأخذهما بذلك ويأخذ ذلك بهذا ويدس لهم الدسائس من السم فى الطعام ونحوه حتى أفنى قوانصهم ودهاتهم وأعدد اوعددا فصاروا يظلمون الناس ظلما ويعاملون الخلق عسفا وغشما وصار يغضى عنهم ويتغاضى لهم فأظهروا الفساد وأهلكوا العباد وأكثروا العتاد وطغوا فى البلاد وصار هو يصادد الناس ويأخذ أموالهم بالقهر والباس وكثرت العوانية فى أيامه لكثرة ما يصغى اليهم وصاروا اذا شاهدوا أحدا توسع فى دنياه وأظهر التجمل فى ملبسه أو مثواه ومشواه الى السلطان فيرسل اليه الاعوان ويطالبه بالقرض ويستصفى أمواله ويسلمه الى المسوياشى ليأخذ ماله ويهلك أهله وعياله ويعذبه بأنواع الاهجنة الى ان يصير فقيرا بعد غناه وهدما بعد ثروته واستغناه وجمع من هذا الباب أموالا عظيمة وخزائن واسعة جسيمة ذهبت فى آخر الامر سدى وتفرقت بيد العدا وتمزقت بددا وهكذا كل مال يؤخذ على هذا الاسلوب ويجمع

بهذا الطريق المنكوب لا ينفع من جمعه بل يضر صاحبه ويهلك ما معه وهيهات ان ينفع مال حصل بأنين كل حزين وسلب بالقهر والعسر من كل معلوم مسكين وكيف ينفع سالبه وما نفع صاحبه وكيف يتهنى به من اكتسبه على هذا الوجه وأبكى كاسبه

الا ان مالا كان من غير حله * سيخرب يوما أهله وأقاربه

وأما الميراث فبطل فى أيامه وصار اذا مات أحد يؤخذ ماله جميعه للسلطنة ويترك أولاده فقراء الا ان اعتنى به اعتناء كبيرا جعل له نزرا يسيرا من مال أبيه وأخذ لنفسه باقيه واشتد طمعه وكثر ظلمه فى آخر أيامه فاستجاب الله فيه دعاء المظلومين وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين * حكى لى والدى رحمه الله تعالى عن شخص مجاب الدعوة من أولياء الله تعالى انه رأى بمصر فى أيام السلطان الغورى جنديا من الجراكسة الجلبان أخذ متاعا من دلال ولم يرضه فى قيمته فتبعه الدلال يطلب حقه منه وهو ممتنع منه فقال له الدلال بينى وبينك شرع الله تعالى فضربه بالدبوس فشج رأسه وسقط الدلال مغشيا عليه ومضى الجندى بالمتاع وما قدر احد من المسلمين على منعه مما فعل قال الرجل فصعب على مشاهدة هذا الحال فرفعت يدى الى الله تعالى ودعوت على الجندى المزبور وعلى سلطانه وعلى الظلمة من أعوانه فصادف ساعة الاجابة وبت تلك الليلة على طهارة وأنا مفكر فى أمرهم وأحدث نفسى بذلك وأقول كيف يزول ملك هذا السلطان العظيم وقد ملأت جنوده الارض وانى للمسلمين بسلطان آخر يرفق بالرعايا وتطمئن فى دولته البرايا وأخذنى النوم فرأيت فيما يرى النائم ملائكة نزلت من السماء وبأيديهم مكانس يكنسون الجراسة من أرض مصر ويلقونهم فى بحر النيل فاستيقظت من النوم واذا بقارئ يقرأ القرآن فأنصت له فاذا هو يقرأ قوله تعالى فانتقمنا منهم فأغرقناهم فى اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين فعلمت ان الله يأخذهم أخذ او بيلا فما مضى قليل الا وبرز الغورى بجنوده وأمواله وخزائنه من مصر لقتال المرحوم المغفور له السلطان سليم خان الى حلب فجاء الخبر بعد قليل بأنه انكسر وقتل أكثر جنوده وفقد الملك تحت سنابك الخيل فى مرج دابق وهرب بقية السيوف من الجراكسة وصيروا الدويدار طومان باى سلطانا والسلطان سليم فى أثرهم يفتح البلاد ويضبطها الى ان وصل الى الريدانية خارج مصر فخرج اليه طومان باى ومن معه الى قتاله فاحمل هو ومن معه الاساعة وانكسر واودخل السلطان سليم خان الى مصر وضرب وطاقه فى الجزيرة الخضراء على ساحل النيل وهرب طومان باى الى البر ومسكه شيخ عرب وجاء به الى أوطاق السلطان سليم خان فأمر بصلبه فى باب زويلة حتى يراه الناس ويصدقون بأنه مسك وصاروا يزعمون بأنه اختفى ليحصل له فرصة فيخرج وكثر كلام الناس وصار مظنة الفساد وكثرة القيل والقال فأمر السلطان سليم بصلبه تسكينا للفتنة وكان صلبه فى باب زويلة فى حادى عشر ربيع الاول سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة وبصلبه انقطعت دولة الجراكسة كما انقطعت دولة غيرهم من أرباب الدول من الاتراك والاكراد والعبيديين وهكذا شأن الدنيا فى أبنائها تتقلب بهم وتتحول عنهم أى تقلب وأى تحول كما قيل

ما اختلف الليل والنهار وما * دارت نجوم السماء فى الفلك
الا لنقل السلطان من ملك * قد زال سلطانه الى ملك
وملك ذى العرش دائم أبدا * ليس بفان ولا بمشترك

وملوك الجراكسة اثنان وعشرون ملكا أولهم الملك الظاهر برقوق وآخرهم طومان باى ومدة ملكهم

مائة وثمانية وأربعون عاما وليس لطومان باى أثر لقصر أيام سلطنته وللاشرف قانصوه مآثر جميلة وعمائر حسنة جليلة رحمه الله تعالى وسامحه * ومما عمره السلطان قانصوه الغورى بمكة المشرفة باب ابراهيم بعقد كبير جعل علوه قصرا وفى جانبه مسكنين لطيفين وبيوتا معدة للكراء حول باب ابراهيم ووقف الجميع على جهات الخير ولا يصح وقف ذلك القصر لانه فى هواء المسجد وكذلك المسكنان لان أكثرهما واقع فى أرض المسجد وما أمكن العلماء ان ينكروا عليه ذلك فى أيام سلطنته ودولته لعدم اصغائه الى كلام أهل الشرع والدين وعدم اقدام العلماء على الملوك والسلاطين للطمع فى الدنيا الدنية وللخوف على مناصبهم الاعتبارية فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم * وبنى أيضا ميضأة خارج باب ابراهيم على يمين الخارج من المسجد هى بطالة الآن لان روائح عفونتها قد تصل الى المسجد فيتأذى به المصلون فأبطل وغلق قريبا فى سنة ثمانين وتسعمائة بالامر الشريف السلطانى * ومن آثار الاشرف الغورى أيضا الترخيم الواقع فى حجر البيت الشريف عمل بأمره فى أيامه واسمه مكتوب فيه وفرغ من عمله عام تسعة عشر وتسعمائة * ومن آثاره بناء سور جديد فانها كانت غير مسورة وكانت العربان فى أيام الفتنة تهجم على جدة وتنهبها وأسرت عربان زبيد فى أيام الفتن الخواجا محمد القارى وكان من أعيان التجار من أهل الاعتبار فهجموا الى بيته وأنزلوه من السطح واركبوه معهم على ظهر فرس ارتدفه واحد من زبيد وأخذوه الى أماكنهم وهو قرب عقبة السويق من درب المدينة الشريفة ومكث عندهم الى أن اشترى نفسه بثلاثين ألف درهم فردوه الى مكة بعد ان استوفوا هذا القدر منه ونهبت جدة مرارا فى الفتن التى وقعت بارض الحجاز بعد وفاة المرحوم المقدس الشريف محمد بن بركات بين أولاده وجرت أحوال يطول شرحها فارسل السلطان الغورى أحد أمرائه المقدمين وهو الأمير حسين الكردى وجهز معه عسكرا من الترك والمغاربة واللوند نحو خمسين ضربا بالدفع ضربا الغرنقال فى بحر الهند وكان مبادى ظهورهم وأمره بدفع الفتن الواقعة اذ ذاك فى جدة وجعلها له أقطاعا فلما وصل الأمير حسين الكردى الى جدة بنى عليها سورا فى سنة سبعة عشر وتسعمائة وهو الباقى الى الآن وكان ظلوما غشوما يسفك الدماء ولا يرحم من فى الأرض ليرحمه من فى السماء فاذا خيم أو طاقه فى سفر أو حضر رتب حوله اعوانه وجنوده ترتيبا خاصا الارهاب من حضر ونصب أعواد الصلب والشق والشنكلة وأقام جلادين للقتل والتوسيط والضرب والبهدلة فاى مسكين وقع فى يده قتله بادنى سبب أو عذبه بالمقارع أو صلب اظهار الناموس الفرعونى المهيب واخافة للخلق بالسياسة والترهيب كما يحكى ان الحاج دخل بلدة فصادف انسانا عند دخوله فامسكه وأمر بضربه فقال له بأى ذنب تضربنى بسببه فقال أريد ارهاب أهل البلاد فجملنى بنفسك ساعة فضربه خمسمائة سوط ثم أطلقه * وكانت للامير حسين المذكور اسمطة ممدودة فى سائر الأيام وكان اكولا بذولا للطعام سمحا فى المواكلة والاطعام يستوفى الحروف وحده مع أرغفة عدة ونفائس له معدة وكان كرديا دخيلا فى وظائف الجراكسة لا يعلا عينهم ولا يعتبرونه فيما بينهم فاراد السلطان الغورى ابعاده عنهم حماية منهم وكان معتنيا به فاعطاه بندر جدة على وجه التيمار وجهز معه عمارة ليقاتل الفرنج الذين ظهروا فى بنادر أرض الهند واستطرقوا اليها من بحر الظلمات من وراء جبل القمر التى هى منبع ماء النيل وعاثوا فى أرض الهند ووصل اذاهم وافسادهم الى بلاد العرب وبلاد اليمن وقصد السلطان الغورى دفع اذاهم عن المسلمين بارسال الأمير حسين الكردى الى جدة فلما أتى جدة سورها وبنى ابراجها واحكمها وهدم كثيرا من بيوت الناس فيما يقارب موضع السور لوضع الاساس

واستخدم عامة الناس فى حمل الحجر والطين حتى التجار المعتبرين وسائر المنتسبين وضيق على البنائين بحيث يحكى ان أحدهم تأخر قليلا عن المجىء فلما جاء أمر ان يبنى عليه فبنى عليه واستمر قبره جوف البناء الى يوم الجزاء الى غير ذلك من الظلم الشديد والجور العتيد وبنى السور جميعه فى دون عام من شدته وغشمه واقدامه وظلمه واستمر حاكما بجدة الى ان تقوى بالمال وتأثل فتوجه الى الهند فى حدود سنة احدى وعشرين وتسعمائة ودخل واجتمع بسلطان كجرات يومئذ وهو المرحوم المغفور له السلطان خليل شاه مظفر ابن السلطان محمود شاه الكجراتى فاكرمه وعظمه وأنعم عليه بنعم طائلة عظيمة جليلة ولما سمعوا الفرنج به ارتفعوا عن بنادر كجرات الى بنادر الركن وتحصنوا بقلعة متقنة محكمة لهم هناك هى تحت ملكهم الى الآن يقال لها كوة بالكاف العجمية المضمومة والواو الشديدة المفتوحة بعدها هاء ساكنة يسر الله تعالى لسلطان الاسلام وقطع بسيفه دابر الفرنج اللئام وكافة عباد الصليب والاصنام وقد احسن من قال

أعباد المسيح يخاف صحبى * ونحن عبيد من خلق المسيحا

ولم يستقر الامير حسين فى كجرات بل عاد الى اليمن وافتتح فى طريقه على عوده قلعة عين بنى طاهر ملوك اليمن ظلما وعدوانا فى سنة اثنين وعشرين وتسعمائة بعد أمور يطول شرحها وترك بها نائبا له فى زبيد اسمه برسباى جركسى وترك السلطان عامر بن عبد الوهاب وكانوا ملوكا من أهل السنة والجماعة ظاهرين فى الاعتقاد ظاهرين على أهل البدع والالحاد رحمهم الله تعالى وانقرضت به دولة بنى طاهر من اليمن وعاد الأمير حسين لمنيته وحتفه كما لباحث عنها بظلفه وقدم الى مكة وكانت دولة الجراكسة قد انقرضت بمصر وملكها السلطان سليم خان بن بايزيد خان بن محمد خان رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح الجنان وسقى عهده صوب الرضا والغفران * وتوجه سيدنا ومولانا المقام الشريف العالى سيد السادات الاشراف وتاج رؤس الشرفاء من بنى عبد مناف مولانا السيد الشريف جمال الدنيا والدين محمد أبو نمى بن بركات خلد الله سعادته وابد دولته وسيادته أرسله والده الشريف بركات ليدوس البساط السلطانى بمصر وعمره يومئذ اثنا عشر عاما فجعل له بذلك غاية التعظيم والاكرام وبلغ بذلك جميع ما طلبه ورام وعاد الى والده الشريف معززا مكرما ومعه احكام شريفة بكل ما طلبه واراده وارسل حكم الى السيد عزاز بن عجلان ابن السيد الشريف بركات رحمه الله بقتل الامير حسين الكردى المذكور وهو الذى استخرج هذا الحكم لعداوة سابقة بينه وبين الامير حسين المذكور فأخذ مقيدا الى جدة وربط فى رجله حجر كبير وغرق فى بحر جدة فى موضع يقال له ام السمك فأكلته الاسماك بعد ان كان يعد فى الاملاك وكان طعاما للحيتان بعد اطعامه الضيفان وغرق مقيدا فى الاصفاد بعد ان قتل ما شاء الله من العباد وتفرق فى البلاد جنوده واعوانه بددا ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا

(الباب السابع فى ظهور آل عثمان خلد الله سلطنتهم القائم الى آخر الزمان وذكر نبذة من مناقب اسلافهم السلاطين العظام وذكر ما عمروه فى بلد الله الحرام وفعلوا فيه من الخيرات الجسام وذكر بناء المسجد الحرام على الوضع الذى هو عليه الآن وفيه فصول)

(الفصل الاول) فى ذكر الفتح الخاقانى ودخول ممالك العرب والعجم فى سلك العثمانى ونبذة من

ذكر اسلافهم الكبار بطريق الاختصار خلد الله ملكهم العثمانى زمان وأبقى ملك الأرض فيهم وفى عقبهم الى انتهاء الدوران * لما أراد الله تعالى باهل الأرض احسانا وافضالا وقدر ظهور العدل والفضل فيهم اكراما لهم واجلالا وقضى باطفاء نيران الظلم والفتن ورفع مواد الفساد والمحن وتأييد دين الاسلام وتقوية أهل السنة المستمسكين بسنن سنن محمد عليه افضل الصلاة والسلام واقامة الشرع الشريف على رغم الملاحدة اللئام اطلع فى افق الخلافة العظمى شموس الايادى العثمانيه واسطع من أوج سماء السلطنة الكبرى بدور كمال المعدلة الخاقانية وأجلس على سرير الملك من ملكه الله اعظم ممالك الاسلام وفتح على يديه اكثر الامصار والبلاد بالسيف الصارم الصمصام والحسام الحاسم مواد ظلم الظلم من كل ظالم أو ظلام ونشر به جناح الأمن والامان على اهل الايمان من الانام فأخذ أحاسن محاسن هذا الربع المسكون وكان مظهر القول من يقول للشئ كن فيكون ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادى الصالحون واستولى بتأييد الله ونصره على شام البلاد ومصره وملأ نطع الدنيا بدماء سيف قهره كما ملأها بافاضة سيف عدله وبسبب لطفه وبره وتشرفت بذكره فى الحرمين الشريفين صدور المنابر ورؤس المنائر وعمر مساجدها وتلا غايعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الملة الحنيفية واحيى ماتها من مآثر الملك المالك الهمام والليث الباسل الضرغام السلطان الاعظم والخاقان الاكرم الافخم خير خلق خلفاء الرحمان شرف سلاطين آل عثمان السلطان سليم خان ابن السلطان محمد خان ابن السلطان بايدرم بايزيد خان ابن السلطان مراد خان ابن السلطان اورخان ابن السلطان عثمان الغازى تغمدهم الله بالرحمة والرضوان وحفهم بروائح الروح والريحان وابدلهم عما انتقلوا عنه من الملك الفانى بالملك الباقى فى غرف الجنان وابقى السلطنة فيهم خالدة تالدة الى يوم الحشر والميزان

هم معشر كلهم غاز وكلهم * خير الملوك صناديد الصناديد
أولئك الناس ان عدوا وان ذكروا * ومن سواهم فلغو غير معدود
لو خالد الدهر ذو عز لعزته * كانوا احق بتعمير وتخليد

وجده الاعلى السلطان عثمان الغازى رحمه الله تعالى اصله من التراكمة الرحالة النزالة من طائفة التتار والسلطان عثمان اول من ولى منهم السلطنة فى بلاد الروم فى سنة تسع وتسعين وستمائة وهو ابن ارطغول ابن سليمان ويتصل نسبه الى يافث بن نوح عليه السلام وهو الجد الأربعون لحضرة السلطان سليم خان ابن بايزيد خان رحمهم الله تعالى كانت أسماؤهم بلغة الترك القديم لم نذكرها العسر ضبطها وهى مذكورة فى التواريخ المذكورة وكان سليمان شاه سلطانا فى الشرق فى بلاد ماهان قرب بلخ وأخرج منها السلطان علاء الدين خوارزم شاه وتفرقت تلك الممالك وخرج سليمان شاه من بلاد ماهان بخمسين ألف بيت من التركمان الى أرض الروم ومر بحلب وعبر بحر الفرات فغرق بفرسه فى الفرات وأخرج منه الى بحر الرحمة فى أعلى الجنان ودفن امام قلعة جعبر وتفرق من معه من التركمان فى أطراف تلك البلدان وذراريهم موجودون رحالون نزالون الى الآن * وكان لسليمان شاه اربعة أولاد اثنان منهما توجها الى بلاد العجم وهما سنقدر ودندار وتوجه الى بلاد الروم اثنان وهما ارطغول ولوندر عدى وقدما على السلطان علاء الدين السلجوقى وكان سلطان بلاد قرامان وتخت ملكه قونية فاكرمهما وأذن لهما فى الاقامة فى أرضه واستأذنا منه فى جهاد الكفار واجتمع عليهما طائفة من الغزاة وصار دأبهم الجهاد فى سبيل

الله وكان مقرهم ما بين قره حصار و بلجك فى محل يقال له سكوتجك صيروه قشلاقهم وجبل بيلا بيج جعلوه بيلاقهم فسكنوهما مع مواصلة الغزاة والجهاد وقع الكفرة حول تلك البلاد الى ان توفى ارطغرول فى سنة تسع وثمانين وستمائة وخلف اولادا انجادا اشدهم باسا واقواهم جاشا وأغماهم غراسا السلطان عثمان وكان مولده فى سنة ست وخمسين وستمائة دأب فى خدمة والده فى الجهاد وتغرس فى الغزاة فى سبيل الله منذ نشأ مع الأولاد واستمر مع والده مع الكفار فى القتال والجهاد فرأى السلطان علاء الدين جده واجتهاده فى الجلاد وعلم قابليته ونجابته فى فتح أطراف تلك البلاد فاكرمه وأعزه وأمده بانواع الاعانة والامداد وأرسل اليه الراية السلطانية والطبل والزمر وسماه باسم السلطنة تقوية ليده وشدا لعضد فلما وصل الطبل والزمر عملوا نوبة بين يديه فعند أول سماعه اول صوت الطبل والزمر قام على قدميه تعظيما لذلك فصار ذلك قانونا لآل عثمان باقيا مستمرا الى الآن فانهم يقومون على اقدامهم عند ضرب النوبة على ابوابهم وكان جلوس السلطان عثمان على تخت السلطنة فى سنة تسع وتسعين وستمائة وافتتح فيها قراحصار من الكفار وأمر بصلاة الجمعة وخطب باسمه فقيه كان من اهل العلم اسمه طورسن فقيه * ثم افتتح قلعة حصار * ثم كويرى حصار * ثم قلعة بلجك * ثم قلعة ابن ادكى * ثم قلعة يوند حصار * ثم قلعة اينه كول * ثم قلعة يكى شهر * ثم زوج ولده أورخان على نيلوفر خاتون بنت تكور صاحب يارحصار فعمل أبوها سماطا عظيما فلما حضرت الغزاة انتهزوا فرصة وقتلوا تكور وافتتحوا قلعة يارحصار فدخلها السلطان عثمان وصارت من جملة مملكته واستمر فى الغزو والجهاد وافتتاح البلاد وقتل الكفار واهل العناد الى ان دعاه الله الى جنته وأبدله سلطنة خيرا من سلطنته فاجاب داعى الحق لما دعاه وبادر الى اجابته ولبى نداه فعاش سعيدا ومات شهيدا الى رحمة الله تعالى عن ست وستين عاما فى سنة خمس وعشرين وسبعمائة وكانت مدة سلطنته سبعا وعشرين سنة وكان للسيف والضيف كثير الاطعام فاتك الحسام كثير البذل واسع العطاء شجاعا مقداما على الاعداء ما خلف نقدا ولا متاعا الا درعا وسيفا يجاهد بهما الكفار وبعض خيل وقطيعا من الغنم اتخذها للضيفان وانسالها الى الآن ترعى حول بلاد بورسا أبقوها يمنا وتبركا * ثم ولى بعده السلطان أورخان الغازى * مولده سنة ثمان وسبعين وستمائة وجلوسه على تخت السلطنة بعد والده المرحوم فى سنة ست وعشرين وستمائة ومدة سلطنته خمس وثلاثون سنة وعمر ثلاثا وثمانين سنة وهو الذى افتتح بلاد بورسا وجعلها مقر سلطنته وفتح قلاعا كثيرة وله حروب مع الكفار يسمى نيلوفر صولى * وكان السلطان أورخان فاق والده فى الجهاد وفتح البلاد ففتح بورسا فى أيام والده * ثم قبون حصار وقلعة ازنيق فى سنة احدى وثلاثين وستمائة ثم قلعة كونيك وقلعة بالى كسرى ولاية قره وقلعة كوحاستى وقلعة الوباد فى سنة خمس وثلاثين وستمائة وقلعة قرجه طوزله فى سنة ست وثلاثين وستمائة وفتح عدة قلاع وحصون واتسعت مملكته ونفذت كلمته * واجتمعت ملوك النصارى وجميع الكفرة على قتال العساكر الاسلامية ودفع ضرر المسلمين عن بلادهم فاتفق قرال انكروس يعنى سلطانها وسلطان لان والسرن واجمعوا ان يتعدوا من بلاد روملى الى بلاد اناطولى ويقاتلوا السلطان أورخان فى محله وكان له ولد نجيب اسمه سليمان بك استأذن من والده ان يعدى الى روملى ويقاتل الكفار الذين اجتمعوا لقتاله قبل ان يصلوا الى اناطولى فأجازه والده لما رأى نجابته وشجاعته فتوجه مع خدامه فسمع به الغزاة فتبعه من الشجعان فوارس مخبورون وابطال مشهورون

فعدوا الى روملى فصادفوا الكفار فى غفلة وهم يريدون العبور الى جهة أناطولى فوقع بينهم حرب عظيم قتل فيه من الكفار مالا يعد ولا يحصى وانهزم الباقون الى القلاع والحصون وتبعهم المسلمون يأسرون منهم ويقتلون ونصر الله الاسلام وخذل النصارى اللئام وافتتح المسلمون عدة قلاع وحصون وآل الكفار الى الدمار والبوار ثم الى عذاب النار ورجع سليمان بك الى والده مظفرا منصورا ومؤيدا مسرورا وكان السلطان أورخان كوالده كثير الجهاد ظاهر الاعتقاد سليم الفواد عدوا لاهل الكفر والالحاد عاش سعيدا ومات حميدا فى سنة احدى وستين وسبعمائة ﴿ثم ولى بعده ولده السلطان مراد الغازى﴾ مولده سنة سبعة وعشرين وسبعمائة وجلوسه على التخت فى بروسا سنة احدى وستين وسبعمائة ومدة سلطنته احدى وثلاثون سنة وعمر خمسا وستين سنة وولى السلطنة وعمره أربع وثلاثون سنة وافتتح كثيرا البلاد منها اردنه فى سنة احدى وستين وسبعمائة وهو أول من اتخذ المماليك وسماهم ينكجرية يعنى العسكر الجديد وألبسهم اللباد المثنى الى خلف وسماهم بركا بضم الموحدة وسكون الراء آخره كاف وكانت له صولة عظيمة على الكفار واجتمعت النصارى على سلطانهم اسبوت فقاتلهم السلطان مراد قتالا عظيما فقتل سلطان الكفرة وانهزم الكفار فأظهر واحد من ملوكهم الاطاعة اسمه بلواش وتقدم ليقبل يد السلطان مراد خان فلما قرب منه اخرج خنجرا كان أعده فى كمه فضرب به السلطان مرادا فاستشهد الى رحمة الله تعالى فى سنة اثنين وتسعين وسبعمائة فصار القانون ان لا يدخل على السلطان ايلچى أو غيره بسلاح وان يفتش ثيابه وان يدخل على السلطان بين رجلين يكتنفانه ﴿وولى السلطنة بعده ولده يلدرم بايزيد خان﴾ مولده سنة ثمان وخمسين وسبعمائة وولى السلطنة وعمره اثنان وأربعون عاما ومدة سلطنته ستة عشر عاما ولما تولى استولى على كثير من قلاع النصارى وبلادهم وأراضيهم وصارت النصارى تنتمى الى بعض ملوك الطوائف فى بلاد الروم فلزم ان يستولى السلطان يلدرم بايزيد خان على ملوك الطوائف فضيق على جماعة منهم مثل ابن كريان أخذه وحبسه مع بعض وزرائه فهرب مع وزيره من الحبس ومضى الى تيمور لنك وهرب أيضا ابن مقتشا منه وحلق لحيته وحواجبه وصار فى صورة قلندرى وذهب الى تيمور وكذلك ابن ايدين هرب فى صورة سقطى يبيع الحرزات وكذلك ابن اسفنديار وغيرهم من أمراء تلك الديار وملوكها وصلوا الى تمر لنك وشكوا من السلطان بايزيد خان وحسنوا له ان يصل الى بلاد الروم فوصل الى البلاد الشامية والحلبية وقتل فيها وقتل وسفك الدماء وعاث فيها وأخذ تلك البلاد وأسر اهلها ونهب المسلمين وشرح ما فعله فى بلاد الاسلام يطول جدا وذلك مذكور فى تاريخ الاسلام للذهبى وغيره واستمر تيمور يفسد فى الارض ويقتل ويسفك الدماء الى ان وصل الى أذربيجان وخرج السلطان بايزيد لقتاله وجمع عسكر الروم ولما التقى الفئتان هرب من عساكره طائفة التتار وعسكر منتشا وعسكر كرمان وتركوا السلطان بايزيد خان وذهبوا الى تيمور ووقع الحرب الشديد وقتل من أولاد السلطان بايزيد السلطان مصطفى فشرع عسكره فى الانهزام وثبت هو وقليل من معه واستمر يقاتل الى ان وصل الى تيمور بسيفه المشهور ويقاتل بنفسه الى ان وصل الى تيمور وقد عجزوا عنه فرموا عليه بساطا وأمسكوه وحبسوه فحصل له حمى غضبية فتوفى الى رحمة الله تعالى فى سنة خمس وثمانمائة * وتسلطن بعده أولاده وهم عيسى وموسى وسليمان وقاسم وصار بينهم النزاع والقتال نحو اثنتى عشرة سنة الى ان استقل بالسلطنة * (السلطان محمد خان ابن السلطان يلدرم بايزيد خان) * وفى سنة ستة عشر وثمانمائة ومولده فى سنة سبع وسبعين وسبعمائة واستقل بالسلطنة وعمره تسع

وثلاثون سنة ومدة سلطنته تسع سنين وعاش ثمانية وخمسين عاما وكان شجاعا مقداما مجاهدا فى سبيل الله افتتح عدة قلاع وبلاد وبذل نفسه فى الغزو والجهاد ومهدها أعظم مهاد ومما افتتحه قلعة قسطمونية وقلعة أسكب وقلعة صامسون وقلعة آق شهر وغيرها وظهر فى أيامه بدر الدين بن سماونه وادعى السلطنة وجمع جمعا من مريديه فارسل السلطان محمد خان عسكرا لقتاله فقتل من مريديه نحو ثلاثة آلاف نفر ومسك بدر الدين بن سماونه وكان يرمى بسوء الاعتقاد وله رسائل فى شئ من ذلك وقد جمع بين الاصول الاشتروشية والفصول العمادية جمعا ضيق فيه العبارة وأخفى الاشارة وهو متداول بين العلماء لا يؤخذ الا باصله واما هو فلا يوثق بنقله لما يحكى عنه من انحلال العقيدة ان صح ذلك عنه وله فى الفقه متن سماه لطائف الاشارات وشرحه سماه التسهيل وله فى التصوف رسالة الواردات ورسالة مسرة القلوب ولما مسك قتل بافتاء مولانا حيدر العجمى فى سنة ثمان عشرة وثمانمائة وصلب وسكنت الفتنة * ثم خرج عليه محمد بن قرمان وأحرق بورسا فجاء السلطان محمد خان من بلاد روملى ووصل قونية ووقع بينه وبين محمد بك بن قرمان حرب عظيم مشهور انهزم فيه عسكر ابن قرمان ومسك محمد بن قرمان وولده مصطفى وأتى بهما أسيرين الى السلطان محمد خان فعاتبهما وعفا عنهما وتصدق عليهما بمملكتهما وللسلطان محمد مدارس وعمائر وأفعال خير وهو أول من عمل الصر لاهل الحرمين الشريفين من آل عثمان رحمهم الله تعالى فلما تم أجله فى أم الكتاب أراد الله نقله الى جنة المآب ودعاه من ملك الفناء الى البقاء المستطاب فعاش سعيدا ومضى حميدا وتحول من دار الفناء الى دار البقاء وان الى ربك الرجعى وكانت وفاته بمرض الاسهال فتكون له مرتبة الشهادة أيضا . وذلك فى سنة خمس وعشرين وثمانمائة رحمه الله تعالى *(وولى بعده السلطان مراد خان بن محمد خان بن يلدرم بايزيد خان)* مولده فى سنة ست وثمانمائة وجلس على تخت السلطنة وعمره ثمانية عشر عاما ومدة سلطنته احدى وثلاثون سنة وعمره تسع وخمسون سنة وكان ملكا مطاعا مقداما فاتكا شجاعا بذولا واسع العطاء عين للحرمين الشريفين من خاصة صدقاته فى كل عام ثلاثة آلاف وخمسمائة ذهب للشرفاء السادات من خزينته فى كل عام مثل فتح الفتوحات ولين الجموحات ومهد الممالك وأمن المسالك وأقام الشرع والدين وأذل الكفار والملحدين وأعز الاسلام والمسلمين * ومن جملة ما افتتحه بلاد سمندره وقلعة موره وقاتل قرال أنكروس وكسرهم وأسر منهم خلقا كثيرا واستمر يجاهد الكفار ويفتتح الديار الى ان انتشاله ولده السلطان محمد فرأى نجابته ولمح فى غرته سعادته وعرف اقباله وشهامته وأجلسه على سرير السلطنة واختار لنفسه التقاعد والفراغ فى مغنيسا بحسن رضاه *(فتولى السلطان محمد بن مراد خان فى سنة ست وخمسين وثمانمائة)* مولده فى سنة ست وثلاثين وثمانمائة وجلس على التخت وقد استكمل عشرين سنة وكانت مدة سلطنته احدى وثلاثين سنة وكان من اعاظم سلاطين آل عثمان وهو الملك ٢ الضليل الفاضل النبيل العظيم الجليل أعظم الملوك جهادا واقواهم اقداما واجتهادا واثبتهم جاشا واقواهم فؤادا واكثرهم توكلا على الله واعتمادا وهو الذى اسس ملك بنى عثمان وقنن لهم قوانين صارت كالاطواق فى أجياد الزمان وله مناقب جميلة ومزايا فاضلة جليلة وآثار لا تمحوها تعاقب السنين والاعوام وغزوات كسر بها أصلاب الصلبان والاصنام *(ومن أعظمها أنه)* افتتح القسطنطينية الكبرى وساق لها السفن تجرى رخاء برا وبحرا وهجم عليها بجنوده وأبطاله وأقدم عليها بخيوله ورجاله وحاصرها خمسين يوما أشد الحصار وضيق على من

فيها

٢ قوله الملك الضليل لا يصح هذا الاسم ان يسمى به هذا الملك الجليل اذ المقام مقام مدح والملك الضليل لقب امرء القيس بن حجر لقبوه به لانه أضل ملك آبائه وقصته مشهورة اه

فيها من الكفار والفجار وسل على من فيها سيف الله المسلول وتدرع بدرع الله الحصين المسبول ودق باب النصر والتأييد ولج ومن قرع باب ولج وثبت على متن الصبر الى ان آتاه الله بالفرج ونزلت عليه ملائكة الله القريب الرقيب بالنصر العزيز من الله تعالى والفتح القريب ففتح اصطنبول في اليوم الحادي والخمسين من أيام محاصرته وهو يوم الاربعاء العشرين من جمادى الآخرة سنة سبع وخمسين وثمانمائة وصلى في أكبر كنائس النصارى صلاة الجمعة وهي أياصوفية وهي قبة تسامي قبة السماء وتحاكي في الاستحكام قباب الاهرام وماوهت ولاوهنت كبرا ولاهرما كان ابراجها ابراج الافلاك ومسامير أبوابها نجوم السماك مزق منها جلابيب الصلبان والاصنام وخلع عليها خلع المساجد الاسلام وأبدلها الله تعالى عن الظلمات نورا وكساها بنور الاسلام شرفا وعزا وحبورا لازالت محلا للصلاة والعبادة والاعتكاف مقر الاستقرار قلوب العلماء والاصفياء والزهاد فيها والعراف مستقر السلاطين آل عثمان أهل المعدلة والانصاف أبد الآبدين ودهر الداهرين الى أن يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين * وقد أسس المرحوم المقدس في اصطنبول للعلم أساسا راسخا لايخشى على شمسه الافول وبنى بها مدارس كالجنان للعثمانية أبواب سهلة الدخول وقنن بها قوانين تطابق المعقول والمنقول وترغب في طلب العلم الشريف وتكسو الطالبين حلل القبول بعد الخمول فجزاه الله خيرا عن الطلاب ومنحه بها أجرا وأكثر ثواب فانه جعل لهم في أيام الطلب مايسد به فاقتهم وجعل لهم بعد ذلك مراتب يترقون اليها ويصعدون بالتمكن والاعتياد عليها الى أن يصلوا الى سعادة الدنيا ويتوصلون بها أيضا الى سعادة العقبى وانه رحمه الله استجلب العلماء الكبار من أقاصي الديار وأنعم عليهم وعطف باحسانه العام اليهم كولانا علي القوشجي والفاضل الطوسي والعالم الكوراني وغيرهم من علماء الاسلام وفضلاء الانام فصارت اصطنبول بهم امام الدنيا ومعدن الفخار والعليا واجتمع فيها أهل الكمال من كل فن فعلماؤها الى الآن أعظم علماء الاسلام وأهل حرفها ادق الفطناء في الانام وارباب دولتها هم أهل السعادة العظام لاسيما العلماء الاكرمين فلذها في أحيادهم هي باقية الى يوم الدين ولو ذكرت مناقبه وعددت مآثره لشحنت بها مجلدات اسكنه الله فسيح الجنات وانزل على قبره شآبيب الرحمة والبركات وكانت وفاته سنة ست وثمانين وثمانمائة * ثم ولي الملك السعيد السلطان بايزيد خان الغازي * ومولده سنة ست وخمسين وثمانمائة وجلس على تخت الملك في ثامن عشر ربيع الأول سنة ست وثمانين وثمانمائة وعمره اذذاك ثلاثون عاما وعمر اثنين وستين عاما وهو من أعيان السلاطين العظماء تفرع من شجرة زكية طيبة اصلها ثابت وفروعها في السماء وتجدر من سلالة الملوك الأكابر وورث سريرا لسلطنة كابرا عن كابر وتزينت باسمه رؤس المنابر وترشحت بذكره صدور المنابر وامتلأت بمدائح اوصافه بطون الصحف والدفاتر وافتتح الفتوحات وغزا في سبيل الله اعظم الغزوات * فمما افتتحه قلعة ملوان وقلعة كوكلك وقلعة آق كرمان في سنة ثمان وثمانين وثمانمائة وقاتله اخوه السلطان جم فبرز السلطان بايزيد لقتاله وتقاتلا فانهزم السلطان جم وفر الى مصر وحج في زمن السلطان قايتباي وعادوا كرمه السلطان قايتباي اكراما زائدا فذهب الى ورسق وجمع طائفة من الغواة ونازع اخاه على الملك فقاتله السلطان بايزيد فانكسر السلطان جم ثانيا وفر الى بلاد النصارى في سنة سبع وثمانين وثمانمائة فأرسل اليه السلطان بايزيد أحد عبيده في صورة حلاق مجهول فلما رآه السلطان جم تأنس به وسأله

عن صنعته فقال حلاق فاستخدمه وأمره أن يحلق رأسه فحلق رأسه بموسى مسموم وهرب فى الحال وأثر السم فى رأسه وسرى الى بدنه فمات الى رحمة الله تعالى وله أشعار لطيفة بلسان التركى * ومما افتتحه السلطان بايزيد من القلاع العظيمة والحصون المحكمة القديمة قلعة منون وقلعة قرون وغير ذلك من القلاع والحصون وظهر فى أيامه فى بلاد العجم شاه اسماعيل ابن الشيخ حيدر ابن الشيخ جنيد الصوفى فى سنة خمس وتسعمائة * وكان الشيخ حيدر ابن الشيخ جنيد الصوفى له ظهور عجيب واستيلاء على ملوك العجم بعد من الاعاجيب فتك فى البلاد وسفك دماء العباد وأظهر مذهب الرفض والالحاد وغير اعتقاد أهل العجم الى الانحلال والفساد بعد الصلاح والسداد وأخرب بلاد العجم وأزال من أهلها حسن الاعتقاد والله يفعل فى ملكه ما أراد وتلك الفتنة باقية فى تلك البلاد وشرح ذلك يحتاج الى تاريخ مستقل ولا أعلم أحدا تعرض له من العلماء الامجاد * وظهر من اتباع شاه اسماعيل المذكور فى بلاد الروم شخص ملحد زنديق يقال له شيطان قولى أهلك الحرث والنسل وعم بالفساد والقتل وتبعه غواة لا تحصى وقويت شوكته وعظمت به فى ذلك القطر الفتنة فأرسل السلطان بايزيد وزيره الأعظم على باشا بعسكر كثير لقتال هذا الباغى وأيده بجيش عظيم لقطع جادرة هذا الطاغى فاستشهد على باشا فى ذلك القتال وانكسر شيطان قولى المفسد التعيس وعسكره من جنود ابليس وقتل مع طائفة من أعوان الأبالسة وأسكن الله تلك الفتنة بعد ما طمت وكفى الله شر أولئك الاشرار بعد ما عظمت فتنتهم وعمت وذلك فى سنة خمس عشرة وتسعمائة * وكان السلطان بايزيد رحمه الله وجعل الجنة مثواه من المجاهدين فى سبيل الله الذين لا يزالون على الحق ظاهرين على من ناواهم منصورين على من شق عليهم العصا وعاداهم يجاهدون لتكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى فما زال غازيا فى سبيل الله مظفرا منصورا على أعداء الله الى ان صارت بيضة الاسلام بسيوفه محمية محفوظه وحركاته وسكناته بعين عناية الله واعانته منظورة ملحوظه فكانت أيامه من أحسن الأيام وأكثرها أمنا وراحة وجمع قلب للانام وكانت به كلمة الاسلام مجموعه وكلمة اهل الضلال خاسئة مقموعه وتولى الله على يديه اعزاز دينه واذلال طواغيت الشرك وشياطينه وكان مع ذلك محبا لفعل الخيرات مثابرا على بذل الاطعام والصدقات دخل الخلوة فأجلس أربعين وارتاض مثل الصلحاء السالكين ودخل معه الخلوة مولانا والدأبى السعود أفندى المفتى المفسر رحمه الله تعالى وبنى الجوامع والمدارس والعمارات ودار الضيافات والتكايا والزوايا والخانقاهات ودار الشفاء للمرضى والحمامات والجسور ورتب للمفتى الأعظم ومن فى رتبته من العلماء العظام فى زمنه كل عام عشرة آلاف عثمانى ولكل واحد من مدرسى اليمانية من مدارس والده المرحوم السلطان محمد خان فى كل عام سبعة آلاف عثمانى ولكل واحد من مدرسى شرح التحرير الفى عثمانى وكذلك رتب لمشايخ أهل الطريق من الله ومريديهم وأهل الزوايا لكل واحد على قدر مرتبته وصار قانونا جاريا بعده مستمرا وكان يحب أهل الحرمين الشريفين ويحسن اليهم احسانا كبيرا ورتب لهم الصرف فى كل عام وكان يجهز لفقراء الحرمين الشريفين فى كل سنة أربعة عشر ألف دينار ذهبا يصرف نصفها على فقهاء مكة ونصفها على فقهاء المدينة وكانوا يستعينون بها ويرتفقون بها ويدعون له واذا ورد عليه من أهل الحرمين الشريفين أحد ينعم عليه ويحسن اليه ويرجع من عنده بصلاة عظيمة ومواهب جليلة وممن ورد عليه فى شبابه خطيب مكة المرحوم الشيخ محيى الدين بن عبد

القادر

القادر بن عبد الرحمن العراقي والشيخ شهاب الدين بن الحسين العليف شاعر البطحاء وفاضلها ونالا منه خيرا كثيرا وصنف العليف تاريخا سماه الدرّ المنظوم في مناقب السلطان بايزيد خان ملك الروم لا يخلو من فوائد لطيفة * ومما نظمه الشهاب العليف في مدحه رحمهما الله تعالى من قصيدة رائية طنانة مطلعها

خذوا من ثنائي موجب الحمد والشكر * ومن درّ لفظي طيب النظم والنثر

(ومنها)

فيارا كبا يسري على ظهر ضامر * الى الروم يهدي نحوها طيب البشر
لك الخير ان وافيت برصى فسرّ بها * رويد الاصطنبول سامية الذكر
له املك لا يبلغ الوصف كنهه * شريف المساعي نافذ النهي والأمر
الى بايزيد الخير والملك الذي * حمى بيضة الاسلام بالبيض والسمر
وجرد للدين الحنيفي صارما * أبادبه جمع الطواغيت والكفر
وجاهدهم في الله حق جهاده * رجاء لما يبغي من الفوز بالأجر
له هيبة تملا الصدور وصولة * مقسمة بين المخافة والذعر
أطاع له ما بين روم وفارس * ودان له ما بين برصى الى مصر
هو البحر الا انه دائم العطا * وذلك لا يخلو من المدّ والجزر
هو البدر الا انه كامل الضيا * وذاك خليف النقص في معظم الشهر
هو الغيث الا أن للغيث مسكة * وذا لا يزال الدهر يهمل بالقطر
هو السيف الا ان للسيف نبوة * وفالا وذا ماضي العزيمة في الأمر
سليل بني عثمان والسادة الأولى * علا مجدهم فوق السماكين والنسر
ملوك كرام الأصل طابت فروعهم * وهل ينشب الدينار الا الى التبر
محوا أثر الكفار بالسيف فاغتدت * بهم حوزة الاسلام سامية القدر
فيا ملكا فاق الملوك مكارما * فكل الى أدنى مكارمه يجري
لئن فقتهم في رتبة الملك والعلا * فان الليالي بعضها اليلة القدر
فدتك ملوك الأرض طرا لأنها * سرار وأنت البدر في غرة الشهر
تعاليت عنهم رفعة ومكانة * وذاتا وأوصافا تجل عن الحصر
لك الغرة القعساء والرتبة التي * قواعدها تسمو على منكب النسر
سموت علوا اذ دنوت تواضعا * وقمت بحق الله في السر والجهر
غدت بك اهل الروم تزهو وملاحة * وترفل في ثوب الجلالة والفخر
ألست ابن عثمان الذي سار ذكره * مسير ضياء الشمس في البر والبحر
يمينك تروى عن يسار وتائل * ووجهك يروى في البشاشة عن بشر
واني لصوان لدرّ قلائدي * عن المدح الا فيك يا ملك العصر
فقابل رعاك الله شكري بمثله * فانك للمعروف من أكرم الذخر
فلازلت محروس الجناب مؤيدا * من الله بالتوفيق والعز والنصر

ويحكى أن القصيدة لما وصلت اليه فرح بها كثيرا وأمر لصاحبها أحمد العليف بألف دينار ذهبا جائزة ورتب له فى دفتر الصرف فى كل عام مائة دينار ذهبا تصل اليه فى كل عام وصارت بعده الى أولاده * وكان للمرحوم السلطان عدة أولاد صاروا ملوكا وصار لأولادهم أولاد فمنهم السلطان جهان شاه والسلطان أحمد والسلطان قورقند والسلطان سليم والسلطان محمود والسلطان عبد الله والسلطان علم شاه وكان أنجبهم وأمجدهم وأعزهم وأسعدهم وأكملهم وأرشدهم السلطان سليم شاه وكلهم أعلام الهدى ومصابيح الدجا ونجوم لرجوم شياطين العدا نشأوا فى مهد السلطنة وحجرها وتعواما بين سحرها ونحرها من شجرة طاب عودها واعتدل عمودها ولا غرو ان يجود الجواد كأصله وتلوح مخايل الليث على شبله والولد سر أبيه فى فضله ونبله وكل شئ فى الحقيقة يرجع الى أصله

ملوك بنى عثمان من كان أصلهم * كرام لهم فى المكرمات مفاخر
اذا ولد المولود منهم تهللت * له الأرض واهتزت اليه المنابر

ولما ترعرعوا وبرعوا أخرجهم والدهم الى السناجق العالية فى بلاد الروم وأنعم عليهم بالولايات العظام وحفظ بهم ملك الاسلام وقلدهم الأمور الجسام فجعل لأكبر أولاده السلطان أحمد مملكة أماسيه وماوالاها وكان يتوقع منه أن يكون ولى عهده ويأبى الله الا ما أراد وأنعم على السلطان جهان شاه بمملكة قرمان وأعمالها وولى السلطان قورقند مملكة منتشا وتوابعها وجعل للسلطان سليم مملكة طوابزون وهو الذى جرى حلبة السعادة فبسق وسبق فى علم الله تعالى سلطنته فكان أولى من الجميع وأحق وأعطى السلطان محمد مملكة الكفار وما يليه من بلاد التتار وكلهم ملوك ابرار وسلاطين بكار

من تلق منهم فقل لاقيت سيدهم * مثل النجوم التى يهدى بها الساري

وأسعد الله جهان شاه ومحمدا وأحمد بالوفاة فى حياة والدهم وكفاهم الله تعالى القتل والقتال وصار حال ماعدا السلطان سليم الى ما حال رحم الله تعالى جميع أولئك الابطال وعوضهم عن سلطنة هذه الدار جنات تجرى من تحتها الانهار * وكان والده السلطان بايزيد خان استولى عليه مرض النقرس وهو أكثر مرض آل عثمان رحمهم الله تعالى فضعف عن الحركة وترك السفر سنين متعددة فصار العسكر لبطرهم وكثرة راحتهم وسكونهم يطلبون سلطانا شابا قوى الحركة كثير الاسفار ليجاهد بهم فى سبيل الله تعالى ويغنمون من الكفار غنائم ورأوا أن السلطان سليم خان أجلد من سائر اخوانه واقوى على ذلك لقوة جنانه وعلو شانه فمالوا اليه ومال اليهم وتوجه بالعطف والحنو عليهم وخرج على والده محاربا وركب عليه مقاتلا ومغاضبا فقاتله أبوه فهزمه وولى هاربا ثم عطف على والده ثانيا لما رأى ميل العسكر اليه واختيارهم له على والده واجتماعهم عليه ورأى السلطان بايزيد توجه أركان الدولة والعسكر الى السلطان سليم واشار عليه وزراؤه أن يفرغ عن السلطنة للسلطان سليم بقلب سليم ويختار التقاعد فى أدرنه فى عز وتعظيم وأبرموا عليه فى ذلك فارآى بدا فى اجابتهم الى ماسألوا ووافقتهم الى ماطلبوا وأملوا فطلبوه الى حضوره وعهد اليه السلطان بالسلطنة وسلم اليه التخت وتوجه مع خدامه الخواص الى ادرنه فلما وصل الى قرية جورلو انكسر زجاج مزاجه وعجز الاطباء فى علاجه وسقاه ساقى الحمام كأس أجله المحتوم فسلم الى قابض الأرواح روحه المرحوم وأقدم على الله تعالى الحى القيوم ورزق مرتبة الشهادة ونال بها أعلى درجات السعادة وانتقل من الملك الزائل الفانى الى الملك الدائم الباقى وكان ذلك فى سنة ثمان عشرة وتسعمائة ﴿ وولى

موضعه السلطان الأعظم السلطان سليم خان ﴾ كاسر سلطان العجم وفاتح اقليم مصر وسائر ممالك العرب طيب الله ثراه وجعل الفردوس الاعلى محله ومأواه * مولده فى أماسيه سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة وجلس على تخت السلطنة وعمره ست وأربعون سنة وكانت مدة سلطنته تسع سنين وكان عمره جميعا اربعا وخمسين سنة لم يعمر أكثر من ذلك ولم تطل مدة سلطنته لانه كان كثير القتل وهذه عادة الله فى السلاطين والامراء والحكام اذا أكثروا سفك الدماء وكان سلطانا قهارا ملكا حمارا كثير السفك قوى البطش عظيم الفتك كثير التجسس عن أخبار الناس شديد التوجه الى أهل النجدة والناس عظيم التجسس عن اخبار الممالك عارفا بمسارب الطرق والمسالك وكان يغير زيه ولباسه ويتجسس بالليل والنهار ويطلع على الاخبار ويستكشف الاسرار وله عدة مصاحبين يدورون حول القلعة وفى الأسواق وفى الجمعيات والمحافل ومهما سمعوا به ذكروا له فى مجلس المصاحبة فيعمل بمقتضى مايسمع بعد الوثوق منهم وقد أدركت جماعة منهم من مصاحبيه المذكورين وسمعت منهم حسن مصاحبة السلطان سليم المرحوم معهم ولطف معاشرته لهم وشدة تيقظه ودقة فهمه وتحفظه مع كثرة مطالعته للتواريخ وتفرسه فى اللغة الفارسية وحسن نظمه بالفارسية والرومية بحيث فاق فيه فصحاء الطائفتين ورأيت بيتين بالعربى بخطه الشريف كتبهما فى علو المقياس فى الكوشك الذى أمر ببنائه لما افتتح مصر وسكن الروضة قد انمحى لطول الزمان مداده ومال الى لون البياض سواده وكان هذا الكوشك محترما معظما لا يصل اليه أحد لعظمة بانيه ولا يتبذل بالدخول اليه لعظمة راعيه فدخلت الى مصر فى سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة وكان يوم كسر النيل السعيد ففتحوا هذا الكوشك لبكاريكى مصر يومئذ خسرو باشا وكنت مصاحبا لمعلم مولانا عبد الكريم العجمى فطلع وأطلعنى معه فى صحبته خسرو باشا المذكور فرأيت على الرخام الابيض كتابة خفية لا تكاد تظهر الا بتأمل هذين البيتين

الملك لله من يظفر بنيل منى * يرده قسرا ويضمن بعده الدركا
لو كان لى أو لغيرى قدر أنملة * فوق التراب لكان الأمر مشتركا

وكتبه سليم بذلك الخط والقلم ولعمرى ان كان هذان البيتان من نظم المرحوم فهما غاية فى البراعة ونهاية فى التمكن من الصناعة فيدل على تمكنه رحمه الله فى اللسان العربى أيضا لانهما من أعلى طبقات الشعر العربى البليغ المنسجم وان كان قد تمثل بهما وهما لغيره فهذه أيضا مرتبة علية فى حسن التمثيل وحسن الاستحضار وفهم الاشعار العربية وذوقها وهذا القدر يستكثر على علماء الروم وعلماء العجم المكبين على علوم العربية فضلا عن سلاطينهم المشغولين بضبط الممالك وفتحها والفائقون فى ذوق الشعر العربى وحسن آدابه من العلماء والموالى فى غاية القلة معدودين منهم ولا يعد هذا نقصا فيهم لأن فهم الشعر العربى على وجهه كما ينبغى قليل أيضا فى علماء العرب الا من توغل منهم فى علم الادب وتعب فى تحصيله ودأب

وقد كانوا اذا عدوا قليلا * وقد صاروا أقل من القليل

﴿ ثم لما استولى ﴾ السلطان سليم خان على سرير السلطنة وفرغ من دفن والده توجه الى قتال أخيه السلطان أحمد ففر لهيبة السلطان سليم عسكر أحمد وبقى فى عدد قليل فاخذ أسيرا وأتى به أسيرا الى السلطان سليم فامر بخنقه فخنق بوتر فى تاسع صفر سنة تسع عشرة وتسعمائة * ثم فر السلطان قورقند

الى كهف جبل وأراد التسحب منه الى مكان سحيق فعرف مكانه فسك وجى به اليه فخنق وكذلك بالسلطان محمد ابن السلطان شهنشاه والسلطان عثمان ابن السلطان علم شاه والسلطان مصطفى والسلطان أورخان والسلطان سليمان أولاد السلطان محمود وسبعة أولادكلهم رضع فى المهد خنقهم فى ليلة واحدة فى بورسا فكانت ليلة ملئت البلاد بكاء وعويلا وصراخا عظم من صراخ الثكلى وماتماطويلا بكت فيها حتى الحجارة تتفجر منها مدامع الانهار وتشقق ثيابها حتى كمائم الازهار ولطم الخدود حتى انشقت الوان أحمر ثم أسود ولبس حتى الليل ثياب الحداد وتعمم بالاسود وكان أمر الله قدرا مقدورا وسيف الفنا بيد القضاء ماضيا مشهورا

فلا المعزى بباق بعد ميتة * ولا المعزى ولو عاشا الى حين

﴿فلما استقر﴾ للسلطان سليم الملك وهيأت اين الاستقرار وثبت على تخت السلطنة وانى له بالثبات والقرار شرح فى قهر الملوك وأخذ الممالك والاستيلاء على الاقاليم والبلدان والممالك فبدأ بقتال شاه اسمعيل ابن الشيخ حيدر الصوفى كما سنذكره مجملا من ذلك فى هذا الفصل الثانى فانى ما ظفرت بكتاب فيه تفصيل ذلك وانما تلقيته من أفواه الرجال وأخبرنى ثقة من أعيان كتبة الديوان الشريف على ان السلطان بايزيد رحمه الله تعالى حذره منجم حاذق من أهل عصره وان هلاكه يكون على يد ولد يولد له بعد ما ولد له عدة أولاد وكان تحذيره له قبل ان يولد السلطان سليم فطلب امرأة معتمدة عنده بيدها جوار يه الموطوءات وهى قابلة لمن تضع حملها منهن وكانت من الصالحات الخيرات الدينات فقال لها اذا وضعت احدى الجوارى بعد الآن صبيا فاقتليه ولا تبقيه حيا واذا وضعت انثى اتركيها تعيش معنا فى وأكد عليها فى ذلك غاية التأكيد فاستمرت على ذلك الى ان ولدت السلطان سليم والدته فرأته صبيا فحزنت عليه وتناولته القابلة لتخنقه فرأت صورة جميلة فرقت وقالت بأى وجه ألقى الله تعالى فى قتل هذا الطفل المعصوم والله لا أقدم على قتله وقالت بايزيد قد حصل له بنت جميلة حسنة الصورة فلما أخبر بذلك سماها سليمة واستمر على ذلك والحال مكتوم لا يعلم غير الله تعالى والقابلة والام وصار كلما ظهر وانتشأ ظهر عليه سيما الغلبة والقهر واذا اجتمعت البنات وجلسن بينهن لطم من الى جانبه وضرب ونهب ما وجد بايديهن من ملعوبات الاطفال وكانوا يحذرون منه فدخل السلطان بايزيد فى يوم عيد الى داخل السرايا وأمر بالمكان فزين واستدعى كل واحدة منهن أنواع الحلوى والفواكه وأحضر بينهن السلطان سليم واسمه سليمة فشرع فى مداعبته على عادته وخطف ما بين أيديهن من الحلوى والفواكه ووضع الكل بين يدى نفسه والكل خائفات منه هائبات له فتعجب بايزيد لذلك وصار يتأمله جدا وفى أثناء ذلك دار حولهم يعسوب كبير أراد امساكه فعجزوا عنه وهو يلسع من يريد مسكه فيهربون منه فمد السلطان سليم يده اليه وهو طائر حوله فصاده بكفه ومرسه وخبصه ورماه من يده فتعجب السلطان بايزيد منه وقال للنساء الواقفات هذا لا يكون بنتا اكشفوا لى عنه فبادرت القابلة وقالت نعم هذا صبى وليس ببنت فقال لها وكيف خالفتى أمرى وما قتلتيه فقالت خفت من الله رب العالمين وخلصت ذمتك وذمتى من قتل معصوم لا ذنب له فتفكر طويلا ثم قال ما قدر الله فهو كائن لا مفر عنه وأمر بالكف عنه وتربيته الى ان كان ما كان بتقدير الله تعالى

﴿الفصل الثانى فى قتال شاه اسمعيل وانهزامه﴾ هو شاه اسمعيل ابن الشيخ حيدر ابن الشيخ جنيد ابن الشيخ ابراهيم خواجا على ابن الشيخ صدر الدين موسى ابن الشيخ صفى الدين بن اسحق الاردبيلى واليه

تنسب

تنسب الأولاد فيقال لهم الصوفيون وكان الشيخ صفى الدين صاحب راوية فى أردبيل وله سلسلة فى المشايخ أخذ عن الشيخ زاهد الكيلانى وتنتهى بوسائط الى الامام أحمد الغزالى وتوفى الشيخ صفى الدين فى سنة خمس وثلاثين وسبعمائة وهو أول من ظهر منهم بطريق المشيخة والتصوف وأول من اختار مسكن اردبيل وبعد موته جلس فى مكانه الشيخ صدر الدين موسى وكانت السلاطين تعتقد فيه وتزوره وممن زاره والتمس بركته تيمور لما عاد من الروم وسأله ان يطلب منه شيأ فقال اطلب منى ان تطلق كل من أخذته من بلاد الروم سركانا فأجابه الى سؤاله واطلق السركن جميعهم فصار أهل الروم يعتقدون الشيخ صدر الدين وجميع المشايخ الاردبيلين من ذريته الى الآن وحج والده السلطان خواجا على وزار النبى صلى الله عليه وسلم وتوجه الى زيارة بيت المقدس وتوفى هناك وقبره معروف فى بيت المقدس * وكان ممن يعتقده ميرزا شاه رخ ابن تيمور ويعظمه فلما جلس الشيخ جنيد مكان والده فى الزاوية بأردبيل كثر مريدوه واتباعه فى اردبيل فتوهم منه صاحب اذربيجان يومئذ وهو السلطان جهان شاه قرا يوسف التركمانى من طائفة قراقونيلو فاخرجهم من أردبيل فتوجه الشيخ جنيد مع بعض مريديه الى ديار بكر وتفرق عنه الباقون وكان من أمراء ديار بكر يومئذ عثمان بك بن على بك من طائفة آق قونيلو جد اوزن حسن بك البهاندرى وهو أول من تسلطن من طائفة آق قونيلو جد اوزن حسن بيك وولى سنة وأخذ واملاك فارس من طائفة قراقونيلو وأول سلاطينهم قراقونيلو وآخر سلاطينهم قرا يوسف بن قرا محمد التركمانى ومدة سلطنتهم ثلاث وستون سنة وانقرض ملكهم على يد أوزن حسن بك المذكور فى شوال سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة * وكان أوزن حسن بك ملكا شجاعا مقداما مظفرا فى حروبه ميمونا فى نزوله وركوبه الا انه وقع بينه وبين السلطان محمد ابن السلطان مراد خان حرب عظيم فى بايبرت فانكسر أوزن حسن بك وقتل ولده زنيل بك وهرب هو وسلم من القتل وعاد الى أذربيجان وملك فارس والعراقين ولما التجأ الشيخ جنيد الى طائفة آق قونيلو أصاهرة أوزن حسن بك وزوجه بنته خديجة بيكم فولدت له الشيخ جنيد ولما استولى أوزن حسن على البلاد وطرد عنها ملوك قونيلو وأضعفهم عاد الشيخ جنيد مع ولده الشيخ حيدر الى أردبيل وكثر مريدوه واتباعه وتقوى بأوزن حسن بك لانه صهره فلما توفى حسن بك ولى موضعه السلطان خليل ستة أشهر ثم ولده الثانى السلطان يعقوب فزوج بنته حليمة بيكم من الشيخ حيدر فولدت له شاه اسمعيل فى يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من رجب سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة وكان على يديه هلاك ملوك العجم طائفة آق قونيلو وقراقونيلو وغيرهم من سلاطين العجم كما هو معروف مشهور * وكان الشيخ جنيد جمع طائفة من مريديه وقصد قتال كرجستان ليكون من المجاهدين فى سبيل الله فتوهم منه سلطان شروان فخرج الى قتاله فانكسر الشيخ جنيد وقتل وتفرق مريدوه ثم اجتمعوا بعد مدة على الشيخ حيدر وحسنوا له الجهاد والغزاة فى حدود كرجستان وجعلوا لهم رماحا من أعواد الشجر وركبوا فى كل عود سنانا من حديد وتسلحوا بذلك وألبسهم الشيخ حيدر تاجا احمر من الجوخ فسماهم الناس قزلباش وهو اول من ألبس الناس التاج الأحمر لاتباعه واجتمع عليه خلق كثير فارسل شروان شاه الى السلطان يعقوب بن اوزن حسن يخوفه من خروج حيدر على هذه الصفة فارسل اميرا من امرائه اسمه سليمان باربعة آلاف نفر من العسكر وامره ان يمنعهم من هذه الجمعية فما اطاعه فاتفق مع شروان شاه فقاتلاه ومن معه فقتل الشيخ حيدر وأسر واولده شاه اسمعيل وهو طفل وأسر معه اخوته وجماعته وجاءبهم سليمان بك الى السلطان

يعقوب فارسل بهم الى قاسم بك الغرناك وكان حاكم شيرازمن قبل السلطان يعقوب وأمره أن يحبسهم فى قلعة اصطخر فحبسهم بها واستمروا الى أن توفى السلطان يعقوب فى سنة ست وسبعين وثمانمائة ﴿وولى بعده السلطان رستم﴾ ونازعه فى السلطنة اخوته وتفرقت المملكة واستقل فى كل قطر واحد من أولاد السلطان يعقوب ثم توفى السلطان رستم ﴿وولى مكانه السلطان مراد بن يعقوب﴾ والوند بك بن عمه وكان شاه اسمعيل فى لاهجان فى بيت صائغ فى بيت يقال له نجم زركر وبلاد لاهجان فيها كثير من الفرق الضالة كالرافضة والحرورية والزيدية وغيرهم فتعلم منهم شاه اسمعيل فى صغره مذهب الرفض فان أباه كان شعارهم مذهب السنة السنية وكانوا مطيعين منقادين لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يظهر الرفض غير شاه اسمعيل وتطلبه من أمراء الوند بيك جماعة وطلبوه من سلطان لاهجان فابى أن يسلمه لهم وأنكر وحلف لهم انه ماهو عندى وورّى فى يمينه وكان مختفيا فى بيت نجم زركر وكان يأتيه مريدو والده خفية ويعتقدون فيه ويطوفون بالبيت الذى هو ساكن فيه الى ان اراد الله بما اراد وكثرت داعية الفساد واختلت احوال البلاد باختلاف السلاطين وكثرة المضادين العباد لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وحينئذ كثر اتباع شاه اسماعيل فخرج هو ومن معه من لاهجان واظهر الخروج لثار والده وجده فى أواخر سنة خمس وتسعمائة وعمره يومئذ ثلاثة عشر سنة وقصد مملكة شروان لقتال شروان شاه قاتل ابيه وجده وكلما سار منزلا كثر عليه داعية الفساد واجتمع عليه عسكر كثير الى ان وصل الى بلاد شروان فخرج لمقاتلته فانكسر عسكره وأتوا به شاه اسماعيل اسيرا فامر ان يضعوه فى قدر كبير ويطبخوه ويأكلوه ففعلوا كما امروا كلوه * وكان ذلك اول فتوحاته ثم توجه الى قتال الوند بيك فقاتله وانهزم منه واستولى على خزائنه وقسمها فى عسكره وصار يقتل من ظفر به قتلا ذريعا ولا يعسك شيأ من الخزائن بل يفرقها فى الحال ثم قاتل مراد بك ابن السلطان يعقوب فهزمه وأخذ خزائنه وفرقها على عسكره ثم صار لا يتوجه الى بلاد الا يفتحها ويقتل جميع من فيها وينهب جميع أموالهم ويفرقها الى ان ملك تبريز واذربيجان وبغداد وعراق العرب وعراق العجم وخراسان وكاد أن يدعى الربوبية وكان له عسكر يأتمرون بأمره ويقتل خلقا لا يحصون يزيد على الف الف نفس بحيث لا يعهد فى الاسلام ولا فى الجاهلية ولا فى الامم السابقة من قتل من النفوس ماقتله اسماعيل شاه وقتل عدة من اعاظم العلماء بحيث لم يبق احدا من أهل العلم فى بلاد العجم واحرق جميع كتبهم ومصاحفهم لانها مصاحف اهل السنة وكلما مر بقبور المشايخ نبشها واخرج عظامهم وأحرقها واذا قتل أميرا من الامراء اباح زوجته واموال الشخص آخر * ومن جملة مضحكاته * انه جعل كلبا من كلاب الصيد أميرا ورتب له ترتيب الامراء من الخدم والكواخى والسماط والكيلار والاوطاق والفرش الحرير ونحو ذلك وجعل له سلاسل الذهب ومرتبة ومسندا يجلس عليه كالامراء وسقط منديل من يده الى البحر وكان فى جبل شاهق مشرف على البحر المذكور فرمى نفسه خلف المنديل من عسكره فوق الف نفس تحطموا وتكسروا وتفرقوا وكانوا يعتقدون فيه الالوهية وانه لا ينكسر ولا ينهزم الى غير ذلك من الاعتقادات الفاسدة * فلما وصلت اخباره الى السلطان سليم خان تحركت فيه قوة العصبية الغضبية واقدم على نصر السنة الشريفة السنية وعد هذا القتال من اعظم الجهاد وقصد ان يمحو من العالم هذه الفتنة وهذا الفساد وينصر مذهب اهل السنة الحنيفية على مذهب اهل البدع والالحاد ويأبى الله الا ما أراد فتهيأ السلطان بخيله ورجله

وعساكره المنصورة ورحله وتهيأ لقتاله واقدم على جلاوه وجداله وهو يجر بخميس العرمرم
ويصول بسيف عزمه ويقدم ويتقدم الى أن تلاقى العسكران فى قرب تبريز ورتب السلطان عسكره
ونزل من عند الله النصر القريب والفتح العزيز فتجالد الفريقان وتطارد الفرسان وتعانق الشجعان
يهدرون كالبخاتى الفوالج فوق البحور الموائج وتصادمت فرسان الزحف والصيال وتصادم
أطواد الجبال وصارت نجوم الأبطال رجوم البطش والقتال فزلزلت الأرض زلزالها وأخرجت
الأرض أثقالها وخيلت المعركة سماء غمامها القسطل وصواعقها بروق البيض من بريق الصيقل
ورعودها صليل السيوف فى أعناق الخفل وغيومها صبيب الدم من أوداج رؤس تحز وتفصل واجاد
المدافع كجلمود صخر حطه السيل من عل الى ان طارت قلوب الاعداء هوا وذهبت قواهم هبا وولوا
على ادبارهم ادبارا وانهزم شاه اسماعيل وولى فرارا ولم يجد من دون الله انصارا وضاقت الارض
حتى ان هاربهم اذا رأى غير شئ ظنه رجلا وقتل غالب جنوده وأمرائه وساقت العساكر المنصورة
العثمانية من ورائه وكادوا ان يقبضوا عليه ففر من بين ايديهم وهم ينظرون اليه وترك ما تخوله فى مخيمه
من آثاث نجلائه وكان لا نظير له فاغتنمه عسكر السلطان سليم ووطئت حوافر خيله أرض تبريز
فنهبى فيها وأمر وقتل من أراد وأسر وأعطى الرعية تمام الأمن والأمان ونشر فيها أعلام أهل
الايمان وأخذ من أراد منهم من الأفاضل المتميزين فى الصنائع والفضائل والشعراء الاماثل وساقهم
سركا الى اصطنبول على القانون وأراد ان يقيم فى تبريز للاستيلاء على أقليم العجم والتمكن من تلك
البلاد على الوجه الاتم فما أمكنه ذلك لكثرة القحط واستيلاء الغلاء بحيث بيعت العليقة بمائتى درهم
وسبب ذلك ان القوافل التى كان أعدها السلطان سليم لان تتبعه بالميرة والعليق والمؤن تخلفت عنه
فى محل الاحتياج اليها وما وجد وافى تبريز شيأ من المأكولات والحبوب لان شاه اسماعيل أمر باحراق
أحران الحب والشعير وغير ذلك واضطر السلطان سليم الى العود من تبريز الى بلاد الروم وتركها خالية
خاوية على عروشها ثم تفحص عن سبب انقطاع القوافل عنه فأخبر ان سبب ذلك سلطان مصر قانصوه
الغورى فانه كان بينه وبين شاه اسماعيل محبة ومودة ومراسلات بحيث انه كان السلطان الغورى
يتهم بالرفض فى عقيدته بسبب ذلك فلما ظهر للسلطان سليم خان ان الغورى هو الذى أمر بقطع القوافل
عنه صمم على قتال السلطان الغورى أولا وبعد الاستيلاء عليه وعلى بلاده يتوجه الى قتال
شاه اسمعيل ثانيا * فلما استقر عليه ركاب السلطنة الشريفة العثمانية فى تخت ملكها الشريف
تهيأ لأخذ مصر وازالة دولة الجراكسة وتوجه بعسكره الجرار الى ناحية حلب فى سنة اثنين وعشرين
وتسعمائة وخرج الى قتال قانصوه الغورى بجميع عساكره من الجراكسة وغيرهم وتلاقى العسكران
بقرب حلب فى مرج دابوم * وكان الغورى يتوهم ويخاف على نفسه من ملك الامراء خير بك
ومن جان بردى بك الغزالى وكانا يكرههما فى الباطن ويكرههما كذلك فأمرهما ان يتقدما لقتال
السلطان سليم وجعلهما وعسكرهما حجابا أمامه ووقف الغورى بخواص عسكره الذى يعتمد عليه من
الجلبان الذين أراد ان يقدمهم خلف خير بك والغزالى وقصد بذلك ان يقتلا بالبنادق والضربزن فى اول
مرة ثم يسلم هو ومن معه وتفطن خير بك والغزالى لذلك وكانا ارسلا الى السلطان سليم وطلبا منه الامان
وتوثقا منه ان لا يقتلهما بل يكرمهما وينعم عليهما فارسل السلطان سليم لهما بالامان وعهد لهما بما
يطيب من خاطرهما وأن يوليهما مملكة مصر والشام فقبلا ووافقاه على ذلك قبل القتال فلما تلاقى العسكران

واضطرمت نيران البنادق فى مرج دابق فرّ حيز بك بمن معه من الميمنة وفرّ الغزالى بمن معه من الميسرة وبقى السلطان الغورى بمن معه من خواصه وجلبانه فى القلب فاطلقت البنادق والضربزنات فهلك من هلك وهرب من هرب لا يدرى أية سلك وانقلب النهار ليلا مظلما بالدخان وامتلأ وجه الارض لشعب النفط والنيران وعاد الغورى تحت سنابك الخيل ومحانور العدل ظلام الظلم كما يمحو النهار الليل وذهبت ظلمات الجراكسة كأنهم كانوا هباء منثورا وكانت اشلاء قتلاهم الوحوش والطيور كأن لم يكونوا شيأ مذكورا واقبلت رايات اقبال السلطان سليم على قلعة حلب الشهباء وقد احمرت من اسالة الدماء فطلب اهلها منه الامان والتسليم فاجابهم الى القبول لطفا وكرما فخرجوا الى لقائه بالمصاحف والاعلام وهم يجهرون بالتسبيح والتكبير ويقرؤن وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فقابلهم بالاجلال والاكرام وأفرغ على كواهلهم خلع اللطف والانعام وتصدق بأنواع الصدقات الجزيلة على الخاص والعام وحضر صلاة الجمعة وخطب الخطيب باسمه الشريف ودعا له ولآبائه وأسلافه وبالغ فى المدح والتعريف

ومازاده الألقاب فخرا وسوددا * باطناب ذى مدح واكثار مادح

وعند ما سمع السلطان سليم الخطيب يقول فى تعريفه خادم الحرمين الشريفين سجد لله شكرا وقال الحمد لله الذى يسر لى أن صرت خادم الحرمين الشريفين وأضمر خيرا جميلا واحسانا جليلا لاهل الحرمين الشريفين وأظهر الفرح والسرور بتلقبه بخادم الحرمين المنيفين وخلع على الخطيب خلعا متعددة وهو على المنبر وأحسن اليه احسانا كثيرا بعد ذلك وأقام بحلب أياما يسيرة وهو يعهد الملك ويجرى أحكام المعدلة والسياسة ويحسن الى العرب ثم ارتحل بالجيش المنصور الى الشام فخرج أهل الشام الى لقائه وطلبوا منه الأمن والأمان واللطف والرأفة والاطمئنان فأجابهم الى ما سألوه وبسط لهم ما طلبوه وأملوه فقبلوا الأرض بين يديه وبالغوا فى الدعاء بدوام دولته والثناء عليه فخلع على كل من يستحق التشريف خلع الرضا والاكرام وألبسهم التشاريف الفاخرة كلا بحسب حاله واستحقاقه للانعام ودخل الى الشام بموكبه الشريف الكريم وأقام به لتمهيد المملكة برأيه القويم وخطب له الخطباء فخلع عليهم وأكرمهم وأحسن اليهم وقابل الناس بسن ضاحك ووجه يتهلل سرورا وجبين أغر يملأ الأرجا ضياء ونورا وأمر بعمارة تربة الشيخ محيى الدين بن عربى رضى الله عنه ورتب عليه أرقافا كثيرة وعمل له مطبخا يطبخ الطعام فيه لفقراء الشيخ المرحوم وجعل عليها متوليا وناظرا يجمع الريع ويصرفه فى جهات الخير ونظره أعظم الأنظار فى بلاد الشام الى الآن وما أجرى الله تعالى مثل هذا الخير العظيم على يد أحد من الجراكسة ولا من كان قبلهم ولا شك أن روحانية الشيخ رضى الله عنه هى التى حببت السلطان سليم طيب الله ثراه الى سلطنة بلاد العرب وحصل له الامداد العظيم بالبركة والنصر والتأييد فى حصول ما أمله وطلب وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ويؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء بيده الخير وهو على كل شئ قدير * واستمر السلطان سليم خان بارض الشام الى أن مهد أمورها وضبط حصونها وقصورها ثم توجه الى افتتاح اقليم مصر ورفع البؤس عنها والأمر ولما وصل الى خان يونس قتل فيه الوزير المعظم حسام باشا وكان من أهل الخير وله عمارة فى آق شهر يخرج منها الطعام للمسافرين دائما رحمه الله تعالى واستمر السلطان سليم متوجها الى مصر فوصل الى بلاد غزة ثم عدل منها بعفرده الى زيارة القدس والخليل فى نفر قليل بقصد الزيارة فأحسن الى أهل القدس

والى

والى أهل خليل الرحمن وعاد الى معسكره وصار كلما مر ببلد أو قرية أو قصبة فى طريقه أحسن الى الرعايا ونظر بعين المعدلة والاحسان الى البرايا وأزال عن الضعفاء ظلم الظالمين ونشر العدل فى العالمين وفر بقية السيوف من الجراكسة الى مصر وولوا عليهم الدوادار وحند الجنود وعقد الالوية والبنود وخرجوا الى الريدانية بظاهر مصر ونصبوا المدافع الكبار وملؤها بالبارود والأحجار وهيؤها ليطلقوها اذا أقبلت العساكر العثمانية فلما أخبرهم الجواسيس بذلك عدلوا الى غير ناحية وجاؤا من خلف جبل المقطم من معسكر الجراكسة ورموا بالمدافع والمكاحل والضربزانات على العجل واستمرت مدافع الجراكسة مركوزة لمن يأتى من أمام الريدانية بلا نفع ولا دفع وقاتل السلطان طومان باى ومن ثبت معه من امراء الجراكسة قتالا قويا واظهر طومان باى شجاعة قوية عرف بها وشهد له المصاف وهو يغوص فى العسكر ويحمل ويعود ويكر ويفر وقتل من وزراء السلطان سليم فى ذلك اليوم سنان باشا وأسف السلطان سليم على شهادته * ومن جملة نكته انه قال عندما اخبر بهروب عساكر الاعداء وقتل سنان باشا أى فائدة فى مصر بلا يوسف ووجه النكتة ان يوسف يلقب بسنان فى عرفهم وبعد ان ثبتوا ساعة انكسروا فهربوا وتمزقوا وتشتتوا وتفرقوا وهرب طومان باى الى البر ونزل على شيخ عربان بنى حرام عبد الدايم بن بقر ودخل السلطان سليم الى مصر ونزل فى ساحلها فى الجزيرة الوسطانية وطاف عسكره بالبلد وامنوا الناس وازالوا عنهم الخوف واليأس ما عدا الجراكسة فانهم اذا ظفروا بهم أتوا بهم الى السلطان سليم خان فيأمر بضرب رقابهم وترمى جثثهم فى بحر النيل وتجمع رؤسهم اكواما بعد اكوام الى ان عفنت الجزيرة بروائح القتلى وعفونة رؤسهم فانتقل السلطان سليم الى المقياس وامر ان يبنى له فى علوه كوشكا عاليا يسكنه مدة مقامه بمصر هربا من عفونات اشلاء القتلى * ثم ان شيخ العرب عبد الدايم تقرب الى خاطر السلطان سليم خان وسلم اليه السلطان طومان باى اسيرا وانعم السلطان سليم على شيخ العرب بالخلع والتشاريف والانعامات السلطانية وحبس طومان باى عنده واراد ان يكرمه ويجعله نائبا عنه بمصر اذا برز عنها الى الروم وصار يحضره فى مجلس الصحبة ويستخبره عن الامور والاحوال فارجف اهل مصر عن طومان باى انه لم يقع فى الاسر وانه اختفى وانه يجمع عسكرا وينتهز الفرصة وانه شجاع لا يطاق ولا يقدر على مسكه أحد فبلغ السلطان سليم خان أراجيف الناس ورأى ان الفتنة لا تسكن مادام طومان باى محبوسا فامر ان يركب على بغلة ويحف بعسكر الينكجرية ويمضى الى باب زويلة ويصلب فيه ليراه الناس ويصدقوا بانه مسك فصلب على باب زويلة لاحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة ثم ولى القضاة الاربعة على المذاهب الاربعة بمصر وهم قاضى القضاة كمال الدين الطويل ولاه قضاء الشافعية وقاضى القضاة نور الدين على بن يس الطرابلسى الحنفى قاضى الحنفية وقاضى القضاة الدميرى المالكى قاضى المالكية وقاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن النجار الحنبلى قاضى الحنابلة وولى ملك الامراء خير بك مصر وولى جان بردى الغزالى الشام كما وعدهما بذلك ومهد الامور وسار الى الاسكندرية وعاد الى مصر ثم الى تخت مملكته القسطنطينية العظمى فى يوم الخميس خامس بقين من شعبان سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة وأخذ معه كثيرا من أعيان مصر سركنا الى الروم كما هو قانونهم ووصل الى تخت ملكه ومقر سلطنته مظفرا منصورا وشكر الله وحمده على نصرته وتأييده وكان عبدا شكورا وافتقد خزائنه فوجدها قد انصرف غالبها فانه كان قد أصرف فى هذين السفرين وهما السفر الى بلاد قزلباش والسفر الى اقليم مصر خزائن عظيمة مما جمعها

آباؤه واسلافه فلما أراد سفرا ثالثا الى بلاد العجم لقطع جادرة طائفة القزلباش رأى ان ما بقى من خزائنه لا يفى بتلك المصارف فتأخر ليجتمع فى خزائنه ما يجمع له من خراج البلاد قدر يفى بالمراد ويأبى الله الا ما أراد

ما كل ما يتمنى المرء يدركه * تجرى الرياح بما لا تشتهى السفن

فظهر فى اثناء ظهره جراحه منعته الراحه وحرمت عليه الاستراحه وعجزت فى علاجه حذاق الاطباء وتحيرت فى دائه العقول الالباء وعظم الجرح وكبر القرح واتسع الخرق والتهب الحرق وكانت توضع الدجاجة فى جرحه فتذوب بحره وشوهدت معاليق أكباده فى جوفه من خلف ظهره وأنشبت المنية أظفارها فيه فما نفعه التمائم والرقا وفدى بالاموال والارواح فما قبل الفدا وقال

ولو قبل الفداء لكان يفدا * وان جل المصاب عن التفادى
ولكن المنون لها عيون * تكثر لحاظها فى الانتقاد
فقل للدهر أنت أصبت فالبس * برغم بنيك أثواب الحداد

فقضى نحبه ولقى ربه ومضى سليم بقلب سليم قادما على الله الكريم الغفور الرحيم وتبوأ مقعده من سرير الملك نجله الوارث السعيد كذلك يؤتى الله الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء وهو الفعال لما يريد * وكان وفاته رحمه الله تعالى وأسكنه غرف الجنان وأنزل عليه شآبيب المغفرة والرضوان فى سنة ست وعشرين وتسعمائة

* الفصل الثالث فيما عمره المرحوم السلطان سليم خان فى الحرم الشريف وبعض احسانه الى أهل الحرمين الشريفين فى أيام سلطنته * كان رحمه الله تعالى كوالده المرحوم كثير المحبة لاهل الحرمين الشريفين حسن الالتفات اليهم كثير الاحسان والعطف عليهم وضاعف الصدقة الرومية التى كان يجهزها والده المرحوم ويكرم من قدم عليه منهم أتم اكرام ويحسن اليه أجل احسان وانعام فوصلت صدقاته الرومية ووصل معها دفتر الصرة على حكم ما قرره والده المرحوم لأهل الحرمين فى أول سلطنته عام تسعة عشر وتسعمائة وتضاعف له الدعاء بالحرمين الشريفين وسافر له جماعة من أهل مكة منهم الخطيب محيى الدين العراقى فحصل له منه انعام جزيل وخير جميل ورتب له فى دفتر الصرة مائة دينار ذهبا وفرح بمن قدم عليه من الحجازيين وأنعم على كل بحسبه وكان يرسل الصدقات الرومية فى كل سنة فلما افتتح مصر وجد بها من قضاة مكة قاضى القضاة صلاح الدين محمد بن أبى السعود بن ابراهيم بن ظهيرة وكان السلطان الغورى حبسه بمصر من غير ذنب بل للطمع ولما خرج بعساكره من مصر الى مرج دابق أخرج كل من فى حبسه من أرباب الجرائم الا القاضى صلاح الدين فانه أبقاه فى الحبس فلما انكسر وقتل فى مرج دابق اخرجه السلطان طومان باى من الحبس فلما دخل السلطان سليم الى مصر جاء اليه القاضى صلاح الدين فأكرمه وعظمه وخلع عليه واحسن اليه وجهزه الى مكة معززا مكرما وكان بمصر جماعة من الحجازيين احسن اليهم كلهم واكرمهم * وولى أمانة جدة لتاجر اسمه الخواجا قاسم الشروانى وكان مقيما بمكة ثم سافر الى مصر فصادف دخول السلطان سليم الى مصر فخدمه وتقرب الى خاطره الشريف فأرسله الى مكة أمينا فى بندر جدة اميرا عليها فوصل اليها وتمكن من البندر وارسل السلطان سليم من امرائه الى مكة الامير مصلح الدين بك بالصدقات الرومية وبكسوة الكعبة الشريفة وبمحمل الشريف رومى فوصل فى صحبته امير الحاج المصرى المقر العلائى بالمحمل الشريف المصرى على المعتاد

وبرز شريف مكة يومئذ السيد بركات للاقاة المحملين الى سبيل الجوخى هو وولده سيدنا ومولانا السيد الشريف جمال الدين محمد ابو غى أطال الله تعالى عمره الشريف ولبس الخلعة الشريفة السلطانية وسار امام المحملين المصرى والرومى بأعلامهما وطبولهما واستمر فى هذا الموكب الى ان فارقا المحملين وأمير الحاج والامير مصلح الدين من عند باب السلام وادخل المحملان الى الحرم الشريف ووضعا عن يمين مدرسة الاشرف قايتباى ونزل امير الحاج المصرى فى مجمع البرقية على يمين الخارج من باب الصفا وهو رباط صاحب بلدة كليركه من ملوك الركن وقد هدمت الآن فى ذلك الجانب من البيوت والمدارس الملاصقة بجدر الحرم الشريف توسيعا لطريق السيل ودفعا لضرر دخوله الى المسجد الحرام من ذلك الجانب اذا تراكم السيل وكان هدمها بالامر الشريف السلطانى فى سنة اربع وثمانين وتسعمائة وفرقت الصدقة الرومية فى يوم الجمعة لاربع مضين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة فى الحرم الشريف على الفقهاء وقرر لجماعة من المجاورين لكل واحد مائة ذهب منهم مولانا نور الدين حمزة ابن القاضى مصطفى القرمانى ومولانا زين الدين على القرمانى وقرر باسم مولانا السيد الشريف ابى غى اطال الله تعالى عمره الشريف خمسمائة دينار ذهبا فى اول دفتر الصدقات باقية الى الآن باسم الشريف تقبض له فى كل عام وفرقت بعد هذا الذخيرة وهى صدقة كانت تجهز من خزينة مصر من قبل ملوك الجراكسة أبقاها السلطان سليم على حالها وأجراها فى كل عام من خزينة مصر تفرق على فقراء الحرمين الشريفين وعلى مشايخ العرب أرباب الدرك فى طريق الحج وهى باقية الى الآن وفرقت الصدقات المصرية التى تجمع من أوقاف الحرمين بمصر وتجهز الى الحرمين الشريفين ويقال لها الصرة الحكمى وهو باق الى الآن وان تقهقر وضعف وصار يصرف على حكم الربع والخمس لضعف الاوقاف المصرية واستيلاء الأكلة عليها ودخول الظلمة فيها أحيى الله من أحياها وأنمى حياة من عمرها وغاها وبعد الفراغ من توزيع الصدقات قرئت ختمة شريفة فى الحطيم الشريف حضرها الامراء والقضاة والفقهاء والاعيان باسم السلطان سليم وأهدى الى صحائفه الشريفة ثوابها وقرر الامير مصلح الدين ثلاثين نفرا يقرأ كل واحد منهم جزأ شريفا قرآنيا فى كل يوم فتكمل بهم ختمة كاملة فى كل يوم يهدى ثواب ذلك الى السلطان سليم خان وقرر لهم مفرقا للاجزاء وداعيا وحافظا للاجزاء وجعل لكل واحد منهم اثنى عشر دينارا ذهبا فى دفتر الصدقات الرومية تصل اليهم فى كل عام ثم جمع طائفة من الفقراء أعطى لكل نفر ثلاثة دنانير ذهبا سماها المتفرقة وكتب أسماءهم فى الدفتر ثم كتب بيوت فقهاء مكة المشرفة وكتب أسامى من فى ذلك البيت وعين لكل نفر منهم ثلاثة دنانير ذهبا والحق ذلك فى دفتر الرومية وسماها البيوت وهى باقية الى الآن ثم كثر عليه الفقهاء فجمعهم فى حوش كبير وأعطى لكل واحد دينارين ذهبا وسماهم العامة وكتب أساميهم وألحقهم بالدفتر وهذا الترتيب كله باق الى الآن وثوابه لمن أسس فعل الخيرات جار فى صحائف حسناته الى يوم القيامة * ثم خطب الخطيب شرف الدين يحيى النويرى خطبة الترويه فى سابع ذى الحجة وفى ظهر اليوم الثامن توجه الناس الى عرفات وتوجه الامير مصلح الدين بالمحمل الرومى وتوجه المقر بالمحمل المصرى الى عرفات وصلوا فى يوم التاسع صلاة الظهر والعصر جمعا بينهما بعد الزوال بعد أن خطب الخطيب فى مسجد نمرة * ثم شرعوا فى الوقوف فى ذيل جبل الرحمة وخطب قاضى القضاة صلاح الدين بن ظهيرة امام الموقف الشريف خطبة عرفة ووقف بين يديه الامير مصلح الدين بالمحمل الرومى وأمير الحاج المصرى بالمحمل المصرى ولم يصل فى ذلك العام المحمل الشامى ودعا

الخطيب للسلطان سليم خان وكذلك سائر الحجاج وأفاض الناس حين أفاض الامام وكانت الوقفة الشريفة يوم الاربعاء المبارك وباتوا بالمزدلفة ثم أفاضوا بعد فجر يوم النحر الى منى ونزل شيخ الكعبة من منى فى يوم النحر ونزل معه الامير مصلح الدين لاتمام بعض الاوامر السلطانية وانفاذها ولا يصال الخير والاحسان الى الفقراء واستجلاب الدعاء من الصلحاء بنصرة السلطان سليم خان ودوام سلطنته وفى ليلة الجمعة فى أواخر شهر ذى الحجة الحرام طلب بعض الاولياء الصالحين والعلماء العاملين منهم مولانا الشيخ عبد الكبير ابن الشيخ يس الحضرمى والشيخ عبد الله بن ناكير الحضرمى وشيخنا الشيخ محمد بن عبد الرحمن الحطاب المالكى وولده شيخنا الشيخ محمد بن محمد بن عبد الرحمن الحطاب المالكى والشيخ أيوب الازهرى وجماعة من العلماء وأحضر لهم دواب يركبونها الى التنعيم عند مساجد السيدة عائشة رضى الله عنها وركب معهم وأشار عليهم ان يعتمروا عن والدة السلطان سليم خان فأحرم كل واحد منهم بالعمرة عن المرحومة ولبى عنها وعادوا الى الكعبة الشريفة فطافوا ثم سعوا وحلقوا وأهدوا وثواب تلك العمرة الى صحائفها ثم أحسن اليهم ورتب لهم الصرف فى دفتر الصدقات فدعوا له وللمرحومة ولولدها السلطان سليم خان رحمهم الله تعالى * ثم وصل من بندر السويس الى بندر جدة بحر اسفاش مسمارية فيها حبوب الصدقات السلطانية لاهل الحرمين الشريفين جهزها ملك الامراء خير بك نائب السلطنة الشريفة بمصر بأمر السلطان سليم وهى سبعة آلاف اردب جا منها ألفا أردب لاهل المدينة وخمسة آلاف اردب لاهل مكة ووصل الامر الشريف السلطانى أن يوزع ذلك الأمير مصلح الدين فجلس فى الحرم وطلب قاضى القضاة شيخ الاسلام مولانا القاضى صلاح الدين بن ظهيرة الشافعى والقضاة الثلاثة الحنفى والمالكى والحنبلى ونائب جدة الامير قاسم الشروانى وبقية الفقراء والاعيان وقرأ عليهم المرسوم السلطانى واستشارهم فى توزيع ذلك فذكروا له أنه لابد من عرض ذلك على شريف مكة سيدنا ومولانا الشريف بركات وأخذ رأيه فى ذلك فأرسل اليه ساعيا وكتبوا له صورة الامر الشريف السلطانى واستدعوا رأيه العالى فى ذلك فكتب اليهم الجواب بالمبادرة الى امتثال الأمر الشريف وتوزيع ما وصل من حب الصدقة الشريفة على المستحقين بحسب اتفاق الأمراء من أعيان أهل المجلس فاجتمعوا ثانيا بعد وصول الجواب واتفق رأيهم على بيع بعض ذلك الحب ليصرف فى نقله من جدة الى مكة وأن يكتب أسامى الناس على العموم ويصرف الى كل واحد ما يخصه من الحب وما يخصه من ثمن ما باعوه بعد استيفاء المصارف وأمر شيخ الاسلام الصلاحى أن يباشر كتابة دفتر ذلك ورقم أسامى الناس الشيخ رضى الدين الحناوى الشاهد العدل كبير الشهود العدول فى باب السلام المكى فكتب بيوت كل محلة وكتب ما فى كل بيت من أعداد الانفار رجالا ونساء وأطفالا وخدما ما عدا التجار والسوقة والعسكر فكانوا اثنى عشر ألف نفر فخص كل نفر رباعى بكيل الربع الكبير الذى هو أربع كيل عن أربعة وعشرين قدحا بالكيل المصرى المستمر الآن وأن يدفع مع ذلك لكل نفر دينار ذهب فوزع ذلك جميعه على هذا الوجه ثم جعل لكل واحد من القضاة الاربع ثلاث آرادب وزيد فى أسماء بعض البيوت بحسب الاعتناء بشأن كبير البيت وهذا أول صدقات الحب الشريف السلطانى واستمر الى الآن وزيد على ما كان بحيث صار فقهاء مكة والمجاورون يتعيشون بوصول هذا الحب اليهم اما فى جميع السنة أو أكثرها فلو فقد ذلك والعياذ بالله هلكوا وكذلك يرتفقون بالصدقات الرومية وغيرها مما كان سبب الانعام بها عليهم

سلاطين آل عثمان نصرهم الله تعالى وخلد ملكهم السعيد وطوق بقلائد احسانهم خدام الدعاء لهم من الأحرار والعبيد

أقامت فى الرقاب لهم ايادٍ * هم الاطواق والناس الحمام

فيجب على كافة المسلمين عموما وعلى أهل الحرمين الشريفين خصوصا الدعاء بدوام سلطنة آل عثمان خلد الله سلطنتهم مدا الزمان فان دولتهم الشريفة هى عماد الاسلام واحسانهم متواصل الى كافة الأنام سيما جيران بلد الله الحرام وجيران نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام فانهم فازوا بالانعامات الوافرة فى أيام هذه الدولة الزاهرة وحازوا من الصدقات المتكاثرة فى نوبة هذه السلطنة القاهرة مالم يتصوروه من الدول الماضية الغابرة فالله تعالى يديم علينا سلطانهم كما دام علينا برهم واحسانهم

﴿ومما جدده الأمير مصلح الدين﴾ المذكور بناء مقام الحنفية فانه كان مسقفا على أربعة أعمدة فى صدره محراب عمل سنة احدى وثمانمائة فأراد أن يوسعه ويجعله قبة فأمر بعقد مجلس حضر فيه القضاة الأربعة والأئمة والعلماء والأعيان وقال لهم ان الامام الأعظم أبا حنيفة روح الله تعالى روحه الشريف بروائح الروح والريحان والرحمة والرأفة والرضوان جدير بأن يكون له فى هذا المسجد الحرام مقام يجتمع فيه أهل مذهبه ومقلدوه يكون أوسع من هذا المقام فذكر بعض العلماء انه لا شك فى عظم كل واحد من الأئمة رضوان الله عليهم أجمعين غير أن تعدد المقامات فى مسجد واحد لاستقلال كل مذهب بامام ما أجازه كثير من العلماء وان تعدد هذه المقامات فى وقت حدوثه أنكره العلماء غاية الانكار فى ذلك العهد ولهم فى ذلك العصر رسالات متعددة باقية بأيدى الناس الى الآن وان علماء مصر أفتوا بعدم جواز ذلك وخطأوا من قال بجوازه ثم انفض المجلس على غير اتفاق * ثم ذكر القاضى بديع الزمان ابن الضياء الحنفى ان جده القاضى أبا البقاء بن الضياء أفتى بجواز ذلك فشرع الأمير مصلح الدين فى اتمام ما قصده وهدم تلك السقيفة ووسع المكان وعمل فيه قبة عالية من الحجر الأصفر والأحمر الشهبى وأصرف على ذلك ذهبا كثيرا واستمر مقاما يصلى فيه امام الحنفية بالحنفيين الى أن غيره الأمير حوش كلدى أمير بندر جدة وهدم القبة وبنى المقام مربعا ذا طبقتين جعل الطبقة العليا للمكبرين لتصل أصواتهم الى سائر المسجد الحرام لارتفاع مكانهم وهو باق الى الآن على هذا الحكم * ثم بعد فراغ الامير مصلح الدين من بناء القبة توجه الى المدينة الشريفة بما معه من الصدقات الرومية وتصدق بها على جيران النبى صلى الله عليه وسلم وكتب دفترا لأساميهم وأحسن اليهم احسانا وافرا واستجلب الدعاء منهم للمرحوم السلطان سليم خان ثم توجه الى ينبع وركب البحر الى مصر ثم الى الروم وأبقى له ذكرا جميلا وحصل ثوابا جزيلا رحمه الله تعالى

﴿الباب الثامن فى دولة السلطان المحفوف بالرحمة والرضوان سليمان خان وبعض ما فعله﴾

﴿من المآثر الحسان والصدقات الجارية والخيرات الباقية على صفحات الزمان﴾

﴿سقى الله عهده سحائب الرضا والغفران﴾

كان سلطانا سعيدا ملكا أيده الله لنصرة الاسلام تأييدا (وولى السلطنة) بعد وفاة والده المرحوم السلطان سليم خان فى سنة ست وعشرين وتسعمائة وجلس على تخت السلطنة ومادمى أنف واحد ولا أريق فى ذلك محجمة دم * ومولده الشريف سنة تسعمائة كذا ذكره مولانا محمد بن خطيب قاسم الرومى فى حاشية كتاب له مختصر من ربيع الابرار للزمخشرى سماه الروضة ورأيت ذلك بخط طائفة

من الفضلاء المعتمدين فيكون سنه الشريف حين ولى السلطنة ستا وعشرين سنة واستمر فى السلطنة تسعا وأربعين سنة وكان عمره أربعا وسبعين سنة وشهرين وهو سلطان غاز فى سبيل الله مجاهدا لنصرة دين الله مرغم أنوف عداه بلسان سيفه وسنان قناه كان مريدا فى حروبه ومغازيه مسددا فى آرائه ومعازيه مسعودا فى معانيه ومغانيه مشهودا فى وقائعه ومراميه أبان ملك وافى توجه فتح وفتك وأين سافر سفر وسفك وصلت سراياه الى اقصى الشرق والغرب وافتتح البلاد الواسعة الشاسعة بالقهر والحرب وأخذ الكفار والملاحدة بقوة الطعن والضرب وأيد الدين الحنيفى بحدود سيفه الباتر وأقام الملة الحنيفية وأحيا ما لها من مآثر ونصر مذهب أهل السنة السنية وأظهر شعائر الشرائع وردع أهل الالحاد وقمعهم فما لهم من ناصر وكان مجدد دين هذه الامة المحمديه فى هذا القرن العاشر مع الفضل الباهر والعلم الزاهر والادب الغض الذى يقصر عن شأوه كل أديب وشاعر ان نظم نضد عقود الجواهر أو نثر أثر منثور الازاهر أو نطق قلد الاعناق الدر الفاخر له ديوان فائق بالتركى وآخر عديم النظير بالفارسى يتداولهما بلغاء الزمان وتعجز أن تنسج على منواله فضلاء الدوران تتناقله الركبان بكل لسان وتستلذ بمعانيه العقول والاذهان وكان رؤفا شفوقا صادقا صدوقا اذا قال صدق واذا قيل له صدق لا يعرف الغل والخداع ويتحاشى عن سوء الطباع ولا يعرف المكر والنفاق ولا يألف مساوى الاخلاق بل هو صافى الفؤاد صادق الاعتقاد منور الباطن كامل الايمان سليم القلب خالص الجنان لا يرتاب فى كمال ديانته ولا يشك فى ولايته

وما تناهيت فى بثى محاسنه * الا وأكثر ما قلته أدع

وقد أهلنى الله لان قبلت يده الشريفه وتشرفت برؤية طلعته المنورة اللطيفه وشاهدت ذاته العلية المنيفه فرأيت نورا يتلالا وهيبة ألبسها الله مهابة واجلالا وجبينا يتضوع ضياء وجمالا وألبسنى تشريفة التشريف الشريف وشملنى باحسانه الوافر الوريف فها أنا الى الآن أتقلب فى جزيل انعامه وأعيش الى الآن فى فائض تفضلاته واكرامه وأترحم على ذاته الطاهرة الجميله كلما تذكرت احسانه وجميله وأخلد ذكره الحسن فى أوراق الليل والنهار وأرقمه فى صفحات دفاتر الايام حيث لا يمحوه كر الدهور والاعصار ولا تزيده الايام الا جدة ونضاره ولا يزال غضا طريا جديد البراعة والعباره

﴿فصل فى ذكر أولاده الكرام وأحفاده النجباء العظام﴾ كان أكرمهم وأنجبهم وأمجدهم وأسعدهم وأرشدهم وخلاصة عنصره وربيب حجره ومهده مشيدا اركان الملك العثمانى السلطان سليم الثانى أجلسه الله على سرير القرب والتدانى وعوضه ملك الفردوس الباقى عن الملك الفانى مولده سنة تسع وعشرين وتسعمائة كما يأتى فى محله * ومنهم السلطان الشهيد السلطان مصطفى وهو أكبر أولاده ومولده سنة أحدى وعشرين وتسعمائة استدعاه والده من المحل الذى ولاه وهو مغنيسا الى اركلى وهو متوجه الى تبريز لأخذ بلاد العجم فوصل اليه ممتثلا أمره باذلا نفسه وكان والده يتوهم منه خروجه عليه فلما أحضر بين يديه أمر طائفة من البكان بخنقه فخنق صبرا وقتل قهرا فى آخر شوال سنة ستين وتسعمائة وألطف ما قيل فى تاريخه ظلم بى حدود آخر شوال * ثم أرسل ابراهيم باشا الخادم الى بورسا لقتل ولد طفل له اسمه مراد فقضى اليه وخنقه وبوالده ألحقه رحمهما الله تعالى ولم يرتكب السلطان سليمان هذا

الامر الفظيع الذى قطع القلوب أى تقطيع الا لتسكين الفتن واطفاء ثائرة المحن ماظهر منها ومابطن صونا لدماء المسلمين وحفظها لنظام التأمين والتطمين * ومن أولاده السعداء السلطان محمد مولده سنة ثمان وعشرين وتوفى على فراشه باجله فى سنة خمسين وتسعمائة * ومنهم السلطان السعيد الشهيد الغريب الشريد بايزيد مولده سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة اجتمعت به مجلسا واحدا فى رحلتى الثانية الى الروم فى سنة خمس وستين وتسعمائة وقد استدعانى وأنا مار عليه بقرب كوتاهيه يقال لها قرابوك وكان الامر منهيا بعد بينه وبين والده المرحوم فعدلت اليه وحضرت بين يديه فأقبل على بكليته وأقبلت عليه وعظمنى وعظم أمرى وأكرمنى فوق قدرى وباسطنى وخاطبنى بدون واسطة وقربنى وأخلى مجلسه لى وحدى ولم يترك فرعا من الفروع الذى أراد كشفها وتحقيقها الا سألنى عنها بلطف وتؤده وأجبته عنها بأدب وسكون وملاحظه وادرجت مع ذلك نصائح تصلح للملوك وهو يصغى اليها ويحسن فى الاصغاء الى استماعها ويتفكه ويتلذذ بسماعها وسألنى فى الاقامة عنده لصاحبته فاعتذرت اليه وكررت ذلك فابيت عليه وكان الخير فى ذلك وكلما طال المجلس استأذنت للقيام فيأبى ويقول ما أسرع ما ملات حديثنا ونحن نستطيب حديثك وكان أول المجلس من صلاة الظهر واستمر الى بعد صلاة العصر فالبسنى تشريفة وأحسن الى بأثواب صوف ودراهم لها صورة وفارقته ودخلت اصطنبول وتوفيت والدته السلطانة أم السلاطين الخاصكية بعد دخولى وحضرت جنازتها وما اجرى من الصدقات عليها وكانت هى كالطلسم للسلطان بايزيد فلما توفيت حصل الشنآن بينه وبين أخيه السلطان سليم خان ادى الى فتن عظيمة ومحاربات قتل فيها نحو خمسين ألف نفس فصاعدا * ثم لما عجز عن مقاومة والده وأخيه هرب الى شاه طهماسب ففرح به واقام ناموسه وعجز عن حفظه فشرع طهماسب فى المكر والخداع وتفريق عسكره والاعتذار بضعف بلاده عن ان تسعهم ففرقهم ثم استولى عليه وحبسه هو وأولاده وقتل عسكره واحدا بعد واحد واغتنم منهم مالا كثيرا وترددت الرسل بينه وبين السلطان سليمان فى تسليمه لوالده فلما تأكد طلبه من طهماسب ذكر انه اصرف عليه خزينة مال وانه لا يسلمه الا بأن تعطى له فسئل عن قدر ذلك فذكر مقدارا عظيما يكون مثل خراج مصر سنة فأمر السلطان سليمان بدفع ذلك القدر اليه فلما تسلمه احضر السلطان بايزيد وأولاده الاربعة وكل واحد كالبدر الطالع والنجم الساطع فخنقوا مع والدهم بادار قالوهق حتى لم يبق فيهم رمق واخمدوا انفاسهم بالاوتار واطفأوا تلك الانوار ورزقوا سعادة الشهادة بالاضطرار وهم السلطان محمود والسلطان عبد الله والسلطان اورخان والسلطان عثمان وحملت توابيتهم أجسادهم فى توابيت من قزوين الى سيواس ودفنوا فى سيواس واسكن الله الفتنة والوسواس وذلك فى سنة سبعين وتسعمائة * وكان للسلطان بايزيد طفل فى بورسا فامر بخنقه أيضا فخنق والله تعالى يبل مضاجعهم بأقطار امطار الرحمة والرضوان ويعوضهم عن شبابهم الجنة ويروح أرواحهم فى غرف الجنان بالروح والريحان والحور والولدان والخيرات الحسان * ومنهم الشهزاده جهان كيرخان مولده سنة سبع وثلاثين وتسعمائة وكان احدب ظريفا ضعيف الروح لطيفا يحبه والده ولم يفارقه الى ان توفى باجله فى حلب بمرض الخناق فى سنة ستين وتسعمائة ونقل الى اصطنبول ودفن فى تربة أخيه محمد الشهزاده * ومنهم الشهزاده السلطان مراد توفى باجله فى سنة سبع وعشرين وتسعمائة * ومنهم الشهزاده السلطان محمود توفى باجله سنة ثمان وعشرين وهذا والذى قبله مدفونان فى تربة السلطان سليم جدهما رحمهم الله تعالى * ومنهم الشهزاده السلطان

عبد الله توفى بأجله فى سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة وتوفيت والدة السلطان سليمان خان فى سنة أربعين وكانت صالحة زاهدة محبة لفعل الخيرات كثيرة الصدقات أسكنها الله أعلى غرف الجنات

﴿فصل فى وزرائه العظام﴾ كان أول وزرائه آصف زمانه برز جهراوانه معدن الرأى والدهاموضع العقل والنهى محمد الجمالى الصديقى المعروف ﴿بميرى باشا صلافه﴾ وزير ابوالده فابقاه على وزارته مدة وكان السلطان سليم تتبع فى أول سلطنته طوائف العلماء المتميزين بكمال العقل والرأى فلم يجد أكمل عقلا منه وكان قاضيا فى بعض القصبات فقربه وولاه وزارته العظمى واستمر فى مدة سلطنته وزيرا عنده لم يغير وسلم من قتله لكمال دربته مع كثرة من قتل من الوزراء وكان فاضلا كاملا متين الرأى عاقلا يضرب المثل بفراسته وعلمه وعقله وحلمه فلما وزر للسلطان سليمان رأى فى خدمته من شباب مماليكه من هو على الوزارة طائرا اليها بجناحيه ورأى سلطانا شابا يميل الى اقرانه وذوى اسنانه وهو بينهم لشيخوخته وكبر سنه لا يناسبهم فاستعفى عن الوزارة فأجيب الى سؤاله فانجمع للنظر فى حاله وماله ورأى لعين كماله عدم ثبات الدهر فى أحواله وأخذ فى زاد ترحاله وقدم من الخيرات ما يكون ذخيرة لآخرته من الباقيات الصالحات * فمن آثار عمارته فى ادرنه فى دربند وكان محل قطاع الطريق ينهب فيه قوافل المسلمين فعمل هناك تكية عظيمة ومحلا لنزول المسافرين فيه طعام يطبخ لهم ويقدم اليهم ومسجد اجامعا ورتب لذلك كل ما يحتاج اليه ووقف أوقافا عظيمة عليه فصار أثرا باقيا على صفحات الزمان وجميلا يذكر به ويدعى له الى انقضاء الدوران وله خيرات أخرى غير ذلك يلوح عليها علامات القبول عند الله تعالى * وكان عزله فى سنة تسع وعشرين وتسعمائة وولى مكانه فى وزارته العظمى من المماليك الذين عنده داخل السرايا أوده باشا حرمه الخاص * ابراهيم باشا وكان شابا قد امتلأ غصن نضارته بماء الشباب ولازمته السعادة والعزة والعظمة والدولة من جملة خدام الركاب وكان أقدم منه فى الخدمة أحمد باشا وظن ان الوزارة لا تعدوه الى غيره لانه من خواص مماليك والده وابراهيم باشا من مماليك السلطان سليمان نفسه فزاحمه فى صدر دست الوزارة وجلس بقوة دلاله بخدم السلطنة الشريفة فى محل الصدارة فشكاه ابراهيم باشا الى السلطان فدبر فى ازالته من ذلك المكان فطلبه السلطان سليمان وجعل له ايالة مصر وأعطاها تيمارا له واقطاعا يستجلب به خاطره فمضى الى مصر والباعليها وصار يتقصد ابراهيم باشا للعداوة السابقة ويرميه بما يوجب قتله فبرز الأمر لجماعة من الأمراء المستحفظين بمصر أن يجتمعوا عنده ويقتلوه فى محله بالأمر الشريف السلطانى ويولى أحدهم مكانه الى أن يرد الأمر الشريف باقامة بكلربكى بمصر وأرسلت هذه الاحكام الى الأمراء المذكورين فوقعت تلك الأحكام فى يد أحمد باشا قبل أن يصل الى الامراء المذكورين فجمعهم فى ديوانه وذكرلهم ان الأمر الشريف السلطانى ورد اليه بقتلهم فأذعنوا للامر الشريف فقتلهم ثم سولت له نفسه العصيان وظن أنه يأوى الى جبل يعصمه من السلطان وانه يقابل ويقاتل بجيش يلفقه من مصر فابدا الطغيان وادعى السلطنة لنفسه على المنابر وأمر أن يدعى لنفسه على المنابر فى أيام الجمع ورتب عسكرا من العوانية وجمع وضرب السكة باسمه على الدراهم والدنانير وصادر الناس وجمع المال الكثير وعصى عليه أهل قلعة الجبل فجمع عليها الشطار وأخذها بالحيل وقتل من فيها من عسكر السلطان وأوقد نيران الفتنة والعصيان وكان ممن حبسه للصادرة جانم الحمزاوى ومحمد بك وأراد قتلهما وقد أخر الله أجلهما فسمعا أنه دخل الحمام فكسرا الحبس وخرجا ونصبا سنجقا سلطانيا وناديا من أطاع السلطان فليقف تحت لوائه فاجتمع تحت السنجق خلق

كثير

كثير وجم غفير وصار مردارهم محمد بك وجانم الحزاوى بمثابة الوزير وتوجها بالعسكر الى الجمام فكبسا أحمد باشا وقد حلق نصف رأسه وأعجله النصف الثانى هجوم العسكر السلطانى فهرب الى السطوح وتسلق من مكان الى مكان وخلص الى البر والتجأ الى شيخ عرب الشرقية عبد الدائم بن بقر وقوى العسكر السلطانى ونهبوا ما جمعه من الاموال بالظلم والمصادرة وخرجوا اليه يطلبونه وخوفوا عبد الدائم وحذروه من عصيان السلطنة فاتاهم به مسوكا فقطعوا رأسه وطافوا به فى مصر وعلقوه فى باب زويلة ثم جهزوه الى الاعتاب السلطانية وذلك فى سنة ثلاثين وتسعمائة وضبط محمد بك وجانم الحزاوى مصر الى ان ورد مصطفى باشا وضبط مصر بكاريكا واستمر ابراهيم باشا فى وزارته العظمى معظما عند السلطان نافذ الامر واسع العطاء كريما بذولا منفردا بالأمر والنهى الى ان أفرط بالدلال وزاد فى الاذلال واستبد بالامور واستقل بمصالح الجمهور فأنفت الغيرة السلطانية من ازدياد دلاله وما تحملت زيادة عجبه وادلاله فطلبه السلطان فى ليلة من أواخر رمضان الى عنده وأنعم عليه على جارى عادته بنفائس الانعام ووهب له جميع ما فى مجلسه من أوانى الذهب المرصعة بالجواهر الغاليه وطيب خاطره وطيبه بالعنبر والمسك والغاليه وأمره أن يبيت عنده فى مجلس خاص به كان عادته أن يبيت فيه وصبر عليه الى أن غلب سلطان الكرا على مقلته وأماقيه وأمر بذبحه وأخطأ الذابح نحره فصاح مستجيرا والسلطان قريب منه وقد صمم فيه أمره فأمر أن يكمل ذبحه فقطع رأسه وأطفأ نبراسه وأخمدت أنفاسه وما كانت نار الغضب على ابراهيم بردا وسلاما بل زادته حرا واضطراما ولعل كثرة احسانه الى الناس ونشر مكارمه التى زادت على الحد والقياس نفعته عند الله فى الدار الاخرى ولعله صدقت نيته فى بعضها فصادفت قبولا وكان عند الله الكريم ذخرا فكم من عمل صالح يكون سببا للنجاة من النار ويدخل به صاحبه الجنة مع الشهداء والأبرار ومار بك بظلام للعبيد وكان قتله فى الليلة السادسة والعشرين من رمضان سنة احدى وثلاثين وتسعمائة ثم ولى الوزارة الوزير الثانى وكان من الارنؤت من مماليك المرحوم السلطان سليم خان وكان محبا للصلحاء معتقدا فى طائفة العلماء معتدلا فى أحواله صادقا فى أقواله قطوفا فى آرائه وأفعاله اجتمعت به فى أول رحلة الى اصطنبول سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة وكان يكاتب والدى ويلتمس دعاءه فاكرمنى وأقبل على وأحسن الى وربانى عند السلطان وأخبره عن والدى وكبر سنه وانفراده بعلم الحديث وعلو السند فى عصره فحصل لى احسان كثير وانعام كبير جزاه الله عنى أحسن الجزاء ورحمه وأسكنه جنات العلى واستمر وزيرا الى ان توفى مطعونا فى سنة وأربعين وتسعمائة ✻ ثم ولى بعده الوزارة العظمى لطفى باشا ✻ وجنسه من الارنؤت وهو من مماليك المرحوم السلطان سليم وكان له فضل واحتفال ومشاركة فى بعض الفضائل وله رسالة بالتركية شرح فيها الفقه الاكبر لامامنا الأعظم أبى حنيفة النعمان رضى الله عنه وله آثار حسنة فى وزارته منها ابطال الاولاق فانه كثر فى تلك الايام وعم أذاهم للمسافرين وكانت الطرقات لا تخلو منهم فيأتى أحد الاولاقية الى المسافر ويرميه عن دابته ويركبها الى أن تنقطع فيرميها ويأخذ دابة مسافر آخر وهلم جرا ولا يسلم منهم أحد فلما ولى الوزارة أبطل كثرتهم وعين ان لا يرسل الاولاق الا فى المهمات العظيمة السلطانية المتعلقة بظهور عدو على المملكة يخشى عليها منه وامثال ذلك من الأمور العظيمة جدا فقل ضررهم بعد ذلك على المسافرين وصارت الناس تدعو له بسبب ازالة هذه المظلمة وكانت الخلفاء تعد خيلا تربط لهم فى كل بلاد وقرية تحت حكومتهم وكانت تسمى خيل البريد فيركبها

نقاض بالاصل

الى ان يصل الى قرية اخرى فيجد فيها ايضا خيل البريد فيركبها ويترك الاول وهكذا الى ان يصل الى بغداد ويرجع عنها بالأمر الذى يؤمر به وكان لهم خدام مثل هذه الخيول بعلوفات ومرتبات رحمهم الله تعالى ورحم من أزال بقية ظلم الاولاق ورفعه عن المسلمين بالكلية وعين لهذه المهمات خيل البريد كما كان يفعله الخلفاء رحمهم الله تعالى واستمر لطفى باشا الى ان وقع بينه وبين زوجته مشاحنة وهى اخت حضرة السلطان سليمان * وسببها كثرة ميله الى الجوارى فشكته الى اخيها فطلبه عنده وضربه بالقوس على رأسه وامر بفراقها ففارقها مكرهة وطلب الاذن فى الحج فاذن له فحج فى سنة تسع واربعين وتسعمائة فاجتمعت به وأراني تأليفه وامرنى بتعريبه فعربته ثم امرنى ان أترجمه بالفارسية فترجمته له حسب ما اراد واحسن الى بسبب ذلك ثم عاد من الحج الى الباب واستأذن ان يكون فى قرية له من اقطاعه فاذن له واستمر فيها الى ان توفى رحمه الله فى سنة ست وخمسين وتسعمائة وكان عزله فى سنة سبع واربعين وتسعمائة ﴿ وولى مكانه الوزارة العظمى سليمان باشا الخادم ﴾ هو من الأرنؤت من مماليك السلطان سليمان وكان قد ولى ايالة مصر قريبا من عشرة اعوام ثم عزل عنها ثم اعيد اليها وجعل سردار العسكر المجهز الى الهند لدفع ضرر الفرنج القتال اللعين عن المسلمين واستيلائهم على بنادر الهند ثم كثرت اذاهم لبنادر اليمن ووصولهم الى بندر جدة والى بنادر السويس على مرحلتين وعاثوا فى البحر واخذوا سفائن الحجاج والتجار غصبا ونهبوا أموال المسلمين وانفسهم قتلا واسرا وفتكوا بسلطان كجرات السعيد السلطان بهادر شاه وقتلوه غدرا فتحركت الحمية السلطانية واضطرمت نار العصبة الاسلامية السليمانية فامر سليمان باشا ان يعود الى مصر وان يعمر سفائن يركبها مع عسكر جرار الى ارض الهند ويقطع دابر الكفار وينظف تلك الاقطار من الكفرة الفجار ففعل نحو سبعين غرابا وسفائن مسمارية كبارا لحمل الاثقال ورتب العسكر وقتل عند سفره جماعة لاذنب لهم غير صدق خدمتهم وحسن الوفاء بعهدهم حسدا لهم على ما آتاهم الله من فضله منهم الأمير جانم الحزاوى وولده الأمير يوسف وكانا من السناجق العظيمة السلطانية ختم الله لهما بالشهادة وقتل ايضا الأمير داود بن عمر أمير الصعيد وكان كريما بذولا حافظا للبلاد الصعيد بغير ذنب أتاه * ثم توجه الى الهند وصلب صاحب عدن فى طريقه مع انه فتح له باب عدن وزين الأسواق بوصول العسكر المنصور السلطانى فبمجرد وصوله اليه صلب على صارى السفينة وجعل سنجقا فى عدن وتوجه الى الهند وعاد منها الى اليمن من غير أن ينال كفار الفرنج منه ضرر * وكان الأمير أحمد صاحب زبيد اذذاك من جملة اللوندات الذين استولوا على تلك الديار فأعطاه الأمان وطلبه الى عنده وقتله وولى بعده أميرا ممن كان معه وعاد الى مصر ثم الى الباب العالى وأسفرت سفرته على أخذ زبيد وعدن وكان ظلوما غاشما كثير سفك الدماء لا يعتمد له على عهد ولا يوثق له بأمان لم يعهد منه شجاعة ولا اقدام وانما يفتك بمن يقع فى يده مأسورا مغلولا ودعاله المرحوم السلطان سليمان خدمته لوالده السلطان سليم وصدقه فى الخدمة فولاه الوزارة العظمى عوضا عن لطفى باشا لما عزله واستمر وزيرا أعظم مدة يسيرة الى أن عزله ﴿ وولى مكانه الوزارة العظمى رستم باشا ﴾ فى سنة احدى وخمسين وتسعمائة وكان السلطان قد زوجه كريمته صاحبة الخيرات خانم سلطان بنت السلطان سليم خان فملأ عين الوزارة وزين صدر الصدارة وهو من جنس الأرنؤت من مماليك السلطان سليم خان رحمه الله تعالى وكان ذكيا ألمعيا حاذقا فطنا ذكيا ذا بال وسيع وفكر دقيق بديع جيد الحافظة حسن القريحة ثاقب الرأى حليما صبورا رزينا وقورا كامل العقل كثير الأدب

اجتمع فيه من صفات الكمال مالم يجتمع فى غيره من الرجال ولم تكن فيه خصلة تشينه غير افراط حب الدنيا والميل الشديد الى جمعها بكرة وعشيا وتلك خصلة عمت أكثر الطباع والشيم وغلبت على أكثر أعالى الهمم ولا يملأ عين ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب واستمر فى الوزارة العظمى الى أن قتل المرحوم السلطان مصطفى وكان ذلك مما يقال بتأسيسه وتحيله وتدسيسه حتى ان بعض النظر فاجعل تاريخ ذلك مازعم انه ألهم به وهو (مكر رستم) وتوهم من العسكر الاقدام عليه بالقتل فعزله السلطان صونا له وخوفا عليه من العسكر ﴿وولى مكانه الوزارة العظمى أحمد باشا﴾ الذى كان وزيرا ثانيا وكانت وزارته تحلة القسم ونقلة لما أضمره السلطان فى خاطره الاشم الى أن قدر الله ماقدره فى الأزل ودنا منه وقت حلول الأجل فعند بروزه من عرض الأمور عليه وانصرافه من بين يديه أمر بقتله عند الباب الداخل من السراياً فقتل هناك وأخرج ملفوفا فى بساط وتفرقت عنه الأتباع والأسباط ومضى الى الله الكريم وأقدم على الغفور الرحيم ﴿وأعيد عوضه رستم باشا﴾ واستمر وزيرا كبيرا معتبرا اعتبارا كثيرا يعمل بآرائه وينفرد بانفاذ الأمور وامضائه لايعارضه أحد من الاركان بل يطيعونه ويذعنون له غاية الاذعان وصار لايتصرف قضاة العسكر والدفتردارية والبكلاربكية وسائر الحكام والنظار فى منصب جليل أو حقير صغير أو كبير الا بأمره واشارته وارادته بحيث لم يعهد لوزير قبله أحاط بالامور كاحاطته وحفظ جزئيات المناصب وكلياتها وتيقظ لحفظه ويقظته وكان لايخلو من الصدقات والاحسان والميل الى العلماء والصلحاء واستمر على عظمته وجلالته لم يختل منها شئ الا فى فتنة السلطان بايزيد ولكل شئ حد محدود وأمد من المقدور ممدود فان السلطان أتهمه بالميل مع بايزيد ونزلت بسبب ذلك مرتبته عنده بالبون البعيد ولكنها كانت تهمة واهية لا أصل لها وكان خائفا من ذلك أشد الخوف ولم يشاوره السلطان فى شئ من أحوال بايزيد وكان يشاور على باشا فأدى الحال الى ما أدى ولو استشار رستم باشا وأطاعه فى رأيه لم يتفاقم أمره الى ما آل اليه لحسن سياسته ودقة تدبيره والأمر الى الله من قبل ومن بعد وما قدر الله فهو كائن والاقدار تدور حول أولى الاخطار وكم أريق فى هذه الفتنة دم لاذنب لصاحبه وكم قتلت بالتوهم نفوس مظلومة لاجرم لهم فى هذه البلاد ونوائبه

لايسلم الشرف الرفيع من الاذى ✻ حتى يراق على جوانبه الدم

واستمر رستم خائفا يترقب الى أن أمرضه الوهم وأنحله فصار فى فراشه يتقلب الى أن وافا أجله المحتوم فمات وأقدم على الله الحى القيوم وهو عليم بما تخفى الصدور وهو الرحيم الرؤف الغفور وكان وفاته فى سنة ثمان وستين وتسعمائة ودفن فى تربة فى قرب تربة الشهزاده السلطان محمد رحمهما الله تعالى ﴿وولى بعده الوزارة العظمى على باشا﴾ وكان من جنس البوسنه وكان جسيما طويلا فهما فطنا نبيلا على خلاف ما يترامى من عظيم هيكله وسمن بدنه فانها مظنة البلادة فى الاكثر فاذا أخطأ فيه مقتضاه زادت الفطانة غاية كما تنقل هذه الهيئة عن الامام محمد صاحب ابى حنيفة رضى الله عنه فانه كان فى غاية الفطنة والذكاء يضرب به المثل فى ذلك وكان على باشا له فضيلة فى الانشاء ونظر فى التاريخ اجتمعت به فى رحلتى الى اصطنبول فى سنة خمس وستين وتسعمائة فرأيته لطيف المحاورة حسن المفاكهة لذيذ المصاحبة ذكر لى بعض غزواته الدالة على قوة شجاعته وانه باشر قتال الكفار بنفسه وانه افتتح قلعة عظيمة اقتلعها منهم فقلت له ان لم يقيد ماذكرته بالتدوين يذهب من الخواطر

ولا يعلم تفصيله بعد سنوات قليلة واذا فنى من كان حاضرا فى هذه الغزاة فنى خبره أيضا ولم يذكره أحد بعد ذلك مطلقا وينمحى علمه من صفحات الوجود بعد قليل وذكرت له اعتناء علماء العرب بعلم التاريخ وانه من جملة كتب التاريخ اللطيفة الروضتين فى أخبار الدولتين لابن أبى شامة ذكر فيها دولة السلطان نور الدين الشهيد والسلطان صلاح الدين بن أيوب وغزواتهما مع الفرنج وافتتاح البلاد ومداومتهما على الجهاد وهو كتاب فى غاية اللطف وحسن الوضع باق على صفحات الزمان معلوم عند القاصى والدان مخلد فيه ذكرهما مؤبد فى أطباق أوراق الدهر أثرهما وهما فى الحقيقة أميران من أمرائكم أحدهما بكار بكى مصر والشافى بكار بكى الشام فلأى معنى لا تكون أخباركم وآثاركم مداولة فى الكتب مخلدة فى صفحات الأعصار والحقب فأعجبه كلامى كثيرا وأمر فاصل ذلك الوقت فى الانشاء العربى صاحبنا المرحوم المقدس مولانا على چلبى الحميدى المعروف بقنالوزاده أفندى أحد أفراد الدهر علما وفضلا وواحد علماء العصر كمالا ونبلا طيب الله ثراه وجعل الفردوس الأعلى مثواه أن يكتب شيأ فى ذلك فشرع وأنا بعد هناك فى شئ من هذا المعنى فاتفق فى بابه لطافة وحسنا ثم تقلبت الليالى والايام ومنعت الموانع من حصول ذلك المرام

ثم انقضت تلك السنون وأهلها * فكأنها وكأنهم أحلام

واستمر على باشا على وزارته العظمى فى صدر صدارته الاجل الاسعد نافذ الأمر عالى القدر صاحب الصدر الى أن نقله الدهر عن صدارته ورماه الزمان عن قوس وزارته ودعاه داعى الفنا الى حفرته فعاش سعيدا ومضى الى لحده وحيدا فريدا وانتقل من دار الفنا الى دار البقا حميدا وما صحبه مما تحوله غير ما تقدم من أعماله وقدم على الله الكريم بما كسب من أفعاله وهو أرحم الراحمين بعباده فى كرمه وافضاله ﴿ثم ولى مكانه الوزارة العظمى﴾ فى ذلك المقام الارفع الاسعا آصف الوزراء العظام أسعد السعداء الكرام ﴿حضرة محمد باشا﴾ أبقاه الله تعالى فى صدر الصدارة على الثبات والدوام وصانه عن آفات الدهر وحرسه عن نوائب الايام وناهيك به عقلا وحزما وصرامة وعزما واقداما وحزما ودقة وفهما وفكرا ثاقبا ورأيا صائبا وحذقا وفطانة وصدقا وأمانة وكمالا وجمالا ومهابة واجلالا وسعادة واقبالا ونظرا فى عواقب الامور واعانة لصالح الجمهور ومحبة للعلم والعلماء واعتقادا فى الصلحاء والاولياء واحسانا الى الفقراء والضعفاء وقال فيه

وما بلغت كف امرء متناولا * من المجد الا والذى نال أطول

وما بالغ المهدون للناس مدحة * وان أطنبوا الا الذى فيه أكمل

وكان على وزارته وعظمته وصدارته الى أن أظهر اليه البيضاء وكمال التدبير والمضاء بحيث تحير العقلاء فى ثبات جاشه وعدم نفرته واستيحاشه وضبط الجيش الاعظم وحفظ الخميس العرمرم وهم فى أرض العدو فى حومة القتال وقوة الحرب والصيال وشدة الجلاد والجدال وقد توفى السلطان سليمان فى ذلك الحال فلم يقع شئ من الاختلال وانتظمت الاحوال وأخذت قلعة سكتوار من القزال وهى محشوة بالعدد والعدد من الفرنج الابطال والسلطان فى السكرات والغمرات وكتم ذلك عن جميع خدامه ومن حوله من الأغوات وأرسل الى ولده السلطان سليم من مسافة ستين يوما وأجلسه على التخت وما وضعت الحرب أوزارها بل أضرمت المجاهدون نارها وغنمت المسلمون وخذلت النصارى بأنصارها ثم عاد العسكر وقد انتصر الاسلام واتهدركن الاصنام وخذل الله فى

هذا الحال طوائف الكفار اللئام وكان ذلك الاحتيال والترتيب بتدبير هذا الوزير الحاذق اللبيب ورأيه المنير الثاقب المصيب وتداركه لما يجب تداركه بالقلب الرحيب وكل ذلك بالالهام والامداد من الله القريب الرقيب مع كثرة احسانه وتواتر انعامه وتأنس ألطافه واسعافه واكرامه سيما أهل الحرمين الشريفين من اجراء عيون وحفر آبار وابنية للفقراء وغير ذلك من المآثر الجميلة والخيرات الوافرة الجزيلة التي يجمل أن تفرد بالتأليف وتورد في تصنيف جليل لطيف وله مآثر في أكثر بلاد الاسلام وقد أجرى عين الزرقاء بالمدينة الشريفة بعد ضعفها وأضاف اليها آبارا منها بئر أريس وهي بفتح الهمزة وكسر الراء وسكون الياء المثناة التحتية واهمال آخره معروفة بقباء من أعذب آبار المدينة ذكر المجد الفيروزابادي ان النبي صلى الله عليه وسلم تفل فيها ووقع فيها خاتم النبي صلى الله عليه وسلم من يد سيدنا أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو جالس على حافة البئر فأنزل فيها رجالا ليخرجوه فلم يظفروا به وركب عليها اثنا عشر ناضحا لينزحها فغلبهم الماء ولم يوجد الخاتم وكان أول الفتن الى أن أدت الى شهادته واختلاف الناس على سيدنا علي رضي الله عنه ٢ وبسند هذه الفتن الى ذهاب خاتم النبي صلى الله عليه وسلم * ثم ان في عصرنا جعل حضرة الوزير الاعظم دبلا من مائها الى مصب عين الزرقاء وأصرف على ذلك أموالا عظيمة فقويت العين وأضاف اليها مياه آبار أخرى حلوة قوى بها جريان عين الزرقاء الى أن أجرى دبلا منها الى باب الرحمة وجعل فيه موضع يتوضأ فيه الناس لدخول المسجد الشريف وأجرى دبلا منها الى حمام عظيم مكلف بناه في المدينة الشريفة انتفع به أهل المدينة والوراد ودعوا له بالخير وصار ثوابا جاريا * ومن خيراته أنه أوسع بئر ذي الحليفة ويقال لها بئر علي رضي الله عنه وهو ميقات اهل المدينة واهل الشام للاحرام لدخول مكة فحفرها ونزل في الارض الى أن جعل وجه الماء عشرا في عشر لئلا ينجس بوقوع النجاسة فيها وجعل احد جوانبها الاربع درجا ينزل من أعلاها الى أسفله حيث كان محل الماء فصار كل احد يرد اليه بسهولة بلا تكليف ولا احتياج الى دلو وحبل ونحو ذلك وهذا خير عظيم جزيل * ومنها أنه أمر أن يبنى له مكة المشرفة بقرب الحرم الشريف موضع يكون مأوى للفقراء صونا للمسجد الحرام عنهم وأن يبنى فيه مساطب ومباسط تصلح للمرضى فتكون دار الشفاء لهم وأن يبنى من خارجه دكاكين وبيوت تكرى وتصرف في مصالح هذا المكان وأمر ببناء حمام في وسط البلد عظيم البنيان طيب الماء والهواء وله رباط أيضا وخيرات أخرى كلها مثوبات عظمى * ووردت صدقاته في سنة أربع وثمانين وتسعمائة مضاعفة ففرقت في الحرم الشريف على الفقراء والضعفاء وتضاعف الدعاء منهم لحضرته الشريفة ولنجله السعيد بلغه الله تعالى مراتب الكمال ورزقه السعادة والاقبال والله تعالى يطيل بقاه ويديم عزه وعلاه ويثبت وزارته العليا ويبقيه في صدر الصدارة الكبرى مادامت الدنيا محفوظا بالملائكة الكرام محروسا بعين الله الحي الذي لا ينام مصونا من نوائب الليالي والايام بجاه سيد الانام عليه أفضل الصلاة والسلام

وهذا دعاء شامل النفع للورى * فيارب قابل بالقبول دعائي

﴿ فصل في ذكر غزوات السلطان سليمان عليه الرحمة والرضوان ﴾ كان السلطان المرحوم المغفور له محبا للجهاد في سبيل الله باذلا نفسه وخزائنه باعلاء كلمة الله يؤثر التعب في ذلك على الراحة ويحب الغزو ويرغب اليه عن الاستراحة بحيث لم ترتفع راية الاسلام على رأس أحد من السلاطين العظام

أكثر جهادا ونصرة للدين وأكمل عدة وآلة لقطع دابر المشركين وأكبره لكا وسلطانا وأكثر جيوشا وأعوانا وأقطع سيفا وسنانا وأحمى للاسلام وذويه وانقى للشرك ومنتحليه وأعدى للافرنج الملاعين وأقمع للكفرة والملحدين وأقوى نصرا للاسلام والمسلمين وأشد عضدا لاهل الايمان وأنصر لأهل السنة في هذا الزمان من السلطان سليمان خان فكم دوّخ بلادا الكفر واستباحها ودمر أرض أعداء الله بحافر فرسه واجتاحها وجاس خلال معانيها وروباعها وافتتح صياصيها وقلاعها وأخرب معاهد الاصنام وبنى مساجد الاسلام فلو نشرت صحائف الدول لكانت دولته غرة تلك الدول ولو عددت فتوحات السلاطين لكانت مساعيه طراز تلك الحلل وان غزواته يجب افرادها بالتآليف لتبقى في صفحات الدهر ذكره الشريف وأما هذا التصنيف اللطيف فلا يسع منها الا الطفيف فنذكرها اجمالا في هذه المجالة ونعدد أسماءها في غصون هذه الرسالة فان فسح الله في الاجل وساعد العمر على ذلك الأمل حررنا لآل عثمان تأليفا جليلا وكتابا حافلا طويلا ليستفيد منه علماء العرب والعجم مالا يجدونه في كتب تواريخ الامم ان شاء الله تعالى * نقول أول غزواته * عند ما ولي السلطنة غزوة انكروس برز اليها من القسطنطينية العظمى لاحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين وتسعمائة بعسكر جرار وجيش كرار عظيم المقدار يدك الارض دكا ويصك الجبال الراسيات صكا فلما وصلوا الى ديار الكفار جاسوا خلالها ونازلوا أبطالها وقتلوا رجالها وسبوا نساءها وأطفالها ونهبوا متاعها وأموالها وفتحوا حصونها وقلاعها وملكوا أرضها وبقاعها * وأعظم ما افتتح قلعة بلغراط وهي قلعة منيعة محكمة باقية الى الآن بيد المسلمين وأخذوا غيرها من بلاد المشركين وغنموا الغنائم الكثيرة وآثروا الآثار الأثيرة * وعاد السلطان الى دار ملكه سالما غانما مظفرا منصورا مؤيدا بنصر الله ظافرا مسرورا وزينت البلاد لانتصاره وكان الله من أنصاره وذلك أول فتوحاته وغرة أسفاره وغزواته وكان عوده الى سرير ملكه في شهر ذي القعدة الحرام سنة تسع وعشرين وتسعمائة وفي هذا العام عصى جان بردي الغزالي الجركسي أمير الامراء بالشام وجمع طائفة من عصاة العرب وبعض أشقياء الجراكسة وادعى السلطنة وخطب لنفسه فجهز عليه فرهاد باشا فقاتله بقرب الصالحية وأمسكه وقطع رأسه وأزال عن المسلمين ضرره وبأسه وأرسله الى الباب العالي وكفاه الله أمره ودرأ عن المسلمين فتنته وشره وذلك لسبع مضين من شهر صفر الخير سنة سبع وعشرين وتسعمائة * الغزوة الثانية غزوة رودس هي جزيرة في وسط البحر ما بين اصطنبول ومصر وبنى بها الكفار حصنا حصينا وحصارا في غاية الاستحكام مكينا اتخذه الكفار مكمنا لاخذ المسلمين وأتقنوه غاية الاتقان والتمكين بحيث رسخ أساسه الى تخوم الارضين وارتفع رأسه الى نجوم المشرقين والبطين ينظرون الى السفاين التي تمر في البحر من مسافة بعيدة فيتهيؤن للتحصن ان كان ذلك عسكرا من المسلمين ويأخذونهم ان كانوا من سفار البحر واتخذته النصارى معبدا يجهزون أموالهم اليه ويصرف في استحكام بنائه واتقانه وجعلوا من أعلاه الى أسفله من جميع جوانبه نقوبا وضعوا فيها المدافع الكثيرة الكبيرة ترمي على من يقصدها من الخارج فتصيب كل من قصدها من جهة من الجهات ولها باب من حديد وسلسلة عظيمة في وسط البحر تمنع المراكب من الوصول الى الباب ويهيؤن أغربة مشحونة بالسلاح والمدافع والمقاتلة اذا أحسوا بسفينة في البحر من الحجاج والتجار أخرجوا اليها تلك الأغربة ونهبوا ما فيها من الاموال وأسروا المسلمين

فيقطعون الطريق على هذا الاسلوب ويجمعون الاموال ويصرفونها على مقاتليهم وكان هذا دأبهم وعجزت ملوك المسلمين عن دفع ضررهم وعم اذاهم المسلمين فجهز السلطان سليمان خان بعسكره المنصور الى أخذ هذه الجزيرة وكان مسيره اليها ونزول مخيمه الشريف فى اسكودر متوجها الى هذا الغزو لعشر بقين من رجب المرجب سنة ثمان وعشرين وتسعمائة وكان وصوله الى رودس ونزوله عليها فى شهر رمضان من السنة المذكورة فأحاط بها برا وبحرا وما أمكن منه فى البران يتقدم من حصار رودس للخندق العظيم الذى حولها مع صونه بالمدافع العظيمة من أعلا الحصار ولا أمكن من فى البحر القرب منها للسلسلة الممدودة من الحديد فى البحر والرمى على من يقربها بالمدافع الكبار فصاروا يصيبون المسلمين بالمدافع ولا تصيبهم مدافع المسلمين لمتانة عرض الحصار وعدم تأثير المدافع فيه فتأخرت عساكر البر قليلا وأمروا بسوق الرمال والتراب أمثال الجبال وترسوا بها وصاروا يقدمونها قليلا قليلا الى ان وصل التراب الى الخندق وامتلأ به وقرب منه حذاء الحصار وارتفع عليه وصار المجار الكفار تحت المسلمين يصابون ولا يصيبون ورموا عليهم النار وأحرقوهم بنار الدنيا قبل الآخرة الى ان عجزوا ووهنوا وتحققوا أنهم مأخوذون فطلبوا من السلطان سليمان خان الامان وشرطوا ان يحملوا نساءهم وأطفالهم وأولادهم ونقودهم ويعزموا ان أرادوا فأجابهم السلطان الى ذلك بعد ان نهاه الوزراء عن أمانهم فانهم لم يبق لهم منعة ولا قوة وان الاموال التى أرادوا حملها خزينة كبيرة وان هؤلاء الكفار اذا نجوا بهذه الخزينة أمكنهم التقوى بها وجمع العسكر من النصارى والعود الى أذى المسلمين فلم يطع السلطان الى عزلهم ومنعهم وأعطاهم الامان وخرجوا بجميع أموالهم ومايعز عليهم وأخذوا أولادهم ونساءهم وخرجوا الى بلاد الغرب وعملوا قلعة فى مملكة أصبانيا من جزيرة الاندلس فى غاية الحصار والمتانة ويقال لها مالطه وصاروا يؤذون المسلمين ويقطعون الطريق على الحجاج والسفار وهم الآن وان بعدوا عن المسلمين الا ان أذاهم كثير وافسادهم عظيم وقد ندم السلطان سليمان خان على اعطاء الامان لهم وأرسل اليهم عمارة عظيمة بعسكر عظيم لأخذهم آخر عمره وجعل عليهم مصطفى باشا الوزير الاسفندياري سردار فوقع بينه وبين القابودان فتنة أدت الى انكسار المسلمين وكان فى ضمير المرحوم تدارك هذا الامر وارسال عسكر آخر لأخذ مالطه وقهرها فما أمهله العمر رحمه الله تعالى * وكان فتح رودس لست مضين من شهر صفر الخير سنة تسع وعشرين وتسعمائة وحصل لاهل الاسلام غاية الفرح والسرور بهذا الفتح العظيم وعمل الناس لذلك تواريخ لطيفة ألطفها ﴿يفرح المؤمنون بنصر الله﴾ وفتحت أيضا عدة قلاع فى ذلك العام * منها استانكوس وقلعة بودرم وقلعة أيدوس وغير ذلك من القلاع أخذت من الكفار المجار وصارت فى ضبط العساكر السليمانية وأرسل السلطان سليمان من وزرائه فرهاد باشا مع عسكر الى على بك بن شاه سوار أمير أمراء دلغار فانه كان يظهر الطاعة ويبطن العصيان فاستدعاه الوزير الى عنده وأظهر انه وصلت اليه خلع شريفة سلطانية وتشاريف فاخرة خاقانية له ولاولاده فوصل اليه على بك بن شاه سوار مع أولاده الخمسة فأدخلهم فرهاد باشا الى محل خلوته وأمر بقتلهم فقطعت رؤسهم وجهزت الى الديوان الشريف وضبطت بلاده وكفى الله تعالى شره وذهب فساده ثم عاد السلطان من سفره الى تخت ملكه الشريف اصطنبول دار الاسلام لازالت معمورة الى يوم القيام ووصل اليها فى آخر ربيع الآخر سنة تسع وعشرين وتسعمائة * وفى هذا العام خرج معه كاشف الشرقية الأمير جانم الجركسى عن الطاعة وخرج معه كاشف البحيرة قانيال بك واجتمع عليهما

طائفة من الجراكسة المناحسة وجماعة من عصاة العربان الأبالسة وأظهروا الطغيان فأرسل اليهم بكلربكى مصر يومئذ مصطفى باشا عسكرا فقاتلوا فقتلا وقطع رأسهما وعلقا بباب زويلة ثم أرسلا الى الباب العالى وكانت فتنة درأ الله شرها وكفى المسلمين أمرها وذلك فى محرم سنة تسع وعشرين وتسعمائة * الغزوة الثالثة عود السلطان سليمان خان الى كفار انكروس ثانيا * فان ملك انكروس المسمى قزال ظهر منه الخلاف والجدال فتوجه اليه لقطع جادرته ومحو أثره وعاديته السلطان المرحوم بالجيش الأعظم والخميس العرمرم وضرب أوطانه للظفر فى حلقة لوبكار لاحدى عشرة ليلة خلت من رجب المرجب سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة * ثم رحل بالعساكر المنصورة الى أن وصل نهر طراوه وبنى عليه جسرا من السفاين وعدى بعسكره المنصور على الجسر واستمر الى أن وصل بودون وقاتل القزال الملعون لعشر بقين من ذى القعدة الحرام سنة اثنتين وتسعمائة وفى ذلك الحرب الشديد انكسر قزال الكافر العنيد وانتصرت جيوش الاسلام وتمزقت عباد الصليب والاصنام وافتتحت فى هذه الغزوة عدة من القلاع المشهوره والحصون الشديدة المعموره وصارت من جملتها القلعة أونيك وقلعة تبروان وقلعة ابلوق وقلعة راحمة وقلعة برقاص وقلعة بوكلى وقلعة ولتوار وغيرها من قلاع الكفار وحصون أولئك الفجار وأعظمها قلعة بودون محل تخت انكروس الملعون فانها قلعة راسخة البناء عالية الفضاء سامية الى عنان السماء تناطح الثريا وتسامى السها وتطاول الجوزاء فى غاية الشيان والاتقان واستحكام الوضع والبنيان وهو تخت سلاطين انكروس ومقر سلطنة ملكهم المنحوس وعندما أحاط بها حضرة السلطان وجنود أهل الايمان علم من كان فيها من جنود الشيطان فخرجوا منها وهربوا وطلبت الرعايا الأمان فأمنهم حضرة السلطان وضبط البلاد وجعل فيها عساكر تحفظها من أهل العدوان وغنم كثيرا من الأموال والانفس والأرواح وفتك بأعداء الاسلام وسفك دمهم المطلول المباح وعاد الى مقر سلطنته ودار مملكته سعيدا مظفرا منصورا حميدا فوصل الى سرير السعادة وتخت الملك والسيادة فى أواخر شهر ذى القعدة الحرام سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة (الغزوة الرابعة غزوة بيج) اجتمعت كفار المان ونجه قزال وقردنوس وأغار وأعلى قلعة بدوس وأخذوها من المسلمين على غره فتوجه السلطان الى دفعهم وقلعهم وقمعهم وبرز من اصطنبول الى حلقة لوبكار لليلتين مضتا من رمضان سنة خمس وثلاثين وتسعمائة واستمر راحلا الى أن وصلت الى المخيم العالى امرأة من ملوك انكروس اسمها أردل مانو وداست البساط الشريف السلطانى والتزمت بادا فخراج بلادا نكروس كل عام فقوبلت من الحضرة السلطانية بالقبول وخلع عليها الخلع الفاخرة وكتب لها الأحكام الشريفة بالامان وعادت الى بلادها فى أواسط ذى القعدة سنة خمس وثلاثين وتسعمائة واستمر الوطاق الشريف السلطانى الى أن وصل العسكر المنصور الخاقانى الى قلعة بودون وأحاطوا بها احاطة الأطواق بالأعناق وبياض العين بسواد الاحداق فى أواسط ذى الحجة من السنة المذكورة الى ان فتح الله بدون وسائر البلاد وخذل أهل الكفر والعناد وولوا هاربين مأسورين ومقتولين بعد الحرب الشديد لأربع مضين من محرم الحرام سنة ست وثلاثين وتسعمائة * ثم فتحت قلعة بتاق حصارى ثم توجه العسكر المنصور الى قلعة بيج وهى محل تخت نجه القزال الخائب الآمال وأحاط بها مخيم مراد قان الفتح والنصر القريب بالعسكر المنصور المظفر من عند الله القريب المجيب وهرب منها نجه قزال وهو مدبر مكسور وطلب أهل القلعة الأمان وأتوا بفاتيحها الى حضرة السلطان

فأعطاهم الأمان وأخذ قلعة بيج وهي من أعظم قلاع الكفار المحكمة الراسخة القرار الرفيعة المنار وذلك لليلتين بقيتا من محرم سنة ست وثلاثين وتسعمائة ولما كانت القلعة المزبورة بعيدة عن حدود ممالك الاسلام غير مأمونة من هجوم الكفار اللئام أمرت الحضرة السلطانية بهدمها فهدمت وأخربت ونهب أطراف تلك القلعة وسبيت أولاد النصارى ونساؤهم وتركت خرابا وعادت الحضرة السلطانية الى تخت الملك بالنصر والتأييد والعز المشيد والفرج الجديد فوصل الى اصطنبول في شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين وتسعمائة ﴿الغزوة الخامسة غزوة المان﴾ لما وصلت الاخبار الى الابواب السلطانية ان نجمه قزال جمع طائفة من كفار المان وأراد الفساد والطغيان وتوجه السلطان سليمان خان الغازي في سبيل الله الى قتال هذا الكافر اللعين وبرز من دار الاسلام اصطنبول الى حلقة لوبكا العشر بقين من شهر رمضان المبارك عام ثمان وثلاثين وتسعمائة وأرسل في البحر لحفظ وجه البحر من النصارى وضبط الأسافل والسواحل أمير الامراء الكرام أحمد باشا القبودان بثمانين غرابا مشحونة بالابطال أهل الصفاح والكفاح وتطير اليهم بأجنحة الرياح من غير جناح الى أوائل شعبان المكرم من السنة المذكورة وافتتح عدة قلاع من بلاد الافرنج الفجار وأرعبوا الكفار واستعجلوا بهم الى عذاب النار ووصل المخيم الشريف السلطاني مع الجيش المنصور الخاقاني الى مملكة المان وحرقوا وسبوا من ذراري الكفار أولادا كالنجوم الذراري ومن البنات والنساء خرائد كالكنس الجواري ونهبوا الاموال وقتلوا الابطال ودهكوا الرجال وهرب ملوكهم وتركوا رعيتهم وصعلوكهم وبذلوا ما بقي معهم من الاموال والذخائر على بذل الامان لهم ثلاثة أعوام فأجيبوا من جانب السلطنة الشريفة الى سؤالهم وكتب لهم بذلك توقيع الامان لترقيع حالهم وعادت الحضرة الشريفة السليمانية الى دار ملكها المسعود مظفر الجنود سعيد الجدود في أواخر ربيع الآخر سنة تسع وثلاثين وتسعمائة ﴿الغزوة السادسة سفر العجم﴾ أرسل قبل سفره الميمون الوزير الاعظم ابراهيم باشا بعسكر معظم وجيش كالبحر الغطمطم وفئة كبيرة كالجيش العرمرم لليلتين مضتا من شهر ربيع الاول سنة احدى وأربعين وتسعمائة ووصل الى حلب وشتى بها هو ومن معه من العساكر المنصورة السليمانية والجيوش المؤيدة الخاقانية وبرز عقبه الوطاق الشريف السلطاني والمخيم المكرم الخاقاني العثماني الى اسكودر آخر شهر ذي القعدة الحرام سنة احدى وأربعين وتسعمائة واستمر متوجها النصرة السنة الشريفة السنية وقمع طوائف الرفضة البغية الى أن وصل مخيمه الشريف العالي الى ميلاق أوجان قريب تبريز وجاء الى استقباله المعظم ابراهيم باشا بمن معه من العسكر المنصور وتوجها بجميع العساكر المنصورة الى أخذ سلطانه من مملكة العجم فلما وصل الركاب الشريف السلطاني الى قصبة أبهر هرب من طائفة القزلباش محمد خان ذو القادر ووصل الى ثم البساط الشريف العثماني فحصل له التشريف الشريف والانعام وقوبل بالتكريم والاحترام وصار من جملة عبيد الباب واستولى البرد الشديد على العسكر المنصور ونزل الثلج كأنه الجبال وهرب العدو ولم يقابل وصار يخادع ويقاتل فلزم التوجه الى بغداد لصون الرجال والابطال فلما سمع بوصول العسكر السلطاني حافظ بغداد من جانب قزلباش محمد خان هرب وترك بغداد ومن بها من الرعية فجاؤا بمفاتيحها الى الاوطاق السلطاني فنزل بعسكره المنصور في بغداد وأعطى الامان لاهلها واستكنوا في كنها وصارت من مضافات الممالك الشريفة العثمانية وكذلك ما حولها من جميع البلاد والبقاع وسائر الحصون والقلاع وكذلك

المشعشع والجزائر وواسط وأمرت الحضرة السلطانية بتحصين قلعة بغداد وحفظها وصونها من أهل الالحاد وزار مشهد سيدنا الامام الحسين وسيدنا الامام موسى الكاظم رضى الله عنهما ونور مرقدهما ونفع ببركتهما وبركات أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بتعميرهما وتكريم مزارهما الشريف وزار الامام الاعظم أبا حنيفة النعمان بن ثابت رضى الله عنه وبنى على قبره الشريف قبة وعمارة ومدرسة * وصلب فى بغداد دفتردار المرحوم المغفور له الشهيد السعيد اسكندر چلبى بتهمة الخيانة فى المال السلطانى برمى أعداه وحساده وبراءته من ذلك عند الله وعند الناس وكان كريما بذولا حسن الخلق محسنا ماخاب من قصده ولا حرم من أمله مع الفضل التام والكرم العام رحمه الله تعالى وأسكنه الفردوس الاعلى وبوأه من الجنات الدرجات العلى ويتهم الوزير ابراهيم باشا برميه بسهام محبة وما حال عليه الحول حتى ألحق به واجتمعا فى دار الحق بين يدى الحكم العدل اللطيف الخبير * ثم توجه الركاب الشريف السلطانى بعد مضى شدة الشتاء ليلتين مضتا من شهر رمضان المبارك الى ناحية تبريز لانه بلغه ان الشاه شتى فى تبريز وانه مقيم بها فقصده للقتال ومحو أثره من صحائف الايام والليال فلما وصل الى منزل صارو قامش وصل من الشاه ومن باج لوخانم ايلجيا يطلب الصلح فلم يقابل بالقبول وتوجه الى تبريز فخرج الشاه وطائفة القزلباش من تبريز الى الاطراف والجهات وتركوا شهر تبريز خالية خاوية على عروشها وتبعهم العسكر المنصور فاظفروا بهم وصار الشاه يتنقل من مكان الى مكان وتكررت رسله الى الابواب العالية يطرق باب الصلح ويتحقق حضرة السلطان الاعظم ان الصلح خير فقبل الصلح وكتبت الاجوبة بقبول ماطلبه وانطوى بساط الحرب وتوجه المخيم الشريف السلطانى الى العود من بلاد العجم وغنم السلطان فى تلك السفرة أخذ البلاد وفتح عراق العرب وألطف تاريخ قيل فيه * فتحنا العراق * وكان وصول الركاب الشريف السلطانى مع العسكر المظفر العثمانى الى محل التخت الشريف السليمانى مع النصر والتأييد الربانى والفتح العظيم السبحانى لاربع عشرة ليلة مضت من شهر رجب سنة احدى وأربعين وتسعمائة * الغزوة السابعة غزوة ألونيه المعروفة بكورفس * وهى بلاد الكفار الفجار من اتباع اسبانيا الغدار توجه اليها فى البر بركابه الشريف العالى وأرسل فى البحر لطفى باشا والقابودان خير الدين باشا بنحو خمسمائة غراب مشحونة بعساكر البحر الى ان نزل بمخيمه المنصور على أولونيه فى سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة فاستباحها قتلا وأسرا ونهبا وافتتحت فى جزائر ذلك البحر أربعة وثلاثون حصنا حصينا هدمت الى الاساس وقتل من فيها من الناس وغنمت جيوش المسلمين من طائفة الكفار المشركين مالا يحصى من الاموال والسبايا وعاد السلطان مع سائر عساكره المجهزة براو بحرا الى تخت الملك الشريف سالمين غانمين والحمد لله رب العالمين * الغزوة الثامنة غزوة قرابغدان * توجه بنفسه النفيسة لافتتاح تلك البلدان وبرز بعسكره الجرار لقتل الكفار الفجار بالسيف والنار ووصل ركابه الشريف الى تلك البلاد وقتل فيها وفتك وأسال الدماء وسفك وافتتح القلاع وأخذ الرقاع والبقاع وغنم أموالا ومغانم كثيرة وأسر نفوسا عديدة غير محصورة وعاد الى تخت ملكه الشريف مؤيدا من عند الله تعالى بالنصر والتأييد والفتح الجديد فوصل الى دار الاسلام القسطنطينية الكبرى لست ليال بقين من ربيع الآخر سنة أربع وأربعين وتسعمائة * الغزوة التاسعة غزوة اسطوبور من بلاد انكروس * وذلك ان السلطان رحمه الله كان أنعم على ازدلبالو بتلك البلاد وبلغه انها توفيت وان نجمه قزال ومن معه من الكفار والفجار أرادوا الاستيلاء

على بلادها بعد موتها فتوجه السلطان رحمه الله الى دفع اولئك الفجار سنة ثمان وأربعين وتسعمائة وصمم على قتال غمه قزال لانه أراد أخذ بودون ووسوست له نفسه ما يخيله المفسدون فلما أحس بوصول العسكر المنصور السلطانى فرهارا الى الجبال وتقهقر عن القتال فتتبعه الابطال ففر منهم فى أطراف تلك الجبال فجالت العساكر المنصورة السلطانية فى تلك البلاد وقتلوا أهل البغى والعدوان والفساد وفتكوا بجيوش الكفر والطغيان وسبوا الاولاد والاطفال والنسوان وتركوا ديار الكفر قاعا صفصفا وغنموا مغانم كثيرة وذخائر تختار وتصطفى وفتحت قلعة اسطوبور بقرب بودون بعد الحرب الشديد وأضيفت الى الممالك السلطانية وضبطت وحفظت * وفتحت أيضا قلعة وشره وقتل من الكفار ما لا يعد ولا يحصى وعادت الحضرة السلطانية بمن فى ركابها الشريف من العساكر المنصورة العثمانية الى مقر تختها الشريف منصورين مؤيدين لتأييدهم الدين الحنيف * الغزوة العاشرة غزوة بيج راسترغون * توجه الركاب الشريف السلطانى والمخيم المنصور السليمانى الى افتتاح عدة قلاع فى بلاد بيج لتنظيف أطراف البلاد من طوائف الكفار أهل العناد من قطع دابر أولئك الفجار بالغزو والجهاد فى سنة خمسين وتسعمائة وبرز من دار الملك اصطبول بالجيش المتواتر الموصول والجند الاعظم المهول الى ان أحاط بقلعة بيوه وقلعة شقلاوش وهما من أحكم القلاع السامية وأعظم الحصون المرتفعة العالية تناطح النطح وتسامك السماك وتوازن الميزان فافتتحتا فى غرة ربيع الأول من ذلك العام وصارت من مضافات ممالك الاسلام * ثم فتحت قلعة استرغون وهى قلعة فى غاية الاتقان والاستحكام أشد فى احكام البنيان من الاهرام كان قنديل رأسها نجوم الثريا وحارس بابها الكوكب العواء ونطاق منطقها وشاح الجوزاء مشحونة بالاموال والذخائر مملوءة بالعدد والعدد الوافر ألقى الله تعالى فى قلوب أهلها رعب عساكر الاسلام وخذلهم الله تعالى فما منعهم ذلك المنيع وما وجدوا الاعتصام فاخذوا أخذا وبيلا وأسروا وقتلوا تقتيلا ونهبت الاموال وسبيت النساء والاولاد والاطفال وأخذوا ما حولها من البلاد والبقاع وافتتح ما يقربها من الحصون والقلاع وكذلك فتحت قلعة استولين بلغراد وهى قلعة سامية العماد راسخة الاوتاد لم يخلق مثلها فى البلاد كأنها من بناء شداد أخذت وضبطت وعين لها ولغيرها من القلاع الحفاظ النبلاء الايقاظ ونصب لكل منها دزدارا وحصارية وقاضيا يجرى الاحكام الشرعية وسنجقا للاستحفاظ وصارت من مضافات الممالك المحروسة السلطانية وصارت الكنائس مساجد للصلاة والعبادات والبيع مشاهد للخيرات والطاعات وعاد الركاب الشريف السلطانى الى سرير ملكه وتخته الخاقانى مظفرا منصورا سالما غانما مسرورا * الغزوة الحادية عشر سغر القاس * وهى تحتمل تفسيرا طويلا لا تحتمله هذه العجالة فنعدل عن الاسهاب والاطالة * ومجملها ان القاس اخو الشاه لابيه وكان واليا على شروان فوقعت بينهما مشاحنة فى الباطن أدت الى توجه القاس الى الابواب الشريفة السلطانية وقبل اليد الكريمة الخاقانية السليمانية فحصل له من الحضرة السلطانية اقبال عظيم ومرتبة عليه وانعم عليه بالانعامات الجليلة السنية ووعده بأن ينصره على اخيه ويؤيده ويعلى كلمته ويواليه وامر الوزراء العظام وأركان دولة الاسلام ان يقدموا له الهدايا الجزيلة والتحف الوافرة الجميلة ففعلوا ذلك وجابروه وعظموه وناصروه وكان ذلك فى سنة اربع واربعين وتسعمائة واستمر ملتجأ الى الظل الشريف الوريف الممدود على القوى والضعيف وصار السلطان سليمان خان يصاحبه ويلاطفه ويقربه

ويستدنيه ويوالفه الى ان صمم العزم الجزم وشد نطاق الصرامة والحزم وبرز بعسكره المظفر ونصب أوطاقه فى اسكودار لثمان ليال مضين من شهر صفر الخير سنة خمس وخمسين وتسعمائة ومعه القاس ميرزا مكرما تكريما ومعززا تعزيزا وتوجهت الحضرة الشريفة السلطانية الى أخذ تبريز وامر القاس ميرزا ان يشتى فى بغداد الى ان يمضى زمان الشتاء فيهجم بالعسكر المنصورة فى بلاد العجم فاستمر الركاب الشريف السلطانى سائرا بالعون السبحانى والنصر والفتح الربانى الى ان أخذ قلعة وان بعساكر اهل الايمان وجعل فيها بكار بكيا وعسكرا قويا فانها اقفل ديار العجم وحصنها بآلات الحصار والخدم واستمر القاس ميرزا متوجها الى بغداد ثم توجه ببعض العساكر السلطانية الى دركزين ووصل الى همدان وتعدى منها الى اذربيجان ونهب تلك البلدان واستلب أوطاق أخيه ميرزا وعاد الى المخيم الشريف السلطانى والوطاق المحفوظ الخاقانى بما نهبه من الأموال وحصل له غاية الاعتبار والاقبال وغلب برد الشتاء فشتى حضرة السلطان بالمخيم الشريف السلطانى فى حلب وجهز جيشا كثيفا مع أحمد باشا لحفظ حدود البلاد وغزا طائفة الكرج واغتنم منهم غنائم وعاد الى الأوطاق الشريف السلطانى بغنائمه * وأما القاس ميرزا فنابذ بعض الوزراء وخرج من بغداد مغاضبا وأظهر النفور من جانب السلطنة الشريفة ولم يراع الايادى الجميلة السابقة واللاحقة وعزم الى أمير من أمراء الاكراد فعلم أخوه به فأرسل اليه وخادعه واستدعاه الى عنده ودلاه فى بئر وطم أثره ومحى ذكره فرزق الشهادة ولحق بالشهداء والى الله المصير * ولما وصل علم ذلك الى الحضرة الشريفة السلطانية تأسف على ذهابه وعزل ذلك الوزير عزلا مؤبدا وعادت العساكر المنصورة السلطانية فى ركاب الحضرة السليمانية الى دار ملكها السعيد بالنصر والتأييد والسعد الجديد والعز المشيد فى أواخر سنة خمس وخمسين وتسعمائة

* الغزوة الثانية عشرة سفره الى الشرق * لما بلغ الحضرة الشريفة السلطانية تحرك طائفة القزلباش على بعض الحدود السلطانية من جانب الشرق بادرت الحضرة السليمانية بجيوشها المنصورة العثمانية الى أن تشتى فى مدينة حلب وبعد انقضاء الشتاء يتوجه الى اخذ قزلباش فبرز الوطاق الشريف السلطانى من دار الاسلام القسطنطينية العظمى الى اسكودار فى أوائل شهر رمضان عام ستين وتسعمائة واستمر الى ان وصل الى اركلى يقطع المراحل والمنازل فاستقر أوطاقه الشريف العالى خارج اركلى واستدعى ولده السلطان مصطفى فامتثل امره الشريف ووصل اليه ودخل الى جركاه العالى فبرز الامر الى تابوت حمل على الاعناق الى بورسا واتبع به ولده ودفن معه فى بورسا ايضا عليهما الرحمة والرضوان وروائح الروح والريحان وقع ذلك فى أواخر شوال سنة ستين وتسعمائة وقد قدمنا شرح ذلك وتوجهت الركائب الشريفة السلطانية الى بلاد حلب واستمر بها ايام الشتاء وتوفى بها السلطان جهانكير قرة عين السلطنة الشريفة وثمرة فؤادها العشر ليال بقين من ذى الحجة الحرام سنة ستين وتسعمائة وجهز تابوته الى اصطنبول فى ذى الحجة سنة ستين وتسعمائة * ولما انقضى الشتاء توجه الركاب الشريف السلطانى الى الجوان من بلاد العجم فأخلاها الشاه وتركها خالية ومضى الى الاطراف والجوانب ولم يقاتل ولم يحارب ولم يقابل فعادت الحضرة السلطانية الى أماسيه وأقام ليكر على بلاد العجم ثانيا فجاءت رسل الشاه وطرق باب الصلح فرأت الآراء الشريفة السلطانية اجابة الشاه الى سؤاله ترويحا للعسكر السلطانية وصونا لدماء الرعية فأنعمت على الشاه بقبول ما يتمناه وامرت بارسال اجوبة حسب مراده ومناه وعادت حضرتها الشريفة الى تخت ملكها الشريف محمودا ظل سلطانها الوريف

* قوله همدان لعلها بالمعجمة لانها الى العجم وأما همدان بالمهملة فهى باليمن اه

واستقرت

واستقرت ذاتها العلية قريرة العين بالسعادة الباهرة السنية على تخت الخلافة البهية بدار الاسلام قسطنطينية لازالت بسيوف السلطنة العثمانية محروسة محمية آمين وذلك فى سنة احدى وستين وتسعمائة ﴿الغزوة الثالثة عشر غزوة سكتوار وهى آخر غزواته الكبار﴾ لما كان دأب هذا السلطان الأعظم المجاهد فى سبيل الله ونصرة دين الاسلام كدأب آبائه وأسلافه العظام ولكل امرء من دهره ماتعود وعادة الجهاد فى سبيل الله أعظم ذخرا عند الله وأعود تاقت نفسه النفيسة الى الجهاد واشتاقت الى قتال الكفار الفجار وصممت على السفر الى بيج ودمشوار وكان مزاجه الشريف متوعكا باستيلاء مرض النقرس عليه ويتألم آلاما شديدا ويتصبر صبر الرجال ويظهر غاية التجلد والاحتمال فمنعه عن السفر رئيس الاطباء صاحبنا المرحوم الشيخ بدر الدين محمد بن محمد القوصونى المصرى وكان من أحذق الحذاق وأفضل الفضلاء فى سائر العلوم على الاطلاق أديبا أريبا كاملا لبيبا طبيبا حبيبا بينى وبينه ملاطفات ومراسلات أدبية ومطارحات تجتنى ثمار الادب الغض من رياضها وتقتطف ازهار المفاكهة من اكمام اغصان حياضها برد الله مضجعه وأنزل عليه من زلال رحمته سلسبيلا وسقاه من الجنة كاسا كان مزاجها زنجبيلا فلم يمتنع السلطان المرحوم عن السفر ولم يطع الطبيب فيما ذكر وقال له اريد اموت غازيا وابذل روحى فى سبيل الله مجتهدا ساعيا فبرز بجيوشه المنصورة وجنوده ورايته المقرونة بالنصر وبنوده والظفر يقدمه والسعد يخدمه وأنقض كالشهاب الثاقب والحسام القاطع القاضب حتى طرق الكفار كالاحلام الطوارق وخفقت أعلامه كالرياح الخوافق واختطف أبصارهم ببوارق الأسياف والصواعق * وكان بروزه من القسطنطينية المحمية فى يوم الاثنين المبارك لتسع مضين من شوال المقرون بالظفر والسعادة والاقبال سنة اربع وسبعين وتسعمائة واستمر يموج بجيوشه كالبحر المواج ويفيض احسانه على فقير محتاج كالغيث الثجاج وهو يقطع المراحل والمنازل ويسلك فجاج المسالك والمناهل الى قطع الانهار الغزار والمياه العظيمة الكبار بجسور محكمة بنيت عليها وسفائن كالاطواد غرقت فيها لتدعم الجسور اليها الى أن أمكن تعدية ذلك بالجيش العرمرم ومرور ذلك الجيش الاكبر والسواد الاعظم ونزلوا بعد الحط والترحال ومعانات الاهوال على قلعة سكتوار من أعظم قلاع الكفار وهى أعظم قلاع دمشوار فأحاطوا بها كاحاطة الطوق بالعنق ودار واحولها وعليها دوران الافلاك على الافق وهى مدينة حصينه واسعة شاسعة مكينه راسخة البناء فى حضيض الماء شامخة الهواء الى عنان السماء فى غاية العلو والتحصين واعلاء درجات الاستحكام والتمكين واقوى ما يبد الكفار من المكان الحصين كانها فى الارتفاع والشهوق تناطح النواطح وتعاوق العيوق وكان بريق نيرانها لمعان البروق عند الخفوق مشحونة بآلات الحرب والمدافع مملوءة بالمكاحل الكبيرة والمقامع موسوقة بجيوش النصارى وابطالهم موسومة بفتيانهم الشجعان من رجالهم فحفرهم عسكر الاسلام وحاصروهم وضيقوا عليهم مسالكهم وصابروهم وناوبوهم وصالوا عليهم وحاشوهم فتحصن الكفار فى قلعة سكتوار ورموا على المسلمين بقمامع النار فتترس المسلمون بالمتاريس وهجموا على الكفرة المناحيس وحموا الوطيس وتحمس الحميس وأقدم من الابطال المشهورين والفرسان والشجعان المخبورين من أظهر بشجاعته يده البيضاء آية للناظرين وطلب من الله النصر وهو خير الناصرين وعند اشتداد الحرب والقتال وتصادم الأبطال تصادم أطواد الجبال اذ غلب على السلطان توعكه وسقمه

واشتد عليه مرضه وألمه وغمرته غمرات الموت ولاحت أمارات الفوت وهو يلهج الى الله المجيب ويتضرع الى جنابه الرحيب بطلب الفتح القريب فاستجاب الله الكريم دعاه وحقق بحصول المراد رجاه واضطرمت النار فى خزينة بارود الكفار وهى مخزونة بقلعة سكتوار وكانوا أعدوها لقتال المسلمين وأكثروا منها لتكون موفرة عندهم فأصابها شرر من النار بتقدير القدير القهار فاخذت جانبا كبيرا من القلعة رفعته الى عنان السماء وزلزلت الأرض زلزلة هائلة الى تخوم الماء وتطايرت جلاميد الصخار الى الهواء ورمت شررا ولهبا ودخانا الى أن امتلأ الفضاء فضعفت بذلك طائفة الكفار وعذبهم الله بالنار قبل عذاب النار وتزاحم المجاهدون فى سبيل الله معتمدين على نصر الله بآلات الحرب والجهاد وصدق النية والاعتقاد واشتد القتال والجلاد ورمى الكفار بمدافع أقوى من الصواعق واخطف للأسماع والابصار من الرعود والبوارق وثبت المسلمون وتقدموا على النيران وهم كالاطواد الراسخة بقوة الجنان لم يتأوه احدهم والنار تحطمه وتدفعه ولم يبال على أى جنب فى الله مصرعه وتقدم الجيش المنصور وطبول الحرب ومزاميرها كنفخ الصور يوم النشور والمدافع تتهادى كما تتهادى الشهب وتترامى بالاحجار كما ترامى بوارق السحب وتوجهت المسلمون توجها خالصا لوجه الله وحملت على الكفار حملة واحدة بعناية التيقظ والانتباه غير مبالين بموت ولا حياه موقنين بأن لا مفر مما قدره الله وتعلقوا بأطراف القلعة واقتلعوها من ايدى الكفار وهجموا عليها ودخلوها من فوق الاسوار وقتل منهم من قتل ونجا من نجا باعانة الاقدار وافتتحت قلعة سكتوار ورفعت الرايات السلطانية على أعلا منار ووضعت السيوف السليمانية فى جميع الفجار وقتلوهم وساقوهم الى جهنم وبئس القرار وعند وصول خبر الفتح الى السلطان سليمان فرح وحمد الله تعالى على هذه النعمة والاحسان واستسلم لربه وقال طاب الموت الآن وانتقل من سرير الدنيا الى سرر مرفوعة فى أعلا الجنان وأخفى حضرة الوزير الأعظم محمد باشا وفاة السلطان وخرج من عنده وفرق الجوائز السنية والانعامات واعطا الامرا والبكاربكى الترقيات وأمر بارسال البشائر الى سائر الاطراف والجهات وأرسل سرايستدعى السلطان سليم خان الثانى ويستعجله فى سرعة الوصول الى التخت الشريف العثمانى وكتم ذلك عن جميع الخواص والخدام وعن جميع العسكر والامرا والوزرا وسائر الانام وأحسن التدبير فى هذا الكتم وهو من اللازم الحتم فى الامور العظام واستمرت أمور المملكة فى غاية الانتظام وأحوال العسكر المنصور السلطانى فى أعلا درجات النظام وهم فى ديار الكفر بعيدون عن ديار الاسلام وذلك من كمال العقد التام والرأى الثاقب الصائب التمام الى أن وصل حضرة السلطان سليم الى مقر تخته الكريم وأذن للعساكر المنصورة بالرجوع الى أوطانها وعاد مع أركان دولته ووزرا سلطنته وبقية عساكره الى القسطنطينية العظمى كما سيأتى تفصيله ان شاء الله تعالى وغسل المرحوم السلطان سليمان وحنط وكفن وانشد لسان الاعتبار يقول فيه

انظر لمن ملك الدنيا بأجمعها * هل راح منها بغير القطن والكفن

ووضع فى تابوت وحمل على الاعناق وقد قلدها فى حياته قلائد نعم حلب محل الاطواق وهو من يليق ان ينشد فيه

كم قلت للرجل المولى غسله * هلا أطاع وكنت فى نصحائه

وأزل أفاويه الحنوط ونحها * عنه وحنطه بطيب ثنائه
ومر الملائكة الكرام بحمله * فلطال ما احملن من نعمائه

واستمر محمولا الى ان اتى به الى اصطنبول وخرج لاستقباله جميع العلماء والموالى العظام والمشايخ الاتقياء الكرام وسائر اصناف الانام وبكوا عليه بكاء طويلا وأكثروا تحبيبا وعويلا وصلوا عليه وأمهم فى صلاة الجنازة المفتى الاعظم مولانا أبو السعود أفندى عالم بلاد الاسلام ودفن فى تربة اعدها لنفسه رحمه الله تعالى ورثاه الشعراء بكل لسان بقصائد طنانة سارت بها الركبان أعظمها وأحسنها قصيدة المفتى المذكور وهى طويلة حسنة حذفت بعضها ومالاختصار وذلك قوله رحمه الله تعالى

أصوت صاعقة أم نفخة الصور * فالارض قد ملئت من نقرنا قور
أصاب منها الورى دهياء دهية * وذاق منها البرايا صعقة الطور
تهدمت بقعة الدنيا لرقعتها * وانهد ما كان من دور ومن سور
أمسى معالمها يتما مقفرة * ما فى المنازل من دار وديور
تصعدت قلل الاطواد وارتعدت * كأنها قلب مرعوب ومذعور
واغبرت ناصية الخضراء وانكدرت * وكاد يمتلئ الغبراء بالمور
فمن كئيب وملهوف ومن دنف * عان بسلسلة الاحزان مأسور
فيالله من حديث موحش نكر * يعافه السمع مكروه ومنقور
تاهت عقول الورى من هول وحشته * فأصبحوا مثل مجنون ومسحور
تقطعت قطعا منه القلوب فلا * يكاد يوجد قلب غير مكسور
أجفانهم سفن مشحونة بدم * تجرى بحر من العبرات مسجور
أتى بوجه نهار لا ضياء له * كأنها غارة شنت بديجور
أم ذاك نعى سليمان الزمان ومن * مضت أوامره فى كل مأمور
ومن ومن ملأ الدنيا مهابته * وسخرت كل جبار وتيهور
مدار سلطنة الدنيا ومركزها * خليفة الله فى الآفاق مذكور
معلى معالم دين الله مظهرها * فى العالمين بسعى منه مشكور
وحسن رأى الى الخيرات منصرف * وصدق عزم على الالطاف مقصور
بآية العدل والاحسان ممتثل * بغاية القسط والانصاف موفور
مجاهد فى سبيل الله مجتهد * مؤيد من جناب القدس منصور
بلهدمى الى الاعداء منعطف * ومشرفى على الكفار مشهور
ورايه رفعت للمجد خافقة * تحوى على علم بالنصر منشور
وعسكر ملأ الآفاق محتشد * من كل قطر من الاقطار محشور
له وقائع فى الآفاق شائعة * أخبارها زبرت فى كل طامور
يا نفس مالك فى الدنيا مخلقة * من بعد رحلته من هذه الدور
وكيف تمشين فوق الارض غافلة * أليس جسمانه فيها بمقبور

حق على كل نفس أن تموت أسى * لكن ذلك أمر غير مقدور
فللمنايا مواقيت مقدرة * تأتى على قدر فى اللوح مسطور
وليس فى شأنها للناس من أثر * ومدخل ما بتقديم وتأخير
يانفس فاتئدى لاتهلكى أسفا * فأنت منظومة فى سلك مقدور
اذلست مأمورة بالمستحيل ولا * بما سوى بذل مجهود وميسور
ولا تظنينه قدمات بل هوذا * حى بنص من القرآن مزبور
له نعيم وارزاق مقدرة * تجرى عليه بوجه غير مشعور
ان المنايا وان عمت محرمة * على شهيد جميل الحال مبرور
مرابط فى سبيل الله مقتحم * معارك الحتف بالرضوان مأجور
مامات بل نال عيشا باقيا أبدا * عن عيش فان بكل الشر مغمور
ابتاع سلطنة العقبى بسلطنة الدنيا فاعظم بربح غير محصور
بل حاز كلتيهما اذ حل منزلة * من لم يغايره فى أمر ومأمور
أما ترى ملكه المحمى آل الى * سرسرى له فى الدهر مشهور
ولى سلطنة الآفاق مالكها * براو بحرا بعين اللطف منظور
ظل الاله ملاذ الخلق قاطبة * وملتجى كل مشهور ومدهور
فانه عينه فى كل مأثرة * وكل أمر عظيم الشان مأثور
ولا امتياز ولا فرقان بينهما * وهل يميز بين الشمس والنور
مجدد ماجد زادت مهابته * تخت الخلافة فى عز ومنصور
جد الجديدان فى أيام دولته * صارا كأنهما مسك وكافور
أضحى بقبضته الدنيا برمتها * ما كان من مجهل منها ومعمور
بدا بطلعته والناس فى كرب * وسوء حال من الاحوال منكور
فاصبحت صفحات الارض مشرقة * وعاد أكنافها نورا على نور
سبحان من ملك جلت مفاخره * عن البيان بمنظوم ومنثور
كأنها ويراع الواصفين لها * بحر خميس الى منقار عصفور
لازالت أحكامه بالعدل جارية * بين البرية حتى نفخة الصور

فصل فى بعض مآثر المرحوم السلطان سليمان خان وخيراته وصدقاته الجارية الحسان فى جميع البلدان سيما فى بلد الله الحرام وبلد خاتم الانبياء والرسل الكرام عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام

(اعلم) ان الخيرات والمبرات والمساجد والعمارات والمدارس والخانقاهات واجراء العيون وبناء القلاع والخانات وغير ذلك من أنواع الخيرات فى كل الجهات التى أنشأها المرحوم السلطان سليمان خان رحمه الله تعالى كثيرة جدا لا يمكن حصرها ولا تدخل تحت حيطة البيان ذكرها ولا يسع هذا الكتاب لكنا نذكر جملا من ذلك فما لا يدرك كله لا يترك كله ونذكر خيراته فى الحرمين الشريفين ونحيل ما عداها الى السماع والمشاهدة برأى العين فمن ذلك الصدقة الرومية التى هى الآن مادة حياة أهل الحرمين الشريفين وبها معاشهم وقيام أودهم وسبب بقائهم ومددهم فانها وان كانت قديمة متواصلة

من زمن آبائه السلاطين العظام واجداده الملوك الفخام الان المرحوم السلطان سليمان خان هو الذى زادها وضاعفها وأغناها وكثرها وقررها وأضاف اليها من خزائنه الخاصة مبلغا كبيرا فهى ترد ولله الحمد فى كل عام بدفتر محفوظ مضبوط وأمين وكاتب تقسم فى الحرمين الشريفين تجاه بيت الله المطهر المنيف وتقرأ الفواتح بالاخلاص ويكثر الضجيج من الفقراء والفقهاء والعلماء والصلحاء والدعاء بدوام سلطنة سلطان الزمان والرحمة والرضوان على آبائه وأجداده من آل عثمان وتفرق عليهم حسب الدفتر الشريف السلطانى الموسوم بالشان الشريف العثمانى فيصرفون ذلك فى قضاء ديونهم فان فضل فضلة اصرفوها فى حجهم وكساويهم وأنفقوها على عيالهم وأولادهم ولم يقع الاحسان على هذه الصورة لاحد من السلاطين والخلفاء والملوك وغيرهم ولكن ليست بهذا الضبط والاستمرار والوصول فى محلها وتعميم الناس بها وكانت للخلفاء العباسيين وغيرهم صدقات كثيرة واسعة الا انها كانت ترد مرة فى العمر أو عند وصول خليفة منهم الى الحج ما تحققناه مواظبة وصولها على هذا الوجه الذى شرحناه لأحد غير ملوك آل عثمان خلد الله سلطنتهم وهذه بركة جليلة ونعمة كبيرة جزيلة يتميزون بها على غيرهم فالله تعالى يديم ذلك على جيران بيته الحرام وجيران نبيه أفضل الانام عليه أفضل الصلاة والسلام بدوام سلطنة آل عثمان الملوك العظام المخلد ذكر جميلهم فى صفحات الأيام ابقاهم الله تعالى الى يوم القيامة

* ومنها صدقة الحب وقد تقدم ان المرحوم سليم خان الاول أول من تصدق بارسال صدقة الحب الى اهل الحرمين الشريفين عند افتتاحه بلاد العرب وأخذه لاقليم مصر والشام وحلب واستمرت متواصلة الى زمن المرحوم السلطان سليمان خان وكانت ترسل من انبار الخاص السلطان وأفرد لها السلطان سليمان قرى بمصر اشتراها من بيت مال المسلمين ووقفها وجعل غلتها وريعها لاهل الحرمين الشريفين وكتب لذلك كتاب وقف حكم بصحته قضاة العسكر بالديوان الشريف العالى وجعل من ريعها ألفا وخمسمائة اردب لاهل المدينة المنورة يجهزها فى كل عام الناظر المولى على ذلك ثم ضاعفها وجعل فى كل عام لاهل مكة المشرفة ثلاثة آلاف اردب ولأهل المدينة المنورة ألفى اردب واستمرت ترد كل عام وتوزع على أهل الحرمين حسب دفتر مقيد باحكام شريفة سلطانية وتذاكر باشوية وتقريرات من القضاة ونظار الحرم الشريف واستقر الحال على ذلك واستمر الى أوائل هذا والى ما بعد ان شاء الله تعالى وهذا أيضا احسان عظيم وخير جميل عميم صار سببا لمعاش أهل الحرمين الشريفين وتقوتهم ومادة لحياتهم ومعيشتهم وأودهم وقوتهم فلو عدموه والعياذ بالله هلكوا والدعاء من صميم قلوبهم مبذول فى الحرمين الشريفين بدوام دولة سلطان الزمان والترحم على آبائه الكرام واسلافه العظام وهذا الاحسان لم يعهد فى زمن السلاطين السابقة ولا أيام الخلفاء السالفة بل هو مخصوص بسلاطين آل عثمان الا ما فعله السلطان قايتباى رحمه الله تعالى بعد ما حج بيت الله الحرام وزار المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام فانه وقف على أهل المدينة ضياعا وقرى يصل ريعها الى الآن الى الحرمين الشريفين وللسلطان حقوق أيضا أوقاف يصل منها شئ دون ذلك الى الحرمين الشريفين وقد آلت أوقافها الى الخراب وضعف ريعها جدا وأما الاوقاف الشريفة العثمانية فعامرة آهلة يفيض منها الزوائد ويحصل منها النمو وعليها مدار معيشة أهل الحرمين الشريفين عمرها الله تعالى وأغناها وعمر عمر من عمرها ويزكى من زكاها * ومنها صدقات الجوالى وهى جمع جالية ومعناه ما يؤخذ من أهل الذمة فى مقابلة استمرارهم فى بلاد الاسلام تحت الذمة وعدم جلائهم عنها وهى من أجل الاموال ان

أخذت على وجهها المشروع ولأجل حلها جعلت وظائف العلماء والمتقاعدين من الكبراء وكان يخرج منها شيء قليل في أيام الجراكسة لبعض المشايخ فلما كانت سلطنة المرحوم السلطان سليمان خان نور الله تعالى مرقده وحفه بالرحمة والرضوان أخرجها من خزائنه العامرة بالتدريج الى العلماء والمشايخ من أهل الحرمين الشريفين ومن أهل مصر ومن المتقاعدين بمصر وبالحرمين الشريفين الى ان استوعب صرفها جميعها وزاد عليها قدرا أخرجه من خزائنه الشريفة وذلك من جوالي مصر وحدها غير جوالي الشام وحلب وغيرها من الممالك الشريفة العثمانية وغير ما يصرف على الفقراء والعلماء والمشايخ من محصول المملكة في سائر ممالكهم المحروسة وغير ما يصرف ملوك بني عثمان من ريع أوقافهم وزوائدها وغير ما يخرجون من خزائنهم العامرة في وجوه الخيرات واستمرار هذه الادرارات لاحد من السلاطين والخلفاء والملوك العظام الكرام الحنفاء في زمن من الازمان في دولة ملك أو دور سلطان فالله تعالى يبقي هذه الدولة الشريفة الباهرة والسلطنة القاهرة الفاخرة الزاهرة الى ان تنقضي الدنيا وتقوم الآخرة * ومن خيراته الدارة اجراء العيون ومن اعظمها اجراء عين عرفات الى مكة المشرفة وسبب ذلك ان العين التي كانت جارية بمكة هي عين حنين وهي من عمل أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن المنصور زوجة هرون الرشيد واسمها أمة العزيز وكان جدها المنصور يرقصها وهي طويلة ويقول أنت زبيدة فاشتهرت بها وكانت من أهل الخيرات ولها مآثر عظيمة الى الآن * ومنها اجراء عين حنين الى مكة المشرفة وأصرفت عليها خزائن أموال الى أن جرت الى مكة المشرفة وهي واد قليل الامطار بين جبال سود عاليات خاليات من المياه والنبات وصفها الله تعالى بأنها واد غير ذي زرع فنقبت أم جعفر زبيدة الجبال الى أن سلك الماء من أرض الحل الى أرض الحرم وأنفقت على عملها ألف ألف وسبعمائة ألف مثقال من الذهب فلما تم عملها اجتمع المباشرون والعمال لديها وأخرجوا دفترهم لاخراج حساب ما أصرفوه ليخرجوا من عهدة ما تسلموه من خزائن الأموال وكانت في قصر عال مطل على الدجلة فأخذت الدفاتر ورمتها في بحر الفرات وقالت تركنا الحساب ليوم الحساب فمن بقي عنده شيء من بقية المال فهو له ومن بقي له شيء عندنا أعطيناه وألبستهم الخلع والنشاريف فخرجوا من عندها حامدين شاكرين وبقي لها هذا الأثر العظيم في العاملين رحمها الله تعالى وأسكنها الفردوس في أعلا عليين * وكانت هذه العين ترد الى مكة وينتفع بها الناس ومنبع هذه العين في ذيل جبل شامخ يقال له طاد بالطاء المهملة والالف بعدها دال مهملة من جبال النيه من طريق الطائف وكان يجري الماء الى أرض يقال لها حنين ليسقي به نخيل ومزارع مملوكة للناس واليها ينتهي جريان هذا الماء وكان يسمى حائط حنين يعني بساتين حنين وهو موضع غزا فيه النبي صلى الله عليه وسلم المشركين ويقال لتلك الغزوة غزوة حنين وخبرها مذكور في كتب سير النبي صلى الله عليه وسلم فاشترت زبيدة هذا الحائط وأبطلت تلك المزارع والنخيل وشقت له القناة في الجبال وجعلت له الشعاحيد في كل جبل يكون ذيله مظنة لاجتماع الماء عند الامطار وجعلت فيه قناة متصلة الى مجرى هذا العين في محاذاتها يحصل منها المدد لهذه العين فصار كل شعاد عينا يساعد عين حنين منها عين مشاش وعين ميمون وعين الزعفران وعين البرود وعين الطارقي وعين تقبة والجرنيات وكل مياه هذه العيون تنصب في ذيل عين حنين بعضها ويزيد بعضها وينقص بحسب الامطار الواقعة على أم احدى هذه العيون أو على جميعها الى أن وصلت على هذه الصورة الى مكة المشرفة * ثم انها أمرت باجراء عين وادي نعمان الى عرفة وهو عين منبعها ذيل جبل كرا وهو جبل شامخ

عالى جدا أعلاه أرض الطائف مسيرة نصف نهار من أسفله الى أعلاه من صعد فيه أو نزل منه مرة لا يعود اليه لوعورة مرقاه وصعوبته وينصب من ذيل جبل كرا فى قناة الى موضع يقال له الاوجر من وادى نعمان ويجرى منه الى موضع بين جبلين شاهقين فى علو أرض عرفات فيها ولشعراء العرب تشوقات وتغزلات فى وادى نعمان وفيه يقول القائل

أيا جبلى نعمان بالله خليا * نسيم الصبا يخلص الى نسيمها

(وبعده) فان الصبا ريح اذا ما تنسمت * على كبد حرى تجلت همومها

فعملت القنوات الى أن جرى ماء عين نعمان الى أرض عرفة ثم أديرت القناة بجبل الرحمة محل الوقف الشريف الاعظم فى الحج وجعل منها الطرق الى البرك التى فى أرض عرفات فتمتلئ مما يشرب منه الحجاج فى يوم عرفة ثم استمر عمل القناة الى أن خرجت من أرض عرفات الى خلف جبل من وراء المازمين على يسار العابر من عرفات ويقال له طريق ضباب بالضاد المعجمة المفتوحة فالالف بعدها باء موحدة مشددة وتسمى الآن عند أهل مكة المظلمة بضم الميم ثم ظاء معجمة ساكنة فلام مكسورة ثم ميم مفتوحة ثم هاء التأنيث * ثم تصل منها الى مزدلفة ثم تصل الى جبل خلف منى فى قبليها ثم تنصب الى بئر عظيمة مطوية بأحجار كبيرة جدا تسمى بئر زبيدة اليها ينتهى عمل هذه القناة وهى من الأبنية المهولة عمارة وهم انه من بناء الجن * ثم صارت عين حنين وعين عرفات تنقطع لقلة الامطار وتهدم قنواتها وتخرب بها السيول بطول الايام وكانت الخلفاء والسلاطين اذا بلغهم ذلك أرسلوا وعمروها عند انتظام سلطنتهم على هذا المنوال فممن عمرها صاحب اربل وهو الملك الجليل مظفر الدين كجك كوكيودى بن على فى سنة أربع وتسعين وخمسمائة وكوكيودى معناه بالتركى الذئب الأزرق وكان كثير الخير والاحسان وله ترجمة واسعة فى وفيات الاعيان لقاضى القضاة احمد بن خلكان رحمهما الله تعالى ذكر له أوصافا كريمة ومكارم عظيمة ذكر منها عمارة عين عرفات وغيرها من جزيل الخيرات ثم عمرها صاحب اربل مظفر الدين المذكور فى سنة خمس وستمائة * ثم عمرها بعد ذلك امير المؤمنين المستنصر بالله العباسى فى سنة خمس وعشرين وستمائة ثم فى سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ثم فى سنة أربع وثلاثين وستمائة كما وجدت ذلك مكتوبا فى نصب حجارة مبنية فى قرب الموقف الشريف بعرفات * ثم بعد مائة عام تقريبا عمر عين حنين الامير جوبان نائب السلطنة بالعراقين فى أيام السلطان أبو سعيد خدابنده فى سنة ست وعشرين وتسعمائة فاجرى عين حنين الى مكة وعم نفعها الأهل مكة فانهم كانوا فى جهد عظيم لقلة الماء فرحمهم الله بذلك رحم الله تعالى أهل الخير * ثم عمرها شريف مكة يومئذ السيد الشريف حسن جد سادتنا أشراف مكة الآن أبقاهم الله تعالى وأدام عزهم وسعادتهم مدا الزمان وكان من أهل الخير والاحسان أجزل الله ثوابه فى الجنان * وكان تعميره لها فى سنة احدى عشرة وثمانمائة فجرت وانفجرت ونفعت وأبلجت وكثر الدعاء له من أهل البلاد والحجاج والعباد تقبل الله منهم صالح اعمالهم * ثم انقطعت ولقى الناس لذلك شدة شديدة الى ان عمرها صاحب مصر من ملوك الجراكسة الملك المؤيد أبو النصر شيخ المحمودى فى سنة احدى وعشرين وثمانمائة هكذا ذكره النسفى القاسى رحمه الله تعالى * ثم عمرها وعمر عين عرفات أيضا بعد ذلك من ملوك الجراكسة السلطان الملك الاشرف قايتباى رحمه الله تعالى عمر عين عرفات وأجراها الى أرض عرفات وعمر عين حنين الى أن جرت الى مكة وعمر عين خليص وحصل بها الرفق للحجاج واهل البلاد ودعوا له

وأثنوا عليه بذلك وباحساناته وكثرة خيراته ضاعف الله تعالى أجره ومثوباته وذلك بمباشرة الامير يوسف الجمالي وأخيه الامير سنقر الجمالي رحمهما الله تعالى في سنة خمس وسبعين وثمانمائة * ثم عمر عين حنين آخر ملوك الجراكسة السلطان قانصوه الغوري رحمه الله تعالى في عام ست عشرة وتسعمائة على يد الامير خير بك العمار رحمه الله تعالى الى أن جرت وملأت برك الحجاج والمعلاة ثم جرت الى بازان ثم الى بركة ماجن في درب اليمن من أسفل وارتفق الناس بذلك ثم انقطعت في أوائل الدولة العثمانية بهذه الاقطار الحجازية وبطلت العيون وتهدمت قنواتها وانقطعت عين حنين عن مكة المشرفة وصار أهل البلاد يستقون من الآبار حول مكة من أبيار يقال لها العسيلات في علو مكة قريب من المنحنا ومن آبار في أسفل مكة من مكان يقال له الزاهد ويسمى الآن الجوخي في طريق التنعيم وكان الماء غاليا قليل الوجود وكذلك انقطعت عين عرفات وتهدمت قنواتها وكان الحجاج يحملون الماء الى عرفات من الامكنة البعيدة وصار فقراء الحجاج يوم عرفة لا يطلبون شيأ غير الماء لعزته ولا يطلبون الزاد ورب ما جلبه بعض الاقوياء من الاماكن البعيدة للبيع فيحصلون أموالا من تلك الاماكن البعيدة أيضا فارتفع سعر الماء جدا في يوم عرفة وكنت يومئذ مراهقا في خدمة والدي رحمه الله تعالى وفرغ الماء الذي كنا حملناه من مكة الى عرفات وعطش أهلنا فتطلبت قليلا من الماء للشرب فاشتريت قربة صغيرة جدا يحملها الانسان باصبعه بدينار ذهب والفقراء يصيحون من العطش يطلبون من الماء ما يبل حلوقهم في ذلك اليوم الشريف فشرب أهلنا بعض تلك القربة وتصدقوا ببقيته على بعض من كان مضطرا من الفقراء وعطشنا عقيبه وجاء وقت الوقوف الشريف والناس عطاش يلهثون فامطرت السماء وسالت السيول من فضل الله تعالى ورحمته والناس واقفون تحت جبل الرحمة فصاروا يشربون من السيل من تحت أرجلهم ويسقون دوابهم وحصل البكاء الشديد والضجيج الكثير من الحجاج في تحت الوقوف لما رأوا من رحمة الله تعالى ولطفه بهم واحسانه اليهم وتكرمه عليهم ولا أزال أتذكر تلك الساعة وما حصل بها من اللطف العظيم من كرم الله العميم وأرجو به كرم الكريم وأتيقن انه الغفور الرحيم الذي أنزل على عباده الرحمة من بعد ما قنطوا وبرزت الاوامر الشريفة السلطانية السليمانية باصلاح عين حنين واصلاح عين عرفات وعين لها ناظرا اسمه مصلح الدين مصطفى من المجاورين بمكة فبذل جهده في عمارتها وأصلح قناتها الى ان جرت عين مكة ودخلتها وجرت من أسفلها من بركة ماجن وأصلح عين عرفات وأجراها الى ان صارت تملأ البرك بعرفات وذلك في سنة احدى وثلاثين وتسعمائة وصار الحجاج يروون من ذلك الماء العذب الفرات بعد ذلك العطش الشديد في يوم عرفات ويدعون لمن كان سببا لاجراء هذه الخيرات * ثم اشترى ناظر العين عبدا اسود من مال السلطنة وجعل لهم جرايات وعلوفات من خزائن السلطنة الشريفة برسم خدمة العين ولاخراج أتربتها من الدبول والقنوان وهذه خدمتهم دائما وصار رواية والدون وهم باقون الى الآن طبقة بعد طبقة لهذه الخدمة * ثم توجه مصطفى ناظر العين الى الابواب السلطانية السليمانية وعرض في أمر العين أحوالا يجب عرضها فاجاب في كل ما سئل فيه وعاد مجبورا الى مصر ثم ركب من بندر السويس الى مكة فغرق في بحر القلزم شهيدا وما غرق الا في رحمة الله تعالى وما مات بل هو حي عند الله تعالى * وكانت وفاته الى رحمة الله تعالى في سنة سبع وثلاثين وتسعمائة واستمرت عين حنين جارية الى مكة لكنها تقل تارة وتكثر أخرى بحسب قلة الامطار وكثرتها وعين عرفات تجري من نعمان الى عرفات الى ان صارت عرفات بساتين وغرس بها الغروس وصارت مرجة خضراء تتجلى كالعروس الى أن قلت

الامطار

الامطار ويبست العيون وتزحت الآبار فى سنين متعددة مر سنة خمس وستين وتسعمائة وما بعدها وكانت سنوات تقارب سنى يوسف شدادا عجافا وانقطعت العيون الا عين عرفات فانها لم تنقطع الا انها قل جريانها فى تلك السنوات ﴿ولما عرضت﴾ احوال العيون الى الابواب الشريفة السلطانية السليمانية التفت الخاطر السليمانى العاطر السلطانى وتوجه العطف الشريف السليمانى الى تدارك ذلك بأى وجه يكون وامر بالفحص عن احوال العيون وكيف يمكن جريانها الى بلد الله الامين المأمون فاجتمع المرحوم عبد الباقى بن على المغربى قاضى مكة يومئذ والأمير خير الدين خضر سنجق جدة المعمورة حينئذ وغيرهما من الاعيان وتفحصوا ودار اوتأملوا واستشاروا فأجمع رأيهم على ان أقوى العيون عين عرفات وطريقها ظاهرة ودبولها من بئر زبيدة الى مكة مبنية أيضا وانها مخفية تحت الأرض وانها تحتاج الى الكشف عنها والحفر الى ان تظهر لان زبيدة لما بنيت الدبول من عرفة الى بئرها المشهور خلف منى الذى جميعها ظاهر على وجه الارض فالباقى أيضا من ذلك المحل الى مكة مبنى أيضا الا انه خاف تحت الأرض واستغنى عنها بعين حنين وتركت هذه ونبشت وطمت وغفل عنها هكذا ظنوا وخمنوا ثم انهم تتبعوا عين عرفات من أولها من الاوجر الى نعمان ثم الى عرفة ثم الى المزدلفة ثم الى بئر زبيدة وأصلحوا هذه الدبول الظاهرة وكشفوا عن الباقى وبنوا ما وجدوا منها منهدما ورمموا الباقى احتاجوا الى ثلاثين ألف دينار ذهبا وذرعوه وقاسوه فكان من الاوجر الى بطن مكة خمسا وأربعين ألف ذراع بذراع البناء الآن وهو أكبر من الذراع الشرعى بقدر ربعه وهذا الذى تخيلوه من وجود بقية الدبل تحت الأرض لم يوجد فى كتب التاريخ وانما أداهم الى ذلك مجرد الظن بحسب القرائن وعرضوا ذلك الى الباب الشريف فى أوائل سنة تسع وستين وتسعمائة فلما وصل علم ذلك الى المسامع الشريفة السلطانية السليمانية التمست صاحبة الخيرات الكاملة المخدرات تاج المحصنات ملكة الملكات قدسية الملكات علية الذات صفية الصفات ذات العلا والسعادات ﴿حضرة خانم سلطان﴾ كريمة حضرة السلطان الأعظم سليمان خان سقى الله عهده صوب الرحمة والرضوان أن يأذن لها فى عمل هذا الخير حيث كانت صاحبة هذا الخير أولا أم جعفر زبيدة العباسية فناسب ان تكون هى صاحبة هذا الخير فأذن لها فى ذلك فاستشارت الحضرة السلطانية وزراء ديوانها الشريف العالى فيمن يصلح لهذه الخدمة فاتفقت آراءهم الشريفة أن هذه الخدمة لا يقوم بها الا دفتردار ديوان مصر الأمير الكبير المعظم فائض الجود والفضل والكرم صاحب السيف والقلم والعلم والعلم ﴿الامير ابراهيم بن تغرى بردى﴾ المهمندار ثم الدفتردار بمصر بوأه الله جنات تجرى من تحتها الانهار وسقاه من حوض الكوثر زلالا باردا يطفئ كل أوام وأوار وكان يومئذ قد عزل من منصب الدفتردارية وأمر بالتفتيش عليه عن أيام دفترداريته فعفى من التفتيش وأعطته السلطانة خمسين ألف دينار ذهب على ما خمنوه ليصرفها فى عمل هذه العين فتوجه من البحر الى مكة المشرفة بتجمل عظيم وبرق كثير وترتيب يعجز عنه كبار البكاربكية وكان ذا همة عالية واقدام عظيم واهتمام تام وكرم نفس وشهامة وحسن تدبير ومعرفة وحذاقة وفطنة وكان بينى وبينه سابقا اجتماع وما رأيت أحدا من الامراء والوزراء والبكاربكية مع كثرة من اجتمعت به منهم أجمل نظاما ولا أحسن ترتيبا وانتظاما ولا أدق فكرا ولا أعلى همة ولا أصدق وفاء منه رحمه الله تعالى رحمة واسعة وغفر له مغفرة جامعة وبوأه الفردوس الاعلى وأرضى عنه خصماءه يوم القيامة وكان وصوله الى بندر جدة فى يوم الجمعة ثمان بقين من ذى القعدة

الحرام سنة تسع وستين وتسعمائة فتوجهت الى ملاقاته اسابق احسانه الى فرأيته نزل بوطاقه من خارج جدة من الجهة الشامية فقابلني بالاجلال والاكرام وركب من جدة الى سيدنا ومولانا المقام الشريف العالي نجم الدنيا والدين محمد أبي نمي خلد الله سعادته وأبد دولته وسيادته وكان يومئذ نازلا في مرالظهران فقابله بالاجلال والتعظيم والترحيب والتكريم ومدله سماطا عظيما ولاطفه ووا كله وأكرمه وباسطه وجابره فعرض على حضرته الشريفة ماجاء بصدده فقوبل بامتثال الأمر الشريف السلطاني وبذل الهمة والجهد في اتمام المهم المنيف الخاقاني وانه يقوم بذلك بنفسه وولده واتباعه وخدمه ثم ركب من عند دخوله الى مكة سيدنا ومولانا المقام الشريف العالي بدر الدنيا والدين مولانا السيد حسن أبو نمي صاحب مكة أدام الله عزه وسعادته وضاعف نصره وتأييده وسيادته وأبد له الاجلال والاكرام وقابله الترحيب والاحترام وجابره ولاطفه وباسطه ووالفه وأقبل كل منهما على الآخر كمال الاقبال وتحادثا بغاية الأدب والاجلال واستمر معه الى أن فارقه من باب السلام فدخل المسجد الحرام فطاف طواف القدوم وكان محرما بالحج وسعى بين الصفا والمروة وعاد الى مجمع قايتباى وهو المحل الذي عين لنزوله ومدله من قبل السيد حسن مد الله تعالى ظلال سعادته سماط عظيم جليل كبير فجلس عليه واكل منه هو وخواصه وأذن لاهل الرباط والفقراء والفقهاء وعامة الناس فأكلوا وحملوا وفضل شئ أمر بتفريقه على الفقراء وألبس الذي مد السماط قفطانا من السراسر العمال وأعطاه ذهبا كثيرا * ثم جاء للسلام عليه سيدنا ومولانا رئيس الحرمين الشريفين وكبير البلدين المنيفين شيخ الاسلام مرجع العلماء الأعلام سيد السادات ببلد الله الحرام بدر الدنيا والدين مولانا السيد القاضي حسين الحسني أدام الله عزه واقباله وخلد سعادته ودولته واجلاله ففرح به الأمير ابراهيم وقابله بالاجلال والتعظيم فعرض عليه أموره وأحواله واستشاره في سائر مابداله من أحواله فأشار عليه بالآراء الصائبه وأعلمه بما ينبغي رعايته ومرعى جانبه ومايجب عليه ملاحظته من الأمور اللازمة الواجبة ﴿ وأول مابدأ به الأمير ابراهيم ﴾ تنظيف بعض الآبار التي يستقي الناس منها وأخرج ترابها وزيادة حفرها ليكثر ماؤها وحصل للناس بذلك رفق كثير وشرع في جمع مايحتاج اليه في عمله وتوجه للكشف عنه الى اعلا عرفات وكثر تردده اليها وتفطنه لمجاريها ومشاقبها ومشاربها ومساربها والفحص عن أحوالها الى أن وصل الركب المصري وكان أمير الحاج يومئذ افتخار الأمراء الكرام عثمان بك بن بكار بكي اليمن بكار بكي الحبشة ازدمر باشا وصار بعد ذلك عثمان بكار بكي الحبشة بعد رفاة والده وصار بكار بكي اليمن وأظهر اليد البيضاء في افتتاح مدينة تعز * ثم صار بكار بكي الحسا ثم البصرة ثم قره آمد وهو من البكار بكية الكرماء العظماء المفجمين المشهورين بالكرم والشجاعة أبقاه الله تعالى ووصل الى مكة قاضيا في ذلك الموسم مع الركب الشامي وهو أعلم العلماء الموالي أفضل الفضلاء الأهالي مولانا فضيل أفندي ابن مولانا علي چلبي المفتي الجمالي وهو من أجلاء العلماء العظام له التصانيف الحسنة المقبولة وهو الآن أرتراق في الباب العالي مد الله تعالى ظلال افضاله وأفاض على الطلاب سحائب فضله وكماله رجع الناس حجة هنيئة وحج الأمير ابراهيم فرض حجه وعاد الحجاج الى أوطانهم فائزين بالغفران والقبول حائزين لكل مطلب ومامول * وشرع الأمير ابراهيم في الكشف عن دبول عين عرفات وضرب أوطاقه في الأوجر من وادي نعمان في علم عرفات وشرع في حفر قعرها وتنظيف دبولها بهمة عالية جدا وكانت عماليكه القائمين في خدمته نحو اربعمائة مملوك في غاية

الجمال والرشاقة والحذاقة واللياقة وأقامهم فى هذا العمل من الاوجر الى مزلفة وكتب نحو الف نفس من العمال والبنائين والمهندسين والحفارين وجلب من مصر وبلاد الصعيد ومن الشام وحلب واصطنبول ومن بلاد اليمن طوائف بعد طوائف من المهندسين وخدام العيون والآبار والحدادين والبنائين والحفارين والقطاعين والنجارين وغيرهم ممن يحتاج اليهم واتى بآلات العمارة وصحبها معه من مصر من مكاتل ومساحى ومجاريف وحديد وبولاد ونحاس ورصاص وغير ذلك من الهمة القوية والاقدام الفخام والاهتمام وعين لكل طائفة قطعة من الارض لحفرها وتنظيف ما فيها عن الدبول ليظهر فيها سعيه واجتهاده وكان يظن انه يفرغ من هذا العمل الذى جاء بصدده فيعاود العام ويرجع الى الابواب السلطانية لينال المناصب العالية ويظفر بالمراتب السامية ويأبى الله الا ما اراد وما كل ما يتمنى المرء يدركه من المراد والسنة الاقدار تناديه من وراء الحجاب كيف الخلاص والى أين الذهاب واستمر على هذا الجد والاجتهاد الى ان اتصل عمله بعمل زبيدة الى البئر الذى انتهى عملها اليها ولم يوجد بعده دبل ولا آثار عمل وضاق ذرعه بذلك وعلم أن الخطب كبير والعمل كثير وتحقق أن القدر الباقى من هذا العمل اضعاف ما تركته زبيدة اضطرارا بغير اختيار وعدلت عنه الى عين حنين وتركت العمل من عند البئر لصلابة الحجر وصعوبة امكان قطعه وطول مسافة ما يجب قطعه فانه يحتاج من بئر زبيدة الى دبل منقور تحت الأرض فى الحجر الصوان طوله ألف ذراع بذراع البنائين حتى يتصل بدبل عين حنين وينصب فيه ويصل الى مكة ولا يمكن نقب ذلك الحجر تحت الحجر فانه يحتاج فى النزول الى خمسين ذراعا فى العمق وصار لا يمكن ترك ذلك بعد الشروع فيه حفظا لناموس السلطنة الشريفة فاوجد الامير ابراهيم حيلة غير ان يحفر وجه الارض الى أن يصل الى الحجر الصوان ثم يوقد عليه بالنار مقدار مائة حمل من الحطب الجزل ليلة كاملة فى مقدار سبعة أذرع فى عرض خمسة اذرع من وجه الارض والنار لا تعمل الا فى العلو لكونها تعمل عملا يسيرا من جانب السفل مقدار قيراطين من أربعة وعشرين قيراطا من ذراع فيكسر بالحديد الى أن يوصل الى الحجر الصلب الشديد فيوقد عليه بالحطب الجزل ليلة أخرى الى أن ينزل فى ذلك الحجر مقدار خمسين فى العمق فى عرض خمسة أذرع الى أن يستوفى ألفى ذراع على هذا الحكم وذلك يحتاج الى عمر نوح ومال قارون وصبر أيوب وما رأى عن ذلك محيصا فأقدم عليه الى أن فرغ الحطب من جميع جبال مكة فصار يجلب من المسافات البعيدة وغلا سعره وضاق الناس بذلك وتعب الأمير ابراهيم لذلك ووهبت أمواله وخدامه وأولاده وعماليكه على ذلك الى أن قطع من المسافة الف ذراع وخمسمائة ذراع بالعمل وصار كلما فرغ المصروف ارسل وطلب مصروفا آخر الى أن أصرف أكثر من خمسمائة ألف دينار ذهبا من الخزائن العامرة السلطانية وغرق له مركب كان فيه باقى تجملاته وخزائنه ونقوده وفيه جملة من عبيده وأسبابه وكان ينوف على مائة الف ذهب فى ابتداء امره ثم مات له ولد طفل نجيب كان خلفه بمصر احترق عليه كثيرا ومات له ولدان مراهقان نجيبان فاضلان أخذا بمجامع قلبه وفتتا كبده ثم مات كتخداه وكان بمنزلة أمراء السناجق ثم مات أكثر مماليكه وهو يتجلد لتلك المصائب العظيمة ويتصبر عليها ويظهر الجلد فيها الى أن ذهبت قواه وما بقى رمقه ولا دماه ونزفه الاسهال ورمته الأهوال وجاءه الأجل الذى لا يتقدم وأن أجل الله اذا جاء لا يؤخر فمات غريبا شهيدا ومضى الى ربه وحيدا فريدا فى ليلة الاثنين ثانى رجب المرجب سنة اربع وسبعين وتسعمائة وصلى عليه عند باب الكعبة وكانت جنازته حافلة جدا وأسف الناس على فقده لكثرة احسانه ودفن بالمعلاة على عين الصاعد الى

الأبطح فى تربة كان أعدها لنفسه ودفن فيها ولديه وخلف طفلا رحلا وبنتا من أهل الخير كثيرة الصلاح والعبادة * كان ذكر لى أن مولده سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة رضى الله تعالى عنه وأرضى عنه خصمه وأمنه يوم الفزع الأكبر وسقاه من حوض الكوثر * ثم اقيم بعده فى هذه الخدمة سنجق جدة الأمير قاسم بك باقامة سيدنا ومولانا المقام الشريف العالى بدر الدنيا والدين مولانا السيد حسن صاحب مكة أدام الله تعالى دولته وسعادته وامره بمباشرة العمل وعرض ذلك على الابواب الشريفة السليمانية فبرز الامر الشريف السلطانى باستمرار قاسم بك المذكور فى خدمة العين أمينا على مصارفها وأن يكون سيدنا ومولانا شيخ الاسلام قاضى القضاة وناظر المسجد الحرام بدر الدنيا والدين السيد القاضى حسين الحسنى خلد الله تعالى ظلال سيادته وأبد قيام سعادته ناظرا على ما بقى من عمل عين عرفات الى أن تصل الى مكة المشرفة فاستقر الأمير قاسم مباشرا لتعاطى هذه الخدمة وكان لا يخلو من قصور الفهم وحب الاستقبال وبعض عناد وما أراد مولانا شيخ الاسلام معارضته فتركه على رأيه وما أراد الله أن يتم العمل الشريف على يد قاسم بك فكان ثالث الأمرين السابقين فطرقه الأجل وأدركه الحين وفاز برتبة الشهادة وصار من شهداء العين وانتقل من الدار الفانية الى الدار الباقية قرير العين من ليلة خلت من رجب المرجب الفرد الأصب سنة ست وسبعين وتسعمائة وصلى عليه عند باب الكعبة الشريفة ودفن بالمعلاة الى جانب الأمير محمد بك الدفتردار المتوفى قبله أمين العين المزبورة واستوفت العين به ثلاثة من الأمراء السناحق سقاهم الله تعالى شرابا طهورا وكان بهم برا رحيما غفورا * ثم توجه سيدنا ومولانا شيخ الاسلام السيد القاضى حسين الحسنى مد الله تعالى ظلال افضاله وأقام خيام عزه وعظمته واجلاله توجها تاما الى تكميل ما بقى من عمل عين عرفات باعتبار ما يبيده من النظر عليها حسب الأحكام الشريفة السلطانية النافذة فى الاقطار والجهات وجد فى الاهتمام وعرض على الأبواب الشريفة السلطانية السليمية بأن يكمل ذلك العمل سيدنا ومولانا شيخ الاسلام القاضى حسين المشار الى خدمته آنفا فأقدم بهمته العلية أتم اقدام الى اكمال هذا العمل الشريف بالاهتمام فساعدته السعادة والاقبال على الاتمام والاكمال فكمل العمل المبارك فيما دون خمسة أشهر بعد ان عجز عن اتمامه الأمراء المذكورون قريبا من عشرة أعوام وهلكت نفوسهم وأموالهم وخدامهم وما ظفروا بهذا المرام وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم * فجرت عين عرفات وانفجرت ينابيعها الجاريات ووصل الماء وهو يجرى فى تلك الدبول والقنوات الى أن دخل مكة لعشر بقين من ذى القعدة الحرام سنة تسع وسبعين وتسعمائة * وكان ذلك اليوم عيدا أكبر عند الناس وزال بوصول ذلك الماء الى البلد كل هم وباس وعمل فى ذلك اليوم سيدنا ومولانا المشار اليه أعطة عظيمة فى الابطح ببستانه العظيم الأفيح وجمع بين الأكابر والأعيان فى ذلك المكان ونصب لهم السرادقات والصيوان وذبح أكثر من مائة من الغنم ونحر عدة من الابل والنعم وقدم للناس على طبقاتهم أنواع الموائد والنعيم وخلع على أكثر من عشرة أنفس من المعلمين والبنائين والمهندسين خلعا فاخرة وأحسن الى باقيهم بالانعامات الوافرة وتصدق على الفقراء والمساكين وأنعم على الكبراء والأساطين شكرا لهذه النعمة الجزيلة وحمدا على هذه المنة الجميلة حيث أنعم الله بها على عباده وأحيا وأخصب منها خير بلاده وكان يوما مشهودا وساعة سعيدة وزمانا مسعودا * ثم جهز أخبار هذه البشائر العظمى وحصول هذه النعم الجزيلة الكبرى الى الباب الشريف العالى السلطانى الأعظم والخاقان الأكرم

الافخم السلطان سليم خان سقاه الله كؤس الرحمة والرضوان من حوض الكوثر فى أعلى غرفات الجنان والى سرادقات ذات الحجاب الرفيع والستر السابغ المسبول المنيع صاحبة الخيرات ملكة المليكات بلقيس الزمان ﴿ حضرة خاتم سلطان ﴾ أدام الله تعالى ظلال عفتها وعصمتها وأسبغ أستار رفعتها وعظمتها فأنعمت الصدقات الشريفة السلطانية بالانعامات الجزيلة والترقيات الكثيرة الجميلة على سائر المباشرين والمتعاطين بهذه الخدمة الشريفة الجليلة وحصل لمولانا شيخ الاسلام المشار الى حضرته الشريفة ترقيات عظيمة فصارت مدرسة السلطانية السليمانية بمائة عثمانى وماعهد ذلك لأحد من الموالى العظام فى مدارسهم وجهزت اليه أنواعا من الخلع الشريفة الفاخرة وخوطب من قبل السلطنة الشريفة الخاقانية بالخطابات العالية الوفية السامية المتضمنة للشكر الجميل منه وانه دخل فى جملة خواص السلطنة الشريفة المشمولين بنظر عواطفها المنيفة وانعاماتها الجزيلة الوريفة وصارت هذه العين من جملة الآثار الباقية على صفحات الليالى والأيام والاعمال الصالحات الباقيات التى لا يفنيها تكرر السنين والاعوام وماعند الله من تضاعيف الاجر والثواب فهو خير وأبقى عند أولى الألباب ﴿ ومن آثار المرحوم السلطان سليمان خان بمكة المشرفة المدارس الأربعة السليمانية ﴾ وسبب ذلك ان الأمير ابراهيم أمير اجراء عين عرفات أسكنه الله من الجنة الغرفات عرض على الابواب الشريفة السلطانية السليمانية وأنهى الى الاعتاب العلية الخاقانية ان المناسب للشأن الشريف السلطانى وقدره العلى السامى السليمانى أن يكون لحضرة السلطان بمكة المشرفة أربع مدارس على المذاهب الاربعة يدرس فيها علماء مكة المشرفة علم الفقه ليكون سببا لاشتغالهم بعلم الشرع والدين ويرتفقون بوظائفها ويكون سببا لاحياء علم الشريعة ويسطر ثواب ذلك فى صحائف السلطنة الشريفة فأجابه السلطان سليمان المرحوم الى ذلك وبرزت الأوامر الشريفة السلطانية بعمل ذلك وعين لهذه الخدمة الأمير قاسم أمير جدة المذكور آنفا وان يبادر الى عمل ذلك فى أحسن الأماكن اللائقة لبناء هذه المدارس الجانب الجنوبى من المسجد الحرام المتصل به من ركن المسجد الشريف الى باب الزيادة وكان به البيمارستان المنصورى ومدرسة لصاحب كيمانة السلطان أحمد شاه سلطان كجرات من أقاليم الهند وكان من أصحاب الخير الكثير شديد المحبة للعلماء كثير البر والصدقات وكانت المدرسة بيد مؤلف هذا التاريخ والبيمارستان المنصورى وأوقاف المؤيد للسلطان الملك المؤيد شيخ سلطان مصر من ملوك الجراكسة وعدة دور تتعلق بسيدنا ومولانا المقام الشريف العالى السيد حسن صاحب مكة المشرفة أدام الله عزه واقباله ورباط يقال له رباط الظاهر فاستبدل البيمارستان واستبدلت المدرسة برباط كان بناه الخواجا نجشى القرمانى ولم تثبت وقفيته فباعه ورثته فاشترى لجهة السلطنة الشريفة وجعل بدلا عن مدرسة الكيمانية واستبدل رباط الظاهر برباط آخر فى سويقة أحسن وأمكن فيه ووقف موضعه بدلا عنه ﴿ وأما الدول التى لسيدنا ومولانا المقام الشريف العالى بدر الدنيا والدين مولانا السيد حسن أدام الله تعالى عزه ودولته فقدمها جميعها للسلطنة الشريفة واستبدلت أوقاف المؤيد بضياع قرى فى الشام اختارها ذرية المؤيد الموقوف عليهم وكتب مستنداتها ورجحها مارشرع الأمير قاسم فى هدمها وطلب العلماء والصلحاء والأشراف ووضعوا الأساس فتقدم قاضى مكة المشرفة يومئذ قدوة العلماء الاعلام وصفوة العلماء الموالى مولانا شمس الملة والدين أحمد بن أحمد بن محمد بك النشانجى عظم الله تعالى شأنه ورفع قدره ومكانه ووضع بيده الشريفة الأساس وتبعه من حضر من العلماء

والسادات وأعيان الناس ووضع كل واحد منهم حجرا فى ذلك الاساس وكان يوما مشهودا مباركا مسعودا وذلك الليلتين خلتا من رجب المرجب سنة اثنتين وسبعين وتسعمائة وكان عمق الاساس عشرة أذرع وعرضه أربعة أذرع بذراع العمل ووضع فيه صخار كبار جدا وأحكموا الأساس احكاما قويا واستمر قاسم بك فى بذل الجد والاجتهاد مشدودا لوسط كانه بعض العمال يجرى بعصاه من أول العمل الى آخره بقوة وجلادة من غير دقة فهم ولا لطف طبع مع الجلافة والغلظ والاستبداد بالرأى وعدم المشاورة وعدم الاصغاء الى رأى أحد فأتم بناء المدارس الاربع فى غاية الاحكام فى بعض الجدارات من غير تعميق وعمل بها أذنة عالية أحسن فيها ووقف لسقوف المدرسة ولدورايوانها خشبات عتيقات واهيات تكسرت وسقطت بعد وفاته وجددها مولانا شيخ الاسلام على وجه الاتقان والاحكام وكتب قاسم بك بعض طرازها بخط ردى منحط وبعضه بخط رائق فائق لكونه أميا لا يعرف الكتابة ولا يصغى الى كلام أحد وصارت الاحكام تتوارد اليه بالاستجمال والاهتمام وهو يستعجل فى الاتمام وعين المرحوم سليمان عليه الرحمة والرضوان وظائف المدرسين والطلبة وغير ذلك من أوقافه بالشام وعين لكل مدرسة خمسين عثمانيا فى كل يوم وعين للعيد أربعة عثامنة فى كل يوم ولكل مدرس خمسة عشر طالبا لكل طالب عثمانيين وللفراش كذلك وللبواب نصف ذلك يجهزها فى كل عام ناظر الاوقاف السليمانية بالشام مع الركب الشامى الى مكة المشرفة فيوزع على المدرسين ولم تكمل المدارس الاربع الا فى دولة السلطان الاعظم مالك الممالك الترك والروم والعرب والعجم السلطان سليم خان ابن السلطان سليمان خان عليهما الرحمة والرضوان فأتم بالمدرسة المالكية السليمانية وهى رأس المدارس الاربعة على سيدنا ومولانا شيخ مشايخ الاسلام سيد العلماء والموالى العظام قاضى القضاة وناظر المسجد الحرام مولانا السيد القاضى حسين الحسنى أدام الله فوائده على الدوام بخمسين عثمانيا ثم رقاه الى ان صارت مدرسته بمائة عثمانى * وأتم بالمدرسة الحنفية السليمانية على مؤلف هذا الكتاب بخمسين عثمانيا فى أواسط جمادى الاولى سنة خمس وسبعين وتسعمائة فقرأت فيها قطعة من الكشاف والهداية وقطعة من تفسير المفتى الأعظم مولانا أبى السعود العمادى بوأه الله غرفات الجنان وأنزل عليه شآبيب المغفرة والرحمة والرضوان وقرأت فيها درسا فى الطب ودرسا فى الحديث وأصوله وانى أدرس الآن تكميل شرح الهداية للعلامة الكمال بن الهمام الذى كمله لان علامة علماء الاعلام فهامة فضلاء الموالى العظام مالك ناصية العلوم وفارس ميدانه وحائز قصبات السبق فى حلبة رهانها فريد دهره فى التحقق والاتقان ووحيد عصره فى التدقيق والايقان صاحب التصانيف الفائقة التى سارت بها الركبان وتداولتها العلماء فى سائر البلدان الكريم المحسن الى محبيه غاية الاحسان مولانا شمس الملة والدين أحمد المعروف بقاضى زاده أفندى قاضى العسكر بولاية آناطولى أظهر الله على قلمه ما خفى ودق عن الافهام وأفاض من زلال ألفاظه العذبة ما يروى أكباد العلماء الاعلام ذكر فيه من التحقيقات ما فات ابن الهمام وقلد أعناق مذهب النعمان قلائد درّ متسق النظام ومتطلاب العلم الشريف موائد فوائد وضعها لهم على طرف الثمام وأورد فيه من خاصة طبعه الشريف ثلاثة آلاف تصرف من بنات أفكاره وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ولا شك ان ذلك فيض من الله الكريم أفاض به من خزائن جوده العميم فشكر الله صنيعه الجميل وأثابه على ذلك مزيد الاجر والثواب الجزيل ونفع بتأليفه سائر طلبة العلم الشريف وأبقى فى صفحات العالم كتابه المفيد اللطيف الى أن يرث الله الارض ومن عليها

وهو خير الوارثين واقد أحسن الى فى أيام صدارته وربانى لدى الحضرة السلطانية فرقانى السلطان الأعظم والخاقان الاكرم السلطان مرادخان خلد الله سلطنته مدا الزمان فصارت مدرستى بهمته بستين عثمانيا جزاه الله تعالى عنى أفضل الجزاء وأسبغ عليه من خزائن فضله وكرمه واسع الخير والعطاء * وانعمت السلطنة الشريفة بالمدرسة السلطانية السليمانية الشافعية لاقراء مذهب الشافعية بمكة المشرفة على بعض علماء الشافعية بخمسين عثمانيا فدرس فيها كتب فقه الامام محمد بن ادريس الشافعى رضى الله عنه وأحيا فقه الشافعية بها كما شرطها السلطان سليمان رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح الجنان وغمره فى بحر الرحمة والاحسان * وأما المدرسة الرابعة السلطانية السليمانية فقد جعلها المرحوم الواقف لاحياء مذهب الامام أحمد بن حنبل فعدل عنه الى علم الحديث الشريف وجعلت تلك المدرسة دار الحديث بخمسين عثمانيا يقرأ فيها الصحاح الستة فرحم الله السلطان سليمان وأثابه على مقاصده الجميلة من اسداء الخيرات واقتناء المثوبات باحياء العلوم الشريفة المطهرة وسائر الباقيات الصالحات اعلا غرفات الجنات والنظر الى وجهه الكريم فى اعلا مراتب السعادات الاخروية الباقيات وهذا الذى ذكرناه بعض مافعله من الحسنات ولو أردنا استيفاء مافعله من الخيرات لاحتجنا الى عدة مجلدات فعدلنا الى ما أثبتناه فى هذه الورقات ووكلنا ماعداه الى المشاهدات فليس الخبر كالمعاينات

﴿الباب التاسع فى دولة السلطان الأعظم الخاقان الملك الاكرم الافخم العثمانى صاحب الخيرات الجارية والجوامع والمبانى السلطان سليم خان تغمده الله بالرحمة والرضوان وسقى ضريحه زلال الكرم والعفو والغفران وحفه بروائح الروح والريحان﴾

كان مولده الشريف فى سنة تسع وعشرين وتسعمائة وجلوسه الكريم على تخت ملكه الشريف بالقسطينية العظمى فى يوم الاثنين لتسع مضين من شهر ربيع الآخر سنة اربع وسبعين وتسعمائة ومدة سلطنته الشريفة تسع سنين وسنة حين تسلطن ست واربعون سنة وعمره كله ثلاث وخمسون سنة وبعد ثلاثة ايام من جلوسه على التخت الشريف الى سكتوار لحفظ العساكر الاسلامية المجاهدين فى سبيل الله فى حلق بلاد الكفر مشغولين بفريضة الجهاد بغاية الجد والاجتهاد وسار سيرا حثيثا الى ان وصل ركابه الشريف السلطانى الى سرد خديقال له سرم فلاقته عروض الوزير الاعظم آصف الزمان ﴿محمد باشا أنعش الله بوجوده الوجود انعاشا﴾ تتضمن هجوم الشتاء وتيسر فتح قلعة سكتوار وقمع مردة الكفرة الفجار والتمس الاذن الشريف للعسكر المنصور الخاقانى بالعود الى الاوطان واستمر الركاب الشريف السلطانى بذلك المكان الى ان وصل مع بقية الوزراء وارکان الدولة الى ثم الركاب الشريف السلطانى والاكتحال بتراب الباب الشريف الخاقانى وبعد ذلك يعودون فى الخدمة الشريفة الخاقانية الى مقر التخت الشريف السلطانى بالقسطنطينية العظمى فأجيب حضرة الوزير الاعظم الى ما اشار اليه واستقر ركاب السلطنة الشريفة بذلك المحل والقرار عليه الى ان ورد حضرة الوزير الاعظم المشار الى حضرته العليه وباقى الوزراء من ارکان الدولة الشريفة السلطانية وقبل الركاب السلطانى وهنوه بالملك الشريف الخاقانى وعادوا فى خدمة السلطنة الشريفة الى اصطنبول بعناية الامن واليمن والبشر والقبول عند الوصول وعند الوصول الى باب السرايا السلطانى حصل من رعاع العسكر وغوغاهم سوء مدافعة وممانعة عن الدخول الى السرايا

الشريفة وطلبوا عادتهم عند تجرد السلطان أدت الى سوء أدب من بعض جهالهم فجاء المرحوم المفتي
الاعظم رئيس العلماء الاعلام وكبير كبراء الموالي العظام مولانا أبو السعود أفندي العمادي ثبت
الله تعالى خطاه في الجنة وأفاض عليه سحائب الأجر والثواب والفضل والمنة فوعظ العسكر وألان
لهم الكلام والتزم لهم عوائدهم وتراقيماتهم وعطاياهم العظام فلانوا بعد القسوة واستغفروا من تلك
الهفوة وصحوا من سكر الجهالة واهتدوا بعد الضلالة ودخل حضرة السلطان الاعظم الى سراية
الشريف وجلس على تخته العالي المنيف ووفا للعسكر بما التزم لهم به حضرة الفقيه الاعظم وأفاض
احسانه عليهم وأنعم وانصرف في ذلك خزائن عظيمة لا تحصى ووزع عليهم من العسجد والورق مالا
يحصى ولا يستقصى وأمر بقتل بعض من كان سببا لهذه الغوغاء من السفهاء وسكنت الفتنة ولله
الحمد على جزيل النعماء وله الشكر على جميع الآلاء وله الحمد في الآخرة والأولى ودخل عليه العلماء
العظام للتهنئة بالملك والتحية والسلام ثم اركان الدولة على قوانينهم وحصل لهم بحسب مراتبهم الاجلال
والاكرام وقرت عيون الانام بكمال الامن والاطمئنان وتمام حسن النظام * ثم جهزت البشائر
السلطانية الى الممالك الشريفة العثمانية بالخلع الشريفة الخاقانية فحصل لنواب السلطنة الشريفة
كمال الفرح والسرور وتمام البشر والحبور بانتظام الامور ووصلت التهنئة من ملوك الاطراف
بالتحف والهدايا اللطيفة الظراف وقرت العيون وزالت الغيون واستقرت الخواطر والظنون
وكان سلطانا كريما رؤفا بالرعية رحيما عفوا عن الجرائم حليما محبا للعلماء والصلحاء محسنا الى المشايخ
والفقراء كان احسانه يصل الى فقراء الحرمين وهوشاه زاده وتصل تشاريفه وكساويه في كل عام الى
العلماء والفقهاء وكان يصل الى احسانه وكسوته في كل سنة وبعد أن ولي السلطنة الشريفة لم يقطع
عادة احسانه واستمر يصل اليهم ذلك في كل عام بحيث أضيف ذلك الى دفتر الصرة الرومية ويقسم كل سنة
على حكمه السابق الى الآن فهو الملك الهمام المحسن المنعام الفائض الاحسان والانعام طال ما طافت
بكعبته الآمال وصدع بأوامره الليالي والايام فأثمرت وغرس في رياض السعادة غروس أشجار
السيادة فبسقت وأثمرت وعمر بحسن نظره أرجاء البلاد فتحدثت بعد الخراب وعمرت ودمر بسياسة
أركان الظلم فخربت ديار الظالمين ودمرت كم أظهرت لسواد الكفر يد صارمه البيضاء آية للناظرين
وكم جهزت جيوشا للجهاد في سبيل الله فقطع دابر القوم الكافرين * فمن أكبر غزواته فتح جزيرة قبرس
بسيف الجهاد * ومنها فتح تونس الغرب وحلق الواد * ومنها فتح ممالك اليمن واسترجاعها من العصاة
البغاة أهل الالحاد * ومن خيراته تضعيف صدقة الحب وارساله مدة سلطنته الى الحرمين الشريفين
ومنها الأمر ببناء المسجد الحرام زاده الله شرفا وتعظيما وكل ذلك من الآثار العظيمة والمزايا الفاضلة
الكريمة فلنذكرها بطريق الاجمال لضيق المجال * فأما قبرس * فانها بالسين لا بالصاد كما يغلط فيه العوام
جزيرة في البحر قال الفقيه العدل المفتي أبو عبد الله بن عبد المنعم بن عبد النور الحميري في كتابه الروض
المعطار في أخبار الاقطار قبرس جزيرة على البحر الشامي كبيرة القطر مقدارها مسيرة ستة عشر يوما
وبها قرى ومزارع وأشجار وزروع ومواشي وبها معدن اليرمع القبرسي ومنها يجلب الى سائر الاقطار
وبها ثلاث مدن ومن قبرس الى طرابلس الشام يومان في البحر وقبرس على عمر الايام رخاها شامل وخيرها
كامل وكان معاوية غزاها وصالح أهلها على جزية سبعة آلاف دينار فنقضوا العهد عليه فغزاها ثانية
فقتل وسبى شيأ كثيرا * وروى انه لما افتتحت قبرس واشتغل المسلمون بتقسيم السبي فيما بينهم بكى

أبو الدرداء وتنحى عنهم ثم احتبى بحمائل سيفه ودموعه تجرى على خديه فقيل له أتبكى فى يوم اعز الله فيه الاسلام وأهله وأذل الكفر وأهله فضرب على منكبيه وقال ويحك ما أهون الخلق على الله اذا تركوا أمره فبينما هى قوة ظاهرة وقدرة قاهرة على الناس اذا تركوا أمره فصاروا لهم على ما ترى من السبى والاهانة وبين جزيرة قبرس وساحل مصر خمسة أيام وبينها وبين جزيرة رودس مسافة يوم واحد وانما سميت جزيرة قبرس بوثن كان هنالك يسمى قابوس كان يعظمه الكفار ويعظمون لأجله جزيرة قبرس وأهل مدينة قبرس موصوفون بالغنى واليسار وبها معادن الصفر ويجمع فيها اللادن الحسن الرائحة الذى يغلب العود فى طيبه وهو الذى يجمع منه على الشجر خاصة وكان يحمل الى ملك القسطنطينية لأنه أفضل وما يجمع منه مما يتساقط على وجه الارض يبيعونه للناس وكانت ام حرام بنت ملحان الصحابية رضى الله عنها شهدت غزوة قبرس فتوفيت بها وأهل قبرس يتبركون بقبرها ويقولون هو قبر المرأة الصالحة وكانت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدعو لها الله عز وجل أن يجعلها من الذين يركبون ثبج البحر فى سبيل الله ففعل وهو حديث معروف وكان الاوزاعى يقول انا نرى هؤلاء يعنى أهل قبرس اهل عهد وان صلحهم وقع على شئ فيه شرط لهم وشرط عليهم وانه لا يسعهم نقضه الا بامر يعرف به غدرهم ورأى عبد الملك بن الصلاح فى حدث أحدثوه ان ذلك نقض لعهدهم فكتب الى عدة من الفقهاء يشاورهم فى أمره منهم الليث بن سعد وسفيان بن عيينة وأبو اسحق الفزارى ومحمد بن الحسن فاختلفوا عليه وأجاب كل واحد بما ظهر له قالوا وانتهى خراج قبرس الذى يؤدونه الى المسلمين بعد المائتين من الهجرة الى أربعة آلاف ألف وسبعمائة ألف وسبعة وأربعين الفا انتهى ما ذكره صاحب الروض المعطار * قلت وقد تقدم ما نقلناه انها افتتحت فى أيام دولة الجراكسة فى سلطنة الملك الاشرف برسباى الدقماقى وأمر ملكها فى سنة تسع وعشرين وثمانمائة فكان أهل قبرس فى أيام الدولة الشريفة العثمانية مهادنين يدفعون الى الخزانة العامرة السلطانية ما كان مقررا عليهم غير انهم أخذوا فى المكر والخداع واظهار الاطاعة والوفاق واخفاء الغدر والشقاق فصاروا يقطعون الطريق فى البحر على المسلمين واذا أخذوا سفينة من سفائن المسلمين قتلوا جميع من ظفروا به فى تلك السفينة لاخفاء ما فعلوه وصاروا يؤوون قطاع الطريق من النصارى ويساعدونهم على المسلمين الى أن كثر اذاهم وعم ضررهم فاستفتى المرحوم السلطان سليم خان من المرحوم مفتى الاسلام مولانا أبى السعود أفندى العمادى رحمهما الله تعالى فأفتاه بانهم غدروا ونقضوا العهد وان قتالهم جائز بسبب ما ارتكبوه من الغدر والخيانة فجهز عليهم حضرة السلطان سليم جيشا كثيفا وعسكرا منصورا منيفا أرسلهم من البر وعمارة عامرة من جانب البحر وجعل سردار الجميع حضرة الوزير المعظم والمشير المفخم نظام العالم مدبر مصالح جماهير الامم قائد جيوش الموحدين قاهر جيوش الكفار والملحدين اعتضاد الملوك والسلاطين المخصوص بعناية رب العالمين * حضرت مصطفى باشا اللالا * زاده الله عزا واجلالا وسعادة وسيادة واقبالا وايده النصر المبين والفتح القريب اسعادا واجلالا فامتثل الامر الشريف السلطانى وبرز محفوفا بالنصر الصمدانى والعون الربانى ومعه عسكر جرار من كل بطل مغوار ملأوا وجه الارض براو بحرا كانهم قطعة نار مضطرمة أو اشد حرا ايان سلكوا دهكوا وملكوا واياصدفوا من الاعداء سفكوا وفتكوا وضربت طبول النصر فكانت كنفخ الصور وانتشرت العساكر المنصورة فشوهد يوم الحشر والبعث والنشور وتوجه حضرة الوزير مظفرا مؤيدا منصورا وسعى الى

جهاد الكفار وكان سعيه مشكورا وطوى المراحل والمنازل وهو يطوى الارض طيا ويغزى بسيف عزمه أديم الهامة والمناهل فريا الى ان وصل ركابه العالى ومن معه من الجيش المنصور المتوالى الى جزيرة قبرس فاحاط بقلاعها احاطة الخاتم بالاصبع وفرق الجنود على حصونها فكانت من كل حصن احكم وأمنع وقد تحصن بها الكفار واعتصموا بقللها وأحكموا خنادقها وأوعروا مسالكها سهلها وجبلها فارتجت بوصول تلك العساكر المنصورة حصون تلك الجزيرة وقلاعها وتزلزلت جبالها وارضها وأصقالها وبقاعها * وكان من أحكم الحصون المشيدة ثلاث قلاع فى غاية العلو والارتفاع ونهاية القوة والمنعة والامتناع شامخة البنيان راسخة الاركان * وأقواها قلعة ماغوسا لا يحلق عليها من الطيور الا النسران ولا يوازن ابراجها من بروج السماء الا الميزان تلامس فى العلو والشهوق نجوم الثريا والعيوق وتوازى بناء الاهرام فى الاتقان والاحكام بل تزيد عليها وتفوق لا تبالى بضرب المكاحل والمدافع ولا يوهنها قرع المقارع والقامع مشحونة بآلات الحرب من جميع الأنواع مملوءة بالمقاتلة وأهل القراع محشوة باحلاف النصارى الأبطال أهل الصياد والصراع وفيهم من الرماة من يرمى على الحدق ويحرر فلا يخطى من الدرع الحلق وعندهم المياه والفواكه والأقوات والزرع والسباتين ومن دونهم خنادق عريضة نازلة الى تخوم الأرضين محمية بالمدافع والكبار ترمى من أعلى القلاع الى من يقرب منها بالليل والنهار فأحاطت العساكر المنصورة السليمية بتلك البقاع والحصون وناوشوهم القتال وأذاقوهم كؤس ريب المنون وقاتلهم المسلمون بالليل والنهار وقابلهم الموحدون برمى المدافع الكبار بالأصائل والاسحار فكاد النهار أن ينقلب ليلا بدخان البارود والبارق والليل أن ينقلب نهارا ببوارق تناديل المناديق الصواعق فحاصرهم المجاهدون فى سبيل الله وضيق عليهم جنود الاسلام الغزاة ورموا بالمدافع الكبار السلطانية عليهم فحطمت دورهم وهدمت قصورهم فصارت بيوتهم قبورهم وكسرت ظهورهم فافتتحت ببركة النبى صلى الله عليه وسلم قلعتان وبقيت القلعة وهى ماغوسا وفيها سلطانهم محصور وكل محصور مأخوذ مأسور فثبت وأظهر الجلد وكابد فى محاصرته أنواع الكمد الى أن وهنت قواه وذابت كبده وحشاه واضطر الى طلب الأمان والتذلل لحضرة الوزير الرفيع الشان فشملته عناية حضرة الوزير الرفيع الشان المعظم المكين وأعطاه الأمان وشرط عليه أن يفك من عنده من أسارى المسلمين ويدوس البساط السلطانى ليتم له التأمين ويحصل له التطمين فوافق على ذلك وأطلق الأسرى وحضر ليقابل حضرة الوزير المعظم جبرا وقسرا فأخبر بعض الأسرى أنه خان بعد انعقاد الأمان وقتل جماعة من المسلمين وفعل هذه الخيانة سرا فلما علم حضرة الوزير المعظم أن ملكهم قد خان طلبه الى بين يديه وأهانه غاية الهوان وركب وحمل غاشية السرج وأمره أن يمشى قدامه كسائر الغلمان ثم ضرب عنقه لخيانته ونقض عهده وأخذ أمواله وذخائره وقتل من أراد واستأسر واسترق من أراد وصارت قبرس دار الاسلام وأضيفت الى سائر الممالك الاسلامية العثمانية باجتهاد هذا الوزير المعظم واصابة رأيه وتدبيره الصائب الأتم وما بلغنى تفصيل ما وقع فى هذه الغزوة وما أمكننى تحقيقها رأردت كثيرا افرادها بالتأليف وذكر ما وقع فيها فلم أظفر بذلك فان أظفر فى الله تعالى بالاطلاع على أكثرها ذكرته ههنا أجعل له تاريخا مستقلا واسع المجال لطيف المفاكهة بليغ المقال ان شاء الله تعالى ﴿ وأما فتح بلاد اليمن ﴾ فان اقليم اليمن من صنعاء الى عدن كانت داخلة فى الممالك السلطانية العثمانية فى ايام دولة المرحوم السلطان الاعظم

سليمان خان أسكنه الله تعالى فردوس الجنان وحف روضته الطيبة الطاهرة بالروح والريحان وكان اول فتحها الخاقانى على يد الوزير المعظم سليمان باشا الخادم بكاربكى مصر لما توجه الى الهند لغزو الفرنج الغرتقال فى سنة خمس واربعين وتسعمائة وأقام بكاربكيا واستمر كذلك فى تصرف البكاربكى الذى يولى من الباب الشريف السلطانى يتولاها واحدا بعد واحد الى أن صارت مملكة اليمن واسعة يمكن ان يولى فى أعلاها فى الجبال من اعلاها الى ثغر بكار بكى ويولى فى القائم وهى زبيد وسائر السواحل والبنادر بكاربكى آخر وكان هذا عين الخطا فان ذلك مظنة الاختلاف والجدال كما قال الله الكبير المتعال لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فقبل عرضه فى الباب العالى وصدا الى تكثير المناصب وتعديد البكاربكية فولى على اليمن وجبالها المرحوم مراد باشا وكان يقال له كور مراد لحال كان باحدى عينيه وكان خرج من السراى السلطانى وكان من أمراء السناجق وصار أمير الحاج الشامى ثم ولى سنجق غزة ثم أعطى نصف مملكة اليمن * وولى جهة التمائم لحسن باشا وهو أيضا من المماليك السلطانية برز من السراى السلطانى فانقسمت عساكرها وأموالها ومحصولها الى نصفين ونصف أمر كل واحد وكان مطهر بن شرف الدين يحيى الزيدى يعقله وسولت له نفسه العصيان وكانت داعية العصيان مضمرة فى خاطره فصادف القسام المملكة وصول وفاة المرحوم السلطان سليمان خان فأظهر العصيان هو ولفيف من العربان وجهز أميرا من أمرائه يقال له على بن شويع وجمع عليه العربان فقطعوا الطريق على مراد باشا فى محطة دمار وهو غافل عن عصيانهم وكان قاصدا من ثغر الى صنعاء وهى محصورة بالعربان الزيديين فعدموا علف الخيل وخلوا من الطعام بالكلية وكلما أرسل من طائفته من يأتيه بالغلال والميرة قطعوا عليه الطريق وقتلوه فلما زاد به هذا الامر وقطن بعصيان العربان رجع مراد باشا الى ثغر وسلك وادى خيان وهو محل وعر بين جبلين عاليين فى غاية الوعورة والصعوبة عسر المسلك كثيرا لمهلك فلما توسطوا بين هذين الجبلين وقد امتلأت قللهما كالجراد المنتشر ورموهم بالاحجار والاصخار الكبار والصغار وأطلقوا عليهم المياه فصار مراد باشا وعسكره يخوضون فى ذلك الماء وقد ازدحموا على محل الخروج وهو مكان ضيق سدته الجمال والاحمال وليس لهم منعة ولا لهم نجدة ولا لخيلهم قوة ولا قدرة على الجولان فاستسلموا للقتل وقتل منهم من دنا أجله وخرج مراد باشا ومعه عشرون سنجقا سلبتهم العربان وتركوا كل واحد منهم عريانا فى لباس وسائر بدنه مكشوف فأووا الى مسجد يقال له مضرح وعيون المنايا تسرح اليهم وتطمح فوصل اليهم شيخ مضرح وكان له ثار قديم عند الأروام كان سليمان باشا صلب أباه لما افتتح عدن فصاح واثاراه وقتل مراد باشا وأرسل رأسه الى مطهر وقيد الأمراء وقدمهم الى مطهر فلم يقتلهم بل حبسهم فى مطامير تحت الأرض ومات بعضهم من الضيق والضنك وخلص ممن له بقية عمر بعد ذلك واستمر أمراء مطهر يأخذون جبال اليمن الى أن أخذوا صنعاء وتغر وحصن حب وعدن وعجزوا عن أخذ زبيد صانها الله بالأولياء والصلحاء وبها شرذمة قليلة من الاروام مع حسن باشا مع ظلمه وغشمه لاهل زبيد ومصادرته لكل زبيد ووصل لأخذها على بن شويع ومعه فوق خمسين ألف مقاتل وحط خارج زبيد فخرج اليه بقية العسكر السلطانى وهم نحو مائتى فارس وبرزوا القتال هذا الجمع الغفير وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وحملوا على على بن شويع وقد ألقوا بأنفسهم الى التهلكة فزلت أقدامه وفر هاربا وسقط من فرسه فى هروبه ولحقه جماعة من الاسباهية أرادوا قتله فلحقه عبد من عبيده بفرس فركب وهرب ونجا

بنفسه لانجاد الله وسمع من مقابرز بيد أصوات مدافع ترمى عليهم من غير أن يرى شخص فنصر الله المؤمنين على أوائل الملحدين فى الدين وقتل منهم مالا يعلم عدده الا الله تعالى وغنمت العساكر وطاقهم وأحمالهم وأثقالهم وولوا على أدبارهم أجمعين ولم يقدموا بعد ذلك على زبيد كأنما عليها حصن من حديد من عند الله العزيز الحميد فلما أحاطت العلوم السلطانية بما وقع من هذا الاختلال فى اليمن برزت الأوامر السلطانية الشريفة الى بكلربكى مصر يومئذ الوزير المفخم نظام العالم صاحب السيف والقلم مدبر مصالح جماهير الأمم فاتح ممالك اليمن الأيمن من كوكبان الى عدن وقالع قلاع خلق الوادوآخذ بلاد تونس الغرب ودافع الكفر عنها والمحن ليث عرين الوطيس افتراسا وأشدهم باسا وجاشا الوزير المعظم سنان باشا أنعش الله به الوجود والدين الحنيفى انعاشا وأيد بنصره أهل السنة السنية وفرش الأرض بمعدلته فراشا فانه أسد ضرغام وليث قمقام وحسام صمصام وكريم محسن فائض الجود والاكرام جواد بذول لم يمحن الهلال الا ليكون هلالا فى حافر جواده ولا مدت الثريا كف الخصيب الا للتمسك بذيل افضاله وامداده ولا فتحت الروى أفواهها الا لتنطق بمدحه ألسنة الاقلام ولا حبر الحبر بياض الطروس الا ليشير أن الليالى والأيام له من جملة الخدام طال ماطوق الاعناق أطواقا من الافضال والانعام كأنها أطواق الحمام وكثيرا ما أحسن الى العلماء والصلحاء من جيران بلد الله الحرام وجيران سيد الانبياء والرسل الكرام عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام وكنت ممن شملنى بره وانعامه ووصل الىّ فى أكثر الأيام احسانه واكرامه فخلدت ذكر محاسنه فى صفحات الكتب ورقمت كرائم صفاته فى صفحات الأوراق لا يخلقها الجديدان ولا يبليها الدهر الغابر وكتبت باسمه الشريف تاريخا حافلا سميته البرق اليمانى ذكرت فيه أحوال اليمن من سنة تسعمائة واستيلاء حسين الكردى وطائفة الجراكسة * ثم اللوند الى زمن الفتح العثمانى على أبوزيد سليمان باشا ثم استيلاء الزيديين جيوش مطهر بن شرف الدين ثم الفتح العثمانى ثانيا على يد الوزير المعظم سنان باشا أدام الله نصره وجلاله وخلد سعادته واقباله على سبيل التفصيل وكنت صدرت ذلك التاريخ بقصيدة طنانة من نظمى ألطنان سارت بها الركبان وتلقتها بالقبول أدباء علماء البلدان أحببت ايرادها ههنا لبلاغتها عند علماء البيان وفصحاء اللسان تسابق ألفاظها ومعانيها الى الآذان والاذهان تسابق أفراس الرهان بعد كل بيت منها بديوان وتسحب كل كلمة منها اذيال البلاغة على محبان وهى هذه

لك الحمد يا مولاى فى السر والجهر * على عزة الاسلام والفتح والنصر
كذا فليكن فتح البلاد اذا سعت * به الهمم العلياء الى شرف الذكر
جنود رمت فى كوكبان خيامها * وآخرها بالنبل من شاطئ مصر
يجر من الابطال كل غضنفر * بصارمه يسطو على مفرق الدهر
عساكر سلطان الزمان مليكنا * خليفة هذا العصر فى البر والبحر
حمى حوزة الدين الحنيفى بالقنا * وبيض المواضى والمثقفة السمر
له فى سرير الملك أصل مؤثل * تلقاه عن اسلافه السادة الغر
ملوك تسامو للعلا وخلائف * أولو العزم فى أزمانهم وأولو الأمر
شموس يفيض النور تمحو غياهبا * من الكفر منهم يستضيا البدر

هم ملؤا عين الزمان وقلبه * فقرت عيون العالمين من البشر
هم العقد من اغلا اللآلئ منظما * وسلطانا فى الملك واسطة الدر
شهنشاه سلطان الملوك جميعهم * سليم كريم أصله طيب الفخر
عماد يلوذ المسلمون بظله * وسد منيع للانام من الكفر
وحين أتاه ان قد اختل جانب * من اليمن الاقصى أصر على القهر
وساق لها جيشا خميسا عرمرما * يدك جبال الأرض فى السهل والوعر
لهم أسد شاكى السلاح عرينه * طوال الرماح السمهرية والبتر
وزير عظيم الشان ثاقب رأيه * يجهز فى آن جيوشا من الفكر
يقوم باعباء الوزارة قومه * يسد جيوش الدين بالايدى والازر
أياد له بالناس كاسرة العدا * ولكنها بالجود جابرة الكسر
به أمن الله البلاد وطمن الـ * عباد وأضحى الدين منشرح الصدر
سنان عزيز القدر يوسف عصره * ألم تره فى مصر أحكامه تجرى
تدلى الى أقصى البلاد بجيشه * ومهد ملكا قد تمزق بالنشر
وشتت شمل الملحدين وردهم * مثال قرود فى الجبال من الدعر
وقطع رؤساهم بكار رؤسهم * لهم باطن السرحان والطير كالقبر
وكان عصى موسى تلقف كلما * بدا من صنيع الملحدين من السحر
ولا زال فيهم عامل الرمح عاملا * ولا برحوا فى الذل بالقتل والاسر
وما يمن الاعمالك تبع * وناهيك من ملك قديم ومن فخر
وقد ملكتها آل عثمان اذ مضت * بنو طاهر أهل الشهامة والذكر
فهل يطمع الزيدى فى ملك تبع * ويأخذه من آل عثمان بالمكر
أبى الله والاسلام والسيف والقنا * وسر أمير المؤمنين أبى بكر

﴿ولما تم الفتح الخاقانى العثمانى﴾ فى القطر اليمانى عاد الوزير المعظم الى بلد الله المكرم وحج حجة الاسلام وزار المزارات العظام وصادف الحج الأكبر وكانت الوقفة الشريفة يوم الجمعة أفضل الايام واثر ببلد الله الحرام أنواع الخيرات والانعام وأحسن الى أهل الحرمين الشريفين ومن حضر فيهما من حجاج الانام وقابل شرفاء مكة أدام الله عزهم وسعادتهم بالاعزاز والاحترام ﴿فمن آثاره الخاصة به فى المسجد الحرام﴾ تعمير حاشية المطاف وكانت من بعد أساطين المطاف الشريف دائرة حول المطاف مفروشة بالحصا يدور بها دور حجارة منحوتة مبنية حول الحاشية بالحجر الصوان المنحوت ففرشت به فى أيام الموسم وصار محلا لطيفا دائرا بالمطاف من بعد أساطين المطاف وصار ما بعد ذلك مفروشا بالحصا الصغار كسائر المسجد خاص به ذكره الله بالصالحات وأدام له العز والسعادات * ومنها تعمير سبيل فى التنعيم أنشأها وأمر باجراء الماء اليها من بئر بعيدة عنها يجرى الماء منها الى السبيل فى ساقية مبنية فيما بينهما بالجص والنورة وعين لها خادما يسقى من البئر ويصب فى الساقية فيصل الماء الى السبيل يشرب منه ويتوضأ به المعتمرون والواردون والصادرون ويدعون له بالنصر والتأييد وعين مصاريف ذلك من ريع أوقاف له بمصر * ومنها آبار أمر بحفرها بقرب المدينة الشريفة لقوافل الزوار فى وادى مفرح

وغيرها كثيرة النفع جدا * ومنها قراءة ختمة شريفة كل يوم يقرؤها ثلاثون نفرا بمكة وأخرى بالمدينة الشريفة وعين لكل قارئ جزاء في كل سنة تسعة دنانير ذهبا وكذلك لمفرق الأجزاء والداعي ولشيخ القراء وعين مصارف ذلك جميعه من أوقافه التي من محروسة مصر عمرها الله تعالى وجعل ناظرها والمتكلم عليها وعلى سائر ما عينه من الخيرات سيدنا ومولانا شيخ الاسلام قاضي القضاة وناظر المسجد الحرام سلالة آل النبي عليه أفضل الصلاة والسلام بدر الملة والدين السيد القاضي حسين الحسيني أدام الله عزه واقباله وضاعف سعادته واجلاله وكل هذه الخيرات باقية جارية الى يوم القيامة ان شاء الله تعالى * وأما حلق الوادي بلاد تونس الغرب فهي من أجل الغزوات العثمانية وأعظم فتوحاتهم الكبيرة العلية الواقعة في أيام السلطان الأعظم العثماني السلطان سليم خان الثاني رحمه الله رحمة واسعة وغفر له مغفرة جامعة ومتعه بالنظر الى وجهه الكريم ومنحه لذات جنة النعيم * وبيان ذلك أن سلاطين تونس الغرب من آل حفص لما ضعفوا ووهنوا ووقع بينهم الاختلاف صار بعضهم يلتجئ الى نصارى الافرنج ويأتي بجنود الكفرة يستعين بهم على أخذ تونس وصار الافرنج يقاتلون من في تونس من المسلمين ويقتلونهم ويسبون أولادهم ونساءهم ويبنون القلاع في تلك البقاع ويواصلون بجنود النصارى الى بلاد المسلمين ويولون من تحت أيديهم سلطانا من ذوي حفص سلاطين تونس قديما على بلاد تونس ومن بهامن المسلمين الى أن صار المسلمون تحت حكم النصارى وعم أذاهم على المسلمين وانفردوا عنهم وبنوا قلعة عظيمة محكمة الاتقان مشيدة البنيان بقرب تونس في موضع يقال له حلق الوادي كأنه بناء شداد أو وضع العادين من قبائل عاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد بآلات الحرب والقتال وصارت النصارى تتكمن فيها للمسلمين ويرسلون منها المراكب والأغربة في البحر على بلدان المؤمنين الموحدين ويقطعون الطريق قتلا وأسرا ونهبا وسلبا الى أن تعدى ضررهم على طوائف أهل الاسلام وزاد فساد أهل الصليب على ضعفاء المسلمين من الأنام * وكبير النصارى الآن صاحب اشبيلية من جزيرة الاندلس أعادها الله تعالى دار الاسلام ببركة النبي سيد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام ويسمونه العوام أصبانية تحريفا لكلمة أشبيلية جهز جيشا كثيفا لأخذ تونس ووالس على ذلك سلطان تونس أحمد بن حسن الحفصي قابله الله على سوء فعله بما يستحقه فأخذ النصارى مملكة تونس ووضعوا السيوف في أهلها فقتلوا الرجال وسبوا الأولاد والنساء والأطفال وباء أحمد المذكور باثمه واسود في صحائف الليالي والأيام دينا جاجة وجهه وعمه وأنقلب خاسئا مدحورا وانخلع عن ربقة الدين وازداد خيبة وكفورا ونفرت قلوب المسلمين منه وزادت نفورا وكيف لا يكون كذلك وقد استعان بملة الكفر على الاسلام واستدعى عبدة الصليب والأصنام ينتصر بهم على أهل ملة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وامتهن دار الاسلام تونس باقدام أولئك الكفرة اللئام والاعتصام بالله العلي العظيم المتعال ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فانتشرت هذه الاخبار الدهشة والانباء المظلمة الموحشة الى ان وصلت أبواب سلطان سلاطين الاسلام ظل الله الممدود على مفارق الانام مالك صهوة الملك من الذرة الى الغارب ملك الملوك من مشارق الارض والمغارب واسطة عقد ملوك آل عثمان المشمول بشمول المرحمة والمكرمة والغفران من الله الكريم المنان السلطان سليم خان ابن السلطان سليمان خان سقى الله عهده صوب الرحمة والرضوان وأبقى السلطنة في عقبه الى انتهاء الزمان فلما طرق سمعه الشريف هذا الحادث الرجيف وعلم ما صاب اهل الاسلام من هذه المصائب العظام والامتهان الذي قصم

الظهر وأوهن العظام استشاط سخطا وغضبا واضطرمت نار حميته وتأججت لهبا وتحركت العصبية الاسلامية والتهبت نيران الحمية العثمانية وقام وقعد وأرغى وأزبد وابرق وارعد وهدد واوعد وخاطب الوزراء العظام والبكار بكية الكبراء الفخام وقال من يقدم منكم على نصرة الاسلام واذلال عبدة الاصنام ويستنقذ من اسراء المسلمين بيد اولئك النصارى الطغام ويخرج من عهدة الكفار الفجرة اللئام فبادر الوزير المعظم والليث الغشمشم صاحب السيف والقلم فاتح ممالك اليمن الاعين المكرم أبو الفتوحات المفخم لازالت ألوية نصره منشورة الذوائب مشرقة كالشمس يغشى ضوءها المشارق والمغارب صاعدة الى افق السماء حتى تزاحم مناكب الكواكب وقال أنا لسد الخلة أنا لها أفرج كربتها وافتح مقفلها واصلح خللها وازيل علتها ولم تدخرنا السلطنة الشريفة الخاقانية وما رتبنا العواطف الكريمة العثمانية الا لبذل أرواحنا واموالنا فى مثل هذه الحوادث وندفع عن المسلمين ما يصابون به من المصائب الكوارث فقابله السلطان الاعظم بالشكر منه والثناء عليه وشرفه بالالتفات الشريف السلطانى اليه وجعله سردار العساكر المنصورة وامره ان يتوجه الى قهر النصارى المقهورة وامر أن يتوجه معه لمساعدته ومعاونته ودفع ملالته وسآمته وضبط العساكر البحرية وترتيب السفر الحربية قابودان الباب العالى فارس ميدان البحر السابق الى قلة أبراج المعالى الاسد الضرغام والليث القمقام والصارم الصمصام امير الامراء العظام حضرة قبلجى على قابودان باشا يسر الله له من الفتوحات ما يشاء فشرعا فى اخذ اسباب السفر واخذا معهما من أمراء السناجق وأمراء العساكر كل اسد عضنفر وكل باسل معقود بناصيته أسباب النصر والظفر وممن له فى حرب البحر اليد البيضاء والمعرفة التى يتصرف بها فى الماء والهواء وشحنوا مائتين غراب تطير بأجنحة القلاع وتهدم بما فيها من المدافع محكمات الحصون والقلاع وعدة من المؤنات الكبار لحمل الاثقال ودفع الاحمال الثقال وشمل مكاحل النحاس لحطم الثغور وهدم السور والجسور الى الاساس وكثرة التخويف والترهيب وشدة القوة والبأس * وكان بروز العسكر المنصور من القسطنطينية العظمى يوما عظيما مشهودا وساعة مباركة أظهرت يمنا وبركة وسعودا وذلك غرة ربيع الاول سنة احدى وثمانين وتسعمائة وركب الوزير المعظم سردار العسكر حضرة سنان باشا والقبودان والعساكر المنصورة بنصر الله الملك الديان ثبج البحر كأنهم طوفان فوق طوفان وطارت بهم الأغربة على وجه البحر أقوى طيران وتلت ألسنة القراء وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها حتى وصلوا الى ماللو كليسا من مملكة البندقية ووصلوا فى يوم الخميس لخمس مضين من شهر ربيع الأول * كيمان الخير واستقروا بها ليلة الجمعة وأصبحوا متوجهين والسعد يخدمهم والنصر والظفر يرافقهم ويقدمهم وقد عبروا بسفائنهم أبا العمان وما أمكن لغيرهم من العساكر عبور العمان بهذه السفائن الكثيرة خوفا من تصادمها عند شدة تموج البحر ولكن الله يسلم من أراد لا دافع لمراده ولا راد وهو على كل شئ قدير فساروا تارة بالقلوع وتارة بالكورك على وجه ذلك البحر الوسيع الى أن ظهرت لهم فى اليوم الثامن جبال قلاورية واستمروا كذلك الى أن وصلوا وقت الظهر من اليوم التاسع طبرق حصارى وهو حصار منيع للكفار على ساحل البحر فلما وصلت العساكر المنصورة الاسلامية الى ذلك المكان حاربهم الكفار الملاعين فدهمهم العسكر المنصور دهكا ودكوا من تحت ارجلهم الارض دكا فهربت الكفار الى قلعة حصينة تسمى نجبة ووقع قتال عظيم استشهد فيه من رزق الشهادة وأعطاه الله فى جهاده الحسنى وزيادة منهم حضرة

كتخداى القابودان سنجق قره حصه ايلى محمد بك نزل من سفينته مشتاقا الى الجهاد فى سبيل الله فأصابته بندقة فى خده نفذت من الجانب الآخر واستمر صاحب فراش خمسة أيام وتلت عليه الملائكة ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فانتقل الى رحمة الله تعالى شهيدا ثم رمى وقت المغرب مدفع لاعلام الغزاة بالعود الى سفائنهم للسير فحضروا وركبوا ورفعت القلاع وصاروا يسيرون تارة برفع القلع وتارة بالكورك الى أن وصلوا فى اليوم الرابع عشر الى جزيرة مسينة استقر بها عسكر المسلمين ثم ساروا فلما وصلوا الى محاذاة حصار سراقول حصلت فرتونة فى البحر تفرقت بسببها السفائن من الضحى الى آخر النهار ثم اجتمعت وقت العشاء فى محل يقال له كير ثم مروا بقلل ابان فحوصرت وهدمت قلعتها وقتل من بها من النصارى ثم ساروا فلاحت قلعة اولاق ووصل اليها بعض العسكر المنصور ونهبوا ما وجدوا بها من الذخائر وقتلوا من ظفروا به من النصارى وعادوا الى سفائنهم وصاروا ينزلون كل يوم لأجل السقية الى جانب من ساحل صجلية وكلما وصلت يدهم اليه من نهب وغارة وقتل وأسر لطائفة الكفار بادروا اليه وأخربوا قراهم ودورهم وبساتينهم وعادوا الى سفائنهم فاجتمع كل من فى ذلك الساحل من النصارى من فارس وراجل فصاروا عسكرا وأقدموا على قتال من ينزل من المسلمين فخرج اليهم من السفائن بعض البحارين والكورجية وبعض من فى نيته الجهاد فى سبيل الله فقاتلوا الكفار وهزموهم وقتلوا منهم خلقا كثيرا وفر الباقون ولم يعهد للملاعين مثل هذه الهزيمة والخسران وذهاب أرواحهم واموالهم واسرا ولادهم ونسائهم قبل الآن ولعذاب الآخرة اشد وابقى ثم اطلق المسلمون النار فى تلك السواحل وأحرقوا اشجارها ودورها وقصورها وعجلوا باهلها الى نار جهنم وساءت مصيرا * وفى اليوم السادس عشر من شهر ربيع الاول ظفر عسكر الاسلام بسفينة للنصارى مشحونة بالقمح كانت متوجهة الى بعض قلاعهم فاغتنم المسلمون ذلك وكان أخذها فألا حسنا للمسلمين * وفى اليوم الثامن عشر من الشهر المذكور وصلوا جهودا واسى وطاب الريح للمسلمين فوصلوا الى قلعة خراب فى قرب تونس قريبا من قالبية بورنى وهى على ثمانية عشر ميلا من مدينة تونس فزينت السفائن والأغربة بالرايات المصبوغة ألوانا اظهارا لهيبة الاسلام وعنوانا للعساكر المنصورة وارسوا فى اليوم الرابع والعشرين فى جزيرة حلق الوادونزلت العساكر المنصورة السلطانية ونصب وطاق حضرة الوزير المعظم والقابودان المكرم على مسافة لا يصل اليها المدافع ونزلوا المدافع الكبار الذى اذا رمى بها تزلزلت الجبال وتهدمها وتخرب الأطواد الكبار وتحطمها وشرعوا يتقربون قليلا قليلا الى القلعة ويبنون لهم متاريس يتترسون بها ويسوقون الأتربة أمامهم ويتسترون خلفها ويحفرون خنادق فيها كيلا تصيبهم المدافع ويتقدمون ويدنون من القلعة على هذا الاسلوب الى أن أحاطت العساكر المنصورة بقلعة المنجنيقات والمدافع ووجهت الى صوب الكفرة أفواه المكاحل الكبار والمصانع وبرز حضرة الوزير المعظم سنان باشا محفوفا بنصر الله يخوض حول الموت وهو يراه محتسبا نفسه فى سبيل الله معتمدا على عون معين نصير تسجد لعظمته الجباه وأقدمت العساكر المنصورة بصدق اعتقادها وثبتت النصارى بغلظ اكبادها من اشد الصواعق واخطف للابصار والاسماع من الرعود والبوارق تخطف ما صدقت من النفوس والأرواح وتمزق ما صدمت من الهياكل والاشباح وتفك اللحم من العظم وتذيب الشحم وتسيل الدم والعساكر المنصورة مقدمون على هذه الأهوال ثابتون ثبات الاطواد والجبال على الحرب والقتال اذ وصل الخبر بوصول بكلربكى تونس المولى عليها من قبل السلطنة الشريفة العثمانية

السليمية

السليمية أمير الأمراء الكرام كبير الكبراء الفخام والمجاهدين العظام حيدر باشا وكذلك بكاربكي طرابلس الغرب أمير الأمراء الكرام كبير الكبراء المجاهدين العظام ذوالقدر والعظمة والاحتشام مصطفى باشا أيدهما الله تعالى بالنصر والتأييد وظفرهما على كل كافر عنيد وكانا وصلا قبل وصول العمارة السلطانية من البر الى مقدار نصف يوم عن تونس بقصد محاصرتها وأخذها فلما علم البكاربكيان بوصول العمارة السلطانية الى حلق الواد واشتغال العسكر المنصور السلطاني بالجهاد وصلا ليلا بالخفية مع قليل من الغلمان الى وطاق سردار العمارة المنصورة الوزير المعظم الباشا سنان واجتمعا به وفرح كل منهما كمال الفرح وحصل له الاطمئنان وطلبا منه الامداد والاعانة على أخذ تونس وما أمكن الوزير المعظم سنان باشا أن يتوجه معهما بنفسه فأمر طائفة من أمرائه وعين نحو ألف نفر مع التفكجية وبعض المدافع الكبار والضربزنات أن يتوجهوا مع البكاربكيين من السناجق نخر الأمراء العظام ابراهيم بك من سناجق محروسة وسنجق قرستي محمود بك وسنجق قره حصار باك بك ومقدارا الى نفر من طائفة كوكلو مع أغاهم حبيب بك فتوجهوا في الحال مع حيدر باشا ومصطفى باشا واحاطوا بتونس وكان سلطانها الموالس مع النصارى احمد الحفصي ومن معه من النصارى ورأوا أنهم عاجزون عن حفظ تونس لسعتها ورأوا ان قلعتها ايضا خراب ما تهدمة لا تصونهم فخرجوا من تونس الى مرحلة بقربها يقال لها قاوملود كريعني بحر الرمل وعملوا بها حصارا من الخشب حشوه بالتراب وتحصنوا فيه وكانوا نحو سبعة آلاف مقاتل ما بين كفار ومرتدين ومردة من النصارى المخذولين وشحنوا هذا الحصار بآلات الحرب والمدافع والذخيرة ونحو ذلك فلما دخلت تونس من أعداء الدين فتحها عساكر المسلمين وضبطوها وحصنوها ثم برزوا الى قتال أولئك الملاعين وحاصروهم في قلعتهم التي أحدثوها وأحكموها بالاخشاب والألواح والطين وأرسلوا خبر ذلك الى سردار عسكر المسلمين الوزير المعظم سنان باشا فأرسل لنصرتهم وامدادهم واعانتهم القابودان المعظم والبكاربكي المفخم قلج علي فتوجه بطائفة من المسلمين من العساكر المنصورة السلطانية الى اعانة بكاربكي تونس حبيب باشا وبكاربكي طرابلس الغرب مصطفى باشا ومن جهز معهما من العساكر سابقا وهم محيطون بالقلعة التي تحصنوا بها الكفار الأشقياء والعربان المرتدين فرأى قلج علي باشا صعوبة أخذ القلعة الكثيرة من فيها من المقاتلة وطلب عسكرا آخر وعدة ومدافع أخرى من الوزير المعظم سنان باشا فأرسل له ألف ينكجري وصمصولجي اشي ومن سلحدارية الباب العالي على أغا وجهز معهم ثمانية مدافع وستة ضربزن ولحقوا بالقابودان قلج علي باشا وأحاطوا بقلعة الكفار وبنوا المتاريس من كل جانب ومع ذلك كانت الكفرة والملاعين ومن ارتد منهم من عربان تونس في غاية الكثرة والقوة ومعهم الخيول فخرجوا من القلعة مرارا وهجموا على عساكر المسلمين عند المتاريس في جهة من جهات القلعة وقاتلوا المسلمين قتالا شديدا وعادوا الى قلعتهم واستشهد في ذلك كثير من المسلمين وانتقلوا الى رحمة الله تعالى في أعلى عليين فلما بلغ حضرة الوزير المعظم ما فيه عساكر المسلمين من الشدة جاء بنفسه اليهم فان المسافة قريبة وعساكر السلطنة محيطة بقلعة حلق الواد والحرب قائم على حاله فتوجه حضرة الوزير الى تلك القلعة المحصورة بقرب تونس وشاهدها ووزع على جوانبها عساكر المسلمين وقوى جاشهم وعين في كل موضع طائفة وأشار على القبودان والبكاربكية بما رأى فيه الصواب وطمئنهم وشد قلوبهم وعاد من يومه الى حلق الواد لاحتياج عساكر المسلمين اليه في هذه الجهة أيضا واستمر كل من الفريقين على مجاهدة الكفار وهم

على الثبات والقرار لا يسأمون من مصادمة النار ولا يخافون من الموت لانهم مقدمون على جنة الخلد وملك لا يبلى طالبون درجة الشهادة من الله العلى الأعلى * ووصل فى هذه الاثناء بكار بكى الجزائر سابقا أمير الأمراء العظام أحمد باشا الاعانة عسكر الاسلام وأقبل على حضرة الوزير المعظم واستأمر لما يأمره به فأعطاه عدة من المدافع وعين له جهة الجنوب من حلق الواد فتوجه اليه وبنى المتاريس عليها وجاهد فى الله حق جهاده وأقدم على قتال الكفار والقى الى الحرب مقاليد قياده فوصل العسكر المنصور الى حافة خندق الكفار بعد اربعة عشر يوما وبنوا على حافته المتاريس وكان الكفار قد نقبوا تحت الارض نقبا طويلا وصلوا به الى موضع كان كمرك خانه وفيه قلة برج يصلح للتحصين فوصلوا اليه من تحت الأرض وملأوه من الرجال وآلات الحرب فغطن المسلمون لذلك وكان قريبا من الجانب الذى فيه حضرة الوزير فتوجه اليه بنفسه النفيسة ووقع فيه حرب شديد وأخذت القلعة وقتل من فيها من النصارى الخذولين وأرسل حضرة الوزير بالليل من يقيس عمق الخندق الذى وصل اليه العسكر المنصور فكان عمقه ستين ذراعا بذراع العمل وقعره متصل بالبحر يملوه ماء البحر فتشاور الوزير مع الأمراء وأصحاب الرأى فى ذلك فما وجدوا لذلك حيلة غير ان يملأ الخندق بالتراب وتبنى عليه المتاريس فأمر الوزير المذكور سائر العسكر بذلك فشرعوا فى نقل التراب من خلف المتاريس وباشر حضرة الوزير المشار اليه ذلك ونقل بيده الشريفة التراب ابتغاء مرضاة الله العزيز الوهاب ونصرة لدين الاسلام وتأييدا لملة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ورأى الأمراء ذلك فبادروا بأنفسهم الى نقل التراب ورأى العسكر المنصور ذلك فهموا غاية الاهتمام وأقدموا نهاية الاقدام وحملوا التراب كأمثال القباب ورموا بها فى الخندق الى ان امتلأ فارتفع وزاد فى الارتفاع فبنوا المتاريس فوق ذلك الى أن اعتلوا على الحصار وذلك لاربع عشرة ليلة خلت من ربيع الثانى سنة احدى وثمانين وتسعمائة فصارت مدافع المسلمين تصل الى وسط قلعة الكفار وتقتلهم وتحرقهم بالنار وتسوقهم الى جهنم وبئس القرار * ووصل رمضان باشا ومعه ثلاثة آلاف مقاتل واجتمع بحضرة الوزير المعظم وطلب معه خدمة يؤديها فأرسله عن معه من عسكر الاسلام الى اعانة المسلمين الذين حصروا الكفار بالقلعة التى بقرب تونس فتوجه اليها ونزل فى جهة من جهاتها وحط عليها مع من هناك من البكار بكية والأمراء والغزاة والمجاهدين والكبراء واستمر حضرة الوزير فى محاصرة حلق الواد والاستيلاء على من فيها من أهل الكفر والعناد وأقدم المسلمون على الدخول على الحصار لما شاهدوا وهن الكفار وحمل الوزير المعظم عن معه من الابطال حملة تزلزل الجبال وحمل من الجهات الثلاث من العسكر والأمراء والرجال فدخلوا القلعة وفتحوها عنوة بالسيف والقتال لست مضين من جمادى الأولى سنة احدى وثمانين وتسعمائة ووضعوا السيف فيمن وجدوا بها من الكفار وساقوهم بالنار الى عذاب النار جهنم وبئس القرار وغير ذلك واستؤسر صاحب القلعة كبير النصارى المخذولين وكذلك أسر سلطان تونس أحمد بن حسن الحفصى وقيدهما وحبسهما حضرة الوزير وأمر بقتل سائر من وجد من النصارى والعرب المرتدين وفرح بفتح هذا الحصن كافة أهل الاسلام والمؤمنين واستبشر وا بهذا النصر والفتح المبين فانه يعد من أجل فتوحات الاسلام وأعظم التأييدات لدين محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وكانت هذه القلعة من أحكم القلاع التى أحكمها النام وأقواها فى المكنة والاستحكام وأشدها ضررا على أهل الاسلام * ومن عجيب الاتفاق ان هذه القلعة المنكوبة بنتها النصارى فى ستة وثلاثين

وتسعمائة وكملوا استحكامها فى ثلاث وأربعين سنة وافتتحها حضرة الوزير المعظم سنان باشا فى ثلاث وأربعين يوما من محاصرتها بعد السنين التى أحكم فيها بناؤها كل يوم بسنة * ولما تم هذا الفتح المبارك رأى حضرة الوزير ان ترميمها واعادتها وحفظها بالعسكر يحتاج الى مؤنة كبيرة وخزائن من الأموال كثيرة مع قلة جدواها لبعدها عن الباب العالى وطول مداها ورأى ان الأولى هدمها وتخريبها فهدموها حجرا حجرا وتركوها خبرا لا أثرا وأعملت المعاول فى رأسها الى أن وصلوا الى اساسها فصارت طللا من الاطلال ودمنة يلعب فيها هبوب الصبا والشمال ولا يسمع فيها نداء أو صدا الاصياح بوم أو صدا ولم يبق بها أنيس الا اليعافير والا العيس وأرسل حضرة الوزير المعظم بشائر النصر والفتح المتوالى الى جهة الباب الشريف العالى والى سائر بلاد الاسلام ليأخذ المسلمون حظهم من هذا البشر التام والفرح الشامل العام ويفرح المؤمنون بنصر الله والملائكة الكرام ويدعوا بدوام هذا السلطان الأعظم نصره الله وخلد ملكه على الدوام

وهذا دعاء لا يرد لانه * يزان به كل الورى والممالك
تراه بلا شك أجيب لأنه * اذا ما دعونا أمنته الملائك

وتوجه البشير كأنه الصبح الصادق ينشر على الخافقين رايات النصر الخوافق ويملأ برايات الفرح أقطار المغارب والمشارق

وكوكب الصبح نجاب على يده * مخلق تملأ الدنيا بشائره

ثم لما فرغ حضرة الوزير مما أربه من حلق الوادو فعل فى تلك الوهاد والمهاد والاوعاد والانجاد ما أراد توجه بعسكره المنصورة الى تونس لتطمئن طلعته الغراء من بها من المسلمين وتونس فوصل اليهم وهم محاصرون قلعة النصارى المخذولين مجاهدون مجتهدون فى أخذ أولئك الملعونين ففرح بوصوله البكلربكية الذين يحامون لنصرة الدين واشتد أزرهم وقوى جاشهم على قتال المشركين كيف وقد نشأوا على الطعان والقراع كما نشأ الاطفال على الرضاع وضروا بدماء الكفار ضراوة الأسود والسباع بما تفترسه من الصيد وهن حياع وحمل بافدامه حضرة الوزير المعظم على من فى القلعة حملة الأسد الغشمشم وتسابقت العساكر المنصورة الى استئصال أعداء الدين سبق السيل الغطمطم وتعلقوا باطراف الحصار وصبروا على حر السيف والنار واستشهد كثير من المسلمين الكرام وقتلوا فى سبيل الله وهم أحياء لا أموات عند الله فى دار السلام واستمر عساكر المسلمين على الاقدام على الموت الزام وحد السيف والحسام الى ان دخلوا القلعة ونصبوا الرايات السلطانية على القلعة فدخلوها ووضعوا السيف فى الكفار عدة الصليب وقتلوا منهم ثلاثة آلاف دراع مغلغل من فرقه الى قدمه فى سابغات الحديد ورمى نفسه الباقون من أعلا القلعة الى أسفلها وهم زهاء خمسة آلاف نفس نزلوا على أقدامهم فى الرمل وهربوا قدر رمية سهم أو سهمين وشرعوا فى التترس بأتربة ورمال أرادوا أن يتحصنوا بها والمسلمون مشغولون بقتل من بقى فى القلعة ونهب الأمتعة والاسلاب فوجدوا بها أخشابا وألواحا أعدها الكفار لاتقان القلعة واحكامها وبارودا كثيرا ومدافع ولبوسا وآلات الحرب وبكسماطا كثير الازوادهم وكانت القلعة بسبب العجلة غير محكمة البناء وعجلتهم العساكر المنصورة السلطانية الاسلامية عن اتمامها واتقان استحكامها فلو تأخر ورود العساكر السلطانية عنهم فى ذلك العام لكانوا أتقنوا تلك القلعة اتقانا قويا لا يقوى عسكر الاسلام على فتحها بعد ذلك ولكن خذل الله تلك

الطائفة أينما ثقفوا بوصول حضرة هذا الوزير المعظم بهذا الخميس العرمرم فى هذا العام قبل استيفاء استحكام القلعة غاية الاحكام وكان ذلك بيمن سعادة طالع السلطنة الشريفة العثمانية وحسن اهتمام هذا الوزير الأعظم ولطف تدبيراته العلية ورقة آرائه الثاقبة الجلية ثم أمر حضرة الوزير أن يستعقب العساكر المنصورة الاسلامية أولئك الهاربين من الكفار فتبعوهم ووحدوهم قد شرعوا فى عمل مكان يتحصنون فيه فهجموا عليهم هجمة واحدة فتيقن الكفار أن لا مفر لهم ولا محيص فقاتلوا أشد قتال وقاتلهم المسلمون بالنصال وصار الوجه فى الوجه والناب فى الناب والسيوف المسلولة من القراب تغوص فى الرقاب والحناجر تدق فى اللبات والحناجر حتى سالت الدماء كالسيل العباب الى ان أنبت كافور تلك الرمال شقيقا وصير أحجار الفلا عقيقا وضرب النقع فى السماء طريقا وحمدا لله على كل حال هم الظافرون والكافرون هم الصاغرون وصب من دماء أولئك الارجاس ما نجس به الرمل على طهارته والبر على سعته وقتل الكفار عن آخرهم قتلا ذريعا وشكر المسلمون لله عز وجل صنيعا وانتصر على النصارى أهل ملة الاسلام الذى بعث الله به رسوله عليه الصلاة والسلام الى كافة الأنام وعاد حضرة الوزير المعظم ظافرا منصورا غانما مسرورا ممتابا مأجورا وغنمت العساكر المنصورة السلطانية والجيوش الموفرة الايمانية ما يكل عن حصره أنامل التحرير وتضيق عن ذكره أدراج الأساطير وجهزت البشائر الى الأنواب الشريفة السلطانية والاعتاب المنيفة العثمانيه وتطايرت أخبار البشارة الى سائر المسلمين فى الآفاق تخفق على الخافقين أجنحة السرور والبشر الخفاق ما بين حدود الغرب والاشراق ولولا لطف الله تعالى بأهل الاسلام لكان البلاء عاما على سائر بلاد المسلمين فان السلطان الاعظم الأفخم السلطان سليم خان لو لم يهتم بدفع هذه الكفار الملاعين لكانوا يتسلطون على أخذ تونس وأخذ الجزائر كلها وكانوا يحكمون قلاعها وأسوارها وحصونها وحصارها غاية الاحكام وكانت ترتد عن الاسلام عربان المغرب وتتقوى الكفار الفجار على أخذ مصر وغيرها من ديار الاسلام لا بلغهم الله المرام وأنزل عليهم الخزى والخذلان والنكال الى يوم القيام وقد أعان الله سلطان الاسلام لدفع أولئك الكفرة الطغام ومزقهم كل ممزق بالسيف والسنان والحسام وشتت شملهم ومزق جمعهم فلا يقوم لهم رأس بعد ذلك فالله تعالى يشكر لمؤيد الاسلام صنيع هذا السلطان الاعظم والخاقان الاكرم الأفخم السلطان سليم خان صاحب هذه الهمة العالية والقوة والأيادى الحسان ويجازيه عن الاسلام والمسلمين خير اداتم الفيضان ويشكر همة هذا الوزير الأعظم العالى الشان على نصر أهل الايمان أعظم جزاء على هذا الفتح العظيم بحد السيف والسنان * وكان هذا الفتح الاخير فى يوم الخميس المبارك الخمس بقين من جمادى الاولى سنة احدى وثمانين وتسعمائة وقتل فى القلاع الثلاث من الكفرة الخباث عشرة آلاف مقاتل ساقهم الله تعالى الى النار وقد استشهد من الغزاة والمجاهدين ما يوازى عشرة آلاف غازى فمن عين أمراء السناجق من أمراء الاكراد خضر بك وسنجق ابنه لحتى مصطفى بك وسنجق مملكة مسلوبر ويزبك وسنجق برك مصطفى بك وسنجق أولية أحمد بك وسنجق ترخانة بايزيد وسنجق اسكندرية صفر بك وكتخدا الينكجرية فرهاد ورأس زمرة الباب وكثيرا من الزعماء وأرباب التيمار وغيرهم عدة عديدة وأعطى حضرة الوزير الأمان لطائفة من الكفار رأى فى ذلك مصلحة يوازى زهاء مائتى نفر برزوا فى أمان حضرة الوزير وأخبروه بأمور مهمة كان يريد الاطلاع عليها منها ان عندهم من العلمين الاستاذين فى عمل الطوب

الكبار الذى يعجز جميع الكفار عن عمل مثلها مائتى نفر وخمسة أنفار ممن لا نظير لهم فى هذه الصناعة فأمنهم وطلبهم وأخذ بخاطرهم وأعطاهم الامان على أنفسهم وشرط عليهم أن يسبكوا دائما النحاس ويجعلوه مدافع كبارا ويعمل لهم علوفة ويوضع فى أرجلهم القيود ويكفل بعضهم بعضا فرضوا بذلك وطلبوا الامان على هذا الشرط فكساهم الوزير وكتب لهم علوفات على حسب مراتبهم وصاروا من خدام الترسخانة السلطانية موكلا عليهم من يحفظهم ويتيقظ لهم ويستخدمهم فى الخدم السلطانية ويسبكون النحاس للطوب الكبار والمدافع العظام وظفر حضرة الوزير المعظم فى قلعة حلق الود وقلعتى تونس بمائتى مدفع وخمسة وثلاثين مدفعا لحفظ تونس من الكفار الفجار وأرسل مائة وثمانين مدفعا من أكبر المدافع العظيمة الى الباب الشريف السلطانى ليستعان بها على قتال الكفار الملاعين اذا جهز عليه العساكر فى كل حين * ثم لما فرغ حضرة الوزير المعظم الكبير من هذا الفتح العظيم والغنم الكثير أنعم على من فى ركابه الشريف من الامراء والكبراء والبكاربكية وسائر الزعماء وأرباب التيمار وبلوكات العسكر المنصور وأرباب الجوامك والعلوفات بالترقيات العظيمة والمناصب الكبيرة كل أحد بمقدار سعيه واستحقاقه ومرتبته وعرض ذلك على سرير السلطنة الشريفة وكان مقدارا كبيرا من الخزائن العامرة السلطانية فقوبل جميع ذلك بالقبول ووقعت موقع الاجابة فى المأمول والمسئول وذلك فى مقابلة ما بذلوا أموالهم وأنفسهم فى سبيل الله وجاهدوا فى الله حق جهاده ونصروا الاسلام والمسلمين وأنعمت السلطنة على حضرة الوزير بانواع الانعامات السنية والترقيات الكثيرة العلية والخلع الفاخرة البهية والتشريفات الزاهرة السلطانية فى مقابلة سعيه فى نصرة الدين وبذل أمواله للغزاة والمجاهدين وأخذ ثار المسلمين من الكفرة والمشركين على وجه لم يقع فى كثير من الزمان مثل هذا الفتح العظيم الشان وذلك بمحض الاعانة الربانية والنصرة الالهية السبحانية ولله الحمد على نصرة الاسلام وتأييد سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام * ثم عاد حضرة الوزير المعظم المنصور المكرم خلد الله عليه سوابغ النعم الى الابواب الشريفة السلطانية بمن معه من عسكر الباب الشريف السلطانى وأذن لغيرهم من العسكر المنصور وسائر الأمراء والبكاربكية بالعود الى أوطانهم وأماكن حكومتهم مجللين محترمين مجبورين منصورين سالمين غانمين واستمر حضرة الوزير المعظم الى ان ورد الى الباب الشريف العالى السلطانى وقبل قوائم السرير الشريف العثمانى فقوبل بأنواع البشر والتهانى وشمله النظر الشريف الخاقانى ونظرت اليه السلطنة بعين القرب والتدانى وأفرغ على كاهله مرة بعد أخرى خلع التشريف الخسروانى وقبل كل ما عرضه حضرة الوزير المعظم المشار اليه على الأعتاب الشريفة السلطانية من المطالب وأنعمت عليه السلطنة الشريفة بكل ما سأل فيه من المقاصد والمآرب وكان يوم دخوله الى اصطنبول يوما عظيما مشهودا ووقت حلوله فى منزله السعيد وقتا مباركا مسعودا وازدحمت الخلق على مشاهدة طلعته والتبرك بوجهه الكريم وميمون غرته وصاروا يتبركون بالنظر الى المجاهد فى سبيل الله ويطلبون الدعاء منه وممن معه من المجاهدين الغزاة والأسارى من النصارى يقادون بين يديه بالسلاسل والاغلال مقرنين فى الاصفاد بشديد الذل والنكال ودخلت سفائن العمارة وأغربتها الى الاسقال مزينة مزخرفة بالبيارق والسناجق يخفق عليها رايات الفرح بالنصر والظفر والجلالة وأطلقت المدافع للفرح فزلزلت الارض زلزالها وكادت تصم الآذان فلا تسمع الناس مقالها وعساكر الباب السلطانى وردت صفوفا بعد صفوف وتعاطفت عائدة بالنصر والتأييد

ألوفا صدألوف ودخل أيضا القابودان المعظم المجاهد الأكرم الأفخم حضرة قليج على باشا المكرم لازال فى حرب البحر مظفرا منصورا مسعود القدم فقوبل من الحضرة الشريفة السلطانية بغاية القبول والاقبال وخوطب بلسان الشكر والتعظيم والاجلال وأنعم عليه بسائر مقاصده ومطالبه وحصل له غاية ما يتمناه من سؤله ومآربه وحصل لسائر العساكر المنصورة الاحسان الموفور وشكر لهم سعيهم المشكور وأعظم من ذلك ما حازوه من الاجر والتعظيم والثواب الجزيل الجسيم وناهيك بهذا العز والفخر وقد بقى لهم هذا الذكر الجميل فى صفحات الدهر والله تعالى يديم هذه الدولة الشريفة العثمانية على تداول الليالى والأيام ويحمى بحماياتهم كافة ويؤيد بتأييدهم ملة الاسلام ويبقى سلطنتهم على الدوام الى يوم القيام فكم لهم ولأسلافهم الغزاة والمجاهدين فى نصرة الملة الحنيفية الغراء من يد بيضاء آية للناظرين وكم فتحوا دار الكفر وصيروها دار الاسلام على رغم المشركين والكافرين ويكاد يلتحق فتوحاتهم بفتوحات الصحابة رضى الله عنهم أجمعين * ولقد حكت علماء أمة الاسلام واتفق قول الأئمة الاعلام رضوان الله عليهم أجمعين وشملهم برحمته انه أرحم الراحمين أن سيوف الحق أربعة وما عداها للنار سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المشركين وسيف أبى بكر رضى الله عنه فى المرتدين وسيف القصاص بين المسلمين * أفول وسيوف بنى عثمان رحمهم الله تعالى وأبقى الملك فيهم وفى عقبهم الى يوم القيامة ان شاء الله تعالى اذا اعتبرتها وتأملتها لا تخرج عن هذه السيوف الأربعة فانهم مازالوا من أول أسلافهم رحمهم الله تعالى الى الآن مجاهدون الكفار والمشركين ويقاتلون الملحدين والباغين ويقيمون شرائع شعائر الدين فالله تعالى يمد ظلال سلطنتهم عن المسلمين ويؤيدهم أهل السنة ويقمع بهم كافة الملحدين وهذا دعاء يجب أن يدعو لهم به طوائف المؤمنين فانهم عماد الاسلام وقوام هذا الدين المتين وسبب قيامه بين الأنام والدعاء لهذه السلطنة الشريفة دعاء لأهل الاسلام واعزاز لدين الله تعالى ونصرة سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وتأمين البلاد وتطمين العباد وتوهين أهل الفساد وقطع بادرة الالحاد وقمع جميع أرباب الغى والفساد

* فصل فيما جدد المرحوم السلطان الأعظم سليم خان من الخير والاحسان زيادة على والده المرحوم السلطان سليمان خان تغمدهما الله بالرحمة والرضوان * وذلك فى أول سلطنته الشريفة أمر لأهل الحرمين الشريفين أن يزادلهم سبعة آلاف أردب حب من صدقته المقبولة المبرورة زيادة على ما كان يرسله والده المرحوم لهم فى كل عام فكانت تحمل فى كل سنة من الانبار الخاصة السلطانية على ظهور الجمال من مصر الى السويس وتوضع فى سفائن الدشايش الشريفة السلطانية من بندر السويس الى بندر جدة والى الينبع وتوزع على الفقراء وكان بروز أمره الشريف العالى ان يضاف ثلاثة آلاف أردب الى الدشيشة العامة السليمانية لفقراء المدينة الشريفة وتوزع عليهم وأن يوزع خمسمائة أردب على الفقراء المنقطعين بالينبع العاجزين فيها عن السفر الى المدينة الشريفة فيستعينون بها على التوجه الى حيث أرادوا وتوزع خمسمائة أردب على فقراء جدة المنقطعين بها العاجزين عن التوجه الى مكة لأداء حج الفرض والنفل وذلك مقصد جميل للمرحوم فكان الفقراء يتوسعون فيها ويرتفقون بها وكانت ترد اليهم فى كل عام من أعوام سلطنته الشريفة وكان الدعاء مبذولا له من سائر الفقراء المحتاجين المضطرين وكان يحوز بذلك ثوابا جزيلا وأجرا وافيا جميلا رحمه الله تعالى رحمة واسعة وأثابه المثوبة العظمى فى الدرجات الآخرة على مقاصده الجميلة وخيراته الوافرة الجزيلة * ومنها أيضا ما كان يتصدق

به على فقراء الحرمين الشريفين أيام كان شاه زاده قبل أن يلى السلطنة العظمى فانه كان يرسل الف دينار ذهبا توزع أيام موسم الحج فقراء مكة يستعينون بها على الوصول من المدينة الشريفة المنورة الى مكة المشرفة لأداء الحج الشريف فى كل عام وكان يخص بعض العلماء والصلحاء والمشايخ بكسوة من الاصواف الخاصة وبعض غير ذلك يرسلها اليهم يستمد منهم الدعاء بظهر الغيب منهم * فلما ولى السلطنة الشريفة وجلس على التخت الشريف السلطانى كان يرسل لهم عوائدهم السابقة فى كل عام وجعل ذلك مضافا الى دفتر صر الرومية فكانت ترد أيام سلطنته الشريفة واستمرت ترد الى الآن بعد انتقاله الى رحمة الله تعالى وذلك أيضا من مقاصده الجميلة وخيراته الباقية العميمة وله أنواع من الخيرات أيضا فى القدس الشريف وفى الشام وفى حلب وفى مصر بجامع الأزهر وغيرها من الممالك الشريفة العثمانية غير ما بنى فى بلاد الروم من المدارس والجوامع والتكايا وغير ذلك رحمه الله تعالى

* فصل فيما وقع من عمارة الحرم الشريف المكى فى أيامه رحمه الله تعالى * اعلم ان عمارة المسجد الحرام زاده الله تعالى شرفا وتعظيما ومهابة وتكريما من أعظم مزايا الملوك والخلفاء وأشراف أكابر السلاطين العظماء وقد يسر الله تعالى ذلك لسلاطين آل عثمان أيد الله تعالى نصرهم وخلد سعادتهم مدا الزمان فوقع الشروع فيها فى أيام السلطان الاعظم الخاقان الاكرم الأفخم خليفة الله فى أرضه القائم باقامة سنته وفرضه ملك البرين والبحرين سلطان الروم والترك والعرب والعجم والعراقين صاحب المشرقين والمغربين خادم الحرمين الشريفين المحترمين عامر البلدين المكرمين المنيفين واسطة عقد ملوك بنى عثمان السلطان سليم خان ابن السلطان سليمان خان امطر الله تربتهما سحائب الرحمة والرضوان وجعل قبرهما روضة من رياض الجنان وجعل السلطنة كلة باقية فى عقبهما الى يوم الحشر والميزان

الى أن يعود العارضان كلاهما * ويحشر فى القتلى كليب لوائل

(وسبب الأمر الشريف) بتعمير المسجد الحرام ان الرواق الشرقى مال الى نحو الكعبة الشريفة بحيث برزت رؤس خشب السقف الثالث منه عن محل تركيبها فى جدار المسجد وذلك الجدار هو جدار مدرسة السلطان قايتباى وجدار مدرسة الأفضلية التى هى الآن من أوقاف المرحوم ابن عباد الله فى شرقى المسجد الحرام وفارق خشب السقف عن موضع تركيبه فى الجدار المذكور اكثر من ذراع ومال وجه الرواق الى صحن المسجد ميلا ظاهرا بينا وصار نظار الحرم الشريف يصلحون المحل الذى قد فارق خشب السقف اما بتبديل خشب السقف بأطول منه أو بنحو ذلك من العلاج وأما الرواق الذى ظهر ميله الى صحن المسجد فترسوه بأخشاب كبار حفروا لها فى المسجد يمسكه عن السقوط واستمر الرواق الشرقى مقاسكا على الاسلوب فى أواخر دولة المرحوم السلطان سليمان خان وصدرا من دولة المرحوم السلطان سليم خان ثم لما أفحش ميلان الرواق المذكور عرض ذلك على الابواب الشريفة السلطانية السليمية سنة تسع وسبعين وتسعمائة فبرز الامر الشريف السلطانى بالمبادرة الى بناء المسجد الحرام جميعه على وجه الاتقان والاحكام وان يجعل عوض السقف الشريف قبيل دائرة بأروقة المسجد الحرام ليأمن من التآكل فان خشب السقف كان متآكلا من جانب طرفيه بطول العمد وكان يحتاج بعض السقف الى تبديل خشبه بخشبة أخرى فى كل قليل اذ لا بقاء للخشب زمانا طويلا مع تكسر بعضه * وكان له سقفان بين كل سقف نحو ذراعين بذراع العمل وصار ما بين السقفين مأوى للحيات والطيور فكان من أحسن الرأى

تبديلها بالقبب لتمكنها ودفع مواد الضرر عنها ووصلت احكام شريفة سلطانية الى بكار بكى مصر يومئذ الوزير المعظم والمشير المفخم حضرة سنان باشا أدام الله تعالى سعادته واقباله وضاعف عظمته واجلاله ان يعين لهذه الخدمة من أمراء السناجق المستحفظين بمصر من يخرج من عهدة هذه الخدمة الشريفة ويكون فى غاية الديانة والامانة والمعرفة والخبرة والصلاح فأمر البكار بكى يومئذ وهو سنان باشا أمراء مصر ان يقبلوا هذه الخدمة فما أقدم أحد على تلقيها بالقبول لكثرة مشقتها وأشغالهم بأمور دنياهم والتوغل فيما يعود عليهم نفعه عاجلا من غير مشقة * وكان من جملة الامراء المحافظين بمصر كتخداى المرحوم اسكندر باشا الجركسى بكار بكى مصر سابقا فخر الامراء العظام ذخر الكبراء ذوى الاحترام احمد بك بارك الله فيه وفى ذويه وأناله من خيرى الدنيا والآخرة ما يرتجيه وكان ممن اجتمع فيه هذه الخصال المحمودة المطلوبة من حب الخير والتوجه الى الله تعالى وقلة الميل الى الدنيا وزخارفها والميل الى الفقراء والضعفاء والعلماء والتواضع مع الناس وحب العدلة والاستقامة مع صدق الخدمة وكمال الديانة والامانة والاقدام وعلو الهمة ووفور الاهتمام فطلب منه حضرة الوزير المشار اليه هذه الخدمة الشريفة وأضيف اليه عمل بقية دبل عين عرفات من الابطح الى آخر المسفلة بمكة المشرفة فان السلطنة الشريفة امرت ان يبنى لها دبل مستقل ولا تجرى فى دبل عين حنين فعينت هذه الخدمة أيضا للامير احمد المذكور وعرض له ذلك الى الباب الشريف العالى فوردت الاحكام الشريفة السلطانية له بذلك حسب ما عرض له واضيف الى الخدمة سنجق جدة المعمورة تعظيما لشانه وتوقيرا لقدره ومكانه وبعد ورود الاحكام الشريفة السلطانية اليه اخذ فى اهبة السفر وتوجه من مصر من طريق البحر الى بندر جدة ثم وصل الى مكة شرفها الله تعالى فى أواخر سنة تسع وسبعين وتسعمائة مهتما غاية الاهتمام سائلا من الله تعالى الاعانة والامداد التام وكانت الأوامر الشريفة السلطانية والمتكلم عليه من جانب السلطانية المنيفة الخاقانية سيدنا ومولانا ناظر المسجد الحرام ومدرس مدرسة أعظم سلاطين الأنام بدر الملة والدين حسين الحسينى خلد الله سعادته ففرح بهذه الخدمة الشريفة الفرح التام وشد مناطق حزمه على مناطق عزمه وقام فى ذلك أحسن قيام وحصل بين مولانا الناظرى الامير أحمد المشار اليه كمال الملاءمة والاتفاق وبذلك يحصل تمام النجاح والارتفاق وجرت عادة الله أن الخير كله فى الوفاق والشر جميعه فى الشقاق ولم يكن الرفق فى شئ الا زانه ولم يكن العنف فى أمر الا شانه ومن أراد الرفق بعباد الله وفق الله تعالى به وأعانه ووصل لهذه العمارة الشريفة معمار دقيق الانظار جليل الآثار تقدم له مباشرة الابنية العظيمة وحصلت له بالتجربة خبرة تامة ومعرفة مستقيمة أجمع المهندسون على تقدمه فى هذه الصناعة ودقة نظره فى لوازم هذه البضاعة اسمه المعمار محمد چاويش الديوان العالى وهو انسان من اهل الخير عظيم الامانة كثير الديانة مستقيم الرأى منور الباطن مشكور السيرة زاد الله توفيقه وأرشد طريقه فاتفق الناظر والأمين والمعمار على الشروع فى هدم ما يجب هدمه الى أن يوصل الى الأساس فشرع أولا فى اكمال الدبل المستقل لاجراء عين عرفات وبناه من جهة المدعا ثم مر به من عرض ثم من جهة سويقة ثم عطف به الى السوق الصغير وأكمله الى منتهاه وبنى قبة فى الابطح جعل فيها مقسم ماء عرفات وركب فى جداره بزابيز من النحاس يشرب منها الماء ثم بنى مسجدا وسبيلا وحوض ماء للدارب على عين الصاعد الى الابطح فى قبلى بستان بيرم خواجه الصابر الى المرحومة الخاصكية أم سلاطين طاب ثراها وبنى مسجدا آخر وسبيلا ومتوضأ فى انتهاء سوق المعلاة على يسار الصاعد وكل ذلك من اعمال

الخير الجارية النافعة للمسلمين وعرض ذلك على أبواب السلطنة الشريفة فأنعمت على الامير المشار اليه بسبعين الف عثماني ترقيا في علوفته في مقابلة هذه الخدمة ثم شرع في تجديد اروقة الحرم الشريف فبدأ فيه بالهدم من جهة باب السلام في منتصف ربيع الاول سنة ثمانين وتسعمائة وأخذت المعاول تعمل في رأس شرفات المسجد وطبطاب مسقفه الى ان ينكشف السقف فتنزل أخشابه الى الارض وتجمع في صحن المسجد الشريف وينظف الارض من نقض البناء وأتربته ويحمل على الدواب ويرمى في أسفل مكة في ناحية جبل الفلق ثم تمام الاساطين الرخام الى ان تنزل بالرفق الى الارض واستمروا في هذا العمل الى ان نظفوا وجه الارض من ذلك من باب علي الى باب السلام وهو الجانب الشرقي من المسجد ثم كشفوا عن أساسه فوجدوه مختلفا فأخرجوا الاساس جميعه وكان جدارا عريضا نازلا في الارض على هيئة بيوت رقعا الشطرنج وكان موضع تقاطع الجدران على وجه الارض قاعدة تركيب الاسطوانة على تلك القاعدة فشرع اولا في موضع الاساس على وجه الاحكام والاتقان من جانب باب السلام لست مضين من جمادى الاولى سنة ثمانين وتسعمائة واجتمعت الاشراف والكبراء والامراء والفقراء والمشايخ والصلحاء بتركا وتيمنا بالحضور في هذا الخير العظيم وقرئت الفواتح بالاخلاص من سويداء القلب الصميم وذبحت الابقار والانعام والاغنام وتصدق بها على الفقراء والخدام ووضع الاساس المبارك باعانة الله تعالى وتبارك وكان يوما مباركا مشهودا متيمنا ميمونا مسعودا ولله الحمد على هذا الاكرام وله الشكر والثناء الحسن في المبدء والختام وكانت الاساطين المبنية سابقا على نسق واحد في جميع الأروقة فظهر لهم ان ذلك الوضع لا يقوى على تركيب القبب عليها لقلة استحكامها اذ القبة يجب أن يكون لها دعائم اربعة قوية تحملها من جوانبها الاربع فرأوا ان يدخلوا بين أساطين الرخام الابيض دعامات أخرى تبنى من الحجر الشميسي الاصفر يكون سمكها مقدار سمك اربع اسطوانات من الرخام ليكون مقيما لها من كل جانب فتقوى على تركيب القبب من فوقها ويكون كل صنف من أساطين الأروقة الثلاثة في غاية الزينة والقوة ففي اول ركن من الرواق الاول دعامة قوية مبنية من الحجر الشميسي ثم اسطوانة رخام كذلك ثم دعامة من الحجر الاصفر الشميسي وعلى هذا المنوال الى آخر هذا الصف من أساطين الرواق ثم الصف الثاني من الرواق الثاني كذلك على هذا المنوال الى آخر هذا الصف من أساطين الرواق ثم الصف الثالث من الرواق الثالث على هذا المنوال وبنيت القبب على تلك الدعائم والاساطين في دور المسجد جميعه وشرعوا من ركن المسجد الشريف من جهة باب السلام كما تقدم وقاسوا تلك الصفوف بخط مستوى وأزالوا ما كان قبل ذلك من الازورار والاعوجاج والحجر الشميسي نسبة الى شميس تصغير شمس جبل بقرب بئر شمس وهي حد الحرم من جانب جدة به جبيلات صفر تكسر منها هذه الاحجار وتحمل الى مكة مسافة مادون ليلة فكان في ادخال هذه الدعامات الصفر ما بين الأساطين البيض حكمة أخرى غير الاستحكام والزينة وهي أن أساطين الرخام الباقية في المسجد كانت تنفي بجوانبه الاربع لان الجانب الغربي احترقت أساطينه الرخام وسقفه أيام الجراكسة في دولة الناصر فرج بن برقوق في سنة اثنتين وثمانمائة وأرسل من أمرائه الامير سيف الظاهري الى مكة المشرفة فعمر الجانب الذي احترق من المسجد الحرام بالحجر الصوان المنحوت كما قدمنا ذكر ذلك في محله وصارت الجوانب الثلاث من المسجد الحرام وهي الجانب الشرقي والجانب اليماني والجانب الشامي على نسبة واحدة أساطينها من الرخام الأبيض وأساطين الجانب الغربي جميعها من

قطع الحجارة المنحوتة من الحجر الصوان غير مناسبة للجوانب الأخر الآن و بادخال هذه الدعامات الصغر صارت الأساطين كلها على نسبة واحدة وهى أن كل ثلاث أساطين من الرخام الأبيض يكون رابعتها دعامة واحدة من الحجر الأصفر الشمسى وذلك فى غالب الأروقة من الجوانب الأربع من المسجد الشريف كلها قائمة على أقدامها بغاية الاحكام كأنها صفوف واقفة بالادب حول صحن مسجد بيت الله الحرام من جهاته الاربع وهى أعلى من الارتفاع السابق وأرفع كأنها تنشد بلسان حالها مفتخرة على أمثالها بل تفوق على ماسواها وتطول

ان الذى سمك السماء بنا لنا * بيتا دعائمه أعز وأطول

واستمر امير العمارة الشريفة حضرة الامير احمد المشار اليه شكر الله سعيه وبارك له وعليه فى غاية بذل الجد والاجتهاد مقرون الحركة بالتوفيق والسداد يتلطف بالخدم والعمال و يتفضل عليهم بأنواع الافضال ويوصلهم اجورهم كاملة لايقتطع منها مقتطعا من أحد ولا يضر بحاله بل يزيدهم من عنده ويسامحهم بماله مع كمال الدقة فى الأموال السلطانية الحرص على حفظها وعدم التبذير فيها واما مال نفسه فيوسع به على الفقراء و يبذل لهم وللخدام والعمال ما أراد ويحسن الى أهل البلاد مع التواضع وحسن الخلق ولين الكلام ومواساة الناس فى جميع المهام والمشى فى تشييع الجنائز معهم وعيادة مرضاهم وسلام القدوم واستجلاب رضاهم بحيث ترك عظمة الامارة وصار من جملة فقراء الناس الكثرة تواضعه فأحبه الناس وحمدوه وشكروا جميله واحسانه وذكروا كثرة تجمله ولطفه واقدجاء فى الى منزلى متفضلا مرارا وأنا من آحاد الفقهاء بل من أدنى الفقراء وما فعل ذلك الا محبة فى الله أحبه الله لا لأمر يناله منى فانه اجل قدرا واعظم خطرا من ذلك وماذكرته الا ليعلم حسن تواضعه وتخلقه وتلبسه بالأوصاف الجميلة وتحققه فلاجرم أن الله تعالى وفقه لهذه الخدمة السنية الفاخرة وأتم عمل هذا الخير العظيم على يده فيكفيه ذلك سعادة فى الدنيا والآخرة فكم من وزير كبير نبيل بل ملك عظيم جليل يتمنى الوقوف فى هذه الخدمة مع جلالته ويعدها من أكبر سعادة دنياه وآخرته وما قدرها الله تعالى الا لمن ظهرت العناية الازلية فى حقه فاختاره الله تعالى لذلك من بين عباده واصطفاه من خلقه وهو هذا الامير الكريم الصفات فالله تعالى يعينه على فعل الخيرات ويسدده فى أفعاله وأقواله ويوفقه للباقيات الصالحات فلما كمل جانبين من المسجد وهما الجانب الشرقى والجانب الشمالى وحصل خبر انتقال حضرة السلطان سليم الى دار النعيم رحمه الله وطيب ثراه وأحسن اليه فى الدار الآخرة واستمر حضرة الامير أحمد المشار اليه أحسن الله تعالى اليه فى عمله المبرور وفعله المعمور بالمعمور مستعينا بالله ولى الامور

(فصل فى وفاة المرحوم المقدس السلطان سليم الثانى وانتقاله الى عالم القدس من ملك هذا الفانى)

لما كان لكل اجل كتاب ولكل نفس انفاس معدودة قدرها الله تعالى فى أم الكتاب لايسلم منه والد ولا مولود ولا سلطان ولا جنود ولا سيد ولا مسود ولا ينجو منه شئ خرج من كتم العدم الى فضاء الوجود

هو الموت سلطان البرايا العاجز * لديه وغلاب كمن لم يغالب
ودرع الفتا فى حكمه درع غارة * وايوان كسرى من بيوت العناكب

قدر الله تعالى له بالانابة عن كل مايخالف امره ورضاه وغلب عليه قرب توجهه الى الله صلاحه وتقواه

وطهره الله تعالى بمقاساة المرض وكفاه وصيره نورا روحانيا جوهرا علويا سنيا وهيكلا شريفا مليكا يصلح لجناب قدسه الكريم ودعاه فلباه بقلب سليم ومضى الى رحمة ربه الرحيم فائزا بالملك الاخروى فى جنات النعيم مخاطبا من الحضرات الالهية بلسان الالطاف الرحمانية يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى * وكان وقوع هذا الامر المهول لسبع مضين من شهر رمضان فيضان الرحمة والاحسان سنة اثنين وثمانين وتسعمائة ودفن جسده الشريف وهيكله الطاهر المنيف بقرب أياصوفية بتربة طيبة غرا وروضة نضرة غنا تنوح بها ورق الاطيار وتبكى فيها سحب الامطار وتشقق أنوارها أكمام الازهار وتلطم خدودها أوراق البهار أنزل الله تعالى عليه مطر الرحمة والرضوان وجعل قبره الشريف روضة من رياض الجنان

سرى نعشه فوق الرقاب وطالما * سرى جوده فوق الركاب وناثله
أفاض عيون الناس حتى كأنما * عيونهم مما تفيض أنامله
فيا عين مهما لا تشحى بسائل * على ملك لا يعرف النهر سائله
فان دفنوا تحت التراب جماله * فقد دفنت أوصافه وشمائله
سقى جدثا هالت عليه ترابه * أنامله سح الغمام ووابله

الباب العاشر

فى سلطنة سلطان العصر والزمان خاقان خواقين العهد والدوران ملك ملوك المشرقين والمغربين سلطان سلاطين الخافقين خادم الحرمين الشريفين عامر البلدين المحترمين المنيفين اعظم سلطان خفقت عليه البنود وتشرفت بمدحه رؤس المنابر واكبر مليك حند الجنود وكتب الكتائب وحشد العساكر وأعدل خليفة انتظم به نظام الوجود وعقدت على عظمته عقود الخناصر

ملك اذا ضاق الزمان بأهله * بخلا توسع فى المكارم وانفسح
تكبوا السحائب ان تجارى كفه * فالغيث من راحاته عرق رشح
ومكلف الاسد الهصور بعدله * فى القفر أن يرعى الغزال اذا سنح

المنصوب له على اعلا أوج سرير السلطنة سرادق الخلافة العظمى المرفوع فى أرجا بساط البسيط ظله الملك الاسنى العظيم الاسما * حضرة السلطان الاعظم والخاقان الاكرم السلطان مراد خان ابن السلطان سليم خان ابن السلطان سليمان خان

نسب كأن عليه من شمس الضحى * نورا ومن فلق الصباح عمودا

لازالت أعلام خلافته مرفوعة على هام الثريا ولا برحت ألوية سلطنته منصوبة فوق الكواكب مكانا عليا مادام الجديدان وطلع النيران ولمع الفرقدان * مولده الشريف فى سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة وجلس على تخت الملك الشريف فى عاشر رمضان المبارك سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة وسنه الشريف حين ولى الملك المنيف ثلاثون سنة وهو ملك همام وأسد ضرغام وهزبر مقدام وسيف صمصام وبحر طمطام وملك بقاتم سيفه ملوك الاملاك وأدار على حسب مراده الافلاك وملأ بصيت عظمته ما بين السماك والاعزل وخاطبها الصبح والليل أسعد الله صباحك ومساك خداوندكار العالم وسلطانه وامام المسلمين الذى اذا جلس على كرسيه فاقدر كسرى وايوانه وهو منذ هجر المهد والرضاع مجبول على كرم الخصال وشرف الطباع مشغول اللسان بالذكر والقرآن مشغول الجنان

بالسيف والجنان عدود الهمة الى معالى الشان معقود الامنية بعلو القدر وسمو المكان لم يزل قائما بنصرة الدين وحمايته بيضة الاسلام وتقوية جناح المسلمين وانى أنشر فى هذه الرسالة سيرة معدلته فى الرعايا وأتحدث بما طبعه الله عليه من كرم السجايا وحبب الى خلقه الشريف من الرأفة بالبرايا والمحبة لعلماء الدين وأكرامهم بالمواهب والعطايا وحسن نظره الى الحرمين الشريفين واحسانه الى الفقهاء والفقراء والصلحاء بالبلدين المنيفين وأمره الشريف بتكميل عمارة المسجد الحرام عمارة فائقة حسنة رائقة باقية فى صفحات الأيام فاق بها من قبله من الخلفاء الكرام وسائر سلاطين الأنام وكافة ملوك الاسلام فلقد آتاه الله ما لم يؤت أحدا من العالمين وجمع له بين أعظم سعادة الدنيا والدين وجعله ملكا كريما وسلطانا رؤفا رحيما ومنحه ملكا جليلا عظيما واقفا عند مراد ربه سبحانه فلا يتعداه عاملا فى أمره بتوفيق الله مراعيا للعدل والاحسان فيما استرعاه

معانى بنى عثمان غير خفية * وكل الى شأو المفاخر سابق
وقد تخمد الشمس النجوم بضوءها * تفاوتت الأنوار والكل رائق
باسم مراد ينجلى كل مشكل * غويص وتنقاد الجبال الشواهق
ويوهمنا فى ان آدم لم يمت * حنو على أولاده منه صادق
ولطف تسارى الخلق فيه فضمهم * كما ضمت الخصر الرقيق المناطق
بقاؤك فى الاسلام عز مؤبد * فدم وابق للاسلام مادر شارق

طال ما عمرنى وغمرنى باحسانه وهو شهزاده قبل جلوسه الشريف على تخت السلطنة والسعادة وشملنى لحظه الشريف السلطانى بالحسنى وزيادة واستمر ذلك اللحظ الشريف السلطانى يشملنى بلطفه واكرامه ويكرمنى بحسن التفاته الشريف وانعامه فوق ما يبدى من المدرسة الشريفة السلطانية السليمانية مدرسة جده المرحوم المحفوف بالرحمة الرحمانية وأنعم على أولادى بالتدريس وأولادهم بكل اكرام واحسان لطيف نفيس

فلو أن لى فى كل منبت شعرة * لسانا يبث الشكر كنت مقصرا
وما يبدى الا الدعاء لنصره * ليملك قسرا ملك كسرى وقيصرا

وانى لأخدمه أنا وأولادى وأحفادى فى بلد الله المنيف بالدعاء بطول عمره الشريف وخلود ظل عدله الوريف وبقاء سلطنته القاهرة ودوام خلافته الزاهرة الباهرة وأخلد ذكره الشريف فى صدور الدفاتر والكتب وانشر طيب عرف شكره على مرور الاعصار والحقب وانى وان أعطيت فى القول بسطة وطاوعنى هذا الكلام المحبر

لأعلم انى فى الثناء مقصر * وان الذى أولاه أوفى وأوفر
فأى جميل من عطاياه ينتهى * وفى كل حين فضله يتكرر
ولكننى مادمت حيا الشاكر * ويشكره بعدى كتابى المسطر

﴿فصل﴾ ومن سعادة هذا السلطان الأعظم الأسعد ثبت الله سلطنته وشيد وأدام ملكه السعيد وخلد مقارنة هذا الوزير المعظم الأكرم الأفخم ظهير السلطنة الشريفة العثمانية وعضد الدولة المرادية الخاقانية مدبر الامور برأيه المصيب الثاقب وممهد مصالح الجمهور بفكره الدقيق الصائب أعظم وزراء السلاطين العظام وأكبر الصدور الكبراء الفخام فى دواوين أعظم ملوك الأنام ﴿حضرة

محمد باشا) والمشار الى حضرته العلية سابقا فى وزارة والد هذا السلطان الأعظم وجده قرن الله صدارته بسعادته وجده وأدام صدارته فى ظل اقبال هذا السلطان الأكرم وشمله بسعده فأول خدمة هذا الوزير حسن التدبير حتى أجلس حضرة هذا السلطان الأعظم روح هذا العالم على السرير وقام بأعباء هذا الأمر الخطير ودبر ذلك برأيه السديد أحسن تدبير وأعانه على ذلك تقديرا للطيف الخبير وتيسيرا العلى الكبير والله على كل شئ قدير وأقبلت السلطنة الشريفة عليه الى أن صار ملهج لسانها وعظم فى عين الدولة الشريفة فحل محل انسانها وكبر شأنه وقد كان كبيرا عظيما وعم احسانه وكان كثيرا عميما وعرف نعمة الله فقابلها بالشكر والتحميد واعترف بآلاء الله تعالى جلبا للمزيد وربطا للجديد العتيد وأشرقت شمس سعادته فى الآفاق وأورقت رياض صدارته أنضر ايراق وقلد اجياد أركان السلطنة الشريفة بعقود مننه السامية المنيفة فكانت كالاطواق فى الأعناق والنور فى الأحداق بحيث لم يبق من أمراء الديوان وزعماء الجيوش والامراء والبكار بكية الاعيان من لم يضرب بسهم وافر من عطاه ولم يخدمه الا فاز بانعامه وحباه وأحسن الى السادات والمشايخ والعلماء والموالى وسائر العظماء والاهالى والى أهل الحرمين الشريفين وجيران البلدين المطهرين المنيفين وأكثر فيهما الصدقات وأجرى فيهما الخيرات من اجراء العيون وحفر الآبار وبناء دار الشفاء والحمامات وغير ذلك من الاعمال الصالحات مستجلبا بذلك دعاء الفقراء والصلحاء وتوجه خاطر الأولياء والأصفياء بدوام دولة هذا السلطان الأعظم وقيام دولة سلطنته العظمى وخلافته الكبرى على هذا العالم فهم مواظبون على وظيفة الدعاء بدوام دولة سلطان الربع المسكون وبقاء صدارة هذا الوزير الاعظم بالسعد المقرون زين الله أعماله بحسن القبول وكسى ديباجة وجهه الشريف قبولا يدوم بدوام الصبا والقبول فى ظل مراحم هذا السلطان المحفوف بالعدل والاحسان خلد الله سلطنته العادلة مدا الزمان وأبد خلافته الكاملة مادام الفرقدان واضاء النيران *ومن سعادة هذا السلطان الأعظم خلد الله سلطنته القاهرة على جميع هذا العالم مقارنته لحضرة الخواجا المعظم الأسعد الأكرم الأفضل الأكمل الأعلم الفائق فى كل علم على من كان فى علم العلوم فائقا والتميز فى كل فن على من كان فى فن من الفنون ماهرا سابقا ان نظم أتى بعقود الجواهر من نحور الحور وان نثر نثر الزهر المنثور من الروض المطور بعبارة فائقة فائقة البراعة فى الالسن الثلاثة وفصاحة بارعة فيها حازها كسبا ووراثة طال ما بهر الناقد البصير بحسن التقرير ولطف التحرير وأتى فى البديهة بما يقصر بحثه بعد الروية كل ماهر نحرير ولا شك انه يغترف من بحر الفيض القدسى ويفيض بالقوة القدسية ما استفاضه من عالم القدس على عالم الانس وانه كتب الخط الحسن وما يقل حظ عذاره الانضر وتميز فى الكمالات على مشايخه فضلا عن أقرانه فى عصر شبابه الازهر باحث العلماء فى دقائق العلوم ورجح عليهم فى تحقيق فهم المنطوق والمفهوم ونفث السحر الحلال بكلامه ورقم على وجنات الطروس نقشات أقلامه فبهر العقول والألباب وأتى بالتصانيف الفائقة فى كل باب وأتاه العلم والسعادة وفصل الخطاب ثالث السعدين وثانى سعد الدين مكنه الله من العز المسكين ومنحه أعلى رتب السعادة والفضل والتمكين ولقد أسعده الله وأكرمه غاية التكريم فساقه الى تعليم هذا السلطان الاعظم ذى الطبع السليم والخلق الكريم وهو شهزاده فاقبل عليه بكمال قابليته الشريفة غاية الاقبال فانطبع فى مرآة قوته الدراكة نقوش صور العلم والكمال وانتقش فى صحيفة ذهنه

الصقيل مزايا الفواضل والفضائل والافضال فلما ولى السلطنة العظمى عرف له خدمته السابقه ورفع مرتبته السنية الفائقه وأعلى مكانته ومكانه وأعز قدره وأعظم شانه فانثالت العظماء والموالى العظام الى بابه وكذلك الاكابر والاعيان صمدوا الى جنابه فاحسن اليهم كما أحسن الله اليه وعطف عليهم بمزيد الحنو والاحسان كما عطفت السعادة والاقبال عليه فهو بالخير الجميل مذكور وبعفو التلطف والتكرم معروف مشهور طال ماشملنى باحسانه الكثير الوافر وعضدنى بلطفه وجميله المتواتر وأخذ بيدى أخذ الله بيده وأدام عليه فضله الباهر وأحسن غاية الاحسان الىّ وتفضل بأنواع التفضل علىّ وشمل بفضله أولادى وذوى نظر الله بعين عنايته وألطافه اليه وأجرى مواد الكرم والاحسان على يديه وأسعده فى ظل هذا السلطان الاسعد وخلد سلطنته العظمى وأبد خلافته الكبرى وأيد

وهذا دعاء للبرية نافع * وحسن رجاء للسعادة جامع
وقد حفه حسن القبول لانه * عليه محاع الصدق والله سامع

﴿فصل﴾ ومن سعادة هذا السلطان الاعظم عمر الله بشمول سعادته وبرحمته علماء العالم كثرة العلماء العظام الاعالى والفضلاء الفخام الموالى والمشايخ الاولياء الكرام والاهالى فى بابه الكريم العالى وتحت ظله الظليل المتعالى فمنهم من اجتمعت به وعرفت كمال فضله واعترفت بعد مشاهدته برفعته فى العلم ومحله واغترفت من بحر فوائده وتقلدت بدر فرائده ومنهم من كاتبنى بفضله وكاتبته افضاله وتحققت ثقوب فهمه ووفور علمه وعقله ومنهم من أحطت علما بكماله بعد التفحص عن مرتبة فضله وافضاله فوجدتهم فى الرتبة العليا فى الفضل والكمال فائقين علماء الدنيا فى هذا العصر على كل حال فانى أتتبع علماء كل اقليم وأسأل عن مراتبهم فى العلم وكمالاتهم فى التعلم والتعليم وأكثر الفحص عن أحوالهم وتصانيفهم وفضائلهم وفوائدهم وتآليفهم واستجلب ما يمكن جلبه وأطلب منهم ذلك اذا أمكننى طلبه وانشر ذلك بين العلماء فى كل بلاد وأبذلها لطلبة العلم الشريف من أهل القابلية والاستعداد وهذا أبى منذ اميطت عنى التمائم وأنيطت بعفارقى عقود العمائم مع كثرة الواردين الى بلد الله الحرام والوافدين من الاقطار الشاسعة لاداء حجة الاسلام وشدة شغفى بملاقاتهم والتيمن ببركاتهم والسؤال عن فضائل فضلائهم وكمالاتهم فكنت أكثر الناس خبرة بأحوال العلماء ودرجاتهم فوجدت الموالى العظام من علماء الروم هم الفائقين فى هذا العصر فى هذه العلوم ونظرهم فيها أدق نظر فى المنطوق والمفهوم زادهم الله جمالا وكمالا وفضلا باهرا وافضالا وكل ذلك بشريف التفات هذا السلطان العالم سلطان العالم خليفة الله الأعظم على كافة الأمم جمل الله بوجوده الأنام وأكرم بعظيم اكرامه العلماء الكرام وأكابر فضلاء الموالى العظام فرفلوا فى أيام سعادته فى حلل المناصب العالية الفخام وأحرزوا قصب السبق فى ميادين المراتب فى ظله الظليل المستدام أدام الله تعالى لهم ذلك الى قيام الساعة وساعة القيام * وأما زمرة المشايخ والاولياء والصلحاء والأصفياء نفعنا الله ببركاتهم وأدخلنا ببركة محبتهم فى عداد خدام عتباتهم فمن شأنهم عدم الظهور لأعين الناس الا نادرا * وأما أرباب الظهور منهم لارشاد عباد الله تعالى كأهل الزوايا وأصحاب النفع والتكايا فكثير ظاهرون كثرهم الله تعالى ونفع بهم ويجب على كل أحد أن يعتقد فيهم ولا ينكر على أحد منهم وان شاهد منهم ما ينكره حمل نفسه على قصور

الفهم

الفهم فكم فيهم من ملامتي يقصد أن ينكر عليه ويخفي حاله على الناس فحمل حاله على الصلاح أسلم وأجمل * وقد ذكر الشيخ الاكبر مولانا محيي الدين بن عربي رضي الله عنه في أول فتوحاته المكية من أعظم سعادة الانسان أن يعتقد في كل من انتسب الى الله تعالى ولو كان كاذبا فنسأل الله تعالى ان يسعدنا بالاعتقاد في أوليائه حيث كانوا وكيف كانوا ويدخلنا في زمرتهم ويبعدنا عن المنكرين عليهم

* فصل * ومن أعظم مآثره الجميلة الكرام وأكرم آثاره الجليلة العظام اتمام عمارة المسجد الحرام زاده الله شرفا وتعظيما ومهابة وتكريما وقد تقدم ان والده السلطان الأعظم المندرج الى رحمة ربه الكريم الاكرم شرع في تعميره على الوجه الذي تقدم وأتم منه الجانب الشرقي والجانب الشمالي الى ان انتهت العمارة الشريفة الى باب العمرة فاعمر الى أن تتم العمارة وسلم ملكه المشيد الى نجله السعيد السلطان الاعظم الفريد السلطان المشار اليه الافخم الاكرم خلد الله ملكه الاعظم وأفاض على العالمين عدله الاقوم * فبرز أمره الشريف العالي الى أمير العمارة الشريفة المشار اليه سابقا فتخارا لامراء الكرام أحمد بك ان يبذل جده وجهده في بناء المسجد الحرام ويسرع في انجاز عمارته بكمال السعي والاهتمام فبادر الامير المشار اليه الى بذل الجد والاجتهاد وتوجه بكليته الى اتمام العمارة في خير البلاد فأعانه الله على اتمامها ومد بذلك سائر خدامها الى ان تم بناء الجانبين الغربي والجنوبي من المسجد الحرام بجميع شرافاته وأبوابه ودرجاته من داخل المسجد الحرام وخارجه في أيام هذا السلطان الاعظم الاكرم خلد الله ملكه الاقوم وأبد سلطانه الافخم وأفاض عليه سوابغ الفضل والنعم فتم ولله الحمد بسعد طالعه السعيد وكمل على هذا الوجه الحميد بحسن توجهه الشريف وقوة عزمه المشيد وكان ذلك في آخر سنة أربع وثمانين وتسعمائة وصار المسجد الحرام نزهة للناظر وبغية للخاطر وجلاء للنواظر وصفا للقلوب والخواطر بحيث ما عمره الخلفاء العباسيون قبل ذلك لا يحسن عنده ان يذكر ويوصف لأن هذا البناء الشريف أمكن وأزين وأعلى وأشرف فكان الآن ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد بعقود عالية كأطواق الذهب في الاجياد وقبب سامية كقباب الاقلال الشداد وشرافات شريفة مشرفة على المهاد والوهاد بل أعلا وأشرف وأجل وألطف وأرفع وأتحف فبني ذلك بالرخام الابيض المرمر والحجر الشمسي المنحوت الاصفر كأنه سبك الذهب أو سبك العسجد والجوهر مكتوب على الابواب وصدور الاروقة آيات الكتاب والاسم السامي السلطان المستطاب يجلى الذهب بخط كسلاسل الذهب على كل موضع ما يناسب من الآيات الشريفة القرآنية بالكتابة المنسوبة الفائقة الجميلة واخترع الفضلاء لذلك تواريخ عديدة بكل لسان واخترت أخصرها لانه خير مساجد الله ثم رأيت بعض الفضلاء جعل لهذه العمارة الشريفة تاريخا في بيت مفرد فأعجبني نظمه لحسن سبكه واستيفاء المعنى فيه فذكرته وهو هذا البيت

جدد المسجد الحرام مراد * دام سلطانه وطال أوانه

ثم رأيت تاريخا جعله سيدنا ومولانا شيخ الاسلام وناظر المسجد الحرام ومدرس أعظم مدارس أعظم سلاطين الانام سيد السادات العظام بدر الملة والدين مولانا السيد القاضي حسين الحسيني قاضي المدينة المنورة سابقا أدام الله اجلاله وضاعف فضله وافضاله فأثبته هنا بحسن انشائه ولطف مبناه وسلامة لفظه وبلاغة معناه وهو هذا باسمه سبحانه انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر

وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك ان يكونوا من المهتدين * شرع فى عمارة هذا الحرم الشريف وتجديده من اختاره الله من خلفائه وعبيده المقدس المرحوم السعيد المبرور المغفور له الشهيد سلطان الاسلام والمسلمين خاقان خواقين العالمين المستضى بفضل الله ظلال دار النعيم حضرة الملك الاعظم السلطان سليم نور الله تعالى ضريحه وروح بروائح الجنان روحه بناه وأكمله وأتقنه وحسنه وجمله وارث الملك الاعظم الامام الافخم والخليفة الاكبر الغطمطم والملك القاهر العرمرم من ملكه الله شرق البلاد وغربها وجعل طوع يده بلاد عجم للرعايا وعربها وأطلعه سراجا منيرا فى المشارق والمغارب وملكا مرفوعا على هام الكواكب وصيره للاسلام حصنا محيطا وجعل ظله المديد على كافة الناس بسيطا وعدله الفريد فى جميع الوجود مبسوطا وقمع بسلطنته الشريفة طوائف الكفر والعناد وجمع له بين الملك فى الدنيا والفوز فى المعاد خليفة الله على كافة العباد ورحمة الله الشاملة لجميع البلاد سلطان سلاطين الزمان خلاصة آل عثمان السلطان ابن السلطان ابن السلطان الخنكار الأعظم مراد لازال الوجود بدوام خلافته عامرا ولا برح الايمان فى أيام سلطنته قويا ظاهرا زاده الله قوة ونصرا وشد بملائكته الكرام أزرا فتاريخ عمامه قد جاء ﴿أطال الله لمن أمه عمرا﴾ ثم ورد من الباب الشريف العالى تاريخ منظوم درا نحورو غرب البحور ونثره كالدر المنثور والزهر المنشور بخطبة وتعريفات السلطان الأعظم فى آخره ثلاثة أبيات بالعربى لا أعلم من أبدعه واخترعه وأنشاه ونظمه ورصعه وورد معه حكم شريف سلطانى يتضمن الأمر بكتابته على بعض أبواب المسجد الحرام فامتثل الأمر الشريف وكتب هذا التاريخ البديع اللطيف على باب سيدنا العباس الى باب على رضى الله عنهما فى الجانب الشرقى من المسجد ونقرله فى الحجر الشمسى وطلى محل الذهب فى ذلك المقام ليقرأه الخاص والعام ويبقى ذلك المنقر فى الحجر على صفحات الليالى والأيام وهو هذا * الحمد لله الذى أسس بنيان هذا الدين المتين بنبى الرحمة والارشاد وخصه بمزيد الفضل والكرامة والاسعاد وجعل حرم مكة مطافا لطوائف الطائفين الحاجين من أقاصى البلاد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الأحلة الامجاد ووفق عبده المعتاد باحكام الاحكام الشريفة وتشييد أركانها على وجه المراد المذخر ذخر الآخرة المزيد من زاد المعاد أدام الله ظله الممدود على مفارق العباد السلطان ابن السلطان ابن السلطان السلطان مراد جعل الله الخلافة فيه وفى أعقابه الى يوم التناد لتجديد معالم المسجد الحرام الذى سواء العاكف فيه والباد فتم فى افتتاح سلطنته العظمى لازال للحرمين المحترمين خادما ولأساس الجور والاعتساف هادما بتجديد حرم بيت الله عز وجل بأمره المعزا المجل وعمر عامر جوده ما تضعضع من أركانه بعدما كان ينقض عوالى جدرانه فجدد جدران البيت العتيق وسوره بأكمل زينة وصورة بعدما أبلاه الجديدان وأكل عيدان أرضها الارضة والديدان فرفع القباب موضع السطوح المنبة بالاخشاب وابتهج بهذه الحسنة الكبرى كل شيخ وشاب فأذعنوا له بالشرف الباهر والمجد الفاخر تلا لين قوله تعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وداعين له من الله الجميل والذخر الزاخر قائلين اللهم أدمه فى سرير الخلافه محروسا بحفظك من آفة وظافرا على من يريد خلافه مشيد المساجد والمدارس مجدد الكل خير منهدم ودارس واجعل بابه للراجين حرما آمنا وجنابه للمحتاجين كفيلا ضامنا يأتون اليه من كل فج عميق لحرمة البيت العتيق تقبل الله معطى السؤال بجاه الرسول هذا الدعاء الحرى بالقبول فلما اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان جاء مشيد الاركان

حاكا روضات الجنان وصار عنوان خلافته وبراعة استهلاله المنشور سعادته فى أوائل سنة اربع وثمانين وتسعمائة الهجرية وكان الابتداء بذلك التجديد بأمر والده الدارج الى مدارج الملك المجيد السلطان السعيد يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم السلطان سليم ابن السلطان سليمان ابن السلطان سليم ابن السلطان بايزيد ابن السلطان محمد ابن السلطان مراد ابن السلطان أورخان ابن السلطان عثمان مكنهم الله على سرر فى دار الجنان وأثل اخلافهم فى مسند الخلافة الى انقراض الزمان وكان الشروع فى الرابع عشر من ربيع الاول من شهور سنة ثمانين وتسعمائة فلما سلم السلطان سليم وديعته بأحسن تسليم وارتحل من دار القصور الى ماهيأ الله له فى الجنة من القصور قبل تمام مارام من تجديد المسجد الحرام وأجلس الله على سرير الخلافة نجله النجيب أحسن احلاس وجعل حرمه مثابة للناس يسر الله له الاتمام بطلعة اقباله وجوده الليالى والايام وأنام الانام فى مهد عدله الى قيام الساعة وساعة القيام ونظم راقم هذه الارقام تاريخا يليق ان يكتب فى هذا المقام وهو هذا

جدد السلطان مراد بن سليم * مسجد البيت العتيق المحترم
عم منه المسلمون كلهم * دار منشور اللواء والعلم
قال روح القدس فى تاريخه * عمر سلطان مراد الحرم

انتهى * ومن جملة تعمير الحرم الشريف حفر خارج المسجد الحرام من الجانب الجنوبى الذى هو مجرى السيل الآن فان الارض علت وامتلأ السيل كله الى أسفل مكة بالتراب الى أن لم يبق للدخول الى المسجد من الابواب التى فى تلك الجهة الا فى ثلاث درجات بعد ان كانت نحو خمس عشرة درجة يصعد منها الى أن يدخل من الباب الى المسجد وكان هذا السيل يقطع ويحمل ترابه الى خارج البلد من جهة المسفلة فى كل عشرة أعوام مرة فغفل عنه نحو ثلاثين عاما فعلت الارض فجاءت سيول طائفة ليلة الاربعاء عاشر جمادى الاولى سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة فدخلت من أبواب المسجد وامتلأ المطاف الشريف ووصل الماء الى حول الكعبة الشريفة وعلا الى أن غطى الحجر الاسود وجدار الحجر الشريف ووصل الماء والطين الى عتبة الكعبة الشريفة وعلا الى أن قرب من قفل الباب الشريف ووقف الماء فى الحرم الشريف يوما وليلة وما أمكن أداء الصلوات الخمس فتعطلت الجماعة سبعة أوقات وبادر مولانا شيخ الاسلام ناظر الحرم الشريف والامير المعظم المكرم أحمد بك أمير العمارة الشريفة بخدامهم وعبيدهم وسائر المشدين وخدام الحرم الشريف والفقهاء والاعيان والتجار الى فتح طريق الماء من أسفل مكة ثم نظفت وغسل داخل البيت الشريف ثم نظف وغسل المطاف الشريف ومقام الحنفى ثم اخرجت الاوساخ من الحرم الشريف وكوم الطين أكواما فى المسجد ثم اخرج ثم فرش المسجد الشريف بالحصباء الجديدة وتعب فى ذلك حضرة الامير أحمد بك وصرف من ماله مبلغا كبيرا ثم شرع فى قطع السيل وتهبيط أرضه الى أسفل عشر درجات أو نحوها من الجانب الجنوبى من المسجد الحرام الى آخر المسفلة وهو مجرى سيل أعالى مكة فصار السيل اذا سال درج بسرعة ولم يصل الى أن يمكنه الدخول الى المسجد الحرام وفعل ذلك أيضا من جهة باب الزيادة فى الجانب الشمالى وهو مجرى سيل قيقعان وحواليه وجرى الى باب الزيادة ولم يصعد الى باب المسجد بل يدخل سردابا واسعا يسمى العنبة ويجرى فيه الى أن يخرج من قرب باب ابراهيم فيسيل الى أسفل مكة مع السيل الكبير وصان الله المسجد الحرام بذلك وصارت السيول بعد ذلك تسيل ولم تصل الى باب المسجد ولم تقرب منه وهذا رأى سديد وعمل مهم نافع

فيصان به المسجد الحرام عن دخول السيول اليه غير انه يحتاج الى ان تنعقد فى كل عامين أو ثلاثة
اعوام فيقطع ما علا من الارض قبل ان يعلو كثيرا فيحتاج الى قطع كثير ومصرف زائد فالذى لازم على ولى
الامر اه سلطان الاسلام والمسلمين نصره الله تعالى وشيد به قواعد الدين ان يقنن لذلك قانونا فيقطع هذا
المسيل فى كل عامين مرة ليستمر المسيل منهبطا دائما لجريان السيل فيه صونا للمسجد الحرام عن دخول
ماء السيل اليه فى كل سيل يأتى ويكون ذلك قانونا مستمرا للسلاطين ويسطر ثواب ذلك فى صحائف هذا
السلطان الاعظم نصره الله تعالى * وكانت اليد البيضاء فى هذه المرة فى هذه الخدمة الشريفة للامير
المعظم احمد بك المشار اليه انعم الله عليه واكرم منزلته لديه واجرى كل خير بيديه ويكفيه عند الله
هذه المرتبة العظمى والمثوبات العظمى الكبرى * واخبر فى الامير المشار اليه اعظم الله شأنه واحسن
اليه أن الذى صرفه فى عمارة المسجد الحرام هدما وبناء وقطعا لأرض المسيل من جهة الجنوبى الى آخر
المسفلة ومن جهة باب الزيادة الى آخر مجرى سرداب العنبة من خاصة اموال السلطنة الشريفة نصرها
الله تعالى مائة الف دينار ذهب حديد سلطانى وذلك غير ثمن الاخشاب المحمولة من مصر الى مكة المشرفة
وغير ثمن الحديد الصلب لآلات العمارة كالمساحى والمجارف والمسامير والحديد المحدد رأسه بطول
الراوقين وبين الاسطوانتين تحت كل عقد كيلا يجلس طير الحمام عليه وغيره فيلوث المسجد بذرقه وهذا
الحديد لتحديد رأسه وتواصله يمنع من جلوس الطير عليه وغير أهلة القبب التى عملت بعصر من النحاس
وطليت بالذهب وجهزت الى الحرم الشريف فركبت على اعلا القبب فصارها منظر حسن وزينة عظيمة
كأنها صفوف بالاساكف من الذهب بغاية السكون والادب حول بيت الله تعالى زاده الله تعالى رفعة
وعظمة ومهابة واجلالا وأثمان ذلك خارج عن القدر المصروف فى العمارة الشريفة وكان عمل اهلة قبب
المسجد الحرام بعصر بامر بكار بكى مصر الآن نائب السلطنة الشريفة بها فى هذا الزمان أمير الأمراء
العظام كبير الكبراء الفخام محيى البلاد والعباد بعدله الاغر سمى روح الله المسيح والاسماء تنزل
من السماء زاد الله شأنه عظما وأنعش باحيائه العلماء العظماء والسادات الاجلاء الكرام وأفاض
على أهل الحرمين الشريفين من فيض نيل كرمه الفياض مايزيد على القياس ويزرع بسحائب
معدلته ومرحمة بذر محبته ومودته فى قلوب الناس وأعانه على البر والتقوى وصانه وحماه عن جميع
الأسواء وأفاض عليه جلائل نعمه الباطنة والظاهرة وجمع له بين سعادتى الدنيا والآخرة * ولما
كان هذا المسيح أحيا موات مصر وعمر ما فيها من الخيرات وأبر أجميع ما بها وبأهلها من الأوصاب
وأنعش أهل الحرمين الشريفين كما أحى الموتى روح الله المسيح وجهز اليهم الصدقات المبرورة السلطانية
المرادية ومرحها اليهم أحسن تسريح فهم داعون بدوام معدلته وخلود ملك السلطان الاعظم المحسن
الجزيل الاحسان حيث ولى رعاياه من يرأف بهم وينعم عليهم بالخيرات الحسان أدام الله سعادته واقباله
ورقاه وحفظه ورعاه وحماه من الاسواء ووقاه

* (فصل فى ذكر أساطين المسجد الحرام قبل هدمها وتجديدها على ماصارت عليه الآن) * اعلم أن عدد
جملة اساطين المسجد الحرام فى جوانبه الاربع غير الزيادتين أربعمائة اسطوانة وتسعة وسبعون
اسطوانة وما على أبوابه سبع وعشرون اسطوانة فتكون جملة أساطين أبوابه الشريفة أربعمائة
أسطوانة وستا وتسعين اسطوانة بتقديم التاء على السين غير ما كانت من أساطين الزيادتين فكان فى
الجانب الشرقى ثمان وثمانون اسطوانة كلها رخام مخروط ماعدا اسطوانة واحدة فى الصف الاوسط

عند باب علي فانها من الآجر مبنية بالنورة مبيضة بالجص * وكان في الجانب الشمالي ويقال له الشامي مائة اسطوانة واربع أساطين كلها رخام ماعدا أربعة عشر أسطوانة من آخر الصف الأوسط مما يلي باب العجلة وباب السدة فانها حجارة منحوتة * وكان في الجانب الجنوبي ويقال له اليماني مائة واربعون أسطوانة كلها رخام ماعدا خمسا وعشرين اسطوانة في مؤخر هذا الرواق عند ابواب ام هانئ فانها كلها حجارة منحوتة * وكان في الجانب الغربي سبعة وثمانون اسطوانة كلها حجارة منحوتة قطع دون الذراع منحوتة في نصف الدائرة مركبة على كل اثنين منها اثنين الى أن يطول في شكل أسطوانة الرخام مسبوك بينهما من الرصاص في داخل وسطها حديد بطول الاسطوانة منحوت مكانه في وسط الحجر مسبوك عليه بالرصاص عمل ذلك في ايام الناصر فرج برقوق لما احترق هذا الجانب الغربي من المسجد الحرام في آخر شوال سنة اثنتين وثمانمائة كما تقدم شرحه في محله فيكون جميع ما ادركناه من الاساطين غير الرخام مائة وتسعة وعشرون أسطوانة * واما أساطين دار الندوة فادركنا ستا وستين أسطوانة من جوانبها الاربع كانت من الحجر الغشيم غير منحوت مطلية بالجص من ظاهرها وقد ينكشف عنه الجص فيظهر الحجر الغشيم فيها في الجانب الشرقي اثنتا عشرة أسطوانة وفي الجانب الشمالي عشرون * ثم في أيام دولة المرحوم المغفور له السعيد الشهيد السلطان سليمان خان سقى الله عهده صوب الرحمة والرضوان أمر أميرا من أمرائه بجدة هو الامير خوش كلدي في سنة سبع وأربعين وتسعمائة وما بعدها أن يهدم مقام الحنفي الذي كان بناه الامير مصلح الدين في ابتداء الفتح العثماني لممالك العرب وأن يبني مكانه مربعا على وضعه الباقي الى آننا هذا فجاء في فكره الشريف ان يجعل في المسجد الشريف حاصلا واسعا لحفظ مؤن المسجد وخشابه وآلاته وان يجعل الى جانبه حاصلا آخر يوضع فيه زيت قناديل الحرم الشريف وشمعه وقناديله وظروف زيته ومسارجه فعمد الى هذه الزيادة وجعل الجانب الشرقي منها حاصلين حجرة وبني عليه وجعل له بابين لهذه المصلحة واستمر كذلك الى ايام دولة هذا السلطان الاعظم عمر الله به الوجود وأفاض على أهل العلم بظل سلطنته العادلة سحائب العدل والاحسان والجود فاعيد ذلك المحل المحجور من المسجد الحرام كما كان * وأما زيادة باب ابراهيم فقد كان منها في الرواق سبعة عشر اسطوانة من الحجر المنحوت صفين متصلين في الرواق القبلي الذي يلي المسجد الحرام اثنتان منها لاصقتان برباط رامشت على عين المستقبل واثنتان لاصقتان برباط الحوزي على سائر المستقبل * وفي الجانب الشمالي ستة اساطين احداها الاصقة بالمنارة التي كانت بهذه الزيادة ولم يكن بالجانب الغربي من هذه الزيادة اساطين * ثم في أيام السلطان الغوري ارسل أميرا من أمرائه يقال له خير بك المعمار لتعمير زيادة باب ابراهيم في حدود سنة سبع عشرة وتسعمائة فبنى على باب ابراهيم قصر امرتفع مع مرافقه وجعل حول القصر من خارج المسجد معازل ومساكن وبنى خارج ذلك ميضأة تشتمل على مراحيض وبركة ماء ووقف ذلك جميعه على جهات خير وبنى من داخل باب ابراهيم على عين الداخل حاصلا في أرض المسجد وفي علوه سكنا وعلى يسار الداخل مثله وقرر فيها بعض المستحقين وجعل في الجانب اليماني من هذه الزيادة حاصلا يشتمل على سبيل ماء وصهريج كبير يمتلئ من ماء المطر من سطح المسجد وأبقى الجانب القبلي والجانب الشمالي على حالهما وفرغ الامير خير بك المعمار من ذلك في حدود سنة عشرين وتسعمائة * وأما عدد شرافات المسجد الحرام من داخله فكانت أربعمائة شرافة وسبعة أنصاف شرافة * وأما الشرافات التي كانت على حدر المسجد من خارجه فهي اثنان وخمسون

شرافة متفرقة على أبواب المسجد الحرام ليس فيها شرافات وكانت فى زيادة دار الندوة من جوانبها الاربع التى تلى بطنها اثنان وسبعون شرافة ولا شرافة للجهة الخارجة لاحاطة الدور بها وكانت فى زيادة دار ابراهيم عما يلى بطنها فى ثلاث جهات منها وهى القبلى واليمانى والشامى بضع وأربعون شرافة * وأما أبواب المسجد الحرام فهى تسعة عشر بابا كانت تفتح على ثمانية وثلاثين طاقا وهى باقية على حالها ماعدا باب واحد فى زيادة دار الندوة وكان يفتح على طاقين فزادها الامير قاسم أمين بناء المدارس الشريفة السلطانية السليمانية طاقا واحدا وصار على ثلاث طاقات فصارت طاقات أبواب المسجد الحرام الآن تسعا وثلاثين طاقا فى كل طاق درفتان وسيأتى تفصيلها بعد ذكر الاسطوانات المتجددة فى عصرنا * والذى اشتمل عليه المسجد الحرام الآن من الاساطين الرخام والاساطين الصفر الشمسى والقبب والطواحين والمصليات وشرائف المسجد الحرام فهى ما نذكره * وأما الاسطوانات الرخام فعددها ثلثمائة واحدى عشرة اسطوانة ففى جهة شرقى المسجد الحرام وهى مايقابل باب البيت الشريف اثنتان وستون اسطوانة رخاما وفى جهة شاميه ويقال له الجانب الشمالى وهو مايقابل الحجر الشريف احدى وثمانون اسطوانة رخاما وفى جهة غربيه أربع وستون اسطوانة من ذلك وهو مايقابل المستجار العظيم ست اسطوانات من الحجر الصوان والباقى من الرخام * وفى زيادة دار الندوة خمس عشرة اسطوانة من ذلك واحدة من الحجر الصوان وفى زيادة باب ابراهيم ست اسطوانات * وأما الاسطوانات الصفر الشمسى فجملتها مائتان وأربع وأربعون اسطوانة وهى عبارة عن شكل مثمن أو مسدس أو مربع على حسب ما اقتضاه المكان وهى فى طوال الاسطوانة العليا مقدار الثلث من الحجر الصوان المنحوت وثلثاها من الحجر الشمسى المنحوت * فمن ذلك فى شرقى المسجد الحرام ثلاثون اسطوانة * وفى جهة غربيه ست وثلاثون اسطوانة * وفى جهة جنوبيه ست وسبعون اسطوانة وأربع فى أركان المسجد * وفى زيادة باب ابراهيم ثمانى عشرة * وأما القبب فعددها مائة واثنتان وخمسون قبة * فمن ذلك فى شرقى المسجد الحرام أربع وعشرون قبة وفى الجانب الشامى ست وثلاثون قبة واحدة فى ركن المسجد الحرام من جهة منارة الحزورة وفى زيادة دار الندوة ست عشرة قبة وفى زيادة باب ابراهيم خمس عشرة قبة * وأما الطواحين فجملتها مائتان واثنتان وثلاثون طاحنا وفى الجانب الشمالى تسعة وخمسون طاحنا وفى الجانب الغربى ثلاثة واربعون طاحنا وفى الجانب الجنوبى أربعة وستون طاحنا واثنتان فى مأذنة باب السلام وواحد فى ركن المسجد من جهة باب العمرة وفى زيادة دار الندوة أربعة وعشرون طاحنا * وأما المصليات فجملتها ستة وخمسون مصلى ففى جهة شرقى المسجد الحرام مقابل باب السلام ثلاثة وفى جهة شاميه اثنان وعشرون وفى جهة غربيه ستة عشر وفى جهة جنوبيه خمسة عشر * وأما الشرافات فجملتها ألف وثلثمائة وثمانون شرافة فمن ذلك فى شرقى المسجد الحرام مائة واثنتان وستون شرافة * فمن الرخام سبع وعشرون فى وسطهن واحدة طويلة ومن الحجر الشمسى مائة وخمس وثلاثون * ومن جهة شاميه ثلثمائة واحدى وأربعون * فمن الرخام ثمانية وسبعون منهما ثلاث طوال والباقى من الحجر الشمسى * ومن جهة غربيه مائتان وأربع * فمن الرخام اثنتان وعشرون فى وسطهن واحدة طويلة والباقى من الحجر الشمسى وفى زيادة دار الندوة مائة واحدى وتسعون من الحجر الشمسى وفى زيادة باب ابراهيم مائة وست واربعون من الحجر الشمسى لاغير * وأما ابواب المسجد الحرام الآن فعدتها تسعة عشر بابا تفتح على

تسعة وثلاثين طاقا فى كل طاق درفتان فيها خوخة تفتح فنها بالجانب الشرقى أربعة أبواب وفى الدرفة اليمنى من الطاق الاوسط خوخة أيضا تغلق الدرفتان وتفتح الخوخة ليلا لمن يدخل المسجد أو يخرج منه فترد الخوخة كما كانت وكذلك جميع الخوخات * الاول باب السلام ويعرف بباب بنى شيبة وهو ثلاث طاقات وهذا الباب لم يجدد فيه شئ لكونه عامر المحكم البناء وفى الدرفة اليمنى من الطاق الاوسط خوخة تغلق الدرفتان وتفتح الخوخة ليلا لمن يفتح المسجد ويخرج منه * الثانى طاقان ويعرف بباب الجنائز وبباب النبى صلى الله عليه وسلم ولم يجدد فى هذا الباب غير الشرافات التى عليها وعدتها أربع وعشرون شرافة * الثالث ثلاث طاقات ويعرف بباب العباس لمقابلته لدار العباس رضى الله عنه ويعرف أيضا بباب الجنائز * الرابع ثلاث طاقات ويعرف بباب على وبباب بنى هاشم وقد جدد هذا الباب والذى قبله على أحسن وضع * وعدد ما عليهما من الشرافات مائة وخمسة عشر شرافة وبالجانب الجنوبى سبعة أبواب * الاول طاقان ويقال له باب بازان لان عين بازان قريب منه وقد جدده هذا بأسلوب حسن وعدد ما عليه من الشرافات ستة عشر شرافة * الثانى طاقان ويعرف بباب البغلة بباء موحدة وغين معجمة وقد جدد هذا الباب ولم يعمل عليه من الشرافات * الثالث باب الصفا لانه يليه ويعرف أيضا بباب بنى مخزوم وهو خمس طاقات وقد جدد هذا الباب تجديدا حسنا وعدد شرافاته تسع وعشرون * الرابع طاقان ويعرف بباب أجياد الصغير وقد جدد وعدد شرافاته تسع عشرة شرافة * الخامس طاقان ويعرف بباب المجاهدية ويقال له باب الرحمة وقد جدد هذا الباب وعدد شرافاته عشرون * السادس طاقان ويعرف بباب مدرسة الشريف عجلان لاتصاله بها وقد جدد الباب أيضا وعدد شرافاته عشرون * السابع طاقان ويعرف بباب أم هانى وقد جدد هذا الباب بناء حسن لطيف واسلوب ظريف وعدد شرافاته ثلاث عشرة شرافة * وبالجانب الغربى ثلاثة أبواب * الاول طاقان ويعرف بباب الحزورة ولم يجدد فى هذا الباب شئ اصلا لعمارته * الثانى طاق واحد كبير يقال له باب ابراهيم ولم يجدد هذا الباب أيضا لعمارة قصره لان قصر الغورى مبنى عليه * الثالث طاق واحد ويعرف بباب العمرة لان المعتمرين من التنعيم يخرجون منه ويدخلون فى الغالب وكان قديما يسمى باب بنى سهم وقد جدد هذا الباب وعدد شرافاته ثلاث شرافات * وبالجانب الشمالى خمسة أبواب * الاول طاق واحد ويعرف بباب السدة وكان يقال له باب عمرو بن العاص رضى الله عنه وقد جدد هذا الباب أيضا وعدد شرافاته ست شرافات * الثانى طاق واحد ويعرف بباب العجلة ويعرف بباب الباسطية لاتصاله بمدرسة عبد الباسط المتقدم أيضا وقد جدد هذا الباب أيضا وعدد شرافاته سبع * الثالث طاق واحد بزيادة دار الندوة فى ركنها الغربى ولم يجدد هذا الباب أيضا * وطيقانه ثلاث طاقات بالزيادة المذكورة بجانبها الشامى وقد كان هذا الباب قديما طاقين الى أن أمر المرحوم الأمير قاسم بك ببناء المدارس السلطانية ففتح طاقا ثالثا ثم هدمت الطاقات الثلاث عند بناء المسجد الحرام وأعيدت كما كانت وعدد شرافاته اثنتان وعشرون شرافة * الخامس طاق واحد ويعرف بباب الدريبة بالقرب من منارة باب السلام وقد جدد هذا الباب الامير قاسم بك المذكور سابقا عند بنائه للمدارس السليمانية ﴿ وأما مناثر المسجد الحرام ﴾ فهى الآن ست مناثر يؤذنون عليها فى الأوقات الخمس * أولها منارة باب العمرة عمرها أبو حفص المنصور ثانى ملوك بنى العباس وعمرها بعده وزير صاحب الموصل محمد الجواد بن على بن أبى منصور الاصفهانى فى سنة احدى وخمسين وخمسمائة وكان رئيس

المؤذنين يؤذن بها فى زمن الفاكهى ويتبعه سائر المؤذنين * ثم صار فى زمن التسقى الفاسى يؤذن رئيس المؤذنين بباب السلام ويتبعه سائر المؤذنين وهو الآن يؤذن الاوقات الخمس على قبة زمزم ويتبعه المؤذنون الاليالى رمضان فى التسحير فان رئيس المؤذنين يسحر فيها على منارة باب السلام ويتبعه المؤذنون فى التسحير واحدا بعد واحد وكذلك فى التمجيد والتذكير والتوديع ونحو ذلك وقد أدركنا هذه المأذنة وهى عتيقة البناء فأمر بتجديدها المرحوم المقدس المغفور له الاقدس السلطان سليمان خان عليه الرحمة والرضوان فهدمت الى الأرض وبنيت بالآجر وأعيدت كما كانت بدور واحد الا انهم غيروا رأسها على اسلوب منائر بلاد الروم وكانت أسلوب منائر مصر يعلق عليها فى رأسها ثلاث قناديل فى ثلاثة أعواد مغروزة فى قبة صغيرة على رأس المأذنة وكان ذلك فى احدى وثلاثين وتسعمائة * وثانيها منارة باب السلام عمرها المهدى بن المنصور العباسى الذى وسع المسجد الحرام فى سنة ثمان وستين ومائة وهى بدورين ثم تهدمت فى زمن الناصر فرج بن برقوق فى ستة عشر وثمانمائة وهى باقية الى الآن وثالثها منارة علىّ وأوّل من عمرها المهدى العباسى لما عمر منارة باب السلام واستمرت الى أن أدركناها وقد آلت الى الخراب وكانت بدور واحد فى أعلاها فأمر المرحوم المغفور له المقدس المبرور السلطان سليمان خان عليه التحية والروح والريحان فهدمت وأعيدت من الحجر الأصفر الشميسى وجعل لها دوران أعلا وأسفل وغير رأسها على اسلوب منائر الروم * ورابعها منارة الحزورة وهى بدورين أوّل من بناها المهدى العباسى ثم عمرت فى زمن الاشرف شعبان بن حسين صاحب الموصل وكانت سقطت فى سنة احدى وسبعين وسبعمائة وسلم الناس منها فوصل المعمرون لعمارتها وفرغوا منها فى مفتتح محرم الحرام سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة بتقديم السين فيهما وهى باقية الى الآن * وخامسها منارة باب الزيادة وهى قديمة بدورين بناها المعتضد العباسى لما بنى زيادة دار الندوة ثم سقطت وأنشأها الأشرف برسباى فى عام ثمان وثلاثين وثمانمائة كما هو فى حجر بجنب المأذنة والله أعلم * وسادسها منارة مدرسة السلطان قايتباى رحمه الله تعالى بناها على عقد باب مدرسته الذى الى جهة المسعى فى غاية الصناعة بثلاثة أدوار افتخر بصنعتها مهندس عصره على مهندس زمانه وبنى نظيرها منارة أخرى على عقد باب مسجد الخيف بمنى فى ٢ حدود سنة * والسابعة منارة السلطان الاعظم المغفور له الاقدس السلطان سليمان تغمده الله بالرحمة والرضوان أمر ببنائها فى أحد مدارسه الشريفة فيما بين باب السلام وباب الزيادة وهى منارة فى غاية العلو والارتفاع مشرفة على البقاع مبنية بالحجر الشميسى الأصفر مسبوكة سبك الذهب الاحمر لها ثلاث دوائر مرفوعة وأساسات محكمة موضوعة رأسها على أسلوب بلاد الروم تكاد تلازم معارج النجوم وتغوص فى الأرض الى مدارج التخوم بناها المرحوم قاسم أمين العمارة السلطانية السليمانية وسنجق جدة المعمورة فرغ من بنائها فى اثناء سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة رحمه الله وهذه هى المنائر السبعة التى هى حول المسجد الحرام الآن عليها عمل المؤذنين فى الأوقات الخمس وفى رمضان وغيره وكانت على المسجد منائر أخرى ذكرها أصحاب التاريخ * منها على باب ابراهيم منارة شبه صومعة هدمها بعض أمراء مكة المشرفة لاشرافها على داره ذكرها التقى الفاسى رحمه الله تعالى * ومنها منارة ذكرها ابن جبير على باب الصفا قال وهى أصغرها وهى علم لباب الصفا ولا يصعد اليها لضيقها انتهى * ومنها منارة على الميل الذى يهرول عنده من يسعى بين الصفا والمروة ذكرها الفاكهى وهذه المنائر الثلاثة كانت على المسجد الحرام وهدمت ولا يعلم من بناها ولا متى هدمت

وبعلو

وبعلو مكة منارة على مسجد يقال له مسجد الراية على يسار النازل من المعلاة بقرب بئر عدى بن مطعم ابن نوفل يقال ان النبى صلى الله عليه وسلم ركز رايته يوم فتح مكة فيه وهى منارة عتيقة ذهب رأسها وكان لها دوران لا أعلم من بناها يؤذنون فيها بعض أهل الخير فى مغرب شهر رمضان ويعلق قنديلا لاعلام أهل ذلك المكان بدخول المغرب للافطار فى رمضان ويسحر عليها آخر الليل ويطفى قنديلها بعد السحور اعلاما بدخول اوّل الفجر ليمتنع الصائمون من الاكل والشرب وهو باق الى الآن * وذكر التقى الفاسى رحمه الله تعالى ان المنائر بمكة على غير المسجد الحرام كانت كثيرا فى الشعاب والمحلات وكان المؤذنون يؤذنون عليها للصلوات وكانت لهم أرزاق تجرى عليهم واوّل من جدد تلك المنائر على رؤس الجبال وفجاج مكة وشعابها هرون الرشيد وأجرى على المؤذنين بها ارزاقا وكان لعبد الله بن مالك الخزاعى على جبل أبى قبيس منارة وعلى القلعة منارة ومنارة مشرفة على أجياد ومنارة الى جنبها ولعبد الله بن مالك منارة تشرف على الجزرة ومنارة فى شعب عامر وعلى جبل تفاحة وجبل الاعرج وعلى الجبل الاحمر ومنائر كثيرة عددها ورأيت فى تعليقه انها كانت خمسين منارة فى شعاب مكة ثم قال التقى وقد ترك الأذان على جميع هذه المنائر وما بقى منها والله أعلم

* خاتمة فى ذكر المواضع المباركة والاماكن المأثورة بمكة المشرفة *

فمنها المواضع التى نص العلماء رحمهم الله تعالى ان الدعاء فيها مستجاب * وذكر الحسن البصرى رضى الله عنه خمسة عشر موضعا يستجاب الدعاء فيها وعددها وزاد غيره مواضع أخرى فبلغت ثلاثة وخمسين موضعا وذكر منها مواضع غير معروفة الآن فاقتصرنا على المعروف منها * وهى مكان الطواف جميعه وعند الملتزم وقد جربته مرارا وتحت ميزاب الرحمة وداخل الكعبة وعند زمزم خلف المقام وعلى الصفا وعلى المروة وفى المسعى وفى عرفات وفى المزدلفة وفى منى وعند الجمرات وعددها ثلاث مواضع غير ان علماءنا ذكروا ان الحاج يقف للدعاء بعد الرمى عند الجمرة الأولى وعند الجمرة الثانية ولا يقف بعد الرمى عند الجمرة الثالثة وهى جمرة العقبة ويظهر من كلامهم ان الوقوف للدعاء بعد جمرة العقبة غير مأثور لانه لا يدعى هناك فقد ذكر الحسن البصرى ان الدعاء عندها مستجاب كالجمرتين الأوليين * وعد أبو سهل النيسابورى من المواضع التى يستحاب فيها الدعاء باب النبى صلى الله عليه وسلم ويقال له باب الحرير وباب القفص عد منها باب الصفا وباب السلام وعد القاضى مجد الدين الفيروزابادى فى كتابه الوصل والمنا فى فضل منى مواضع أخرى يستجاب الدعاء فيها فمنها نقلا عن النقاش المفسر فى نسكه فقال يستحاب الدعاء فى ثبير وفى مسجد الكبش وزاد غيره فقال وفى مسجد الخيف وزاد آخرون وفى مسجد النحر وهو موجود الآن بمنى غير انه داثر عمر الله من عمره نحر فيه النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع ثلاثا وثلاثين بدنة وأمر أمير المؤمنين على بن أبى طالب أن يكمل نحر تمة مائة بدنة عنه وهو موضع مأثور مشهور وزاد الحافظ بن الجوزى وفى مسجد الخيف على يمين الذاهب الى عرفات فى هذا الغار تجويف فى سقفه تزعم العامة انه لان لرأس النبى صلى الله عليه وسلم فأثر فيه تجويفا فيضع الزائر رأسه فيها يتمنا وتبركا بموضع رأس النبى صلى الله عليه وسلم ولم أقف على خبر اعتمده فى ذلك الا أن الاثر وارد بنزول سورة والمرسلات * قال النقاش ويستجاب الدعاء فى دار خديجة رضى الله عنها أم المؤمنين وهى معروفة بمكة وتعرف بمولد السيدة فاطمة رضى الله عنها لانها ولدت فيها وهى وجميع أولاد خديجة رضى الله عنها من النبى صلى الله عليه

وسلم ولم يزل النبي صلى الله عليه وسلم ساكنا فيها الى أن هاجر الى المدينة فأخذها عقيل بن أبي طالب ثم اشتراها منه معاوية بن أبي سفيان فجعلها مسجدا يصلى فيه كذا ذكره الازرقي وعمر هذا المحل الشريف في زمان الناصر العباسي وفي زمان الاشرف شعبان صاحب مصر وعمره أيضا الملك المظفر الغساني صاحب اليمن وكان المرحوم المقدوس السلطان سليمان خان سقى الله تعالى عهده صوب الرحمة والرضوان أمر بتعمير هذا الجانب الشريف فعمر قبة ومسجدا يصلى فيه ويزار يجتمع فيه الفقراء للذكر كل جمعة بعد الصلاة الى العصر وكل ليلة ثلاثاء من العشاء الى الصبح يذكرون الله تعالى وكان عمارتها في سنة خمس وثلاثين وتسعمائة * قال ويستجاب الدعاء في مولد النبي صلى الله عليه وسلم وهو موضع مشهور يزار الى الآن ومن لحفه مسجد يصلى فيه ويكون في كل ليلة اثنين فيه جمعية يذكرون الله تعالى ويزار في الليلة الثانية عشر من شهر ربيع الأول في كل عام فيجتمع الفقهاء والاعيان على نظام المسجد الحرام والقضاة الاربعة بمكة المشرفة بعد صلاة المغرب بالشموع الكثيرة والمفرغات والفوانيس والمشاعل وجميع المشايخ مع طوائفهم بالاعلام الكثيرة ويخرجون من المسجد الى سوق الليل ويمشون فيه الى محل المولد الشريف بازدحام ويخطب فيه شخص ويدعو للسلطنة الشريفة ثم يعودون الى المسجد الحرام ويجلسون صفوفا في وسط المسجد من جهة الباب الشريف خلف مقام الشافعية ويقف رئيس زمزم بين يدي ناظر الحرم الشريف والقضاة ويدعو للسلطان ويلبسه الناظر خلعة ويلبس شيخ الفراشين خلعة ثم يؤذن للعشاء ويصلى الناس على عادتهم ثم يمشي الفقهاء مع ناظر الحرم الى الباب الذي يخرج منه من المسجد ثم يتفرقون وهذه من أعظم مواكب ناظر الحرم الشريف بمكة المشرفة ويأتي الناس من البدو والحضر واهل جدة وسكان الاودية في تلك الليلة ويفرحون بها وكيف لا يفرح المؤمنون بليلة ظهر فيها أشرف الانبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم وكيف لا يجعلونه عيدا من أكبر أعيادهم غير أن بعض المتقشفين انكر خصوص هذه الجمعية على هذا الوجه لزعم انه يجتمع فيه من الملاهي والغوغاء واجتماع الرجال والنساء وافضاء ذلك الى ما لا يصح شرعا فيكون بدعة ولم يحك عن السلف شيء من ذلك * والصواب أن هذه الجمعية ان حفظت على ما ينكر فيها من الجمع بين الرجال والنساء ويقع فيها ما يتوهم من وقوع الملاهي فهي بدعة حسنة تتضمن تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم بالذكر والدعاء والعبادة وقراءة القرآن وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم الى فضيلة هذا الشهر العظيم بقوله صلى الله عليه وسلم للذي سأله عن صوم الاثنين ذاك يوم ولدت فيه فتشريف هذا اليوم متضمن لتشريف هذا الشهر الذي هو فيه فينبغي أن يحترم غاية الاحترام ليشغله بالعبادة والصيام والقيام ويظهر السرور فيه بظهور سيد الانام عليه افضل الصلاة والسلام * وأما المبتدعات السيئة والمنكرات فهي محرمة في كل مقام والله ولي الاعتصام وقال بعض العلماء قد اجابة الدعاء في مولد النبي صلى الله عليه وسلم عند الزوال * وفي دار السيدة أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها أفضل المواضع بمكة بعد المسجد وذلك لسكنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ولكثرة نزول الوحي عليه بها وفيها ولد فاطمة الزهراء رضي الله عنها * ومنها دار الخيزران وهو من قرب الصفا كانت تسمى دار الارقم المخزومي ثم عرفت بدار الخيزران * والمختبى هو أفضل المواضع بمكة بعد دار أم المؤمنين رضي الله عنها الكثرة مكث النبي صلى الله عليه وسلم فيه يدعو الناس للاسلام مستخفيا عن أشرار قريش الكفار ذكره التقي الفاسي في شفاء الغرام * وقد وقت بعض العلماء الدعاء فيها بين العشاءين

والمختبى

والمختبى قبة تزار وهو الموضع الذى كان صلى الله عليه وسلم يختبئ فيه من الكفار ويجتمع فيه من آمن به ويصلى بهم الاوقات الخمسة سرا الى أن أسلم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فجهر بالاسلام و بالصلاة وأعز الله الاسلام به * ودار الخيزران هى دور حول المختبى ملكتها الخيزران أم الرشيد شراء لما حجت وتناقلت فى يد الملاك الى أن صارت الآن من جملة املاك سلطان سلاطين العالم خليفة الله على خليقته من بنى آدم سلطان الروم والعرب والعجم الملك الظفر المنصور الاعظم * مراد خان الاكرم الافخم عمر الله بعدالته الربع المسكون وأسعده فى كل ما يظهر منه من الحركة والسكون ومنها فى جبل ثور عند الظهر وجبل ثبير وحراء مطلقا ومنها مسجد البيعة وهو مسجد على يسار الذاهب الى منى بينه وبين العقبة التى هى حد منى مقدار غلوة سهم أو اكثر وهو مسجد منهدم فيه حجران مكتوب فيهما ما يدل على ذلك فى أحدهما أمر عبد الله أمير المؤمنين اكرمه الله تعالى ببناء هذا المسجد مسجد البيعة التى كانت أول بيعة بايع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم عقده العباس بن عبد المطلب وانه بنى فى سنة اربع واربعين ومائة والمشار اليه ابو جعفر المنصور العباسى وعمره ايضا المستنصر العباسى كما فى حجر آخر بناه فى سنة تسع وعشرين وستمائة وتلك الاحجار ملقاة بذلك المسجد الخراب يخشى عليها الضياع فينذر أثر هذا المسجد * وكان المرحوم ابراهيم دفتردار مصر سابقا أمين عرفات رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جنته شرع فى تجديد هذا المسجد واسسه وبنى بعض طاقاته وجدرانه وتوفى الى رحمة الله تعالى قبل ان يتمه وما وفق احد بعده الى الآن لاتمامه وهو من المساجد المأثورة النبوية وهو الذى بايع فيه النبى صلى الله عليه وسلم سبعون من الانصار بحضرة عمه العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه فنادى ازب العقبة وهو شيطان ذلك المكان معاشر قريش ان الاوس والخزرج بايعوا محمدا على أن ينصروه فامسكت الأنصار بقوائم سيوفها وقالوا لنقاتلن الاسود والأحمر دون رسول الله صلى الله عليه وسلم فكفاهم الله تعالى ببركة نبيه صلى الله عليه وسلم شر ذلك الشيطان ثم هاجر النبى صلى الله عليه وسلم هو وأبو بكر رضى الله عنه الى المدينة لما أذن لهما فى الهجرة وهذا مسجد شريف يستجاب الدعاء فيه رحم الله من يكون سببا فى تجديده وعمارته * ومنها مسجد المتكى يستجاب فيه الدعاء يوم وأنكر الأزرقى وجوده وقال القاضى أبو البقا بن الضياء الحنفى فى البحر العميق ان بأجياد الصغير موضع يقال له المتكى وهو دكة مرتفعة عن الارض ملاصقة لدار بعض بنى شيبة * قلت وهذه الدار ثرت الآن وما بقى منها الا بعض أحجارها وطال ما سألت كثيرا من الاعيان أن يعمروها ويعيدوها كما كانت فما وفق أحد لذلك ليكون ذلك الثواب نصيبا لمن وفقه الله لذلك * وذكر النقاش فى مناسكه المواضع التى يستجاب فيها الدعاء بمكة ووقت لكل بقعة أوقاتا معينة * قال أما خلف المقام وتحت الميزاب ففى السحر وعند الركن اليمانى وقت الفجر وعند الحجر الاسود نصف النهار وعند الملتزم نصف الليل وداخل زمزم عند غيبوبة الشمس وداخل البيت عند الزوال وعلى الصفا والمروة عند العصر وبمنى ليلة البدر شطر الليل وبالمزدلفة عند طلوع الشمس وبعرفة وقت الزوال تحت السدرة وهى غير معروفة الآن وبالموقف عند غيبوبة الشمس كذا ذكره النقاش ومنها جبل أبى قبيس وانما سمى به لان رجلا من اياد يكنى أبا قبيس صعد فيه وبنى فيه بناء فعرف به * قال الفاكهى ان الدعاء فيه يستجاب وان وفدا عاد قدموا الى مكة للاستقاء لقومهم فامروا بالطلوع الى أبى قبيس للدعاء وقيل لهم لم يعلم خاطئ يعرف الله منه الانابة الا أجابه الى ما دعاه اليه وفيه على احدى الروايات قبر آدم وحواء وشيث

عليهم السلام * قال الذهبي في جزئه في تاريخ آدم وبنيه ما نصه وخلفه بعده شيث ابنه ونزلت عليه ثلاثون صحيفة وعاش تسعمائة سنة ودفن مع ابويه في غار ابي قبيس * وقال وهب بن منبه حفر لآدم في موضع من أبي قبيس يقال له غار الكنز فاستخرجه نوح عليه السلام وجعله في تابوت معه في السفينة فلما نضب الماء رده الى مكانه انتهى وقيل غير ذلك وفي أعلى الجبل صهريج يزوره الناس وليس ذلك بقبر آدم عليه السلام وانما هو صهريج كان يعد للماء لما كان على رأسه قلعة قديما وزعم الناس أن من اكل يوم السبت في جبل أبي قبيس رأسا مطبوخا يسلم من وجع الراس طول عمره والناس يتهافتون على ذلك في كل صبح يوم سبت وفيه موضع يزعم الناس أن القمر انشق فيه للنبي صلى الله عليه وسلم وليس لذلك صحة كذا ذكره السيد التقي الفاسي رحمه الله تعالى * قال وهو اول جبل وضعه الله في الارض وذكر بعض العلماء انه افضل جبال مكة وفضله على جبل حراء ونوقش في ذلك ومنها رباط قديم بمكة يسكنه فقراء المغاربة يسمى رباط الموقف وقفه القاضي الموفق جمال الدين علي بن عبد الوهاب الاسكندري في سنة اربع وستمائة يحكى عن الشيخ خليل انه كان يكثر اتيانه ويقول ان الدعاء يستجاب فيه او عند بابه ويروى عن الولي المشهور الشيخ عبد الله بن مطرف انه قال ما وضعت يدي في حلقة هذا الرباط الا تذكرت ووقع في نفسي كم لله ولي وضع يده في هذه الحلقة في مقبرة المعلاة مواضع يستجاب فيها الدعاء منها قبر أم المومنين سيدتنا خديجة الكبرى رضي الله عنها وهو محل في سعب بني هاشم كان فيه تابوت من خشب يزار فبنى عليه قبة من الحجر الشمسي الامير الكبير السعيد الشهيد محمد بن سليمان جركز دفتردار مصر في ايام المرحوم داود باشا نائب الديار المصرية في أيام السلطان الاقدس المرحوم المقدس السلطان سليم خان عليهما الرحمة والتحية والرضوان بناه في سنة خمسين وتسعمائة وكسى التابوت الشريف كسوة فاخرة وعين له خادما ورتب له علوفة من خزائن الصدقات الشريفة السلطانية العثمانية جارية عليه الى الآن وكان من أهل الخير والجميل والمعروف كريما جوادا بذولا له احسان كثير وجميل وافر أحسن الله اليه كما أحسن الى وضاعف حسناته ومحى سيآته ج الى بيت الله تعالى وهو أمير الركب الشامي وأحسن الى الناس كثيرا وعم احسانه وكان يحب العلماء والصلحاء ويكرمهم ويحسن اليهم ويقضي حوائجهم بحيث كانوا يسمون أيامه تنفسات الدهر ثم قتل مظلوما وعند الله تجتمع الخصوم والله غفور رحيم ومنها عند قبر سيدنا الفضيل بن عياض رضي الله عنه وهما في محوطة فيها جماعة أولياء أجلاء كبراء منهم الشيخ تقي الدين السبكي والشيخ عبد الله بن عمر المعروف بالطواشي وكثير من مشاهير الصلحاء آخرهم مولانا الشيخ عبد اللطيف النقشبندي الرومي رحمه الله تعالى ومنها عند قبر سفيان بن عيينة رضي الله عنه ومنها عند قبر الشيخ أبي الحسن علي الشوني رضي الله عنه ذكر الشيخ خليل المالكي ان الدعاء عنده مستجاب وكذلك عند قبر معاسرة الخير بالمعلاة ويقال انه اذا أراد أن يدعو عند معاسرة الخير يستقبل القبلة بحيث يكون تربة الملك المسعود بحذائه عن يساره وقد اندثرت تربة الملك المسعود الآن محلها فوق البئر المعروف ببئر ام سليمان الموجودة الآن مرتفعا عن طريق السيل ومنها عند قبر الدالاصي بالقرب من الجبل قال المرجاني في بهجة النفوس الدعاء عند قبره يستجاب ومن المواضع التي جربتها انا لقبول الدعاء تربة شيخنا المرحوم مولانا علاء الدين الكرماني النقشبندي طيب الله تعالى ثراه ونفع ببركاته أحياه توفي سنة تسع وعشرين وتسعمائة وله كتب جليلة في الطريق أجلها كتاب منظوم في مقابلة المثنوي رحمه الله وفي مكة مواضع مباركة

ومواليد متيمنة ومساجد مأثورة غير هذه فمنها مولد سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو بقرب مولد النبي صلى الله عليه وسلم بقرب جبل أبي قبيس من قفاه في شعب يقال له شعب علي به مسجد يصلى فيه ومولد يزار الا انه منهدم الآن عمر الله من عمره ومنها موضع يقال له مولد سيدنا حمزة رضي الله عنه في أسفل مكة لاصق بموضع يسمى بازان وهو مجرى عين حنين الى بركة ماجن قال السيد التقي الفاسي رحمه الله لم ار شيأ يدل على صحة ان هذا المكان مولد السيد حمزة رضي الله عنه لان هذا المحل ليس محلا لبني هاشم وطول هذا المحل خمسة عشر ذراعا وثلث وعرضه سبعة أذرع وربع في صدره محراب وبابه في الجدار الذي الى جهته بركة ماجن انتهى وقد خرب الآن وامتلأ بالتراب فلا يظهر له محراب ولا باب ولا حدر وهو قد سمي بمولد سيدنا حمزة فرحم الله من أحياه وعمره ومنها موضع في أعلا جبل يقال له جبل النوبي يقال انه مولد سيدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطلع الناس اليه للسير والفرجة لاشرافه على مكة ومن الناس من يقصده للزيارة قال التقي الفاسي رحمه الله لا أعلم في ذلك شيأ يستأنس به غير أن جدي أبا الفضل النويري كان يزوره هذا الموضع في جمع من أصحابه في الليلة الرابعة عشر من شهر ربيع الاول من كل سنة انتهى * قلت وهذا باق الى الآن يجتمع بعض الفقراء في الليلة الرابعة عشر من كل شهر يذكرون الله تعالى فيه احياء لتلك الليلة ومنها موضع بقرب باب الحجلة يقال انه مولد سيدنا جعفر الصادق بن أبي طالب يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم دخله والله أعلم بحقيقة ذلك ومنها في زقاق المرفق محل فيه مسجد يقال انه دكان سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه ويقال انها داره وبناه نور الدين بن عمر بن علي بن رسول الغساني صاحب اليمن قبل أن يؤول الملك اليه في سنة ثلاث وعشرين وستمائة ويقابل هذه الدار حجر يتبرك الناس بلمسه يقال انه كان يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم متى اجتاز قال التقي الفاسي رحمه الله تعالى هذا الحجر ان صح كلامه للنبي صلى الله عليه وسلم هو الحجر الذي عناه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله اني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي ليالي بعثت انتهى * قلت وبقرب هذا الحجر قبل أن يوصل اليه في مقابلته على يسار صخة حجر مبني في الجدر في وسطه حفرة مثل محل المرفق يزوره العوام ويزعمون ان النبي صلى الله عليه وسلم اتكأ عليه فغاص مرفقه الشريف في ذلك الحجر وهو يكلم الحجر الذي أمامه على شماله قال القاضي أبو البقاء بن الضياء في البحر العميق ذكر سعد الدين الاسفراييني في كتاب زبدة الاعمال ان أهل مكة يعشون اذا رأوا المواليد من دار خديجة رضي الله عنها الى مسجد يقولون انه دكان أبي بكر الصديق كان يبيع فيها الخز وأسلم فيه على يده عثمان بن عفان رضي الله عنه وطلحة والزبير رضي الله عنهم قال وفي جدار هذا الدكان أثر مرفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء دار أبي بكر رضي الله عنه ذات يوم ونادى يا أبا بكر انتهى * قلت الجدار الذي فيه المرفق بعيد عن دكان أبي بكر رضي الله عنه الى ناحية القبلة بينهما مدر ورما رأيت في كلام أحد من المؤرخين من حقق شيأ من ذلك والله أعلم بحقيقته * ومن الدور المباركة بمكة دار سيدنا العباس رضي الله عنه بالمسعى عند أحد الميلين الاخضرين وهي الآن رباط يسكنه الفقراء ومنها موضع بلحف جبل قيقعان يلصق دار سيدنا ومولانا قاضي القضاة وناظر المسجد الحرام القاضي حسين بن أبي بكر الحسيني أطال الله بقاه وأدام علاه يقال له معبد الجنيد أحيا المشار اليه مآثره قال سعد الدين الاسفراييني انه معبد الجنيد ومعبد ابراهيم بن أدهم رضي الله عنهما * ومن الجبال المأثورة بمكة جبل حراء بكسر الحاء المهملة وفتح الراء الممدودة ممنوعا وكانت

قوله جعفر الصادق الخ لعل المناسب جعفر ذو الجناحين لان جعفر الصادق من ذرية الحسين رضي الله عنهما

الجاهلية تعظمه أيضا وتذكره فى اشعارها فمن ذلك قول أبى طالب عم النبى صلى الله عليه وسلم

وثورا ومن أمسى ثبير امكانه * وراق لبرقى فى حراء ونازل

ويقال له جبل ثور بالنون أيضا لظهور أنوار النبوة ولكثرة اقامة النبى صلى الله عليه وسلم فيه وتعبده وتنزل الوحى عليه فيه وذلك فى غار أعلاه صهريج ماء يجتمع فيه أيام المطر أيام ماء عذب سائغ قال السهيلى فى الروض الأنف ان قريشا لما طلبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لبهموا بقتله كان على جبل ثبير فناداه وهو على ظهره اهبط عنى يا رسول الله فانى أخاف ان تقتل وأنت على ظهرى فيعذبنى الله فناداه حراء الى يا رسول الله قال القاضى أبو البقاء بن الضياء فى البحر العميق ان النبى صلى الله عليه وسلم اختبأ من المشركين فى غار ثور فيحتمل ان يكون النبى صلى الله عليه وسلم اختبأ عن المشركين فى حراء فى واقعة ثم اختفى منهم فى غار ثور وقت الهجرة * قلت لم ينقل وقوع ذلك له صلى الله عليه وسلم مرتين وليس فى حديث السهيلى ان حراء لما نادى النبى صلى الله عليه وسلم الى اختبئ من المشركين خصوصا وقد قال السهيلى لما نقل هذا الحديث فى الهجرة قال وأحسب فى الحديث ان ثورا ناداه لما قال له ثبير اهبط عنى * ومن الجبال المباركة المأثورة جبل ثور * وهو جبل أكبر من حراء وأبعد منه بالنسبة الى مكة سمى بثور ابن منماة لسكناه به وصح ان النبى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر الصديق دخلا واختبيا فيه عن المشركين لما قصدوه بالقتل فنجاهما الله تعالى منهم * قال صاحب البحر العميق يروى ان أبا بكر رضى الله عنه لما خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم متوجها الى الغار جعل طورا يمشى امامه وطورا يمشى خلفه وطورا عن يمينه وطورا عن شماله فقال صلى الله عليه وسلم ما هذا يا أبا بكر فقال يا رسول الله بأبى أنت وأمى أذكر الرصد فأحب أن أكون أمامك وأتخوف الطلب فاحب أن أكون خلفك واحفظ الطريق يمينا وشمالا فقال لا بأس عليك يا أبا بكر ان الله معنا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مخصر القدم بل كان يطأ الأرض بجميع قدمه وكان حافيا فخفى رسول صلى الله عليه وسلم فحمله أبو بكر رضى الله عنه على كاهله حتى انتهى به الى الغار فلما وضعه أراد النبى صلى الله عليه وسلم أن يدخل الغار فقال أبو بكر والذى بعثك بالحق لا تدخل حتى أدخل فأستبره قبلك فدخل أبو بكر رضى الله عنه فجعل يلمس بيده الغار فى ظلمات الليل مخافة أن يكون فيه شئ يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لم ير شيأ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الغار وبات فيه فلما أسفر بعض الاسفار رأى أبو بكر رضى الله عنه خرقا فى الغار فألقمه قدمه حتى الصباح مخافة ان يخرج منه شئ فيؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر الله العنكبوت فنسجت على فم الغار والراء فنبتت حمامتين وحشيتين فعششتا عليه وباضتا وأقبل فيتان قريش من كل بطن رجل بعصيهم وسيوفهم ومعهم كوز بن علقمة القصاص فقص الاثر حتى انتهى الى الغار فقال لهم الى هنا انتهى أثره فما أدرى بعد ذلك أصعد السماء أم غاص فى الارض فقال لهم قائل ادخلوا الغار فقال لهم أمية بن خلف ما أربكم فى الغار وان عليه لعنكبوتا من قبل ميلاد محمد ثم بال حتى سال بوله فى الغار بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر رضى الله عنه فنهى النبى صلى الله عليه وسلم عن العنكبوت وقال انها الجند من جنود الله تعالى والراء شجرة لها زهر دقاق بيض يحشى به المخاد وحمام الحرم من نسل تلك الحمامتين ذكره السهيلى * وفى الصحيحين والترمذى عن ابى بكر رضى الله عنه قال نظرت الى أقدام المشركين وهى على رؤسنا فقلت يا رسول الله لو أن أحدهم نظر الى قدميه أبصرنا تحت قدميه فقال يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما انتهى

وكان

وكان خوف الصديق رضى الله عنه على النبى صلى الله عليه وسلم لا على نفسه فانه قال يارسول الله ان قتلت فانا رجل واحد من امتك وان اصبت أنت هلكت الامة وكان النبى صلى الله عليه وسلم يسكن روعه ويقوى جاشه ويقول له لا تحزن ان الله معنا فرجع المشركون خزايا وعصم الله تعالى نبيه وصاحبه منهم وقد ثبت فى صحيح البخارى انهما مكثا فى الغار ثلاثا * وعن طلحة البصرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مكثت أنا وأبو بكر رضى الله عنه بضعة عشر يوما وما الناطعام الا تمر البرير قال أبو داود البرير الارالك * وفى حديث الهجرة ان ابا بكر رضى الله عنه أمر ابنه عبد الله ان يتسمع لهما ما يقوله المشركون فيهما نهاره ثم يأتيهما اليلا بما يكون فى ذلك اليوم من الخبر وأمر مولاه عامر بن فهيرة أن يرعى غنمه نهاره ثم يريحها عليهما فى الغار اذا أمسى وكانت اسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنه تأتيهما اليلا بما تصلحه لهما من الطعام وكان عبد الله بن أبى بكر يكون نهاره فى قريش يتسمع ما يقولون فى شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأتيهما اذا أمسى ويخبرهما الخبر وكان عامر بن فهيرة يرعى غنمه فى رعيان مكة فاذا أمسى اراح عليهما اغنم ابى بكر فأحتلبهما لهما فاذا راح عبد الله بن ابى بكر من عندهما الى مكة اتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم فقفاه حتى يعمى أثره على الكفار حتى اذا مضت الثلاث وسكت عنهما الناس أتاهما صاحبهما الذى استاجراه ليريهما الطريق واتتهما أسماء رضى الله عنها بسفرتهما وارتحلا وبقية اخبار هجرتهما فى السير فليراجعها من أرادها * ورحم الله الأبوصيرى حيث قال فى بردته

وما حوى الغار من خير ومن كرم * وكل طرف من الكفار عنه عمى
فالصدق فى الغار والصديق لم يرما * وهم يقولون ما بالغار من ارم
ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على * خير البرية لم تنسج ولم تحم
وقاية الله أغنت عن مضاعفة * من الدروع وعن عال من الأطم

قال المرجانى فى بهجة النفوس ذكر لى ان رجلا كان له أموال و بنون وانه أصيب بذلك فلم يحزن ولم يجزع على مصائبه لقوة صبره وتحمله فقال روى انه من دخل غار ثور الذى آوى اليه النبى صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبو بكر رضى الله عنه وسأل الله تعالى أن يذهب عنه الحزن لم يحزن على شئ من مصائب الدنيا وقد فعلت ذلك فما وجدت حزنا * قال المرجانى رحمه الله تعالى هذه الخاصية من تأثير قوله تعالى ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا انتهى * وهذا الغار مشهور معروف يتلقاه الخلف عن السلف ويزوره الناس و يدخلون اليه من بابه الكبير الذى يروى ان جبريل عليه السلام ضربه بجناحه ففتحه وقل أن يدخل اليه أحد من بابه الضيق لأن الدخول عسر ويحتاج الى فطنة والمشهور عند العوام أن من احبس فيه لا يكون ابن أبيه وذلك كلام باطل لا أصل له وقد تعوق فيه قديما وحديثا كثير من الناس وأخذ لهم حجارون من مكة وقطعوا عنه وتكرر ذلك كثيرا فى كل عصر ومع ذلك لم يتسمع كثيرا بل يتعوق الناس فيه للجهل بكيفية الدخول خصوصا اذا كان شخصا بطينا * وطريق الدخول فيه ان الداخل اليه ينبطح على وجهه ويدخل رأسه وكتفيه ثم يميل الى جانب يساره فلا يجد ما يعوقه ويسلك مائلا الى اليسار وأمام لا يعرف طريق الدخول يدخل رأسه وكتفيه يستمر داخلا بباقى جسده فتصادمه صخرة أمامه وتعوقه فيرفع رأسه الى فوق ويخشن بوسطه فلا يمكنه الولوج لسمنه وكلما شد فى الدخول تعوق وانحبس فيحتاج الى حجار يقطع

قيل لايخلصه ولا يتفطن للميل الى جهة ليخلص بسهولة ولكن الخرق قد اتسع كثيرا الآن * ومن الجبال المباركة فى الحرم جبل ثبير وهو على يسار الذاهب الى عرفات فى منى وهو الذى أهبط عليه الكبش الذى فدى به سيدنا اسماعيل عليه السلام قال مجد الدين الفيروزابادى فى كتابه الوصل والمنى فى فضل منى ان أبا بكر النقاش المفسر قال فى مناسكه ان الدعاء يستجاب فى ثبير الاثبير الذى بالحفه مغارة الفتح لان النبى صلى الله عليه وسلم كان يتعبد فيه قبل النبوة وأيام ظهور الدعوة وذكر ان بقرب المغارة التى انشأها بالحف ثبير تعتكف عائشة رضى الله عنها * قال التقى الفاسى ويعرف هذا الموضع بصخرة عائشة انتهى * قلت هذه الصخرة غير معروفة الآن * قال رحمه الله تعالى حدثنى محمد بن يحيى قال حدثنا عبد العزيز بن عمران عن معاوية الأزدى عن معاوية بن قرة عن الجلد بن أيوب عن أنس ابن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تجلى الله عز وجل للجبل تشظى فطارت من قطعه ثلاثة أجبل فوقعت بمكة وثلاثة أجبل بالمدينة فوقع بمكة حراء وثبير وثور ووقع بالمدينة أحد ورقان ورضوى * ومنها الجبل المقابل لثبير الذى بالحفه مسجد الخيف لان فيه غارا يقال له غار المرسلات فيه أثر رأس النبى صلى الله عليه وسلم * قال ابن جبير بعد أن ذكر مسجد الخيف وبقربه على يمين المار فى الطريق حجر مستديرا لى سفح الجبل مرتفع عن الارض يظل ما تحته ذكر ان النبى صلى الله عليه وسلم قعد تحته مستظلا ومس رأسه الكريم فلان الحجر حتى أثر فيه تأثيرا بقدر دورة الرأس فيضع الناس رؤسهم فى هذا الموضع تبركا بموضع رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم كيلا تمس رؤسهم النار برحمة الله عز وجل * وقال ابن خليل يستحب أن يزور مسجد المرسلات نزلت فيه المرسلات وهو بعين مسجد الخيف * وذكر المحب الطبرى فى كتابه الغزى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال بينا نحن مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غار بمنى اذ وثبت علينا حية فقال النبى صلى الله عليه وسلم اقتلوها فابتدرناها فذهبت فقال النبى صلى الله عليه وسلم وقيت شركم كما وقيتم شرها أخرجه البخارى * قال السيد التقى الفاسى رحمه الله بلغنى عن شيخنا المجد الفيروزابادى أنه قرأ فى هذا الغار سورة المرسلات فى جماعة فخرجت عليهم حية فابتدروها ليقتلوها فهربت وهذا من غريب الاتفاق لموافقته للقصة التى اتفقت للنبى صلى الله عليه وسلم * ومنها جبل الخندمة وهو جبل كبير خلف أبى قبيس * قال الفاكهى حدثنى أبو بكر أحمد بن محمد المليكى حدثنا عبد الله بن عمر بن أسامة قال حدثنا أبو صفوان المروانى عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ما مطرت مكة قط الا وكان الخندمة غرة وذلك ان فيها قبر سبعين نبيا انتهى وهى مشرفة على أجياد الصغير وشعب عامر وهى معروفة الآن عند الناس بمكة * وأما المساجد المأثورة المباركة فنها ما قد اندثر أثره ولا يعرف مكانه فلا نطول كتابنا بذكره * وأما الموجود المعروف منها فعدة مساجد * منها مسجد الاجابة على يسار الذاهب الى منى فى شعب بقرب ثنية أذاخر يقال ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى فيه وهو منهدم وفيه حجر مكتوب فيه انه مسجد الاجابة وانه عمر فى سنة عشرين وسبعمائة وعمر قريبا ثم انهدم وبنى حوله العربان بيوتا وهم يصلون فيه ويصونونه الا انه يحتاج الى أعظم من هذا * ومنها مسجد بأعلى مكة * يقال انه مسجد الجن قال الازرقى فى تسمية أهل مكة مسجد الحرس فى مقابل الحجون وأنت مصعد على يمينك واغا مسجد الحرس لان العسس يجتمعون عنده ليلا قال وهو فيما يقال الموضع الذى خطه رسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم لابن مسعود ليلة استمع عليه الجن وان الجن بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه اه * قلت وهذا المسجد الذى تحت الموضع الذى يسمى الآن الفرهادية بينهما طريق ضيق والله أعلم ومنها مسجد الراية فيه مأذنة ذات دورين تهدم رأسها الآن ويقال لها منارة أبى شامة وامامه الى جانب اليسار بئر معطلة الآن يقال انها بئر جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل ويقال ان النبى صلى الله عليه وسلم ركز رايته يوم الفتح فى هذا المسجد ومنها مسجد بالدعاء عند الميل الايمن للمستقبل فى مقابلة زقاق الجزرة * قال السيد الفاسى رحمه الله تعالى يقال ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى فيه المغرب على ما هو مكتوب فى حجرين بهذا المسجد أحدهما بخط عبد الرحمن بن أبى حرى وفيه انه عمر فى رجب سنة ثمان وثمانين وخمسمائة * وفى الآخر انه عمر فى سنة سبع وأربعين وستمائة وذكره الازرقى أيضا فى المواضع التى يستحب الصلاة فيها بمكة * قلت هو مسجد لطيف جدا موجود الآن ومعروف أحاطت به الدور الا الجهة الجنوبية منها التى هى الطريق وهو بين دكاكين السوقة يتعين على أهل الخير بناؤه وصونه وتعظيمه وفقهم الله تعالى لذلك * ومنها مسجد بأسفل مكة ينسب الى سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه يسمى الآن دار الهجرة ويقال انه ركب منها مع النبى صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة يزوره الناس وفيه يذكرون الله تعالى * ومنها مسجد فوق التنعيم على يمين المستقبل يقال له مسجد عائشة رضى الله عنها وهو بعيد عن أميال حد الحرم وكان يسمى مسجد الهليجة لشجرة كانت هناك قديما وقد تهدم هذا المسجد وما بقى منه الا آثار جدارات قائمة وكان المكان الذى أرسل اليه النبى صلى الله عليه وسلم أم المؤمنين عائشة مع أخيها رضى الله عنهما ليعتمر منه ولا يصل اليه المعتمرون الآن بل يقتصرون على أميال الحرم فيبرزون منها قليلا ويحرمون بالعمرة ويعودون ومسجد عائشة رضى الله عنها مما يتعين تجديده وتعميره ولأنه من الآثار المباركة القديمة وقد تركه الناس لتهدمه واقتصروا على مساجد مرضومة بالاحجار بمحاريب مرضومة من الاحجار الصغار تهدم ويرضم غيرها وكأنها من وراء الاميال جراء منها وهناك صهريج عظيم قديم يمتلئ من السيول أيام المطر يتوضأ المعتمرون منه فلما جاء الوزير المعظم المجاهد فى سبيل الله حضرة * سنان باشا يسر الله له ما شاء فى سنة ثمان وسبعين وتسعمائة اعتمر من التنعيم وكان هذا الصهريج خاليا لانه لم يكن أيام المطر حينئذ ورأى المعتمرين يحملون ماء الوضوء معهم من مواضع بعيدة يتعبون فى ذلك وكانت هناك بئر بعيدة مهدمة مملوءة بالتراب فأمر سيدنا ومولانا شيخ الاسلام ناظر المسجد الحرام السيد القاضى حسين الحسينى أن يحصل له من يحفر ذلك البئر ويبنى له مجرى يجرى فيه الماء من البئر الى الموضع الذى يعتمر الناس فيه بقرب الاميال وعين جاذبا يجذب الماء من البئر فى كل وقت ويسبكه فى ذلك المجرى فيسيل الماء الى موضع يتوضأ فيه المعتمرون على الاتصال والدوام ويشرب منه الناس والدواب والمعتمرون وأهل القوافل المارين منه هناك وابناء السبيل وينتفعون بذلك انتفاعا عاما ويدعون لصاحب هذا الخير وهذا أثر عظيم لهذا الوزير المعظم من جملة خيراته الجارية دائما ان شاء الله تعالى اجرى الله تعالى على يديه الخيرات وأثابه عليها أعظم الأجر وأسنى المثوبات وبلغه من ألطافه وعنايته ما يتمنى وختم لنا وله أجمعين بالحسنى * هذا آخر ما أردنا جمعه فى هذه الأوراق من كل خبر لطيف وأثر مبارك شريف رق معناه وراق ولطف مؤداه فى الاسماع والاذواق كله نخب درر ونصائح وجميعه نخب غرر ومنائح ينس بها الراكب العجلان حاجته ويصبح

الحاسد الغضبان يطريها كأنها نجوم فى سماء اللطافة زاهره أو زهور فى رياض الانافة زاهره تحت كل ذرة منها ذرة فاخرة وضمن كل لفظة نكتة خفية أو حكمة ظاهرة جلية أصبحت للقلوب قوتا وأضحت قرط أذن والواحظ قرة ولعمرى يحق لو كتبوها بسواد العيون فوق الحجرة فدونك أيها الفاضل اللوذعى الكامل الفطن الألمعى الناظر فى هذا الكتاب المتصفح لوجنات هذه العذراء الكعاب ما أودعت من لطائف الآداب وأدرجته من زبد الحكم واللباب ولا يحملك الحسد الذى جبلت عليه الاقران انكار ما يجد لغيره من المزايا الحسان ولا يستميلك استغصار مؤلفه الى نبذ فرائده والاستهلال بعظيم فوائده فان لك غنمها وعلى غيرك غرمها

وما عير الانسان عن فضل نفسه * بمثل اعتراف الفضل فى كل فاضل

ومع ذلك فلا أدعى رتبة الكمال فوق كل ذى علم عليم ولا أزعم النزاهة عن النقص والعيب فالمنزه عن كل عيب هو الله الملك القدوس العزيز الحكيم ولقد قيل لا يعرى ذو كمال من نقص ولا يخلو ذو نقص من كمال فلا يمنعك نقص الكامل من استفادة كماله ولا يرغبك كمال الناقص فى الميل الى نقصه * ولقد كتب أستاذ البلغاء القاضى عبد الرحيم الفاضل البيانى الى العماد الاصفهانى الكاتب معتذرا عن كلام استدركه عليه وقد وقع لى شئ وما أدرى أوقع لك أم لا وها أنا أخبرك به وذلك انى رأيت أن لا يكتب انسان كتابا فى يومه الا قال فى غده لو غير هذا لكان أحسن ولو زيد هذا لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان أفضل ولو ترك هذا لكان أجمل وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر انتهى فالأليق بالفاضل اذا عثر بشئ مما كافيه المؤلف وعثر ان يستر الزلل ويقبل العثار وليسد الخلل والعوار والكريم غفار والحليم ستار ولقد رأيت أن أجعل ختام هذا الكتاب مسكا وأنظم له الجواهر المفاخر سلكا فأختمه كما بدأته بالدعاء لدوام سلطاننا الاعظم خليفة الله الاكبر الافخم صاحب السيف والعلم مولى ملوك الترك والروم والعرب والعجم سلطان سلاطين هذا الزمان الحافض لكلمة الكفر والرافع لكلمة الايمان عالم السلاطين وسلطان العلماء الأعاظم الاعيان الذى تتصاغر فى أبواب سلطنته تيجان كسرى وقيصر وتسعى الى لثم اعتابه ملوك الشرق والغرب وامثال دارا والاسكندر قبلة اقبال قلوب العالمين المحسن الى أهل الحرمين الشريفين المتكرم على جيران الله وجيران نبيه صلى الله عليه وسلم فى هذين البلدين العظيمين المنيفين الباذل عدله واحسانه على كافة الرعايا والامن فى ظل منه ولطفه ورأفته جميع البرايا الذى هو بحر كرم تحدث الالسن مكارمه بالعجائب ولا حرج ويلوذ بأعتابه الشريفة من نالته شدة الافتقار تدخل اليه السعادة من باب الفرج

له دولة أسماها الله فى العلى * مقاما وأعلاها جنابا واسماها

لقد أعربت عن سيرة عمرية * تبوأها عثمان بالعدل مبناها

﴿ السلطان ابن السلطان ابن السلطان الملك المؤيد مراد خان بن سليم خان ﴾ نصر الله تعالى عزائمه وأمضى فى رؤس الأعداء صوارمه وشيد به بنيان الاسلام ودعائمه وجعل مغارمه فى سبيل الله مغانمه ولا زالت ألوية نصره منشورة الذوائب مشهورة القواضب مشرقة كالشمس يغشى ضوءها المشارق والمغارب صاعدة فى أفق السماء حتى تزاحم مناكب مواكب الكواكب ولا برحت

أسباب سعادته تقوى وأحاديث المكارم اليه تسند وعنه تروى والقلوب تتمسك من عبوديته وصدق رأيه بالسبب الأقوى فى عز مديد ونصر مشيد وعمر مزيد وسلطنته ثابتة لا تهز ولا تبيد وسعادة دائمة تتضاعف وتزيد واقبال يلازم ركابه السعيد

مالاح نجم على أفق السماء وما * هب النسيم على العشاق بالطيب

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام الاتمان الاكملان على سيد الانبياء والمرسلين محمد وعلى آله وصحبه والطيبين الطاهرين وسائر الانبياء والمرسلين وآل كل والتابعين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين * وقد فرغ مؤلفه من تحريره ووقفت أنامل أقلامه من تحبيره فى ليلة يسفر صباحها عن سبع مضين من شهر ربيع الأول سنة خمس وثمانين وتسعمائة

نحمدك يا من زينت المسجد الحرام بالكعبة المشرفة حيث جعلته حرما آمنا وأمرت بتطهيره قلبا لك الملبون وأزلت عنهم البأس والعنا ونصلى ونسلم على سيدنا محمد القائل وما ينطق عن الهوى من بنى مسجدا لله ولو كمفحص قطاة أو أصغر بنى الله له بيتا فى الجنه وعلى آله وصحبه نجوم الهوى ومصابيح الدجنه ﴿أما بعد﴾ فان من أجل العلوم التى شحنت بها الكتب والاسفار فن علم التاريخ المحتوى على وقائع الدهر وحوادث الاخبار لاسيما الكتاب المسمى بالاعلام بأعلام بيت الله الحرام فهو من أجل كتب التاريخ وضعا وأحسنها ترتيبا وأبهجها صنعا وبالجملة فهو كتاب عزيز فى مثاله بديع فى منواله لأنه جمع ما حواه الأوائل والأواخر وزياده جزى الله مؤلفه خيرا وأعطاه الحسنى وزياده فهو جدير بأن يتسابق فى تحصيله المتسابقون ويتنافس فى اقتنائه المتنافسون فلهذا وجهت همة المحترم الفاضل الأستاذ الشيخ محمد مراد الطرابلسى نحو التزام طبعه لتعطير أرجاء الأكوان بعبير نفعه وذلك بالمطبعة العامرة العثمانيه التى مركزها فى مصر حارة الفراخة بباب الشعريه ادارة مديرها ومنشيها الهمام الفائق الفاضل الشيخ عثمان عبد الرازق وكان الفراغ منه بعون رب البريه فى أوائل جمادى الأولى عام ألف وثلاثمائة وثلاث هجريه صلى الله عليه وعلى آله وكل منتم اليه وناسج على منواله

ماهبت نسمات الوصال
على أرباب
الأحوال
آمين

LIBRARY
UNIVERSITY IN CAIRO

LIBRARY
CAIRO UNIVERSITY IN CAIRO